# ندوات

# مركز الأبحاث العقائدية

المجلد الرابع

تأليف

مركز الأبحاث العقائدية

## ( 45 ) الموجعية الفكرية لأهل البيت (عليهم السلام)

تمهيد :

موقعية أهل البيت(عليهم السلام)

الهدف الأوّل :

الهدف الثاني :

الهدف الثالث :

الهدف الرابع :

الهدف الخامس :

الهدف السادس :

معنى الموجعية الفكرية لأهل البيت(عليهم السلام) :

الأسئلة والأجوبة

## ( 46 . 47 ) المدخل إلى حديث الغدير

تمهيد :

النظرية الأولى : نظرية الثورة المسلّحة :

النظرية الثانية : نظرية الاختيار :

النظرية الثالثة : نظرية النصّ :

أصلان قرآنيان

الأسس الشرعية في الحاكمية :

الأسس الأوّلية للنظرية الديمقراطية :

الأسئلة والأجوبة

بداية الندوة 47

نقاش المبدأ الثاني من نظرية الاختيار

مبدأ الاختيار :

أدلّة تفويض الحكومة من قبل الله تعالى إلى الناس :

النظرية الثالثة : التمسّك بأدلّة وجوب نصب الإمام :

مناقشة الإجماع المدّعى في السقيفة

مناقشة البيعة التي حصلت في السقيفة

## ( 48 ) القول المختار في الجبر والاختيار

تمهيد :

أسباب إثارة هذا الموضوع

معنى الجبر

لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين

ذكر الأقوال في تفسير الأمر بين الأمرين

الأمور المترتّبة على القول بالجبر

تفويض الغلاة

نبذة من الروايات في الأمر بين الأمرين

إشكال وجواب

عود على بدء

الأسئلة والأجوبة

## ( 49 ) نظرية الإمامة الإلهية بعد النبي (صلى الله عليه وآله)

تمهيد :

الأدلة على مقام أهل البيت (عليهم السلام)

الأُفق الأول : الأفق القرآني

الأُفق الثاني : أفق الحديث السنّي

الأفق الثالث : اتّحاد حديثهم

الأفق الرابع : ذكرهم في الكتب السابقة

الأفق الخامس : الأفق التاريخي

سورة الواقعة كمدخل لمعرفة أهل البيت (عليهم السلام)

المسألة الأولى : معنى السابق والمقرّب :

المسألة الثانية : المقام التفصيلي للسابقين والمقرّبين

المسألة الثالثة : العلاقة بين السابقين

والمقرّبين والصنفين الآخرين

المسألة الرابعة : معنى «الأوّلون» و«الآخرون»

المسألة الخامسة : من هم السابقون المقرّبون من الأولين

المسألة السادسة : من هم السابقون

المقرّبون من الآخرين؟

الأسئلة والأجوبة

## ( 50 ) التعريف بالأئمّة (عليهم السلام) الإلهيّين من خلال القرآن الكريم

تمهيد :

عوامل التحريف :

التعريف بالأئمة (عليهم السلام) من خلال القصص :

القصص القرآني :

المدخل للاستفادة من هذه القصص :

أهميّة الصافّات في تثبيت هذا المنهج :

قصص بني إسرائيل شاهد لما يجري في الآخرين :

سورة الدخان تتحدّث عن النظير :

شاهد على الرجعة :

الأسئلة والأجوبة :

## ( 51 ) بيوت الإمامة في القرآن الكريم

تمهيد :

تبشير الكتب السابقة بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

العناوين الواردة في القرآن الكريم لوصف أهل البيت (عليهم السلام)

البيوتات التي اصطفاها الله تعالى أربع

المراد من آل إبراهيم (عليهم السلام)

البيت الذي بعث فيه النبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)

عودة إلى الآية الكريمة

الذرّيّة الطاهرة في عقب إسماعيل (عليه السلام) دون غيره

الأسئلة والأجوبة

## ( 52 ) علم الإمام (عليه السلام)

علم الإمام وآثاره :

حقيقة حجّية الإمام :

حقيقة الإمامة :

الوراثة في الإمامة :

حقيقة عصمة الإمام :

مؤدّى حديث الثقلين :

ما معنى علم الإمام ؟

معنى الوحي :

علم الإمام لدنّي :

الوسطية في البحث :

بين الغلو والتقصير :

معنى الغلو والباطنية :

آيات الثقلين :

دلالة حديث الثقلين على العلم اللدنّي :

الإمام عنده علم الكتاب :

الأسئلة والأجوبة

## ( 53 ) الإجابة على الأسئلة العقائدية

تمهيد :

حول صفات الله تعالى :

طرق إثبات صفات الله تعالى :

ضرورة توسيع مباحث العقيدة :

المعرفة مطلقة وليست نسبية :

المعراج جسماني أم روحاني ؟

مقدار علم الإمام :

هل المعصوم يسهو ؟

ضرورة ترك الفلسفة غير الإسلامية والأخذ بالمباني الإسلامية :

معنى إدراك العقل :

الارتداد بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) :

ما هو الدليل على إمامة الائمّة ؟

المعجزة :

حساب المشركين المعاصرين :

مراتب حساب المشركين :

كيفية التوفيق بين المعجزة والأسباب الطبيعية :

حول شخصية عبد الله بن سبأ :

**( 54 ) الإمامة فكرة وتطبيقاً عند فرق المسلمين**

تمهيد :

اختلاف الأمّة الإسلامية بعد وفاة نبيّها (صلى الله عليه وآله) :

معنى الخلافة والإمامة وشروطها عند السنّة :

وجود الأسس الشرعية لفكرة الإمامة :

بيعة السقيفة :

تعريف الإمامة :

منزلة الإمامة عند الشيعة :

خلاصة البحث :

**( 55 ) الإمامة فكرةً وتطبيقاً عند فرق المسلمين**

إطلالة على البحث المتقدّم :

هل روعيت الشروط اللازمة عند انتخاب الخليفة في السقيفة ؟

خلاصة البحث الأوّل :

صلاة أبي بكر بالمسلمين في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

من قال بأنّ ما ذكر من حجج كانت مقصودة لأصحاب السقيفة :

ما هي شروط إقالة الخليفة ؟

نقطة مهمّة تجدر الإشارة لها :

ما معنى الفلتة الواردة في كلام عمر ؟

الدعوة إلى القبيلة في خطبة أبي بكر :

الأسئلة والأجوبة

**( 56 ) مصحف فاطمة (عليها السلام)**

الروايات الواردة عن مصحف فاطمة (عليها السلام) :

البحث في مضمون هذه الروايات :
جواب التساؤل القائل بأنّ نزول جبرئيل على فاطمة (عليها السلام)يلزم منه القول بالنبوّة :
آية الشورى والوحي لغير الأنبياء :
منزلة فاطمة (عليها السلام) أعظم من منزلة مريم (عليها السلام) :
تصريح القرآن بأقسام الحجج الإلهية المصطفاة :
نطق مريم (عليها السلام) عن السماء بمجيء شريعة ناسخة :
الجهاد بالعرض من السنن الإلهية :
تكاليف إلهية شخصية لمريم (عليها السلام) بوحي مباشر لها :
فريضة الاعتقاد بحجّية مريم (عليها السلام) تمهيداً للاعتقاد بحجيّة فاطمة (عليها السلام) :
ما يحتويه مصحف فاطمة (عليها السلام) :
القرآن الكريم يثبت أنّ لفاطمة (عليها السلام) مصحفاً :
عقيدة أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) مأخوذة من القرآن :
الإجابة على التساؤل الثالث :
جواب التساؤل الرابع :
وجه تعدد مضامين مصحفها :
الأسئلة والأجوبة

## ( 57 ) الرجعة

تمهيد :
تواتر القول بالرجعة عند الإمامية :
الدواعي الحقيقية لإنكار الرجعة عند خصوم الشيعة :
ماهيّة الرجعة :
الرجعة أحد الأدلّة على إمامة أهل البيت (عليهم السلام) :
أوجه الشبه بين الرجعة وظهور الإمام (عليه السلام) ويوم القيامة :
الأدلّة على الرجعة :
أوّلا : الأدلّة الروائية :
اختلاف الشيعة في تفسير الرجعة :
الإشكالات المثارة حول الرجعة :

جواب الإشكالات المتقدّمة :

الدليل الفلسفي العقلي على الرجعة :

ثانياً : الأدلّة القرآنية :

الرجعة أشبه شيء بالانبعاث من الحالة المنامية :

ندوات مركز الأبحاث العقائديّة

المجلّد الرابع

إعداد

مركز الأبحاث العقائدية



مركز الأبحاث العقائدية :

ا إيران . قم المقدسة . صفائية . ممتاز .رقم 34

ص . ب : 3331 / 37185

الهاتف : 7742088 ( 251 ) ( 0098 )

الفاكس : 7742056 ( 251 ) ( 0098 )

ا العراق . النجف الأشرف . شارع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

شارع السور جنب مكتبة الإمام الحسن (عليه السلام)

ص . ب : 729

الهاتف : 332679 ( 33 ) ( 00964 )

ا الموقع على الإنترنيت : www.aqaed.com

ا البريد الإلكتروني : info@aqaed.com

شابك (ردمك) :

ندوات مركز الأبحاث العقائدية / المجلّد الرابع

إعداد

مركز الأبحاث العقائدية

الطبعة الأُولى . 2000 نسخة

سنة الطبع : 1434 هـ

المطبعة : ستارة

* جميع الحقوق محفوظة للمركز *



بسم الله الرحمن الرحيم

# ( 45 ) المرجعية الفكرية لأهل البيت (عليهم السلام)

الشهيد السيّد محمّد باقر الحكيم





بسم الله الرحمن الرحيم

**تمهيد :**

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمدّ وعلى آله الطيبيّن الطاهرين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا بقيّة الله في أرضه ، الحجّة ابن الحسن عجل ّالله تعالى فرجه الشريف ، والسلام على سادتي واخوتي وأخواتي الحاضرين ورحمة الله وبركاته .

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾[1] .

في البداية أبارك للإخوة الأعزاء والسادة الأفاضل جميعاً هذه الأيّام الشريفة أيامّ شهر رمضان المبارك ، وكذلك أبارك لهم هذا المشروع والعمل الإسلامي الديني العقائدي ، ولا سيّما في هذا الشهر الشريف ، حيث إنّه من العبادات في هذا الشهر الشريف المعرفة وطلب العلم ، وهذا أيضاً مصداق من مصاديق هذه العبادة .

الموضوع الذي أحاول أن أطرحه في هذا اللقاء الذي كنت أوّد أن يكون طويلاً نسبياً ولو في ليالي متعددةّ ولكن ظروفي الخاصّة من ناحية ، ووضعي الصحّي في هذا اليوم من ناحية أخرى ، قد يمنع من الأداء الحسن والجيدّ لهذا الموضوع .

الموضوع الذي أحاول أن أطرحه هو موضوع المرجعية الفكرية لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم ، وفي هذا الموضوع توجد عدّة عناوين وأبواب وفصول إذا أردنا أن نكتب هذا الموضوع ونسجّل هذا الموضوع على شكل كتاب ،

1- الأنبياء : 73 .



في هذا المجال وفي هذا الموضوع سوف أشير إلى مجموعة هذه العناوين والفصول والأبواب بصورة كليّة ، وأحاول أن أتناول بعض هذه العناوين بشيء من التفصيل ، وأترك الفرصة بعد ذلك إلى طرح الأسئلة في هذا الاجتماع ، ولكن سوف أختصر في الحديث نفسه من ناحية ، وأيضاً في موضوع الأسئلة والأجوبة من ناحية أُخرى مع الاعتذار الكامل من السادة الأفاضل والإخوة الأعزّاء .

## موقعية أهل البيت(عليهم السلام)

إذا أردنا أن نتحدّث عن موقعية أهل البيت (عليهم السلام) يمكن أن نتصوّر أنّ الوجود الشريف لأهل البيت (عليهم السلام) له عدّة أهداف أشير إلى بعضها :

### الهدف الأوّل :

هو هدف غيبيّ يرتبط بعالم الغيب ، ولكننا نراه من خلال النصوص التي وردت إلينا عن أهل البيت . سلام الله عليهم .وهو أنّ أهل البيت (عليهم السلام) هم حفظ لأهل الأرض ، هذا الحفظ لأهل الأرض بمعناه الغيبيّ هو أمان لأهل الأرض كما ورد في ذلك عدّة نصوص[1] ، هذا هدف من وجود أهل البيت (عليهم السلام) .

ويبدو من هذه النصوص أنّ وجود الإمام بمعناه العام الذي يشمل الأنبياء أيضاً ، هذا الوجود الشريف له آثار غيبيّة غير معلومة لنا بتفاصيلها ، ولكنها معروفة لنا من خلال النصوص ومن خلال بعض الآثار التي نلاحظها في مسيرة التاريخ البشري والحياة ، والقرآن الكريم أيضاً يشير إلى مثل هذا الأمر في قوله تعالى : ﴿ وَما كانَ اللهُ لِيُعذِبَهُمْ وَأنتَ فيهِمْ وَما كانَ اللَّهُ مُعذِّبَهُمْ وَهُمْ يَستَغفِرونَ ﴾[2] ، حيث يلاحظ أنّ وجود النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في نفسه هو أمان لأهل

---

1 - انظر كامل الزيارات : 86 ، الأمالي للشيخ الصدوق : 738 ، بحار الأنوار10 : 393 ، 16 : 303 ، 23 : 19 ، 27 : 308 ، 36 : 291 ، 75 : 380 ، 97 : 243 .

2- الأنفال : 33 .



الأرض ولا يزول العذاب بسبب وجوده ، كما أنّ العذاب لا يزول إذا كان الناس في حال الاستغفار والطاعة لله سبحانه ، كذلك لا يزول العذاب باعتبار وجود النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

### الهدف الثاني :

الذي يمكن أن نلاحظه من خلال النصوص الشريفة هو الحكم الإسلامي ، أو بتعبير آخر :حديث قيادة التجربة الإسلامية والحكم الإسلامي في المجتمع الإنساني ، حيث قدّر الله سبحانه وتعالى أن تكون الرسالة الإسلامية هي الرسالة الخاتمة ، وكانت الدولة الإسلامية عنصراً وجزءاً مهماً في هذه الرسالة الخاتمة ، حيث أقيمت هذه الدولة في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ،وهذا مما امتازت به الرسالة الخاتمة على الرسالات الإلهيّة السابقة ،واستمرّت أيضاً هذه الدولة طيلة قرون عديدة ، وشاء الله سبحانه وتعالى أنّ هذه الدولة بعد أن أطيح بها بفعل الكفّار والاستكبار العالمي ، شاء الله سبحانه أن تعود هذه الدولة مرّة أُخرى إلى حياة المسلمين ،والأمر الذي يعني أنّ هذه الدولة تمثّل جزءا من هذه الرسالة الخاتمة ، وشاء الله سبحانه أيضاً أن تكون نهاية مسيرة البشريّة هي إقامة هذه الدولة على يد صاحب العصر والزمان الإمام الحجّة . عجّل الله فرجه الشريف . بحيث يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً ، الأمر الذي يعني أن قضية الدولة الإسلامية تمثل هدفاً من الأهداف المهمّة لوجود أهل البيت (عليهم السلام) في امتداد وجودهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وللنبوّة الخاتمة .

**الهدف الثالث :**

الذي يمكن أن نلاحظه في وجود أهل البيت (عليهم السلام) هو ما يمكن أن نعبّر عنه بمهمة حفظ الإسلام وحفظ الرسالة الإسلامية ، لأنّ الرسالة الإسلامية هي الرسالة الخاتمة ، وهذه الرسالة الخاتمة يحتاج حفظها وبقاؤها واستمرارها بالفعل والتأثير



في حياة الناس إلى حافظ يقوم بهذه المهمّة ، كما قام الأنبياء السابقون بحفظ الرسالات الإلهية ، ولكن هؤلاء الأنبياء لأنهّم لم يكونوا قد جاؤوا برسالة خاتمة ، وكانت فرصة مجيء رسالة بعد أُخرى في تاريخ الإنسان وحركة الرسالات الإلهية قائمة وموجودة ، لذلك لم تكن هناك حاجة لافتراض امتداد الإمامة في رسالة من هذه الرسالات ، أمّا بالنسبة للرسالة الخاتمة باعتبار أنّها الرسالة الخاتمة وليس بعدها نبيّ أو رسالة حتىّ يمكن أن يملأ الفراغ في فرض تعرّض هذه الرسالة إلى الانحراف أو إلى القضاء عليها ، لذلك شاء الله سبحانه وتعالى أن يكون دور أهل البيت (عليهم السلام) والهدف من وجودهم هو أن يحفظوا هذه الرسالة وتستمر هذه الرسالة .

**الهدف الرابع :**

يمكن أن نشير إليه في هذا المجال هو المحافظة على وجود الأمّة الإسلامية كأمّة واحدة تتميزّ بين الأمم جميعا بمشتركات تشخّص هذه الوحدة وهذه الهوية في الأُمّة الإسلامية ، وهذا مما تمتاز به الأمةّ الإسلامية عن الأمة المسيحية النصرانية ، أو الأمّة اليهودية الموسوية ، التي أيضاً تنتمي بالاسم إلى رسالة من الرسالات الإلهية ، فضلاً عن الأمم الأخُرى إذا كانت صائبة على ديانة إبراهيم (عليه السلام) ، هذه الأمم مع انتمائها لمثل هذه الرسالات ، لكنّها لا تعبرّ عن أمةّ واحدة في خصائصها وفي مواصفاتها بخلاف الأمّة الإسلامية .

أمّا كيف يمكن أن نبينّ الفرق بين هذه الأمةّ في وحدتها ، وتلك الأمم في تفرقّها واختلافها ؟ فهذا بحث آخر مستقل .

لكن أريد أن أشير هنا إلى العناوين ، وهو عنوان يمكن أن يكتب فيه كتاب مستقل في بيان خصائص الأُمّة الإسلامية في وحدتها واشتراكها بالرغم من وجود المذاهب وتعدّدها في الأمّة الإسلامية ، وعدم وجود هذه الوحدة في الأمُم الأخرى ، وأن الفاصل بين الأُمم الأُخرى هو أكبر مما هو الفاصل في الأمةّ الإسلامية في تعدد مذاهبها .



**الهدف الخامس :**

الذي يمكن أن يذكر كهدف ودور لأهل البيت (عليهم السلام) في هذه الحياة الدنيا هو بناء الجماعة الصالحة ، جماعة أهل البيت هذه الجماعة التي نعبّر عنها بشيعة أهل البيت ، وعبرّ عنها أيضاً النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعبرّ عنها أئمة أهل البيت بهذا التعبير . هذه الجماعة الصالحة المتمثّلة بأتباع أهل البيت (عليهم السلام) بناها أهل البيت كجماعة لها خصائصها ولها مواصفاتها وأهدافها ومسؤوليّاتها الخاصّة ، وليست هذه الجماعة مجردّ انتماء لهذا الإنسان لأهل البيت ، أو اعتقاد بإمامة

أهل البيت (عليهم السلام) .

هذا محور من محاور شخصيّة هذه الجماعة ، بل هذه الجماعة لها مدلول أعمق وأكثر وضوحاً وتخصيصاً من مجرّد جماعة اعتقدوا بإمامة أهل البيت (عليهم السلام)في مقابل الجماعات الأُخرى التي لا تعتقد بإمامة أهل البيت ، بل هي جماعة لها مثل هذه الخصائص ، وقد أشرت لهذا الموضوع في كتاب دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ، وبيّنت وشرحت فيه هذا الهدف وما قام به أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المجال .

**الهدف السادس :**

وذكرته سادساً وأخراً باعتباره هو موضوع بحثنا ، والإ ّمن حيث التسلسل والأهميةّ قد يكون هو الهدف الثالث في الأهمية ّ وفي الوضوح ، هو دور أهل البيت في الرجوع إليهم في الجانب الفكري والعقائدي ومعرفة الإسلام ، على ما سوف أوضّح في معنى المرجعية الفكريّة .

هذا أيضاً دور مستقل لأهل البيت (عليهم السلام) عن الأدوار السابقة التي أشرت إليها ، وهدف مستقلّ في نفسه ، هذه المرجعية الفكرية على أهمّيتها على ما سوف نبيّن ، لن تحظى بالاهتمام المناسب في أبحاثنا العقائدية ، وانمّا يتم بّحثها في أكثر الأحيان في ظلّ بحث الإمامة ، بمعنى الحكم والموقع الخاص الذي أعطاه الله



سبحانه وتعالى لأهل البيت كمسؤولين عن إدارة المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي وشؤون المسلمين ، أو يبحث هذا الموضوع تحت عنوان الإمامة بمعناها العام ، دون أن يتمّ الدخول في تفاصيل هذا الموضوع الذي هو يعتبر من الموضوعات المهمّة ، كما سوف أشير من حيث أهمّيته وآثاره ، ولذلك كان أحد الأغراض في جعل هذا العنوان لهذا الاجتماع ولهذا اللقاء هو إلفات نظر الإخوة الأعزّاء المهتمّين بالقضية العقائدية ، وبالجانب العقائدي ، أن يهتموا بهذا الجانب في أهل البيت (عليهم السلام) لما له من آثار كبيرة في حياتنا من ناحية ، وحياة المسلمين من ناحية أُخرى ، بل وحياة البشرية والناس بصورة عامّة من ناحية ثالثة .

وطبعاً لا أُريد أن أقول إنّه لم يتم ّالاهتمام والحديث في هذا الموضوع مطلقا ً، كان هناك اهتمام لكن هذا الاهتمام ليس بالمستوى المناسب لأهمّية الموضوع ، لا من حيث كمية هذه الاهتمامات وحجمها وعددها وانتمائها في أبحاثنا وكتاباتنا ومتابعاتنا ، ولا من حيث كيفية مستوى الاهتمام والدخول في تفاصيل هذا الموضوع ومتابعات آفاقه وآثاره والوصول فيه إلى الأهداف والنتائج المطلوبة في قضيّة المرجعية الفكرية .

هذا الموضوع يمكن أن أشير إلى أهمّيته ببعض النقاط بصورة موجزة ، وكما ذكرت في بداية حديثي أكتفي هنا بالعناوين ، والإخوة الأعزّاء يمكن أن يتابعوا العناوين إما من خلال المطالعة والمراجعة والمباحثة ، أو من خلال فرصة أُخرى أوفقّ لأكون في خدمتهم لمتابعة هذه العناوين وأمثالها .

الأمر الأوّل : الذي يعطي هذا الموضوع أهمّيّة خاصة هو أن ّهذا الموضوع على ما يبدو من تاريخ أهل البيت (عليهم

السلام) أفضل مدخل يدخل إليه أهل البيت (عليهم السلام) إلى المسلمين من أجل التعريف بمجموع أهدافهم ، ومن هذه الأهداف قضية الإمامة وحقّ أهل البيت في الحكم الإسلامي وفي قيادة التجربة الإسلامية ، حيث إنّ المسلمين بصورة عامةٌ كانوا لا يرون هذا الحق ، يعني حقّ الإمامة بمعنى قيادة



التجربة الإسلامية والحكم الإسلامي ، وقيادة الأُمّة الإسلامية بصورة عامةٌ ، المسلمون لم يكونوا يرون لأهل البيت هذا الحق إلاّ القلّة القليلة جداً مّنهم كان يرى هذا الحق ،ّوالمسلمون في السابق غير المسلمين الآن ، المسلمون الآن انفتحوا بصورة واسعة على هذا الحق وعلى هذه الحقيقة ، ونسبة شيعة أهل البيت المعتقدين بإمامتهم إلى مجموع المسلمين تمثّل نسبة كبيرة جدّاً قد تكون نسبة الخمس أو السدس لمجموع المسلمين ، أماّ إذا أردنا أن ننظر إلى عصر أهل البيت (عليهم السلام) فنجد أن ّ هذه النسبة كانت أقل بكثير من هذه النسبة الموجودة في عصرنا الحاضر ، خصوصاً إذا أردنا أن نأخذ زمن الإمام علي (عليه السلام) فكانت الحالة العامّة للمسلمين الذين كانوا يعتقدون بهذه الإمامة عملاً كان عددهم محدوداً كما يذكر في نصوصنا ، وبعد زمن الإمام علي (عليه السلام) أصبحت هذه القضيّة أكثر غموضاً ، باعتبار ابتعادهم عن عصر النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) والنصوص التي كان قد تحدّث بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن هذه الإمامة .

إنّ عدم الاعتقاد كان يمثّل حاجزاً عادة في الدخول إلى بيان هذه الحقيقة كما هو في كلُ الّمعتقدات . المعتقدات التي تكون متبنّاة من جماعة وتصبح جزءاً من هوية تلك الجماعة . اختراق هذا الاعتقاد والعبور على هذا الحاجز للوصول إلى الحقيقة تصبح قضيّة صعبة ومعقّدة غاية التعقيد .

وهذا الموضوع يحتاج إلى بحث اجتماعي ، وبحث فكري قرآني ، يرتبط بأسلوب القرآن في طريقة دخول القرآن الكريم إلى أصحاب المعتقدات والرسالات الإلهية في طرح الإسلام عليهم ، وجعلهم يؤمنون بالإسلام كالمسيحيين واليهود ، والصعوبات التي واجهها الإسلام في ذلك ، وهذا الموضوع هو الذي يفسّر نزول القرآن في مكّة ، ولم ينزل في أوساط المسيحيين ، ولا في أوساط اليهود ، مع أنّ تلك الأوساط بحسب طبيعتها أقرب إلى فهم الوحي الإلهي ، وفهم الرسالات الإلهية ، من وسط المشركين الذين كانوا يعبدون الأوثان ولا



يؤمنون بالرسالات ولا بالأنبياء ، تلك الأوساط كانت أقرب إلى الوسط الإسلامي ، لكن مع ذلك القرآن الكريم نزل في وسط مكّة ولم ينزل في المدينة التي كان فيها اليهود ، فضلاً عن أن ينزل في أوساط المسيحيين .

هذا أيضاً هو أحد الأسباب في تفسير هذه الظاهرة ، ظاهرة نزول القرآن الكريم في مكّة ، وهو أنّ المدخل كان يمثّل صعوبة كبيرة مع وجود عقائد متبنّاة من قبل أُولئك الناس والأشخاص ، ولذلك عانى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من اليهود الذين كانوا هم أقرب الناس إلى الإسلام من حيث المفاهيم ومن حيث صور العقيدة ، يعني توحيد اليهود أقرب من توحيد المسيحيين ، ووجود الشرائع عند اليهود أكثر من وجودها عند المسيحيين من الناحية العقائدية ، ولكن مقاومة اليهود

كانت أكثر من مقاومة المسيحيين ،واليهود كانوا قلّة أيضاً ، يعني كانوا يشعرون بالضعف في مقابل المسيحيين ، الذين كانوا يشعرون بالقوّةوالقوة ، عندهم دولة عظيمة ، ولكن مع ذلك يشير القرآن : ﴿ لَتَجِدنَ أَشَدَ النَاسِ عَداوةِ للذين آمنوا اليهود وَالَّذِين أَشرَكوا ﴾ [1] يعني هؤلاء هم أشدّ عداوة كانوا للمؤمنين ، هذه الحقيقة ترتبط بهذا البحث الاجتماعي ، ليس الآن بحثه وإنّما أُشير إليه إشارة ، نحن نرى أنّ أفضل مدخل عقائدي للتأثير في أوساط المسلمين بصورة عامة ، وتقريبهم إلى الاعتقاد الكامل بأهل البيت (عليهم السلام) هو مدخل المرجعية الفكرية ، يعني طرح المرجعية الفكرية لأهل البيت (عليهم السلام) .

وعلى مستوى نصوص إخواننا أهل السنةوالمدارس الأخرى للمسلمين نجد أنّ المرجعية الفكرية لأهل البيت (عليهم السلام) بصورة عامّة مقبولة في نصوصهم ومقبولة أيضاً في وسطهم ، فهم على استعداد في الرجوع إلى أهل البيت (عليهم السلام) في معرفة الإسلام ، وفي معرفة الشريعة .

هؤلاء الذين يرفضون هذا الحقّ لأهل البيت (عليهم السلام) وهو حقّ الإمامة والحكم ،

---

1- المائدة : 82 .



لكن في نفس الوقت لا يرون أنّ أهل البيت لا يصحّ الرجوع إليهم في قضايا الشريعة ، بل يرجعون إليهم في فريضة الحج مثلاً ، كما تعلمون أنّ رواية الإمام الباقر (عليه السلام) عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، هي الرواية الأولى والأخيرة من حيث الأهمّية المعتمدة عند المدارس الأُخرى ، وهذه الرواية هي التي وحدّت الحج بين المسلمين بصورة عامة ، لأنها تبين حجّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ويرويها الإمام الباقر (عليه السلام) ، وهم يروونها أيضاً في صحاحهم [1] ويعتمدونها ، هذا أولاً .

إذن بحث المرجعية الفكرية يمثّل المدخل الطبيعي والصحيح للوصول إلى ذلك الهدف الكامل ، الذي نسعى إليه في توضيح موقع أهل البيت الإلهي ، الذي جعله الله سبحانه وتعالى لهم بين المسلمين وفي الناس .

الأمر الثاني : فيما يتعلّق بأهميّة هذا الموضوع هو أنّ هذا الموضوع أيضا هو الموضوع الأفضل لتعريف الإسلام إلى العالم من خلال بيان هذا الموقع والفكر الذي قدّمه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم للبشرية ; لأنّ فكرهم هو فكر الإسلام ، وقولهم هو قول الله وقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقول الحقيقة الصافية النقيّة التي لا تعترضها الشوائب .

ونحن في هذا العصر وفي هذا الزمان أحوج ما نكون إلى تقديم هذا الإسلام إلى البشرية وإلى الناس بصورة عامّة ، والدخول من هذا المدخل يقرّب الناس إلى الإسلام ، ويقرّبهم بعد ذلك إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وعقائد أهل البيت ، وفكر أهل البيت ، عندما أقول فكر أهل البيت لا أريد أن أبيّن أنّ هذا كان رأي في مقابل آراء ، وانمّا أبيّن ما نقله أهل البيت (عليهم السلام) عن الإسلام الأصيل ، وفي هذا ثروة عظيمة جدّاً لا توجد في أي مذهب آخر من المذاهب الإسلامية ، لذلك هذا الموضوع يعتبر أيضاً من المداخل المهمّة في تعريف الإسلام عالمياً .

وأيضاً نحن في هذا الموضوع بحاجة أكبر بالنسبة إلى نفس الجماعة

1- انظر فتح الباري 3 : 343 .



الصالحة ، التي تتحمّل هذه المسؤولية الكبرى .

الآن في هذا العصر وفي هذا الزمان مسؤولية حمل راية الإسلام ، ومسؤولية الدفاع عن الإسلام ، ومسؤولية الدفاع عن المستضعفين والمظلومين في العالم ، ومسؤولية إقامة الحقّ ، ومسؤولية التمهيد لظهور الإمام الحجّة عجلّ الله فرجه الشريف ، هذا النوع من المسؤوليّات العظيمة التي يتحمّلها الجماعة الصالحة ، والاهتمام بهذا الجانب جانب الفكر والمرجعية الفكرية ، وفهم ثقافة أهل البيت (عليهم السلام) ، وتسليط الأضواء على هذا الجانب من ثقافتهم ، هذا أيضاً له أهميّة خاصة في هذا الدور وفي هذا الزمان .

وفي ذكرياتي العلمية التاريخية ، أتذكّر هذا الموضوع أنا طرحته في محاضرة ألقيتها في مدرسة البغدادي في النجف الأشرف ، قبل أكثر من أربعين عاماً ، وقلت : إنّ أفضل تعريف يمكن أن نعرّف به أهل البيت سلام الله عليهم إلى الناس بصورة عامّة ، وإلى المذاهب الأُخرى بصورة خاصة ، تعريفهم من خلال فكرهم وثقافتهم ، وهذا في الواقع يقرّب القضية ويجعلها في متناول أيدي العقائد الأخرى ، ويجتاز هذا الحاجز النفسي والعقائدي الموجود عند الإنسان ، وعادة عندما يعتقد الإنسان بعقيدة من الصعب جدّاً أن تجتاز هذا الجانب وتخرق هذا الجانب فيه ، وقلت : هذا بحث قرآني أيضاً ، وحتىّ بحث فكري ، يعني القرآن الكريم يشير أيضاً إلى بعض الخصائص والتشريع ، وطبعاً هو بحث طويل لا يمكن أن نستوعبه في هذا المجال ، هذا إجمال الحديث حول أصل الفكرة .

## معنى المرجعية الفكرية لأهل البيت(عليهم السلام) :

بعد ذلك ننتقل إلى فهرس هذا البحث :

الأمر الأوّل : ما هو المقصود من المرجعية الفكرية ، عندما نتحدّث عن المرجعية الفكرية لأهل البيت ما هو المقصود ؟

هنا يمكن أن نقول : إنّ الباب الأول للبحث هو بحث هذه النظرية ، نظرية



المرجعية الفكرية ، في هذا المجال أيضاً يوجد عندنا بحثان يمكن أن يطرحا في موضوع النظرية :

البحث الأوّل : واجبات المرجعية الدينية نظرياً ، ما هي واجباتها وما هي مسؤولياتها من أجل أن نفهمها بعد ذلك ونرى ارتباطها بأهل البيت (عليهم السلام) ومسؤولية أهل البيت (عليهم السلام) والأدلّة على هذه المسؤولية ؟

البحث الثاني : مضافاً إلى الواجبات ، المضمون العلمي لهذه المرجعية ، ما هو المضمون الذي لابدّ أن يقدمّه أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المجال الفكري ؟ هذا البحث الذي يرتبط بعلم بأهل البيت الذي يذكر عادة في الكتب العقائدية تحت

عنوان علم أهل البيت الذي هو يرتبط بهذا المضمون العلمي ، ماذا ورد عن أهل البيت من مضمون علمي ، وكيف يمكن أن نثبت هذا الأمر بالنسبة إلى أهل البيت (عليهم السلام) ؟ هذا أيضاً بحث في النظرية .

نذكر العناوين ثُمّ بعد ذلك نشير إلى بعض التفاصيل في هذه العناوين بعد تعريف نظرية المرجعية وفهمها تصوراً .كما نعبّر في المصطلحات المنطقية . ننتقل إلى البحث التصديقي .

إنّ هذه المرجعية التي تصورّناها في بعديها في بعُد مضمونها العلمي وفي بعدُ واجباتها ومسؤولياتها اتجاّه الأمة وّالناس ، واتّجاه المضمون العلمي ، ما الدليل على ضرورتها ولزومها ووجوبها في حياة الناس ، وفي حياة البشرية ؟ في هذا الموضوع توجد أربعة أبعاد مهمّة من البحث في موضوع الجانب التصديقي .

البحث الأوّل : هو النصوص الدينية التي وردتنا في القرآن الكريم وفي أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ، التي تدلّ على ضرورة المرجعية الدينية نظرياً ، يعني أنّ هذا الأمر هو ضرورة من الضرورات أن تكون لدينا مرجعية دينية ،ولا يكتُفى بالمرجعية السياسية التي هي عبارة عن قيادة الحكم ، وقيادة وإدارة شؤون الناس ،وإقامة الحق والعدل ، بل لابدّ من وجود هذه المرجعية ، حيث يوجد حديث وكلام



يثار عادة حول الرسالة الإسلامية ،وأنّ الرسالة الإسلامية هي الرسالة الخاتمة ،وهذه الرسالة الإسلامية التي هي رسالة خاتمة رسالة أبلغها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)بكاملها ،وعرّفها للناس وبيّنها للناس ، ولم يبق شيء حتىّ نحتاج أن يكون هناك مرجع نرجع إليه في الجانب الفكري .

نعم ، إدارة شؤون الناس ،وإدارة حياتهم نحتاجه ; لأنّه إدارة شؤون الناس ،وإدارة حياتهم ضرورة يومية .

أمّا الجانب الفكري والمعارف الإلهية ، هذه هي مبيّنة بالرسالة لا يوجد شيء آخر حتىّ يمكن أن نحتاجه كما هو الحال في الرسالات السابقة ، ثُمّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينّ الرسالة بكاملها ، فلماذا نحتاج إلى هذا المرجع الفكري بعد بيان الرسالة بكاملها ؟

إذا كان المقصود من الجانب الفكري هو عملية الاستنباط التي يمارسها العلماء في فهم الرسالة ، فهذه العملية أيضاً يمكن للعلماء بصورة عامّة أن يمارسوها دون حاجة إلى أن نفترض أنّ هناك إمامة لأهل البيت (عليهم السلام) ذات بعُد فكري ، يمكن للعلماء في كلّ مكان وفي كلّ زمان أن يستنبطوا من الإسلام ويأخذوا من القرآن ،وجود مرجعية فكرية في هذا الجانب يحتاج إلى إثبات ضرورة هذا الأمر ، غير قضيّة قيادة التجربة الإسلامية والحكم الإسلامي .

هذا أيضاً بحث عقائدي مهم جداً ، هذا جانب من الناحية النظرية .

وجانب آخر أيضاً من الناحية النظرية يرتبط بقضيّة سابقة عليه ،وهي قضية ضرورة الدين ، وقد يتطورّ الإشكال كما هو موجود أيضاً في مقابل غير المؤمنين بالله سبحانه وتعالى ،والمؤمنين بالأديان ، ويثير هذا الإشكال العلمانيوّن والمنكرون للأديان الإلهية ،وهو أنّه نحن قبل ضرورة المرجعية الفكرية لأهل البيت (عليهم السلام) نسأل أنّه من قال هناك ضرورة

فكرية للدين . بحيث تكون هناك رسالات إلهية ، ويكون هناك دين لله سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان لكي يؤمن



بالله سبحانه وتعالى ، لكن ضرورة الرسالة والدين ومجيء هدى من الله سبحانه لهؤلاء الناس كما ترى ؟ الله خلق هذا الإنسان وأعطاه العقل ، والإنسان من خلال عقله وتجاربه وحركته يمكن أن يدرك المصالح والمفاسد ، وينظّم أيضاً حياته على أساس هذه المصالح والمفاسد ، كما يدّعي ذلك الآن العلمانيّون أيضاً .

وهؤلاء الذين يفترضون أنّ المعرفة يمكن الوصول إليها من خلال العلم ، وتقام الحياة على أساس هذه المعرفة العلمية ، دون الحاجة إلى الرسالات الإلهية ، هذا أيضاً بحث موجود في أبحاثنا العقائدية ولكن بصورة محدودة ، وفي كتب التفسير بعض كتب التفسير تتناوله ، وبعض الكتب الخاصّة أخيراً تناولها الشهيد الصدر ، تناولها في كتاب (اقتصادنا) ، وفي بعض الكرّاسات الأخيرة التي صدرت في آخر حياته ، لكن هذا البحث أيضاً يرتبط بموضوع المرجعيّة الفكرية بكلّ أطرافه وخصائصه .

البحث الثاني : في هذه الضرورة تطبيق هذه الأفكار سواءً في أصل وجود المرجعية الفكرية ، أو ضرورة الدين على الرسالة الخاتمة ، وأنّ الرسالة الخاتمة رسالة أيضاً تتصف بهذه الضرورة ، وأنّ هذه الضرورة ليست ضرورة فقط للرسالات السابقة أو لأصل الدين ، وإنّما الرسالة الخاتمة بما هي رسالة خاتمة ، تحتاج إلى مثل هذه الضرورة .

هذا أيضاً بُعد آخر في موضوع بحث المرجعية الدينية ، وهو بحث عقائدي .

البحث الثالث : هنا يتمّ الحديث في المرجعية الفكرية لأهل البيت ، سواء قلنا بضرورة المرجعية الفكرية أم لا ، لكن من قال بأنّ المرجع هو أهل البيت (عليهم السلام) يمكن أن يكون المرجع آخرين ، المرجع هو الكتاب الكريم ، كما يذهب إلى ذلك عموم المسلمين ، أو أصحاب النبي ، كما طرح ذلك الخلفاء في الصدر الأوّل للإسلام ، ولا سيّما الخليفة الثاني (عمر بن الخطاب) الذي اهتمّ بإعطاء مثل هذه الصياغات ، وأسس هذا الأمر ، وتطوّر هذا الأمر إلى قضيّة أصبحت من القضايا التي تعيش في حياة المسلمين .



هنا لابدّ من الرجوع إلى النصوص التي وردت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والتي يمكن أيضاً أن نعتمد فيها على القرآن الكريم ، والتي تثبت بأنّ المرجع فكرياً هم أهل البيت (عليهم السلام) ، كحديث الثقلين وغيره من الأحاديث التي وردت في هذا المجال .

والبعد الآخر في إثبات هذه المرجعية ، وهو بعد لم يتمّ مع الأسف متابعته بصورة مناسبة ، وحديث الثقلين كما تعرفون من النصوص المهمّة التي تمّ الاهتمام بها في أبحاثنا العقائدية ، وعادة أيضاً يُستدل به ، ويذكر كشاهد على حق أهل البيت (عليهم السلام) في الخلافة ، وأحياناً أيضاً يستدل به على حقهّم في الرجوع إليهم فكرياً ، لكن البحث الآخر وهو متابعة الواقع الإسلامي في الرجوع إلى أهل البيت (عليهم السلام) هذا لم يتمّ الاهتمام به بصورة مناسبة ، أشرت له في بحث تفسير علوم

القرآن ،وألقيت أيضاً بعض المحاضرات حول هذا الموضوع ،وجمعت مجموعة من الشواهد التي يمكن الرجوع إليها في هذا المجال ، بحيث نجد في التاريخ الإسلامي منذ الصدر الأوّل للإسلام وحتّى أواخر أيامّ أهل البيت (عليهم السلام) أن هناك واقعاً قائماً في التاريخ الإسلامي هو الرجوع إلى أهل البيت (عليهم السلام) في القضايا الفكرية ، يعني الخلفاءرجعوا إلى أهل البيت في القضايا الفكرية ، السلاطين الذين جاؤوا بعد الخلفاء الأوائل أيضاًرجعوا إلى أهل البيت في القضايا الفكرية ، أئمة المذاهبرجعوا إلى أهل البيت في القضايا الفكرية ،والعلماء الذين كانوا يعيشون في المجتمع الإسلامي أيضاًرجعوا إلى أهل البيت في القضايا الفكرية ،وأثّر فكر أهل البيت (عليهم السلام) في مختلف المذاهب الإسلامية .

هذا بحث فيه جانب ثقافي وفكري من ناحية ، لكن في جانب أيضاً تاريخي ، يعني يحتاج إلى متابعة دقيقة من أجل التعرّف على هذه الحقيقة ،وأشير إلى بعض النماذج من أجل أن نعرف أفق هذه المتابعة ، أحد النماذج هو ما ورد عن (عمر بن الخطاب) الذي وضع أطروحة الرجوع إلى الصحابة . كما أشرت قبل قليل . هو بنفسه عدّة مرات يقول «لولا علي لهلك عمر»[1] ، «لا أبقاني الله

1- المناقب : 81 ، جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب 1 : 195 ، ينابيع المودّة 3 : 147 ، نظم درر السمطين : 130 .



لمعضلة ليس لها أبو الحسن علي»[1] ، وما أشبه ذلك من كلمات صدرت عن «عمر بن الخطاب» التي تدلّ على رجوعهم إلى الإمام علي (عليه السلام) في القضايا الفكرية ، يعني في قضايا معرفة الرسالة على ما سوف أبيّن في عناوين هذه القضية الفكرية ، هذه غير قضيّة الإمامة .

أو رجوع بعض خلفاء الأمويين وخلفاء بني العبّاس إلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) كالرجوع إلى الإمام الباقر (عليه السلام) في قضية سكّ العملة[2] ، القضية المعروفة ، ورجوع المنصور العبّاسي إلى الإمام الصادق (عليه السلام) في قضيّة توسعة الحرم المكّي[3] ، وقضايا من هذا القبيل التي تدلّ على أنّ الخلفاء كانوا يرجعون ،وحتىّ توجد عندنا بعض النصوص أنّ معاوية أيضاً قدرجع إلى الإمام علي (عليه السلام) في بعض القضايا الفكرية[4] ، هذا أيضاً نموذج من النماذج .

نموذج آخر من النماذج في هذا الباب وفي هذا المجال ، هو دور أصحاب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في رواية الحديث الموجود لدى المسلمين ، الإمام شرف الدين (قدس سره) في كتابه (المراجعات) يشير إلى وجود مائةرجل من رجال الحديث من ثقات الشيعة ومن المعروفين بالتشيّع ، كان لهم دور أساسي في رواية الحديث لدى أهل السنة[5] .

ويشير بهذا الصدد إلى تصريحات بعض مؤلّفي كتب الحديث ، أنّه لولا هذه الروايات لما بقي لحديث أهل السنة باقية[6] ، بحيث إذا أردنا أن نحذف هؤلاء

1 - شرح نهج البلاغة 1 : 18 ، جواهر المطالب 1 : 195 ، ينابيع المودّة 3 : 147 ، مع اختلاف في بعض الألفاظ ، نظم درر السمطين : 130 ـ 132 ، أنساب الأشراف : 100 ، المناقب : 97 .
2- انظر الروضة البهية1 : 295 ، الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) : 142 .
3- تفسير نور الثقلين 1 : 366 ، تفسير الميزان 3 : 357 ، تاريخ اليعقوبي 2 : 369 .
4- انظر العمدة : 135 ، بحارالأنوار 37 : 266 .

5- المراجعات : 104 ، المراجعة 16 .
6- انظر ميزان الاعتدال 1 : 5 .



الرواة من الحديث ، ونفترض أنّ ما رواه هؤلاء الرواة هو ساقطولا يعتمد عليه لأدّى ذلك إلى عدم بقاء حديث لأهل السنة ، هذا يمثّل نموذجاً من التأثير الذي كان لأهل البيت (عليهم السلام) في هذا الموقع الإسلامي ، يعني في الواقع الفكري الإسلامي ، هذا بحث أيضاً له نماذج أُخرى الآن لا أُريد أن أستوعب الحديث فيها .

البحث الرابع : هو بيان حركة أهل البيت (عليهم السلام) فكرياً في الواقع الإسلامي ، وحركتهم في مواجهة الهجمة الخارجية التي واجهها المسلمون عندما انفتحوا على العالم الإسلامي الفعلي ، طبعاً في ذلك الوقت كان العالم عالم الكفر ، ومن خلال الفتح الإسلامي في العراق واجه المسلمون بقايا الفكر والفلسفة التي كانت تبتني عليها الدولة الفارسية ، وهو فكر وفيه كثير من الآفاق ، وجاء المسلمون وهم أبناء الجزيرة العربية ، الذين لا يملكون شيئاً من المعرفة في هذه المجالات ، وإنّما يملكون ذلك الحماس الديني العظيم ، والارتباط بالله سبحانه وتعالى ، والاستعداد للتضحية والفداء ، والفهم القرآني لكن فهماً بسيطاً وأوّليا ً ، ويشاهدون هذا المنطق الفلسفي والعلمي الذي كان يحمله هؤلاء الناس في العراق ، ثم بُعّد ذلك في منطقة الرومان أيضاً ، واجهوا هذه الفلسفة اليونانيّة ، الفلسفة الأغريقية في مصر ، واجهوا هذا الأمر إلى غير ذلك من المناطق التي فتحوها ، كُلّ المناطق التي فتحها المسلمون كان من حيث المستوى الفكري والمعرفي والحضاري . كما نعبرّ في هذا العصر . كان مستواهم أكثر من مستوى المسلمين يعني مستوى أبناء الجزيرة الذين حملوا راية الإسلام ، كُلّ المناطق التي فتحها المسلمون كان هذا شأنها ، ومن ثُمّ المسلمون واجهوا هذا الصراع الفكري وهذا الطرح الفكري لهذه المناطق ; لأن سقوط منطقة عسكرية لا يعني سقوط الفكر والمعرفة التي كانت في هذا البلد أو ذاك البلد ، وهنا نلاحظ أنّ المشكلة التي واجهتها الدولة كانت مشكلة عويصة جدّاً ، وبهذا يمكن أن نفسرّ بعض الإقدامات التي قد لا نجد لها تفسيراً واضحا ، والتي قام بها الخليفة الثاني (عمر بن الخطاب) ، فقد قام بمجموعة من الإجراءات ذات الطابع القمعي ; لأنّه واجه مثل هذه المشكلة ، وهو ليس عنده قوة على حلّ



هذه المشكلة ، فماذا يصنع ؟ يصدر قرار بإحراق مكتبة الإسكندرية بكُلّ ما فيها من ثقافة ومعرفة ; لأنّه إذا أراد أن يجعل هذه المكتبة بيد الناس ، فسوف يتأثّرون بهذا الفكر بطبيعة الحال ، ولا يمكنه أن يواجه الفكر ، وليس عنده قوة على هذه المواجهة .

وهكذا منع الحديث في القضايا الكلامية والسياسية ، حيث إنّه اتّخذ إجراءات قمعية ، وغير ذلك مما تشاهدوه في فهم بعض هذه الإجراءات ، هذا ناشئ من وجود النقص والعيب وعدم القوة على المواجهة فيهم ، فيتّخذون هذا النوع من الإجراءات القمعية لمعالجة القضية بصورة مؤقتة ، أمّا أهل البيت (عليهم السلام) فعندما واجهوا هذا الأمر ، كالإمام علي (عليه السلام) مثلاً تشاهدون في نهج البلاغة ، وهذا أحد الإثارات التي تثار حول نهج البلاغة ، أنّ فيه أحاديث وكلمات ذات طابع فلسفي ،

وعندئذ يثار هذا السؤال والتشكيك في نهج البلاغة ،وهو وجود هذا النوع من الحديث الفلسفي ، يقال إنّ العرب في ذلك الوقت وفي ذلك الزمان لم يكن لديهم هذا النوع من المعرفة الفلسفية والفهم الفلسفي ، فكيف وجدت هذه الكلمات في أحاديث الإمام علي (عليه السلام) ؟ !

السبب في ذلك هو أنّ الإمام علي (عليه السلام) عندما واجه المشكلة في العراق وأصبح مسؤول دولة في العراق ، صحيح أنّ المشاكل الظاهرية هو صراعه مع أهل الجمل وأهل صفين وأهل النهروان ، لكن الصراع الفكري والمواجهة الفكرية كانت قائمة ، غاية الأمر هذه لم تكن مدوّنة ومسجلّة في حوادث ، فكيف يعبرّ عن هذه المواجهة ، كان يعبرّ عنها بخطبة ، ولذلك نلاحظ أنّ هذه كانت خطب تقال للناس بصورة عامّة ، ومعناه أنّ الناس كانوا يفكرّون بهذه الطريقة من التفكير أو متأثرّين أو فيهم من يفكّر بهذا النوع من التفكير حتّى يخاطبه .

إذن فمتابعة هذا البحث ، وما قام به أهل البيت (عليهم السلام) في مختلف الأدوار من الإمام علي (عليه السلام) إلى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في مواجهة هذه الهجمة الخارجيّة ، من الثقافة الخارجية ، التي كانت قائمة وموجودة طبعاً بصورة واضحة ،



نجد معالمها في أيّام التحوّل من الدولة الأموية إلى الدولة العباسية ، يعني مواقف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تصبح واضحة في هذا الدور وفي هذا المجال ، لكن متابعة هذا الموضوع وبيانه وتوضيحه له أهمية كبيرة جدّاً في طرح أهل البيت (عليهم السلام) الآن في وسط المسلمين وفي وسط العالم ، يعني الشيء الذي قاموا به .

الأمر الثاني : في هذا المجال هو أهل البيت (عليهم السلام) موقفهم تجاه حركة الانحراف الفكري والثقافي ، غير الانحراف السلوكي في داخل المجتمع الإسلامي ، كالمذاهب القدريّة والمرجئة ،وغير ذلك من المذاهب ،واعتماد الرأي في مقام الاستنباط الفقهي ،وغير ذلك من القضايا التي كانت تدور في المجتمع الإسلامي ،ومواجهة أهل البيت (عليهم السلام) لهذا الجانب ، هذا أيضاً بحث مهمّ جداّ فيّ موضوع هذا البحث .

الأمر الثالث : هو متابعة الفكر والثقافة التي أعطاها أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة ، هذا هو كان أحد الأهداف المهمّة ،وأهل البيت (عليهم السلام) لديهم فكر وثقافة خاصّة ، بنوا عليها هذه الجماعة الصالحة ، وبقيت هذه الثقافة متداولة ولكنّها مع الأسف يلاحظ أنّه لا يوجد هناك متابعة لاستخراج النظريات في هذه الثقافة ، طبعاً عندما أقول مع الأسف لا أعني أنّه لا يوجد أيّ إنتاج ثقافي ، الحمد لله ربّ العالمين هناك إنتاج ثقافي كبير جدا فيّ أوساطنا الثقافية ، لكن ليس بالمستوى المطلوب ، عندما أقول مع الأسف يعني هناك أشياء ثمينة وكنوز لدينا في هذا المجال ، ولكن هذه الكنوز لم تتابع بصورة مناسبة وكاملة لاستخلاص النظريات التي أقام عليها أهل البيت (عليهم السلام) هذه الجماعة وكيان هذه الجماعة وتفاصيل هذا الكيان .

أيضاً هذا الجانب من البحث في المرجعية الفكرية لجماعة أهل البيت (عليهم السلام) ،وأكتفي بهذا القدر من الحديث مع

الاعتذار .



## الأسئلة والأجوبة

سؤال : هناك سؤال حول نظرية أهل البيت (عليهم السلام) ، طبعاً لا يشك أحد في أصالة هذه المرجعية ، ولكن السؤال هو الآن وفي هذا العصر ما هو البديل الذي نبشّر به نحن كشيعة إلى العالم ، خاصّة البديل الثقافي ، وهل ترون معي هل استطاع الشيعة الآن أن يطرحوا البديل الثقافي ، أو البديل الاقتصادي أو البديل السياسي ، بغض النظر عن نظريّةولاية الفقيه التي هي جهد مشكور للإمام الخميني في فهم واستنباط فكر أهل البيت (عليهم السلام) ، وأحاديث أهل البيت مع وجود مدرسة الاجتهاد المفتوحة بعد عصر الغيبة ؟ فالسؤال هو هل نحن لدينا فعلاً البديل السياسي خاصّة مع ما طرحته فكرة الإمام الخميني في داخل الساحة الشيعية ، وإن كانت هي خطوة حسب رأيي ممتازة نحو فهم واستنباط فكر أهل البيت ، وفهم هذه النصوص ، فسؤالي هو أنا كشخص بماذا أبشّر الناس غداً ببديل ثقافي واقتصادي في هذا العصر خاصة بالأخذ بعين الاعتبار أن المنظومة الماركسية البائدة أو الرأسمالية لديها طرح جاهز ، وهذا ما يجعل شبابنا الذين أحياناً نعتب عليهم يتأثّرون ويقبلون هذا الفكر ، ونحن نعتب عليهم دون أن نقدّم بديلاً ؟

وإشارة أخرة هل تعتبرون أنّ منع أجهزة (الستلايت) في إيران أليس شبيهاً بحرق مكتبة الإسكندرية ، وإن كان هذا المنع حسب رأيي أعتره ينطلق من حسن نيّة مخلصة جادّة ، بغض النظر عن حرق مكتبة الإسكندرية التي كانت ذات نوايا خبيثة ، فهل الآن أمامنا سياسة المنع أم سياسة تقديم البديل ؟

الجواب : بالنسبة إلى سؤالكم فهو سؤال وجيه ، وعالجت جوابه في حديثي ، وقلت : إنّ الاهتمام بطرح المرجعية الفكرية لأهل البيت (عليهم السلام) بهذه الآفاق التي شرحتها سوف يؤدّي بطبيعة الحال إلى تقديم هذا البديل المطلوب ، ومن ثمّ إذا قدّمنا هذا البديل المطلوب سوف نملأ هذا الفراغ الذي يشعر به الناس ، ولا



سيّما بعض الأوساط كأوساط الشباب تشعر بهذا الفراغ بصورة خاصّة ، وأفضل طريق في هذا الوقت لتعريف أهل البيت إلى العالم هو الذي دعوت له في هذه المحاضرة ، هذه المحاضرة أصلاً موظّفة مكرّسة لإلفات النظر للاهتمام بطرح هذا البديل ، وأنا أعتقد متابعة مثل هذا الموضوع بصورة واسعة من قبل الباحثين ، طبعاً ليس متابعة فقط من قبلي يعني من قبل الذين يهتمّون بالجوانب العقائدية سوف تؤدّي هذه المتابعة بطبيعة الحال إلى تقديم البديل ، طبعاً في الوقت نفسه أيضاً لا نبخس الجهود التي بذلها علماؤنا الأعلام في هذا المجال أيضاً ، الجهود التي بذلها آية الله الشهيد الصدر (قدس سره) في تقديم الفكر الإسلامي في أطروحة (اقتصادنا) ، وكذلك في أطروحته حول الدولة الإسلامية ، وعناصر القوّة في الدولة الإسلامية ، والتي أخذت بها الجمهورية الإسلامية ، وهذه الأطروحة قدّمها الشهيد الصدر (قدس سره) قبل أن يقر مجلس الخبراء دستور الجمهورية الإسلامية ومشروع الجمهورية الإسلامية ، أو الثقافة الواسعة التي قدّمها الشهيد مطهري (قدس سره) في هذا

المجال أيضاً كان لها تأثير كبير ،وهذه الثقافة هي التي جعلت الشهيد المطهري قادراً على التأثير في أوساط الشباب الجامعي ، الذي كان هو أقرب الأوساط إلى الفكر الأجنبي ، باعتبار أنّ الجامعة كانت مفتوحة على الفكر الأجنبي ،وجعلته قادراً على أن يمسك بزمام الثقافة والفكر في الوسط الجامعي ، هذه الثقافة البديلة ثقافة أهل البيت (عليهم السلام) هي التي جعلت الشهيد مطهري يؤثّر ،وهكذا بقية العلماء ،ولا أريد أن استقصي الآن الجهود لكن هناك جهوداً واقعاً كبيرة ، يعني أولئك الذين جاؤوا بعد (الشهيد الصدر) و(الشهيد مطهري) أو بعض الجهود التي قبلهم كجهود العلاّمة الطباطبائي (قدس سره) في التفسير ،وغيرها من الجهود ، لكن هذه الجهود لا ترتقي إلى أهمّية هذا الموضوع ، وضرورة الصعود به إلى مستواه الكامل المناسب ، بحيث يتساوى هذا الجهد مع الجهود التي بذلت في قضية حقّ أهل البيت (عليهم السلام) في الحكم ، هناك جهود أكثر من هذه الجهود بكثير ، إذا أردنا أن نقيس هذا الجهد مع



هذه الجهود نرى أنّ تلك الجهود في ذلك المجال كانت أكبر بكثير من هذه الجهود ، المطلوب هو بذل هذه الجهود من أجل تقديم هذه الثقافة البديلة .

أمّا تنظير إحراق مكتبة الإسكندرية بمنع أجهزة (الستلايت) طبعاً هناك فرق كبير جداً بيّن هذا الموضوع وذاك الموضوع ، هنا لو أرادت الجمهورية الإسلامية أن تدمّر كلّ الأجهزة التي تعتمد عليها أجهزة (الستلايت) ، يكون هذا من قبيل تدمير مكتبة الإسكندرية ، إذا نريد أن نقارن يجب هكذا نقارن ، أمّا وضع حظر على حالة معيّنة كما هو موجود في الإسلام ، الإسلام منع تداول كتب البدع والضلالات ، لكن هذا المنع لم يكن معناه أنّ هذه الكتب هي كتب لم يكن يسمح بها للخاصّة أن يقرؤوها ويتداولوها ويناقشوها ويطرحون بعض أفكارها ، كما أنّ القرآن الكريم طرح هذه الأفكار ، هذا المنع إنّما هو منع لبعض الظواهر في هذا الجانب ، نفرض لو الخليفة الثاني لم يحرق هذه المكتبة ،وإنّما نقلها ووضعها في مكان معيّن ،ووضعها تحت تصرّف أولئك الأشخاص الذين لديهم خبرة في دراسة هذه الكتب ، لكان من الممكن أن يؤدّي العالم الإسلامي بأمُور كثيرة ; لأنّ هذه الكتب لم تكن كلّها كتب عقائدية ،وانمّا كان فيها الكتب العلمية ، الكتب التجريبية ، كتب الطب ، كتب الفيزياء ، كتب الكيمياء ، كان فيها ثروة كبيرة جدّاً ، لكن عدم القدرة على التمييز بين هذه الأمور ومواجهة هذه الحالة والخوف والرعب منها ، أدّى إلى أن تقمع هذه العملية بهذه الصورة ،وهذه إنّما أعبرّ عنها عملية قمعية في مقابل عملية المحافظة على مسيرة وسلامة الطريق ، هذا شيء منطقي في كُلّ دول العالم تمارسه بصورة طبيعيةً ،وهذا لا يقاس بذلك .

سؤال : ما هي الطريقة التي يسعنا بها إثبات المرجعية السياسية لأهل البيت (عليهم السلام) عن طريق المرجعية الفكرية ; لأنّ البعض قد يؤمن يعني قد يفصل بين المرجعيتين ويؤمن بالمرجعية الفكرية لأهل البيت لكن لا يرى لهم مرجعية سياسية ، بل يرى المرجعية السياسية للشورى ، ويمكن للحاكم أن يستعين بأهل



البيت (عليهم السلام) ، فطرح المرجعية الفكرية لأهل البيت قد تعتبر نقصاً لمكانة أهل البيت (عليهم السلام) ؟

الجواب : يجب أن نوضّح في البداية كما أشرت إلى ذلك ، ولكن أؤكّد وأوضّح أن الدعوة إلى الاهتمام بالمرجعية الفكرية لا يعني إهمال بقيّة القضايا ، وقلت : إنّ أهل البيت (عليهم السلام) لهم عدة أدوار ، ذكرت منها ستة أدوار ، وفي هذا الاجتماع كان التركيز على هذا الدور ، والمحافظة على الإسلام أيضاً هذا دور مهمّ جداً ، ونحتاج أن نتحدث فيه كثيرا ونهتم به ، ولا يوجد أيضاً ذلك الاهتمام الكامل فيه ، وإنّما أحيانا بعض الخطابات والكتابات حول ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) مثلاً ، أو بعض المواقف لأهل البيت تتناول هذا الموضوع ، أمّا بحث معمق ودقيق وموهن بالشواهد وبالأدلة ، أيضا لا يوجد عندنا بحث ، وهكذا في المجالات الأُخرى .

إذن فالدعوة للاهتمام بالمرجعية الفكرية لا يعني في الوقت نفسه عدم الاهتمام في القضايا الأُخرى ذات العلاقة بأهل البيت (عليهم السلام) ، وهذا البحث أيضاً لا يستوعب كُلّ أبعاد أهل البيت (عليهم السلام) .

أمّا ما ذكرتموه في بداية السؤال ، وأنّه كيف يمكن من خلال المرجعية الفكرية أن نصل إلى قضية الإيمان بالمرجعية السياسية ؟

أنا أعتقد أنّ المسلمين إذا انفتحوا على مرجعية أهل البيت الفكرية ، سوف تزول عقبة مهمة جداً أمام فهمهم لمرجعية أهل البيت السياسية ، يعبّر عن السياسية مرجعيتهم في حقّهم في القيادة الإسلامية السياسية ، وهذه العقبة هي ذات طابع نفسي وروحي أكثر منها ذات طابع معرفي ،

إنّ هذا البحث يحتاج إلى بحث اجتماعي وقرآني ; لأنّ المعرفة يعني النصوص الموجودة ، الأدلة الموجودة لدى جماعة أهل البيت ، والموجودة أيضاً بيد المسلمين وميسورة بيد المسلمين في تصوّري أنهّا كافية لإيجاد المعرفة لهذا



الحق ، وإنّما المانع بصورة رئيسية هو مانع نفسي ، يعني له طابع نفسي وروحي أكثر منه مانع معرفي ، لما أشرت له في بداية الحديث ، فإزالة هذا المانع النفسي هو أحد العوامل المؤثّرة في الوصول إلى تلك الحقيقة ، حقيقة مرجعيتهم السياسية .

وأنا أذكر لكم مثل بسيط مشهور لنا في هذا العصر وفي هذا الزمان ، هو موضوع انتصار الثورة الإسلامية في إيران ، باعتبار أنّه حدث مهمّ جداً في المنطقة ، المسلمون بمجرد هذا الانتصار في كثير من مناطقهم انفتحوا نفسيا على هذه الحقيقة ، هذه الحقيقة لا رواية ولا آية ولا دليل من الأدلّة ، وإنّما عالجت وضعا نفسيا لدى الكثير من المسلمين في رؤيتهم لأتباع أهل البيت ولشيعة أهل البيت ولواقعهم ، ثُمّ وجدوا أنّ هناك عالما ربّانيّا انطلق من الحوزات العلمية لأهل البيت ، وفي منطقة مرتبطة بصورة عامّة بأهل البيت ، قام بهذا العمل المهم المحبوب لهم ، والذي يمثّل أمل من آمالهم ، وآمال المسلمين الرجوع إلى الدولة الإسلامية ، نجد أنّ الكثير منهم انفتحوا على أهل البيت نفسياً ، هذا الانفتاح النفسي أدّى إلى ظهور القبول بالمرجعية السياسية لأهل البيت في كثير من الأوساط مثلاً في أندنوسيا ، في الأردن ، في السودان ، حتّى في مصر ، وفي مناطق أُخرى في أفريقيا ، نلاحظ انفتاح هذه الأوساط ، كان السبب في المعرفة ليس هو الجمهورية الإسلامية ; لأنهّا لا تعتبر دليلاً ، ولا نصّاً شرعيا ، ولا آية قرآنية ، ولا حديثا نبويا ، لكن إنما نقول كان له السبب باعتباره خلق هذا الوضع النفسي ،

أوجد هذا الوضع النفسي ، ووضع الانفتاح على المعرفة ، فأخذوا يتساءلون ; لنفهمهم ، لنعرف من هم ، ماذا يتبنّون ، هؤلاء ورؤهم حقيقة ، بدليل أنّه قاموا بهذا العمل ، إذن مادام وراءهم حقيقة إذن لنفحص بقيّة الحقائق ، يعني بعض الناس بدأ يطرح هذا السؤال على نفسه ، الأمر الذي أدّى إلى أنّ الكثير منهم يؤمنون ويعتقدون بهذه الحقيقة .

هذه المعالجة للجانب النفسي ، هو المطلوب في مدخل الوصول إلى



الحقائق ، يعني الحقائق ليست دائماً ترتبط بالمعارف ، يعني الإيمان بالحقيقة والقبول بالحقيقة ليست دائماً مرتبطة بالمعرفة ، المعرفة هي جزء مهم ، وعلينا أن نقيم الحجّة ونبيّن هذا الأمر ، لكن معالجة الجوانب الروحية والنفسية هو الجزء الأهم في الاعتقاد والقبول لأصحاب العقائد ، وغير أصحاب العقائد لا يوجد عنده حاجز نفسي هو مفتوح من أوّل الأمر ، فالمعرفة تمثّل الجزء المهم ، لكن لأصحاب العقائد الذي عنده حاجز نفسي عادة باعتبار ارتباطه العقائدي ، المفروض في الخطاب وفي تقديم المعرفة عدم الاكتفاء بالمعرفة بما هي حقيقة من الحقائق ، وإنّما الاهتمام أيضاً في معالجة الجانب النفسي والروحي لهؤلاء حتىّ يمكن إيصالهم إلى الهدى ، والقرآن يبيّن هذه الموازنة والقاعدة في هذه الحقيقة في قوله تعالى : ﴿ **وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ** ﴾[1] يعني هذا الإنسان بالرغم من أنّه أصبح على يقين من هذه الحقيقة ومعرفة بهذه الحقيقة ، لكن مع ذلك في وضعه النفسي تراه يجحد ولا يقبل بهذه الحقيقة ، فالوضع النفسي ما لم يعالج لا يمكن أن يصل هذا الإنسان إلى الاعتقاد والقبول والخضوع والتسليم لهذه الحقيقة ، ولذلك قلت : إنّ الجهاد هو أحد العناصر التي يستخدمها الإسلام في المرحلة الأخيرة ، يعني بعد إقامة الحجّة ، وإزالة كلّ الموانع الأخرى والمعالجات الأخرى ، عندما لا يصل بعد هذه المعالجات كلها إلّى إزالة هذا الحاجز النفسي ، ولا يبقى أمامه إلاّ هذا الحاجز النفسي ، عندئذ يستخدم الجهاد من أجل إزالة هذا الحاجز النفسي ، وهو وجود الطغيان والقوة والقوّة للكفر والإنحراف .

والحمد لله ربِّ العالمين .

---

1- النمل : 14 .

# ( 46 . 47 ) المدخل إلى حديث الغدير

الشيخ محمّد مهدي الآصفي





بسم الله الرحمن الرحيم

**تمهيد :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابتَلَىَ إِبراهِيمَ رَبهَ بكلِمَاتُ فِأَتمِهَن قالَ إنيَّ جُاَعلكَ لَلناسِّ إمَاماِ قُالَ ومِنَّ ذرِيتيَ قالَ لاَ ينَالَ عِهدْيُ ِ ً ِ الظَّالمِين ﴾ [1] .

في مسألة الإمامة والخلافة لدينا في التاريخ الإسلامي ثلاث نظريّات لا غير :

النظرية الأولى : نظرية الثورة المسلّحة والغلبة العسكرية .

النظرية الثانية : الخيار والانتخاب .

النظرية الثالثة : النصّ .

في حدود علمي لا أعرف نظريةرابعة في مسألة الإمامة والخلافة .

أستعرض في حدود ما يسعنا الوقت هذه النظريات الثلاث :

**النظرية الأولى : نظرية الثورة المسلّحة :**

في جمهور أهل السنة من يعتقد أنّ الإمامة تنعقد لمن يقوم بالسيف ، ويستولي على الحكم بالسيف ، ويتغلّب على منافسه السياسي أو يسقّط الإمام الحاكم القائم في ثورة مسلّحة كما يحدث كثيراً ، هذا يكتسب صفة الشرعية في الإمامة والسياسة بالثورة المسلّحة ، إلى هذا المذهب يذهب كثير من فقهاء الجمهور ، الإمام أحمد بن حنبل . إمام الحنابلة . يذهب إلى هذا المذهب ، ويقول : «إذا تغلّب من غلب عليهم بالسيف وصار خليفة وسُمّيّ بأمير المؤمنين ، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيتولا يراه إماماً ، برّاً كان أو فاجراً» يرويه أبو يعلي في الأحكام السلطانية 23 . 24 ، والتفتزاني في شرح المقاصد 5 :233 ، ويعتقد أنّ الثورة المسلّحة تكسب الحاكم شرعية الحكم والإمامة ، ومن

1- البقرة : 124 .



المعاصرين الدكتور محمّدرأفت عثمان وله كتاب جيّد اسمه (رئاسة الدولة) يذهب نفس المذهب ، وبوجهّ كلام الفقهاء الذين

يعتقدون أنّ الثورة المسلّحة تكسب الحاكم المنتصر شرعية الحكم والولاية ، ويقول : نحن إذا سلبنا عنه صفة الشرعية ، جمهور الناس إذا نفوا عن المنتصر صفة الشرعية وانضموا إلى الإمام المغلوب ، تحدث مشكلة ، وينشغل الناس بالحروب الداخلية ، وتراق الدماء ، ويسلب الأمن في المجتمع ، ولذلك من مصلحة المسلمين أن يكونوا مع الإمام الغالب .

وأحمد بن حنبل يستدل بكلمة عبد الله بن عمر ، عبد الله بن عمر في واقعة الحرّة كان يقيم الصلاة ويسألوه أنت مع من عندما كانت المعركة محتدمة بين الثائرين من أهل المدينة من المجموعة التي كان يرأسها عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة ، والمجموعة الثائرة في المدينة المنوّرة وجيش يزيد بن معاوية ، وقبل حسم المعركة لصالح الحكومة المركزية في دمشق أو الثوّار المتمردين عليها كانوا يسألون عبدالله بن عمر أننا نقف مع من ؟ نحن نصلّي صلاة الجمعة ندعوا لمن ؟

كان عبد الله بن عمر يقول : «نحن مع من غلب» [1] .

أحمد بن حنبل يستدل بكلمة عبد الله بن عمر ويوجّهها .

هذا الرأي الأوّل اختصاراً ; لأنّ الرأي الأولّ رأي ضعيف في شرعية الإمامة والولاية .

وهناك مناقشات أساسية موجّهة إلى هذا الرأي ، من جملة هذه المناقشات أنّ الأصل في الموقف السياسي مقاومة الظالم ، والصمود أمام الظالم ، وإذا كان الإمام الذي ينتصر بثورة مسلّحة إمام حقّ نؤمن به ; لأنّه إمام حق ّ وليس لأنه قام بثورة مسلّحة وانتصر في هذه الثورة ، نؤمن به ونأخذ بطاعته ، ويبايعه المسلمون ; لأنّه الإمام الحق ّ .

---

1- الأحكام السلطانية للفراء الحنبلي : 23 .



وإن كان ظالماً وباطلاً فالأصل في الموقف اتجّاه الظالم الصمود والمقاومة والمقارعة ، لا الاستسلام ، الاستسلام ليس أصلا في هذه المسألة ، وقد نهانا الله سبحانه وتعالى عن الاستسلام والانقياد للظالم إلاّ بقدر الضرورة .

والقاعدة التي يستند إليها الكاتب المعاصر الذي أشرت إلى اسمه ، هذا صحيح ، كلام في حدّ نفسه معقول لو كان في المواجهة للحاكم المتسلّط ضرر كبير على المسلمين ، هذا الضرر يرفع الله عزّ وجل حكمه بحرمة الركون إلى الظالمين ، الله حرّم الركون إلى الظالمين بلا مناقشة : ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [1] ، فلو فرضنا أنّ مقارعة الظالم تؤدّي إلى ضرر أبلغ على المسلمين ، عند ذلك حرمة الركون إلى الظالم بموجب قاعدة الضرر ترتفع .

والله عزّ وجلّ أوجب علينا مجاهدة الظالم ، فإذا كان في جهاد الظالم ضرر أبلغ ، يرتفع الحكم بالجهاد ، وهذا شيء ومشروعية ولاية الظالم وسيادة الظالم شيء آخر .

فما يقوله : أحمد بن حنبل والتفتزاني والفقهاء المعاصرون من أهل السنة من أنّ الثورة المسلّحة تكسب الحاكم المنتصر شرعية الحكم ، لا يعلم من أين جاء ؟ !

ونقبل من الدكتور محمّد رأفت عثمان أنّ الصراع الداخلي والمواجهة الداخلية ربمّا تؤدّي إلى أضرار كبيرة على المسلمين تسلب الأمن من المجتمع الإسلامي ، فترتفع حرمة الركون إلى الظالم ووجوب الجهاد ، لا لأجل كون الحاكم الظالم الذي

انتصر بالثورة المسلّحة أصبح حكمه مشروعاً كما يقول أحمد بن حنبل : «وإن كان ظالما فاجرا يكتسب شرعية الحكم بالثورة المسلّحة ، ويحرم على كلّ من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت إلا ويرى طاعته لزاما على نفسه»[2] ، هذا لا دليل عليه إطلاقاً ، وقد نهانا القرآن الكريم عن الركون إلى

1- هود : 113 .
2- انظر الأحكام السلطانية للفراء الحنبلي : 23 ، والنقل مع التصرّف في بعض الألفاظ .



الظالمين بشكل واضح ، يقول تعالى : ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾[1] ، ويقول تعالى : ﴿ وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ﴾[2] .

الله عزّ وجلّ ينهانا بشكل صريح أن نطيع أمر المسرفين ، وأن نركن إلى الذين ظلموا .

فإذن ، الظالم إذا انتصر بثورة مسلّحة ، وتغلّب على إمام الحقّ ، فالثورة المسلحّة لا تكسبه الشرعية أبدا ، وتبقى حرمة الركون للذين ظلموا ، وحرمة طاعة المسرفين على حالها ، يقول تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً ﴾[3] .

والحاكم الظالم بطبيعة الحال المصداق الحقيقي للآثم الكفور فلا تجوز طاعته ، ولا يجوز ترك جهاده ، ويحرم الركون إليه بصريح هذه الآيات الكريمة .

وبطبيعة الحال هذه الآيات نزلت في هذا المورد ، وهذا المورد هو مورد الصواع ، يعني لا يتوقّع أحد أن يمتثل قوله تعالى : ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ وقدّموا له باقة ورد ، الذي يريد أن يمتثل قوله تعالى : ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ يتوقّع المواجهة ، يتوقّع السجن والتعذيب والمطاردة والهجرة والمضايقة في حياته وعيشه ، فهذه الآيات نزولها وورودها في مورد المشقّة والتعب والعذاب والمطاردة والملاحقة وأمثال ذلك .

ويقول تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ﴾

والحاكم الظالم يشاقق الرسول بلا كلام ،

1- هود : 113 .
2- الشعراء : 151 ـ 152 .
3- الإنسان : 24 .



الحاكم الظالم الذي يشير إليه أحمد بن حنبل والفقهاء الآخرون يشاققون الرسول ، فلو لم يكونوا يشاققون الرسول لم يكونوا ظلمة ، كُلّ ظالم يشاقق الرسول .

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ... وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ، ويقول تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ [2] .

فإذن الله عزّ وجل يأمرنا أن نكفر بالحاكم الظالم ،ولا نركن إليهولا نطيعه ، ونقاومه ونجاهده ، هذا حكم الله عزّ وجل في كُلّ ثورة مسلحّة ، وحاكم يتغلبّ على المسلمين وأيه حكومته باطلة ،وهو ظالم جائر وفاسق ،والقرآن الكريم يأمرنا بمجاهدته ومقارعته ،وعدم التحاكم إليهوعدم الركون إليه ، هذا هو حكم الله .

إذن ، النظرية الأولى لا نتوقف عندها ; لأنّ هذه النظرية باطلة بالضرورة ،وإن كان الكثير من فقهاء أهل السنة يذهبون إلى هذا المذهب .

**النظرية الثانية : نظرية الاختيار :**

النظرية الثانية : الانتخاب أو الاختيار الأمّة بمجموعها أو أكثريتّها أو أهل الحل والعقد منها ، فهم الذين ينتخبون الإمام ، وهذا الإمام يحكمهم ويكتسب شرعية الولايةوالحكم من اختيار الناس ، أي : اختيار الناس يعطي للإمام شرعية الولايةوالحكم .

هذه هي النظرية الثانية ،وهي نظرية جمهور أهل السنةولا يشذّ عنها أحد منهم إطلاقاً .

**النظرية الثالثة : نظرية النصّ :**

وهي النظرية التي يؤمن بها الشيعة .

---

1- النساء : 115 .
2- النساء : 60 .



فثلاث نظريات عندنا ، وقد ناقشت النظرية الأولى ،والآن أطرح النظرية الثانية ،وهي أنّ الحاكم (الإمام) يكتسب شرعية الولايةوالحكم في المسلمين بالانتخاب ، المسلمون انتخبوه فيكون حاكماً شرعياً .

يذهب إلى هذا المذهب فقهاء أهل السنة ومتكلّموهم بلا مناقشةولا تردد ، منهم أبو الحسن الماوردي المتوفّى 450 هـ يقول : «إذا اجتمع أهل الحل والعقد فقدّموا للبيعة أكثرهم فضلا لزم كافة الأُمّة الدخول في بيعته» [1] .

ومنهم القاضي عبد الجبار صاحب كتاب المغني المتوفّى 415هـ [2] .

ومنهم القرطبي صاحب التفسير المعروف الجامع لأحكام القرآن [3] المتوفّى 671 هـ .

ومنهم ابن تيميّة المتوفّى 728 هـ ، في كتابه منهاج السنة النبوية [4] .

وكُلّ فقهائهم ومتكلميّهم هذارأيهم ،وهو أن الانتخاب والاختيار يكسب الحاكم الشرعية في الحكم والولاية .

ويختلفون في أقل ما تنعقد به الإمامة ، فمنهم من يذهب إلى أنّ أقل ما تنعقد به الإمامة أربعين شخصاً ، فلو أنّ إماما انتخبه

أربعون شخصاً تكون إمامته شرعية ، ويذهب بعضهم إلى كفاية خمسة لأن تكون إمامته شرعية ، وعلى المسلمين أن يبايعوه ، ومنهم من يذهب إلى ثلاثة ، ومنهم من يذهب إلى شخصين ، ومنهم من يقول شخصاً واحداً ، فلو بايعه شخص واحد تكون إمامته شرعية ، ويستدلّون بقول العبّاس بن عبد المطلب لأمير المؤمنين (عليه السلام) «امدد يدك أبايعك فيقول الناس عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله فيبايعوك» [5] .

1- الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي الشافعي : 7 .
2- انظر المغني 20 القسم الأوّل : 46 و252 وما بعدها .
3- تفسير القرطبي 1 : 268 ، 272 .
4- انظر منهاج السنة النبوية 1 : 499 ، 8 : 226 .
5- فتح الباري 11 : 51 ، شرح نهج البلاغة 1 : 160 ، 9 : 196 ، الإمامة والسياسة1 : 21 النزاع والتخاصم : 78 .



فإذن بيعة رجل واحد تكفي في إعطاء الشرعية للحاكم .

هذه هي النظرية ولا أطيل فيها لأنّها معروفة .

نحن يمكن أن ننتقد هذه النظرية على منهجين :

أوّلا : على نحو الإجمال ، ثمّ على نحو التفصيل ; لأن هذه النظرية هي الأساس في الخلاف بين المسلمين ، والذي شقّ المسلمين إلى طائفتين كبيرتين الشيعة والسنّة ، فالسنّة يقولون الإمامة تنعقد بالانتخاب ، والشيعة يقولون بالنصّ ، فهذه النظرية هي أساس الخلاف العميق بين الطائفتين الإسلاميتين الكبيرتين .

فنتوقّف في مناقشة هذه النظرية بعض الشيء ، نناقشها أولا على نحو الإجمال ، ثمّ نناقش النظرية على نحو التفصيل ، وأذكر في الإجمال نقطتين لمناقشة نظرية الانتخاب ، فنحن عندنا أصلان قرآنيان كلاهما يصرّح بهما القرآن :

## أصلان قرآنيان

الأصل الأوّل : إنّ الله تبارك وتعالى هو مصدر الشرعية ، ونأخذها منه تعالى ، الولاية والحاكمية لله في حياة الإنسان ، والسيادة لله تعالى في حياة الإنسان ، وما يكتسب الحاكم صفة الشرعية إلاّ إذا كانت الولاية اكتسبها من جانب الله سبحانه وتعالى ، وإلاّ أيّ ولاية من دون إذن الله ومن دون أمر الله ولاية غير شرعية ، والقرآن صريح بذلك : ﴿ إن الحكمُ إلاّ لله ﴾ [1] ، الآية في سياق حصر الحكم المشروع فقط ، الحكم يعني أنّ السيادة التكوينية والسيادة التشريعية في الأرض لله تعالى لا غير ، الاستثناء في سياق النفي يفيد الحصر ، ما الحكم إلاّ لله ، ويقول تعالى : ﴿ وَلا تتَّبِعُوا مِن دونِه أولِياء ﴾ [2] الله فقط له الولاية على الإنسان لا غير ، الولاية التكوينية والولاية التشريعية ، وكلّ ولاية من عند غير الله ، وكلّ حاكمية

1- يوسف : 40 ـ 67 .
2- الأعراف : 3 .

وسيادة من عند غير الله لا تكتسب صفة الشرعية .

الولاية التي تأتي في امتدادولاية الله لاينفيها القرآن ،وإنّما الولاية التي ينفيها القرآن هي الولاية التي تأتي من دون الله ، وإلاّ الولاية التي تأتي في امتدادولاية الله ، يعني الشخص الذي يكتسبولايته من عند الله ، القرآن لا ينفي شرعية هذه الولاية ،ولا ينهى المسلمين عن قبول هذه الولاية ، إنّما ينهى المسلمين عن قبول الولاية التي تأتي من دون الله ، بغير أمر الله ، بغير إذن الله : ﴿ وَمَا كَانَ لَهمَ مُنْ دونْ اللّه مِن أَولِياءِ ﴾ [1] .

كلمة ﴿ مِنْ دوُن ﴾ دقيقة جدّاً ، وتؤكدّ بشكل دقيق النقطة التي أُريدُ أن أذكرها ، من أن مّصدر شرعية الولاية هو الله تعالى ، أيّولاية تأتي في امتدادولاية اللهولاية شرعية ،وأيّولاية تأتي في غير هذا الامتداد تنقصها الشرعية ، لله الولاية الحقّ بلا إشكال ،ولا يختلف في ذلك مسلم إطلاقاً ، هذا الأمر الذي يتفقّ عليه المسلمون جميعاً ، أن الولاية لله ، الحاكمية والسيادة في التكوين والتشريع لله تعالى ،ولا يختلف في ذلك مسلم عن آخر .

ولكن الولاية التي في حياة الناس على قسمين ، القرآن يميّز بينهما بشكل واضح ، الولاية التي تأتي في امتدادولاية الله ، والامتداد يعني بإذن الله ، هذهولاية مشروعية ، لا ينهى عنها القرآنولا ينفيهاولا يطردها .

والنوع الثاني من الولاية التي تأتي من دون الله ، هذه الولاية يطردها القرآن وينفي شرعيتها : ﴿ وَمَا كَانَ لَهمَ مُنْ دوِنْ اللّهِ من أولياءِ ﴾ [2] ، ﴿ وَلا تتَبَّعوا من دوِنْه أُولِياء ﴾

هذا الأصل الأوّل ، فالأصل الأول يشير إلى نقطة أساسية حساّسة ،وهي أن الولاية لله ،والحاكميةوالسيادة في حياة الإنسان لله تعالى فقط ، وكُلّولاية في

---

1- هود : 20 .
2- هود : 20 .



حياة الناس في التاريخ في المجتمع تأتي في امتدادولاية الله مشروعة ، وكُلّولاية تأتي من دون الله تعالىولاية غير مشروعة ، هذا الأصل الأوّل .

الأصل الثاني : لكي نثبت شرعية أيّ حاكم من الحكاّم ، شرعية أي إمام وخليفة ، نسأل : هلولايته مستندة إلى الله أم لا ؟

إذا كانتولايته تستند إلى الله فهي مشروعة ،وإذا كانت لا تستند إلى الله فهي ناقصة الشرعية ،ولا تصحّولا تكتسب الولايةوالإمامة الشرعية إلاّ إذا قامت حجّة صريحة على استنادها إلى الله تعالى ، إذا لم تقم حجة شرعية صحيحة على استنادها إلى الله تعالى لانستطيع أن ننسبها إلى الله ، يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ آللّهُ أذنِ لكَم أمْ علىْ اللّهَ تفترونّ ﴾ [1] ، عندما ننسب شرعيةولاية حاكم إلى اللّه ، نسأل الدليل على ذلك ، إذا كان عندنا حجّة كافية فهذه الولاية شرعية ،وانِ لم تكن

لدينا حجّة شرعية فيشمله قوله تعالى : ﴿ قُلْ أآللهّ أذنِ لكَم ... ﴾ .

ونحن عندما نطالع النصوص كتاباً وسنّة ًلا نجد على الإطلاق دليلا واحدا ،ًوحجةوّاحدة ، أقول : حجةوّاحدة ; لأنها إذا كانت حجّةواحدة فهي تكفي ، ولكن لا نجد حجّةواحدة في كلُ ألكتاب ، وما صح عّن سنةوّحديثرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على حجيّة انتخاب الناس واختيار الناسولا دليلاًواحدا ً، لا في أحاديثناولا في كتاب الله الذي يجتمع عليه المسلمون ،ولا في أحاديث أهل السنّة ،وهذا ادّعاءوعهدة إثباته عليه ، أنا فاحص فليس عندنا إطلاقا ًدليل وحجةّونص ّعلى شرعيّة الانتخاب ،وأنّ الانتخاب والاختيار يمنح الحاكم شرعية الولايةوالحكم على الإطلاق .

إذن ، شرعية الخلفاءوالحكّام ، شرعية أيّ حاكم . نحن نبتعد عن القضية التاريخية حتىّ لا تولدّ عندنا حساسيات معينةّ. تعرض على هذا المحك ، هل هناك من حجّة على نسبة إسناد هذه الولاية إلى الله تعالى في الكتاب في الحديث

---

1- يونس : 59 .



أم لا ؟ إن لم يكن هناك آية من كتاب تدل على حجّية الانتخاب والاختيار ،ولا حديث واحد من حديثرسول الله يدلّ على شرعية الانتخاب والاختيار ، فالإمام الذي يأتي بالانتخاب والاختيار تشمله هذه الآية الكريمة : ﴿ قُلْ أآللهّ أذنِ لكَم أمْ عَلىَ اللّهِ تفتَرْوَنْ ﴾ هذه المناقشة على نحو الإجمال .

أنتقل فيما تبقّى من الوقت في المناقشة التفصيلية لأنّ هذه المسألة حساسّة وخطرة كما ذكرت لكم ، هذه النظرية نظرية الاختيار والانتخاب هي النظرية التي شقّت المسلمين شقيّن ، ولم يلتحما إلى اليوم ، هي النظرية التي أوجدت هذا الخلاف العميق بين المسلمين ، لذلك هذه النظرية تستحق أن نتوقّف عندها أكثر .

أقول : مسألة انتخاب الحاكم واختيار الحاكم يمكن أن تعتمد على واحد من الاثنين ، أي : انتخاب الحاكم واختيار الحاكم من قبل المسلمين يعتمد على أحد الأساسين .

**الأسس الشرعية في الحاكمية :**

الأساس الأوّل : حقّ الإنسان في تقرير مصيره .

الأساس الثاني : التفويض من عند الله .

الأساس الأوّل يقول : الإنسان حاكم على مصيره ، لذلك هو يقرر مصيره السياسي ، هؤلاء المسلمين يحكمون مصيرهم ، فمن حقّهم أن يقرّروا مصيرهم السياسي بأنفسهم بانتخاب الحاكم ، هذا الأساس الأولّ لنظرية الانتخاب .

الأساس الثاني لنظرية الانتخاب : إذا نفينا حقّ الإنسان في تقرير مصيره السياسي وقلنا إنّ الإنسان ليس عنده الحق ّفي تقرير مصيره ،والله عزّ وجلّ هو الذي يتولىّ شأن الإنسان ، ولكن الله فوضّ الجماعة المسلمة هذا الحق ،ّ فإذن الأساس الثاني هو التفويض .

أوّلا أناقش الأساس الأول ، بعد ذلك أناقش الأساس الثاني .



الأساس الأوّل وهو حقّ تقوير المصير ، يعني الإنسان يملك حق تقوير المصير ، هذه النظرية المعاصرة والمعروفة بالديموقراطية ، الديموقراطية هي النظرية الوحيدة التي تمكّنت لحدّ اليوم في المدارس العلمانية أن تعطي تفسيرا لشرعية الدولة ، شرعية الدولة من أين تأتي ؟

الدولة لها السيادة ، تحكم ، تبعث الناس إلى القتال ، تأخذ من الناس الضرائب ، تفرض على الناس فروضاً ، تسجن الناس ، تسود الناس ، من أين تكتسب الدولة السيادة ؟

هذه مسألة مهمّة ، ويوجد علم خاص يسمّونه الفلسفة السياسية ، الفلسفة السياسية تبحث عن مصدر لشرعية الدولة ، الديموقراطية أفضل نظرية استطاعت لحدّ اليوم أن تقدّم تفسيرا مَعقولا علميا لسيادة الدولة ، هذه النظرية قديمة ، وأول من أثار هذه النظرية هو عالم إنجليزي اسمه (توماس هابس) المتوفّى سنة 1679 م ، هذا وضع اللبنة الأولى لنظرية العقد الاجتماعي ، ثُمّ بعد ذلك جاء الطبيب الإنجليزي (جان لاك) المتوفىّ سنة 1707 م ، ثُمّ اكتملت النظرية باسم نظرية العقد الاجتماعي على يد (جان جاك روسو) والّذي هو من منظّري الثورة الفرنسية ، وهي تتضمّن ثلاث نقاط :

**الأسس الأوّلية للنظرية الديموقراطية :**

النقطة الأولى : لا ولاية لإنسان على إنسان إطلاقاً .

النقطة الثانية : الإنسان له الولاية على نفسه .

النقطة الثالثة : الإنسان يستطيع أن يعطي هذا الحقّ الذي على نفسه للآخرين ، الأمّة تجتمع وتعطي حق الولاية إلى شخص ، إلى هيئة ، إلى برلمان ، إلى رئيس جمهورية ، هذه هي الديموقراطية .

الديموقراطية كما ذكرت لكم تفسّر الدولة العلمانية ، وفي الأساس الديموقراطية أو نظرية العقد الاجتماعي نظرية ماديّة تنفع في توجيه وتفسير



شرعية الحكم والسيادة للدولة العلمانية ، ولا يمكن أن نوظّف نظرية العقد الاجتماعي في تفسير الدولة الإلهية ، نحن نعتقد أنّ السيادة لله ، نحن عقيدتنا في الدولة في السياسة تختلف عن الديموقراطية في نقطتين أساسيتين :

النقطة الأولى : الديموقراطية الحديثة القائمة على نظرية العقد الاجتماعي تعتقد أنّ الشعب هو مصدر السلطة التنفيذية ، وهي من حقّ الشعب .

النقطة الثانية : تعتقد أنّ الشعب له حق التشريع ، وبتعبير آخر : نظرية العقد الاجتماعي تذهب إلى أنّ الشعب مصدر السلطات الثلاث ، السلطات الثلاث هي : السلطة التنفيذية ، والسلطة التشريعية ، والسلطة القضائية ، الشعب مصدر هذه السلطات .

نحن في الإسلام عندنا عكس ذلك تماماً ، وهو أنّ مصدر السلطات هو الله سبحانه وتعالى .

فإذن نحن والديموقراطية على مائة وثمانين درجة من الاختلاف والتباين .

وللأسف سوى هذا المصطلح في أجواء الإسلاميين بفعل الظروف الضاغطة كثيراً ، الديموقراطية ليست مصطلحاً ، بل هي مذهب سياسي ، وهذا المذهب السياسي له خلفية فلسفية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، والخلفية السياسية ، للديموقراطية خلفية مادية بالمعنى الدقيق ، وليس بالضرورة أنّ الذين يتبنّون الديموقراطية يكونون ملحدين ، لكن بالضرورة الديموقراطية ليست قائمة على النظرية التوحيدية الإلهية ، الديموقراطية قائمة على النظرية المادّية البحتة ، من أنّ الإنسان يحكم نفسه ، والشعب مصدر السلطات الثلاث ، الشعب مصدر كُلّ سلطة .

نحن في الإسلام عندنا الشورى ، وفي الغرب الديموقراطية ، الشورى قريبة من الديموقراطية ، فلماذا نختلق الخلاف والصراع بين النظرتين ؟ الشورى والديموقراطية شيء واحد ، ونتبنّى الديموقراطية وعن طريق ذلك نحاول أن نكوّن أرضية سياسية واحدة تجمعنا والجماعات العلمانية التي نشترك معهم في ساحة المعارضة .



هذا خطأ جدّاً كبير ، الديموقراطية ليست مصطلحاً أو مفهوماً ، الديموقراطية مذهب سياسي ، وخلف هذا المذهب فلسفة سياسية ، وهذه الفلسفة قائمة على أساس مادّي بحت ، وهذا الأساس المادي هو أنّ الشعب مصدر السلطات ، والقرآن يؤكدّ أن الله تعالى هو مصدر كُلّ السلطات .

أنا أقرأ عليكم هذه المجموعة من الآيات ، يقول تعالى : ﴿ إن الحكمُ إلاّ لله ﴾ ، ﴿ أمِ اتخَذوا من دونِهِ أولياء فاللهُ هوَ الوَلِيُّ ﴾[1] ، الولاية التي تأتي في امتداد ولاية اللّه مشروعة ومقبولة ، ولكن الولاية المرفوضة التي يرفضها الإسلام هي الولاية التي تأتي من دون الله ، ﴿ أفَحَسِبَ الذينَ كفَروا أنْ يتخذوا عِبَادِيُ من دوني أولِياءَ ﴾[2] ، ﴿ وَمَا كَانَ لَهمَ مُنْ دونْ اللّهِ من أولياءَ ﴾[3] ، ﴿ قُلْ أغيرَ اللهِ أتخِذ وَّليا فاطِرِ السَمَاوِاتِ ﴾[4] ، والتشريع لله تعالى فقط في الإسلام ، ﴿ أفَغَيرَ دِينِ اللّهِ يبغونَ ولهَ أسلَمَ منْ فيَ السَمْاوِاتِ والأرضَ طوعاً وكرْها واليهَ يرجعونَ ﴾[5] ، ﴿ اتّبِعوا ما انزلَ إليكم مَنْ رَبكمْ ولا تتبَّعِوا من دونِه أولِياءِ ﴾[6] .

إذن ، الديموقراطية والتوحيد يتقاطعان تماماً ، يعني عندنا حالتان فلسفيتان متقاطعتان ، الفلسفة القرآنية في السيادة والفلسفة الديموقراطية في السيادة ، هما فلسفتان متقاطعتان تماماً ، ولا نستطيع أن نجعل من الديموقراطية أساساً لشرعية الولاية والحكم أبداً .

إذن ، الولاية لله تعالى وحده ، والسلطات كُلّها لله تعالى ، وهو الذي يعينّ

---

1- الشورى : 9 .
2- الكهف : 102 .
3- هود : 20 .

4- الأنعام : 14 .
5- آل عمران : 83 .
6- الأعراف : 3 .



الأولياء فقط ، لاحظوا الآية المباركة من سورة الأحزاب دقيقة جدّاً : ﴿ النَّبِيُّ أَولىٰ بالمؤمنينْ مِن أنفسِهِمْ ﴾ [1] نحن ليس عندنا تفسير للولاية أفضل من هذا التفسير ، ليس عندنا تحديد لمعنى الولاية أفضل من هذا التحديد : ﴿ أَوْلَى بِالمؤمنِيْنِ ﴾ .

الأولوية متى تأتي ؟ تأتي عند تزاحم الإرادات ، وإلاّ أنا وأنت إذا أردنا أن نخرج سوية عندنا طريق مشترك ، لا إرادتي أولى من إرادتك ، ولا إرادتك أولى من إرادتي ، نمشي على طريق مشترك ، متى نحتاج إلى الأولوية عندما تتزاحم الإرادات ، عند ذلك الإرادة الأولى هي الإرادة التي تحكم الإرادة الأُخرى ، عندما تتزاحم الإرادات الإرادة الحاكمة هي إرادة الولاية ، القرآن الكريم يقول : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فتثبت الولاية لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذه الولاية هي بالذات الولاية التي انتقلت عن رسول الله في يوم غدير خم .

هذا المعنى بالذات يشير إليه رسول الله في غدير خم ، يقول : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟

إشارة إلى آية الأحزاب ، قالوا : اللهم بلى . قال : «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» [2] ، فالولاية الثابتة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنصّ من كتاب الله ينقلها رسول الله إلى أمير المؤمنين في غدير خم .

وهذه الولاية هي التي تتسلسل في الأئمّة (عليهم السلام) واحداً بعد واحد إلى الإمام الحجة عجلّ الله فرجه ، خاتم الأولياء ، وفقهاؤنا نواب ، يعني فهمنا الفقهي لولاية الفقيه في عصر الغيبة أنّ الفقيه نائب ووكيل للإمام ، وإلاّ الإمام الحجة عجلّ الله فرجه خاتم الأئمّة ، فترون أنّ هذا الفهم المتسلسل يتناسق مع الفهم التوحيدي

1- الاحزاب : 6 .
2- مسند أحمد 1 : 84 ، 118 ، 119 ، 152 ، 331 ، 4 : 281 ، 368 ، 370 ، 372 ، 5 : 347 ، 366 ، 370 ، 419 ، سنن ابن ماجة 1 : 45 ، سنن الترمذي 5 : 297 .



لمسألة الولاية ، الولاية لله يعطيها لرسول الله لأمير المؤمنين ، وتتسلسل الولاية إلى الإمام الحجّة عجلّ الله فرجه ، وفي عصر الغيبة يتصدّى الفقهاء نيابة عن الإمام الحجّة عجلّ الله فرجه ، هذا الخط النازل للولاية والخط الصاعد كذلك : ﴿ وَأَطِيعُوا الرسُّولَ وأولِي الأمرِ منكمْ ﴾ [1] :

إذن ، الفهم الأوّل ، أي : الفهم الغربي للولاية والسيادة والحاكمية كما ذكرت لكم الآن وأكرر أفضل فهم علمي قُدّم لشرعية الدولة في النطاق العلماني ، ولكن لا تستطيع الديمقراطية إطلاقاً أن تقدّم لنا تفسيراً للولاية الشرعية ، فأي فهم قائم في مسألة الولاية على أساس أنّ المسلمين لهم حق تقرير المصير ، ويجتمعون وينتخبون لأنفسهم حاكماً ، وهذا الحاكم يكتسب صفة

الشورية ; لأنّ أصحاب الحقّ هم الذين انتخبوه وكيلا عنهم في ولاية أمورهم ، هذا فهم غير إسلامي ، وهو الفهم القائم على أساس الديمقراطية الحديثة ، وهذا الفهم متقاطع تماماً مع الفهم التوحيدي ، عندنا نظرية أُخرى وهي نظرية التفويض ، بلى نظرية التفويض لا تتقاطع مع التوحيد ، إذا اعتبرنا أنّ الله عزّ وجل هو الذي أوكل الجماعة المسلمة في انتخاب حاكم لهم ، إذا اعتبرنا هكذا أنّ الله تعالى . أكرر . هو الذي أوكل الجماعة المسلمة في انتخاب حاكم لأنفسهم ، وانتخابهم مشروع في جانب الله ، هذا الفهم لا يتقاطع مع التوحيد ، هذا الفهم الثاني لنظريّة التفويض لا تتقاطع مع التوحيد ، ولكن نظرية حقّ المصير تتقاطع بشكل كامل مع التوحيد ، وبينها وبين التوحيد مائة وثمانين درجة من الاختلاف والتباين ، ولكن العيب في النظرية الثانية ، هو أنّه لا دليل لدينا إطلاقاً من كتاب الله ولا في ما صح من سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الفريقين على أن الله فوّض إلى المسلمين أمر انتخاب الإمام .

والحمد لله ربّ العالمين .

---

1- النساء : 59 .





## الأسئلة والأجوبة

سؤال : أحبّ التعليق على عبارة أنّ الديمقراطية في النظرية المادية أفضل تفسير علمي ، أقول : حتىّ على المستوى المادي فهي ليست تفسّر حاكمية الدولة ; وذلك لأنّ الديمقراطية في نظرهم أنهّ لو 51 % من الشعب ينتخب لصالح جهة فهي التي تحكم فمعناه أنّ الـ 49 % من الشعب لا يريد هذه الدولة ، إذن معناه لا يطيعون فتصبح فوضى ، فلا تفسّر حاكمية الدولة حتّى على المستوى المادي عندهم ، وإنّما قد نقول هم مضطرون إليها .

الجواب : كلامكم صحيح ، يعني هذه الشبهة في الديمقراطية ليس لها جواب إطلاقاً ، وأول من أثار هذه الشبهة (هارول جيم لاسكي) فيلسوف إنجليزي متخصص في فلسفة السياسة ، وأثار هذه النقطة ولم يتصدّ أحد لحلّ هذه المشكلة إطلاقاً ، أنتم ماذا تعملون تحكّمون إرادة 51% على 49 % وتلغون إرادة 49 % في مقابل إرادة 51 % هذه الشبهة ليس لها جواب ، كلامكم صحيح .

سؤال : يقولون : لا يوجد أيّ نصّ قرآني يثبت نظرية الجمهور ، لكن الجمهور دائما يحتج بنص قرآني يكاد يكون سمة مشتركة بينهم وهو قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ فهم يعتبرون أنّ هذا هو النصّ الذي يؤيدّ نظرية الجمهور فما هو الجواب ؟

الجواب : أنا فكّرت بمناقشة نظرية الشورى ، عندنا في القرآن آيتان في الشورى على نحو الصراحة : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [1] ، ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [2] وعندنا آيات أُخرى بهذا المضمون ، ولكن هاتين الآيتين صريحتان ، ليس في

الآية الأولى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَينَهمَ ﴾ ولا في الآية الثانية :

1- الشورى : 38 .
2- آل عمران : 159 .



﴿ وَشَاوِرهُمْ فِي الأمر ﴾ أيّ دلالة على أنّ الشورى عامل إلزامي ، أمرهم شورى بينهم مطلق ، يشمل كلُ أمر للإنسان من الحياة السياسية إلى الحياة الاجتماعية إلى الحياة الاقتصادية وإلى الحياة الشخصية ، ليس خاص في الشؤون السياسية ،ولا يوجد فقيه إلى الآن يقول بأنّ الشورى ملزمة اجتماعياً وفردياً ، مثلا : إذا أراد أحد أن يتزوج لابد أن يستشير ، الشورى مفضّلة ، ولكن هل الشورى ملزمة ؟

الحاكم يستشير فيما تنتابه من الأُمور ، وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يستشير ، ولكن هل الشورى ملزمة ؟

ليس عندنا دليل على أنّ الشورى ملزمة ، نعم هي لازمة ، وبين اللازمة والملزمة فوق شاسع ، لابدّ للحاكم أن يستشير ، هذا يطلقون عليه لازم ، الشورى لازمة ، إذن الشورى لازمة بالتأكيد ، ولكن هل ملزمة أيضاً ؟ هذه الآية ليس فيها دلالة : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَينَهمَ ﴾ ليس فيها دلالة على أنّ مخالفة الشورى حرام ، ليس فيها دلالة أنّ الحاكم يجب أن يطيع ، أمير المؤمنين (عليه السلام) .وقد أشار إليه ابن عبّاس بأمر .يقول له : «عليك أن تشير فإذا خالفتك أطعني»[1] ، أنت بحكم كونك من أهل الحلّ والعقد عليك أن تشير عليّ فإذا خالفتك فأطعني .

فإذن الشورى لازمة بالتأكيد ، ولكن غير ملزمة .

ليس عندنا دليل على ذلك ، إثباتها على عهدة مدّعيها ،وإذا ثبت أنّ الشورى ملزمة ، تتغيرّ كثيرا مِن القضايا الفقهية .

ولنفرض نحن مجموعة نريد أن ننتخب إماماً وتمخّض رأي تسعة وتسعين بالمائة على شخص وواحد خالف ، ما الذي يلزمه بطاعة هذا الإمام ؟ ليس عندنا دليل على إلزامية الشورى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَينَهمَ ﴾ ، إذا كان فيها ما يشعر بالإلزام الكلام صحيح ، ولكن مادامت الآية لا تحمل إلاّ صفة لزوم الشورى دون إلزامية الشورى ، فإذا خالف جمعٌ .ولم يتفقّ الناس جميعاً على الإمامة منذ بدء

1- تاريخ ابن خلدون 2 : 152 .



التاريخ إلى اليوم أبداً . فما الذي يلزمهم على طاعة الرأي الذي تمخّض عنه الشورى ؟

على أنّ هناك إشكالاً آخراً غير هذا الإشكال لا أعتقد أن الفرصة كافية للبحث عنه .

تعليق أحد المستمعين : مولانا يمكن لكم الإجابة من نفس الآية المباركة حيث قال تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكلَ عَلَى اللهَ

﴿ [1] ، يعني لو كانت تلك الدعوى صحيحة لكانت الآية تقول مثلا .وإذا عزمتم .ولكن جعلت ذلك معلّقاً على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

الجواب : نعم ، يقول فتوكّل على الله في تنفيذ أمر الشورى .

سؤال : أنتم ذكرتم أنّ الولاية التي لا تكون من قبل الله تعالى مرفوضة إلاّ إذا كانت في طول الولاية الإلهية ، ونحن نستطيع أنّ نفسرّ أن الحكم الديمقواطي قد يكون موردا للطولية إذا ما لوحظت الإنسانية بحد ذاتها ،والتي أشارت إليها آية الاستخلاف في سورة البقرة : ﴿ إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرضِ خَليفَةً ﴾ [2] كإنسان لم لا يكون هذا الإنسان بإنسانيته في طول الولاية الإلهية ؟

سؤال ثان : الملاحظ أنّ الديمقواطية إلى الآن قد أثبتت نجاحها المتفوق دائما على مستوى الحكم ، حتىّ التزم بها الكثير من الإسلاميين ، كما نلاحظ اليوم في حزب الوفاه ، جبهة الإنقاذ ، الإخوان المسلمين في مصر ، في اليمن مقتنعين بالمشاركة لانتخاب مجالس الشورى ، وما نراه اليوم بالطرح الإيراني المعاصر .

سؤال ثالث : ألسنا نلاحظ في الطرح الديمقواطي الحفاظ على الحريات الإنسانية فإنّنا لا نلاحظ ذلك في الحكومة الدينية التي تسعى دائماً إلى محاولة إلغاء الآخر ؟

---

1- آل عمران : 159 .
2- البقرة : 30 .



سؤال رابع :وهو يدور تقويباً حول نظرية ولاية الفقيه التي تفضلتم بها ،وأنهّا امتداد لولاية الأئمة (عليهم السلام) التي هي بحدّ ذاتها امتداد للولاية الإلهية ، في مسألة الإمامة نحن نرى أنّ هناك نصاً يتّوجه إلى الإمام بالتعويف ،وهذا في النظرية الشيعية وفي الفوضية الشيعية ،وحتّى الآن يعني أربعة أخماس المسلمين لم يقبلوا ذلك ، لكن داخل الوسط الشيعي ، وداخل النظرية المعرفية الشيعية بحدّ ذاتها التي تنظرّ لولاية الفقيه ، ألسنا سنعيش محنة التنصيص في ولي الفقيه ، هل نبتُلى إما بالديمقواطية من جديد أو نلجأ إلى مجلس الخواء الذي هو محاولة ووجه آخر لعملة واحدة من الديمقواطية أو نؤمن بنظرية شورى الفقهاء ؟

الجواب . 1 . : آية الخلافة ليس معناها أنّ الإنسان امتداد لله تعالى في التشويع ولا في السيادة ، هذا ليس مفهوماً من آية الخلافة . إذا كان المفهوم من آية الخلافة : ﴿ إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرضِ خَليفَةً ﴾ [1] أنّ الإنسان امتداد لله في الولاية والسيادة والتشويع ، كلامكم يكون صحيحاً ، عندئذ يكون الإنسان خليفة الله ، يعني كما أنّ الله يشوعّ الإنسان يشوعّ ، وكما أن الله يحكم الإنسان يحكم ،وهذا لا أعتقد أنّ أحدا يقول به ،ولا أنتم تقولون بهذا من أنّ الإنسان خليفة الله في التشويع وخليفته في السيادة والحاكمية .

فإذن هذا الامتداد يلغى ،ولا يفسّر لنا القضية التي نحن بصددها ، نحن نبحث عن قضية السيادة ، السيادة لابدّ أن تنسب

إلى الله ، ومن دون الله السيادة باطلة وغير شرعية ، وبآية الخلافة لا نستطيع أن نتمسّك .

الجواب . 2 . : نجاح الديمقراطية والممارسة الإسلامية للديمقراطية في الوقت الحاضر ، في الحقيقة الإسلاميون في الوقت الحاضر من ابتلاءاتهم الديمقراطية ، وكما ذكرت لكم يأخذون بالمساحة المشتركة بين الشورى والديمقراطية ،ولا بأس هذه المساحة المشتركة بين الشورى والديمقراطية نأخذ

---

1- البقرة : 30 .



بها ، الشورى تكسب لنا كُلّ مكاسب الديمقراطية ، وتجنبّنا من كلُ مّساوئ الديمقراطية ، الديمقراطية فيها مكاسب وفيها مساوئ ، المكاسب هي أنّها تشرك الناس في تقرير مصيرهم تُسهم الناس تشعر الناس ، هذه من مكاسب الديمقراطية ، والمساوئ الشرك بالله تعالى ، نجعل لله شريكاً ، الله يشرّع والإنسان يشرّع ، الله يحكم والإنسان يحكم ، الله مصدر السلطات والإنسان مصدر السلطات ، شرك صراخ ، الشورى تكسبنا كُلّ مكاسب الديمقراطية ، تشعر الإنسان المسلم : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيّته» [1] ، أنت في مجتمع تبني نفسك ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحترم الشورى كثيراً ، لذلك في حرب أحد ما كان من رأي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يخرج من المدينة ، لكنه قبل رأي الشورى عندما رأى إصرار المسلمين ، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو المعصوم يحترم رأي الشورى .

إذن فتكسب لنا كُلّ مكاسب الديمقراطية ، وتجنبّنا مساوئ الديمقراطية ،وأكبر سوء في الديمقراطية الشرك بالله تعالى ، والشورى تجنّبنا هذه النقطة .

الجواب . 3 . : الحرّيات الإنسانية ، نقصد الحرية في أيّ شيء ؟ هذه من المفاهيم التي أيضاً دخلت إلى عالمنا الإسلامي في هالة من الإعلام في بريق من الغرب ، مسألة الحرية ، كما دخلت مسألة الديمقراطية في عالمنا الإسلامي ، تأمّلوا في آيات القرآن لا تجدون آية واحدة فيها حرية ، ثُمّ ابحثوا عن الآيات التي فيها العبودية ،والطاعة والتسليم والانقياد والاستسلام والدين والشريعة والحاكمية والولاية ، تجدونها كثرة في القرآن ، القرآن مليء بالعبودية والطاعة والتسليم والولاية ،ولا تجدون مورداً واحداً في الحرية ، فالحرية من المفاهيم التي دخلت في بلادنا من دون رصيد فكري ، دخلت في هالة ، وفي ظروف الاستبداد السياسي الحاكم في عالمنا الإسلامي ، ووجود حكّام كانوا يمارسون الاستبداد السياسي

---

1- صحيح البخاري1 : 215 ، 2 : 79 ، 3 : 88 ، 125 ، 189 ، 6 : 146 ، 152 ، 8 : 104 ، صحيح مسلم 6 : 8 ، مسندأحمد 2 : 5 ، 54 ، 111 ، 121 .



بأقبح وأبشع ألوانه ، ولذلك وجدت الحرية طريقاً واسعاً إلى قلوب المسلمين .

نحن عندنا الحرية في الإسلام لها مفهوم معاكس ، الحرية من الأهواء ، الحرية من الشهوات ، الحرية من الظالمين ، يتحرّر الإنسان من ظلم الظالم ، يتحرّر من الطاغوت ، يتحرّر من الأغلال ، يتحرّر الإنسان من الأهواء والشهوات ،وعندنا

طاعة وتسليم وانقياد ، الله يقول له : تحرّك يتحرك ، يقول له : قف يقف ، يقول له : تكلمّ يتكلم ، يقول له : اسكت يسكت ، الإسلام يسلوي العبودية لله .

أنا لا أريد أنفي الحرية أبداً ، الحرية من الأهواء ، الحرية في الشهوات ، الحرية من الظالمين موجودة ، التحرّر من الظالم عظيم في الإسلام ، التحرّر من سطوة الظالم ، وإنمّا أقول التركيز في الثقافة الإسلامية ليس على الحرية ، وانمّا التركيز في الثقافة الإسلامية على العبودية والتسليم والطاعة والولاية والشريعة والدين ، الدين يعني الإدانة .

الجواب . 4 . : نظرية ولاية الفقيه ليست تجسيداً للديمقراطية ، نحن نعتقد أنّ الفقيه هو وكيل الإمام الحجة عجلّ الله فرجه ونائب عنه ، لكن عندما يتعدّد النواب عندنا مجموعة مؤهلّة لنيابة الإمام عجلّ الله فرجه ، ولابد مّن توحيد الولاية ، حيث إن تعدّد الولاية تسبّب للمسلمين مشاكل كثيرة ، عند ذلك بطبيعة الحال العقل يحكم بشكل قطعي من أن الذي ينتخبه أكثر الناس هو الذي يكتسب عنوان الشرعية في ولاية الإمام الحجّة عجل الله فرجه ، فهناك فرق بين الممارسة الفعلية في الجمهورية الإسلامية في انتخاب الولي الفقيه ، وبين الديمقراطيات الحديثة .

سؤال : إذا فاز حزب مثلا في نظام ديمقراطي في أغلبية برلمانية ومسك الحكم فهل يكون حكمه شرعياً أم لا يكون شرعياً ؟

وإذا ما كان شرعياً فما هو الحل خاصّة مع أننا نعرف التعقيدات للنظم والدولة العصرية التي من الصعب ارتباط هؤلاء الشيعة مع ولي الفقيه وأنّها في درجة عالية من الخطورة ؟



ثمّ نقطة أُخرى وهي إذا لم يكن فوز هذا الحزب في بلد مثلا ديمقراطي في الأغلبية شرعيا فلماذا التباكي واتهامّ الأنظمة القمعية في الدول العربية ؟ ولماذا لا يكون الخطاب الشيعي الرسمي ضدّ هذه الأحزاب في المعترك السياسي من الأساس ؟

الجواب : نحن في تاريخنا المعارضة السياسية ليست جديدة ، الشيعة كُلّ تاريخهم معارضة سياسية ، ممتدةّ من عصر بني أُمية إلى نهاية العصر العثماني ، حيث انقطعت الخلافة الإسلامية ، ثمّ يشكلوّن معارضة سياسية في الدول العلمانية التي توالت بعد ذلك ، فصيغة المعارضة واحدة من اثنين .

إذن نحن نعيش في هذا التاريخ في دولة غير شرعية ، يعني من بداية العصر الأموي إلى نهاية العصر العثماني نعيش حالة معارضة ، يعني نعيش في دولة لا تملك الصفة الشرعية ، وفيما توالت الدول بعد ذلك ، وعندنا حالة الجمهورية الإسلامية حالة فريدة في تاريخنا ، ليس لها نموذج ثان ، فنحن نعيش المعارضة ، المعارضة لها أحد حالتين إمّا أن تعيش حالة المقارعة وحالة المواجهة وحالة الانزواء وهي المعايشة السلبية ، كما الآن في العراق ، المعارضة تعيش معايشة سلبية مع النظام ، مواجهة وقمع وصِدام مسلحّ .

وفي حالة أُخرى وهي الحالة التي ليست الصِدام المسلحّ والمقارعة ، وهي حالة إيجابية ، كما كان المؤمنون يعيشون بعض العصور في العصر الصفوي مثلا ، أو مع بعض الحكومات ، يشاركون فعلا مع أنّ الحكومة غير شرعية في المقياس

الشرعي ، لكن نحن نستفيد من الفرص المتاحة للمؤمنين ، ونكتسب المواقع السياسية ، المواقع الإدارية ، المواقع الثقافية المواقع الدينية ، في هذا المجتمع ، لماذا نترك هذه المواقع تفوتنا ؟ ! فبطبيعة الحال لو أنّنا وجدنا فرصة في دولة غير شرعية لاحتلال جملة من المواقع في البرلمان ، فهذا جيّد إذا استطعنا أن نحوّل المعارضة من صيغتها السلبية إلى صيغة معايشة إيجابية ، واستطعنا أن نكتسب بعض المواقع



بعض الكراسي والحقائب الوزارية لمصلحة المذهب ، لمصلحة المضطهدين من الشيعة ، لمصلحة المؤمنين المسلمين عموماً ليس فيه بأس .

وهذا عنوان ثانوي ، وأبواب العناوين الثانوية مفتوحة ، وليس بالضرورة إذا فرضنا أنّنا تعايشنا مع نظام معايشة إيجابية ، كما كان فقهاؤنا يتعايشون معايشة إيجابية مع النظام الصفوي في إيران ، ليس بالضرورة أنّ هذا النظام يكتسب الصفة الشرعية .

سؤال : ما هو المانع أن نقول : إنّ نظام الحكم والسيادة التكوينية لا التشريعية ، كعلم الطب والفيزياء والهندسة لا ربط له بالدين في تطوّره ؟ والدليل على ذلك أنّ الشرق لم يتدخّل في عرض أطروحات ومنهجية لنظام الحكم وبقي نظام الحكم قائماً على تطوّر النظريّات العقلية وتطبيقها في المجتمع ، وإن كانت هذه النظريات ظهرت على الإسلام هذا لا يعني أنّ الإسلام جاء بها ، بل تعرض كالفلسفة ، فتكون إسلامية ثُمّ تكون مقبولة عند المجتمع ، وإذا رُدنا أن نلاحظ الأضرار أيضاً فعلم الطب فيه أضرار ولكن يُطبق في المجتمع وتموت الآلاف ومع ذلك النتيجة مقبولة وتكون شرعية ؟

الجواب : المسألة لها مدخلان : المدخل الأوّل الذي أشرت له أنّ في الإسلام لا يوجد أشياء منفصلة عن النظام السياسي والنظام الاقتصادي والنظام الاجتماعي والنظام الإداري هذه خاضعة لتطورات الزمن ، فليس عندنا أشياء منفصلة في النظام الإداري مثلا ، عندنا عهد لمالك الأشتر ، عهد مالك الأشتر لا يدير دولة ، أقول مسألة الدولة الإسلامية لا تنطلق من هذا المحور ، تنطلق من محور السيادة ، يوجد شيء آخر اسمه السيادة ، السيادة لمن ؟

الجواب على هذا السؤال هو الحدّ الفاصل بين الدولة الدينية أو الدولة الإلهية نسميّها بالدولة الإلهية أفضل من الدولة الدينية والدولة العلمانية ، الدولة الإلهية تقول السيادة لله تعالى ولمن يختاره الله : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ



أَنفُسِهِمْ ﴾ [1] .

فإذن يوجد قانون خاص للسيادة ، امتداد للسيادة ، هذه السيادة تتم في امتداد تلك السيادة ، أساس الدولة السياسة ، ليس أساس الدولة التفاصيل ، الآن حدث انقلاب على الحكم في باكستان كان نواز شريف وبعدها جاء برويز مشرف فالذي تغيّر تفاصيل مناهج الحكم ، المناهج الاقتصادية والسياسية ، أو انقلاب للسيادة من يد إلى يد ، السيادة تحوّلت ، الانقلاب العسكري الذي قام به مشرف في باكستان ليس إلاّ تحول السيادة من نواز شريف إلى مشرف ، الدولة تعني السيادة ، التفاصيل تأتي في

بلورة السيادة .

إذن فإذا كانت السيادة للشعب فالدولة علمانية ،وإذا كانت السيادة للهولأولياء الله ، فالسيادة لهذا الامتداد ، الدولة دولة دينية حسب المصطلح الغربي ، حسب مصطلحنا الدولة دولة إلهية .

المسألة الثانية : التفاصيل ليست موجودة في الشريعة ، صحيح نحن ليس عندنا الآن تفاصيل عن الوضع الإداري والاقتصادي ،والسياسي ، لكن عندنا شيء في الإسلام وهو الاجتهاد ، وفي الاجتهاد آليات قوية ، الاجتهاد يتضمّن آليات قوية تمكّن المجتهد الفقيه في تطبيق ثوابت الشريعة على متغيّرات الظروف السياسية والاجتماعية والإدارية والأوضاع المختلفة ، توجد حركة ممتدة مستمرة في واقع الحياة ،وهناك ثوابت شرعية ، الاجتهاد يمكّن للفقيه أن يطبّق ثوابت الشريعة على متغيّرات الحياة الاقتصادية والسياسية والإدارية والدبلوماسية والعلاقات الخارجية والحرب والسلم ، ويمكّن للفقيه من تغطية المتغيرات الاجتماعية والسياسية بثوابت الشريعة ، فنحن نأخذ بعامل الاجتهاد ، كما أنّ الأنظمة الأخرى أيضاً تمارس نوعاً من الاجتهاد ، اجتهادنا قائم على أسس إلهية ودينية ،واجتهادهم قائم على أسس أُخرى .

---

1- الأحزاب : 6 .



فإذن نحن عندنا الدولة الدينية ، يعني أنّ الدولة ليست بطبيعتها علمانية في الإسلام ،وإنّما يوجد اختلاف في المناهج التفصيلية .

والسلام عليكم ورحمة الله .



## بداية النبوة 47

## نقاش المبدأ الثاني من نظرية الاختيار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [1] .

تحدّثت عن الأساس الأول لمبدأ الاختيار ، وسوف أتحدّث عن الأساس الثاني لمبدأ الاختيار ومناقشته .

### مبدأ الاختيار :

الأساس الثاني : التفويض لا يتقاطع مع التوحيد ، لا يشبه نظرية حقّ المصير ، نظرية حقّ المصير تتقاطع مع التوحيد

بشكل كامل ، مسألة التفويض لا تتقاطع ، الله مفوّض للجماعة حقّ انتخاب الحاكم ، هذا لا ينافي التوحيد ، ولذلك فقهاء المسلمين والمتكلمين يعتمدون أساس التفويض الإلهي في مسألة الانتخاب ، يعني الله عزّ وجلّ فوّض للجماعة المسلمة حق انتخاب الحاكم ، يقول لهم : أنتم إذا اجتمعتم على حاكم على إمام على خليفة هذا الإمام مقبول مأذون من عند الله في الإمامة والخلافة ، لا يتنافى هذا المبدأ مع التوحيد ، ولكن الشأن كُلّ الشأن في وجود نصّ أو دليل في الإسلام على مبدأ التفويض ، هل عندنا دليل على التفويض أو لا ؟

---

1- البقرة : 124 .



إذا عرفنا أو وجدنا دليلاً على التفويض ليس عندنا مشكلة ، الله عزّ وجلّ له الأمر وله الحكم يحكم ما يشاء ،وهو عزّ شأنه جعل الجماعة مخوّلة في انتخاب الحاكم وتنتهي المشكلة .

ولكن لا دليل عندنا على التفويض ،وعدم الدليل دليل العدم ، وفي المسألة الخطورة عدم الدليل دليل العدم ، مسألة بمستوى مسألة الإمامة والخلافة التي هي مسألة ذات ثلاثة أبعاد : عقائدية فقهية سياسية ، مسألة بهذا الحجم لو كان هنالك دليل على أنّ الله عزّ وجلّ خوّل المسلمين في انتخاب الإمام . اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وانتخبوا لأنفسهم إماما .ً لا ينسُى هذا الدليل ، ولا يضيع هذا الدليل ، مسألة ترتبط بها سلامة العقيدة ، وسلامة الخط السياسي ، مسألة تصحّح التاريخ كُلّهً ، ويتوقف عليه شرعية الهيئة الحاكمة أو الأنظمة الحاكمة منذ وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليوم، لو كان عندنا دليل لظهر هذا الدليل، فنحن عندما نرجع إلى كتب الحديث لا نرى دليلاً ، فبشكل قطعي نستطيع أن نقول عدم الدليل دليل العدم .

### أدلّة تفويض الحكومة من قبل الله تعالى إلى الناس :

نذكر بشكل سريع أدلّة التفويض ، الأدلّة التي يذكرها الفقهاء والمتكلمّون ، أقول : الفقهاء والمتكلميّن ; لأن مّسألة الإمامة لها بُعدين : بُعد فقهي وبعُد عقائدي كلامي ، فأستعرض الأدلة ّالتي يذكرها الفقهاء والمتكلمونّ على التفويض ، ونرى هذه الأدلّة هل فيها صراحة ، فيها قوّة متينة ، فيها استحاكم أم أنهّا لا تقاوم المناقشات والمؤخذات العلمية ؟

في أدلّة التفويض عندنا نوعان من الأدلة ، قسم من الأدلة ّتتعلق ّبالجانب المبدئي من القضية ، الله مفوضّ أم لم يفوضّ ؟ والقسم الآخر يتعلّق بالجانب التطبيقي ، كيف فوّض وبأي ّطريقة فوضّ ، أو من خلال أي آلية فوضّ الجماعة ؟والآليات ثلاث لا تتجاوزها ، إمّا الإجماع الآلية الأولى ، أو البيعة الآلية الثانية ، أو الشورى الآلية الثالثة .

فإذن ، عندنا نوعان من البحث ، البحث الأوّل نناقش مبدأ التفويض ، وبعد ذلك نناقش الجانب التطبيقي ، يعني آليات التطبيق ، الآلية التي فيها الأمّة تعبرّ عن الانتخاب ، في الجانب المبدئي تسميتها بالكبروي والصغروي ليس دقيقاً ، لذلك نسمّها بالجانب المبدئي والتطبيقي .

في الجانب الكبروي أذكر دليلين :

الدليل الأوّل : قاعدة التسليط ، ويتفّق عليها فقهاء المسلمين ، الناس مسلطّون على أنفسهم وأموالهم ، الله سلطّنا ، هذا تفويض ومن جملة مصاديق التسليط ، التسليط على مسألة الإمرة والولاية والسيادة والحاكمية ، وهذه قاعدة فقهية مذكورة في فقهنا وفي فقه أهل السنة ، وتشمل هذه القاعدة مسألة التفويض في الإمامة .

أقول :

أوّلا : الرواية الموجودة عندنا : «الناس مسلطّون على أموالهم»[1] وليست على أنفسهم وأموالهم .

أناراجعتها في مصادرنا على أقل تقدير في مصادرنا الحديثية ليس عندنا بلفظ على أنفسهم ، ولم أراجع الرواية في المصادر السنية ، ومعناها أنّ بيتك مثلاً تستطيع أن تتصرّف فيه تبيعه تهبه .

ثانياً : مجال هذه القاعدة الشؤون الفردية ، الشؤون العامّة لا تصلح للتسليط ، قاعدة التسليط لا تشمل الشؤون العامة ، تشمل الشؤون الشخصية ، لو فرضنا الرواية هكذا «الناس مسلّطون على أنفسهم وأموالهم» لا تشمل الشؤون العامّة ، ومن الشؤون العامّة مسألة الإمرة والولاية والخلافة والإمامة ; وذلك لأنّ الشؤون العامة مختلفة ، قلماّ يتفقّ الناس على شأن عام ، رأي واحد وفهم واحد ،ولا سيّما مسألة الإمامة والخلافة التي تتضارب فيها الأهواء والآراء والمذاهب

1- عوالي اللئالي 1 : 30 ، 222 ، 457 ، 2 : 138 ، 208 ، بحارالأنوار 2 : 272 .



والمسالك والأنواق ، فإذا كان كذلك اختلف الناس .

وهذا الشيء طبيعي جدّاً وهو أن يختلف الناس في مسألة الإمامة ، إمّا أقليةّ أو أكثرية أو متساوية أو متقاربين ومتعادلين أو أقلّية كبيرة وأكثرية أكبر ، أو أقليّة ضعيفة وأكثرية قوية ، تختلف الحالات ، فعند ذلك توظيف قاعدة التسليط في هذا المجال معناه مناقضة القاعدة بنفسها ; لأنّ معنى ذلك أنّ الناس مسلطّون بعضهم على بعض .

القاعدة لا تقول : الناس مسلّطون بعضهم على بعض ، القاعدة تقول : الناس مسلطّون على أنفسهم وأموالهم ، فإذا فرضنا مائة فرد ، ثمانون منهم انتخب إماماً ،وعشرون انتخبوا إماماً آخر ، بطبيعة الحال رأي الأكثرية هو الحاكم ، فرأي الثمانين سوف يسلّط على العشرين ، يعني نفس الشبهة التي ذكرها أحد الإخوان للديمقراطية تأتي هنا ، يعني رغم العشرين على قبول رأي الثمانين الذين انتخبوا (س) ، ونلغي رأي العشرين الذين انتخبوا (ص) .

فإذن توجد عمليتان : العملية الأولى : إلغاء رأي العشرين وقد انتخبوا (ص) .

والعملية الثانية : تحكيم رأي الثمانين وقد انتخبوا (س) .

فهذا معناه الناس مسلّطون بعضهم على بعض .

القاعدة لا تقول هذا ، القاعدة تقول : الناس مسلّطون على أنفسهم ، هذا الأمر له مصداق واحد يصحّ ، وهو لو أنّ الناس اجتمعوا كُلّهم برّهم وفاجرهم ، صغيرهم وكبيرهم ، قريبهم وبعيدهم ، حاضرهم وباديهم ، اجتمعوا على شخص واحد بالإجماع ، وهو ما لم يتّفق في تاريخ البشرية برمّته ، أمّا لو أن الناس اختلفوا فتوظيف القاعدة في تصحيح هذه العملية ، في تصحيح عملية الانتخاب ، معناه تسليط الناس بعضهم على بعض ، وهو نقيض القاعدة تماماً . نكتفي بهذا النقد ونتجاوز إلى مسألة أُخرى .

الدليل الثاني : نظرية العقد والولاية ، حيث إنّ بعض الفقهاء يتمسكون



بنظرية العقد والولاية ، الإمرة عقدٌ شرعي بين الإمام والرعية كالإجارة وعقد البيع وعقد المضاربة وعقد الشركة وعقد الزواج ، وطرفا العقد الرعية من جانب والإمام من جانب آخر ، الرعية يعطون الإمام الطاعة ، والإمام يعطيهم العدل ، ويعطيهم الإدارة ، والإنصاف ، وتنظيم أمورهم ، وهو عقد وقد قال تعالى : ﴿ أَوْفُوا بِالعقُودُ ﴾ [1] ، والفقهاء يتمسّكون بهذه الآية الكريمة .

على أنّ الأصل في كُلّ عقد اللزوم كما تدل عليه الآية إلا أنّ يرد دليل على أن العقد غير لازم ، مثل عقد الشركة فإنه عقد غير لازم ، فإذا لم يكن دليل على جواز العقد ، فالأصل في العقود اللزوم ، ويتمسّكون بقوله تعالى : ﴿ أَوْفُوا بِالعقُودُ ﴾ ، والإمرة كذلك عقد من العقود ينظّم العلاقة بين الحاكم والرعية .

أقول : هذا الكلام يرد عليه :

أوّلا : العقد إنّما يصحّ فيما يملك الإنسان ، أنت تستطيع أن تبيع دارك ولا تستطيع أن تبيع داري ، والسبب واضح ، الدار لي وأنا يجب أن أعقد العقد ، كُلّ إنسان يستطيع أن يعقد على ما يملك ، المرأة تستطيع أن تعقد على نفسها ولا تستطيع أن تجري العقد على غيرها من دون وكالة ولا ولاية ، مسألة الإمرة والولاية والسلطة لله عزّ وجلّ ، الله عزّ وجل أخذها من أيدي الناس : ﴿ إن الحكمُ إلاّ لله ﴾ [2] ، ليس لنا الحق أن نتّخذ من دونه أولياء ، الآيات كثيرة وقرأتها عليكم ، فالعقد بين الراعي والرعية يشبه العقد على ما لا يملكه الإنسان ، وهب الأمير ما لا يملك ، عقد على ما لا يملك ، فأوّلا يجب أن نثبت أنّ مسألة الإمرة لنا ، كما أنّ الله عزّ وجلّ فوّضنا في أموالنا وفي شؤوننا الشخصية ، عند ذلك يصح لنّا أن نعقد ، أما وأن الله تعالى لم يفوّضنا في ذلك ، ويصرّح القرآن بأنّ الحكم والولاية ليس للإنسان ، الحكم والولاية لله تعالى ، فعلى ماذا يعقد الإنسان ؟ ! كيف تعطي حقّ

1- المائدة : 1 .
2- الأنعام : 57 ، يوسف : 40 ـ 67 .

الطاعة ؟ ! كيف يعطيه الرعية حقّ السيادة والولاية ، والولاية لله والسيادة لله والحاكمية لله ؟ !

ثانياً : يعقد على ما يخصّه ولا يعقد على ما يخصّ الآخرين ، نفس المثال الذي ذكرته الثمانون يعطون للوالي الولاية على المائة هذا عقد باطل .

فإذن لا يمكن التمسّك بنظرية العقد ، وهذه النظرية تكثر في كلام فقهاء أهل السنّة ، وأيضاً في كلمات بعض فقهائنا .

**النظرية الثالثة : التمسّك بأدلّة وجوب نصب الإمام :**

والتمسّك بأدلّة وجوب الطاعة كقوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [1] ، وهذا أيضاً يتمسك به علماء أهل السنّة ، ومنهم النبهاني .

وهذا استدلال عجيب ، نحن عندنا في الأصول مسألة أنّ الحكم لا يثبت موضوعه ، الله يأمرنا بطاعة ولي الأمر ، الحكم بالطاعة وموضوع هذا الحكم ماذا ؟ هو طاعة ولي الأمر .

جيّد من دون أن يتحدّد ولي الأمر ، ويكون الحاكم حاصلا على الشروط الشرعية للولاية ، ويكون مأذونا من جانب الله تعالى في الولاية ، الحكم بوجوب الطاعة . أطيعوا الله والرسول وأُولي الأمر منكم . يبقى بلا موضوع ، الحكم يتوقّف على موضوعه ، ومن دون تحقّق الموضوع ، يبقى الحكم معلقاً .

الحكم دائماً يتعلّق بأحد اثنين ، إما على الموضوع الخارجي أو على الموضوع التقديري ، يعني لو حصل ولي الأمر يجب أن تطيعوه ، لو حصل إمام مأذون من قبل الله ، الله خوّله الإمامة والولاية والإمرة فعلى المسلمين الطاعة ، ونحن نريد أن نستفيد من قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ طاعة الحاكم القائم الموجود فعلا ، الذي بيده القوّة ويحكم فعلا ، هذه قضية غريبة

---

1- النساء : 59 .



في بابها ، وليس لها تفسير علمي مفهوم ، دائماً القضايا الحقيقية . كما يقول علماء الأصول . تنحل إلى قضية شرطية ، موضوعها الشرط وحكمها الجزاء ، موضوعها المقدّم والحكم مؤخّر ، القضية الشرطية يعني الجزاء في القضية الشرطية ، فإذا كان (أطيعوا أولي الأمر) كذلك فترجع إلى قضية شرطية ، وموضوع القضية الشرطية إذا حصل ولي الأمر المأذون من جانب الله بالولاية ، المفوّض المخوّل من جانب الله بالولاية ، الحاصل على شروط الولاية ، إذا حصل فعلى المسلمين الطاعة ، هذا الجزاء ، الموضوع يكون عقد الشرط في القضية ، والحكم هو عقد الجزاء في القضية .

ومن دون ذلك التمسّك بقوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ . . . ﴾ ينطبق عليه ما نقوله نحن في الأصول التمسّك بالعامّ في الشبهات المصداقية ، ولا يوجد عاقل يتمسك بالعام في الشبهات المصداقية ، يوجد عندنا عام ، وعندنا استثناء ، وعندنا مصداق ، أنا لا أدري هذا المصداق داخل في الاستثناء ، في التخصيص ، أم باق تحت العموم ، لا أدري لشبهة

مصداقية لشبهة مفهومية ، لا أرى أنّ هذا المصداق المعيّن باقي تحت العام ّ، أو داخل في التخصيص في الاستثناء ، لا يمكن أن نتمسّك بالعام ّ في هذه الشبهة المصداقية ، ونثبت أن ّ هذا المصداق موضوع للحكم ، بعموم الموضوع .

وهذا الذي يذكره علماء الأصول من عدم جواز التمسّك بالعام ّ في الشبهات المصداقية ، قضية عقلية ، لكن بيانها وترتيبها إذا أراد أحد أن يتكلّم مع غير أهل الفن يحتاج إلى تفصيل في القضية ، وإلا ّ إذا تبسطّت القضية فكل أحد يفهمها ، ولا يحتاج إلى ثقافة أصولية حتّى يفهم عدم جواز التمسك بالعام ّ في الشبهات المصداقية ، فهي قضية عقلية واضحة بديهية ، فلا يجوز إذن التمسّك لا بأدلةّ نصب الحاكم ، ولا بأدلةّ عموم الطاعة : ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكم ﴾ في إثبات شرعية الحكّام الحاكمين .



وهؤلاء يتمسّكون بهذه الآية على شرعية خلافة معاوية ، وعلى شرعية يزيد ، وعلى شرعية خلافة الوليد بن عبد الملك ، ويزيد بن الوليد ، وإلى آخر الحكّام العباسيين ، هارون الرشيد ، المنصور الدوانيقي ، الهادي ، المهدي ، المتوكلّ ، المستعصم ، يتمسّكون بخلفاء بني العباس ، نقول لهم : ما هو دليل شرعية هذه الحكومة ؟ يقولون الله تعالى يقول : ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا . . . ﴾ ، أقول : أثبتوا لنا أنّ هذا الإنسان من أولي الأمر من مصاديق أولي الأمر حتّى أعطيك الطاعة .

هذا الإنسان الذي يتربّع على عرش الخلافة أنا أشك في ولايته ، أشكّ في شرعية سيادته ، أشكّ في شرعية إمامته ، كيف تحكمني بهذه الآية على الطاعة ؟ !

نتجاوز هذه النقطة إلى الجانب الصغروي من الموضوع ، ولم يثبت عندنا دليل من الروايات التي يتمسّكون بها أيضاً . على أنّ سندها ضعيف جداً ، الوضع والانتحال ظاهر عليها بشكل واضح .

نتجاوز هذا ونلجأ إلى الجانب التطبيقي منها ، إذا فرضنا أنّ الله مفوّض الأمة حق الانتخاب ، ولم يعرف ذلك ولم نصل إلى هذه النتيجة قطعاً بالتأكيد ، إذا فرضنا ذلك نأتي على الآليات المعروفة في تعيين الإمام ، ثلاث آليات يذكرون في كتب الفقه وكتب الكلام .

الآلية الأولى : الإجماع .

الآلية الثانية : البيعة .

الآلية الثالثة : الشورى .

الشورى ناقشناها ، نناقش الإجماع والبيعة .

أمّا الإجماع فيستدلون على الإجماع بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «لا تجتمع أمتي على خطأ» ، فالناس اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة على انتخاب الخليفة ، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «لا تجتمع أمتي على خطأ» [1] .

1 - تحف العقول : 458 ، الاحتجاج 2 : 251 ، بحارالأنوار 2 : 225 ، 5 : 20 ، 68 ، 29 : 36 ، شرح مسلم للنووي 13 : 67 ، مجمع الزوائد 7 : 221 ، تاريخ مدينة دمشق 59 : 7 وقد ورد في بعضها : على ضلالة ، وفي بعضها أيضاً تضعيف الحديث .

أنا أقول : الحديث سنده ضعيف ،راجعوا سند الحديث في مصادر الفريقين ليس له سند قوي ، ولكن أنا أقبل مضمون الحديث بغض النظر عن سند الحديث ، مضمون الحديث صحيح لا تجتمع أمّة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على خطأ ، يعني الأمّة معصومة بكاملها ، فإذا اجتمعت الأمّة بكاملها على الصلاة ، الصلاة حق بالتأكيد واليقين ، بغض النظر عن تفاصيل الصلاة التي يختلفون عليها ، ولكن يوجد إجماع على أنّ الله فرض الفرائض الخمسة على المسلمين ، هذا حقّ ، الأمة مجتمعة على الصيام بغض النظر عن تفاصيل الصيام هذا حقّ ، الأمّة بكاملها معصومة ، فمهما اجتمعت الأمة على شيء فبالتأكيد صحيح ، ولكن بشرط أن تجتمع الأمّة ،والرواية دقيقة إذا صحّت ، اجتماع يعني الإجماع ، يعني لا يشذّ عنهم أحد ، فإذا وجدنا إماماً أجمع المسلمون على إمامته بدون أن يشذّ منهم أحد نقبل بإمامة هذا الإمام ، أمّا إذا اختلفوا وتعددّت الآراء ولم يحصل الاجتماع نشك في حجيّة الإجماع .

حجّية الإجماع قطعية عندما تجتمع الأمة جميعها ، أما إذا اختلفت الأمة على آراء فنشك في حجية الإجماع ،والشك في الحجّية دائماً يساوق عدم الحجيّة ،والحجية من القضايا المهمة الأساسية التي يخل الشّك بها ، إذاما شككنا في حجية دليل ، فقد سقط ذلك الدليل عن الحجّية ، هذه قاعدة عامة ، نحن نقطع بحجيّة الإجماع في حالة واحدة فقط ، فيما إذا اجتمعت الأمة جميعاً ، نقطع بحجّية الإجماع ، أمّا عندما يكون أهل الإجماع وأهل الحلّ والعقد ، أو إجماع الفقهاء ، أو إجماع ذوي الرأي ، أو إجماع المهاجرين والأنصار ، أو إجماع التابعين ، أو إجماع الصحابة مثلا أقل ما يمكن أن نقوله نحن نشك في حجّية هذا الإجماع ،والشك في الحجّية يساوق سقوط الدليل عن الحجيّة .



هذه أيضاً قاعدة عقلية ،وإن كان في الأصول نحن نتحدّث فيها ، لكن تبسيطها وتفهيمها لغير أصحاب الفن لغير أصحاب الاختصاص بسيط . هذا النقد الأوّل .

النقد الثاني : لو فرضنا حصول إجماع في السقيفة على خلافة أبي بكر .وهو ما لم يحصل بالتأكيد ، الذي يقرأ أحداث السقيفة يتأكّد أنّ الإجماع لم يحصل بالتأكيد . فإنّ الإجماع ليس دليلا في عرض الكتاب والسنة ، الإجماع دليل في طول الكتاب والسنّة دائماً ، يعني طبيعة الإجماع يختلف عن الكتاب والسنة ، الكتاب والسنة هما حجتان بذاتهما ، الإجماع ليس حجة في ذاته ، الإجماع حجّة لكشفه ، لأنّه يكشف عن الحجة عندنا ; لأن الإجماع يكشف عن وجود رأي المعصوم .

نحن هكذا توجيهنا للإجماع ، فقهاء السنّة كذلك لا يختلفون عنا في أن الإجماع ليس حجة في عرض الكتاب والسنة ، واذا أحد يذكر أنّ الإجماع في عرض الكتاب والسنّة بالتأكيد ليس عنده معرفة بالأصول ، أنا رأيت الدكتور عبد الرزاق السنهوري ، صاحب كتاب (الوسيط) من كبار فقهاء القانون المعاصرين ، له كتاب (الوسيط في القانون المدني) ،رأيت له كراسة يدعو فيها إلى تحكيم الإسلام ، نحن نحكّم الإسلام في حياتنا ، فيتساءل ويقول : عندنا مواضيع ليس لها حكم في الشريعة ، مسائل المرور مثلا ما كان المرور مسألة في عصر الرسالة حتّى تثبت فيها أحكام ، الآن عندنا مسألة المرور من المسائل الفقهية

القانونية المعقّدة جداً ، وتترتب عليها مسائل فقهية كثيرة ، دياتٌ وقتل وخسائر كبيرة ، في عصر الرسالة ما كان عندنا مشكلة المرور إطلاقاً ، نحن نريد أن نطبّق الشريعة ، يتساءل الدكتور كيف نطبّق الشريعة ، وكثير من المسائل مستحدثة ليس للشريعة فيها رأي في صدر الإسلام .

يقول في الجواب : يجتمع فقهاء الإسلام جميعاً ، ويتّفقون على رأي واحد



في مسائل المرور ، يقولون : نحن فقهاء المسلمين اتّفقنا على أنّ حق التقدم والسبق لمن في الميدان مثلا ، فإذا أرادت السيارة أن تدخل من الشارع إلى الميدان ، يجب أن تتأخّر عن السيارة التي في داخل الميدان ، فإذا اجمعوا على ذلك ، الإجماع مصدر من مصادر الشريعة ، مصادر الشريعة أربعة : الكتاب ، السنة ، القياس ، الإجماع .

هذا عدم فهم لمعنى الإجماع ،رجل متخصّص لا يقول هذا ، الدكتور عبد الرزاق السنهوري متخصص في القانون ، وليس متخصّصاً في الفقه والأصول لذلك نتحمّل منه هذا الخطأ ، ولكن الفقيه لا يستطيع أن يقول هذا الشيء ، الإجماع ليس في عرض الكتاب والسنّة ،وإنّما الإجماع في طول الكتاب والسنةّ ، يعني الإجماع يكشف دائما ً.

أوضّح هذه المسألة : لنفترض نحن الآن في القرن الرابع عشر ، نجد أمامنا إجماعاً في مسألة من المسائل ، مثلا على أنّ صلاة المغرب والعشاء جهريّتان ، فقهاء عصرنا يعتمدون على الإجماع ، يقولون : يوجد إجماع للفقهاء السابقين على أنّ صلاة المغرب والعشاء مثلا جهريتان ، فنعتمد الإجماع حجّة ودليلا ، ونفتي بأنّ صلاة العشائين جهريتان ، ولكن أنا أسأل الفقهاء الذي بهم انعقد الإجماع ، لابدّ يوجد فقهاء ، الفقهاء على الأرض وليس في السماء ، في وقت من الأوقات أجمع الفقهاء على هذا الرأي ، نأتي ونأخذ الفقهاء واحداً واحداً ، المفيد ، وسلارّ ،والصدوق وفقهاءنا الأوائل القدماء الذين أجمعوا على ذلك ، نسألهم : ما هو مصدر كلامكم ، تقولون : المغرب والعشاء جهريّتان ، ما هو مصدر كلامكم ، فإنكّم نسبتم إلى الله حكما ً؟

فلا يستطيعون أن يقولوا بالإجماع ،وإلاّ دارت المسألة يعني الفقهاء الذين ينعقد بهم الإجماع لا يستطيعون أن يستدلوا بالإجماع على الإجماع ،وإلاّ تصبح المسألة دورية ، نقول : الإجماع بكم انعقد ، نحن في العصر المتأخّر نحتجّ



بإجماعكم ، أنتم المجمعون بم تحتجّون ؟ لابدّ عندكم دليل من كتاب أو سنةّ ، لا نقبل منكم أن تتمسكوا بالإجماع ،والا ّ تصبح قضية (عبد الرزاق السنهوري) الذي هو باطل باتّفاق الفقهاء .

تقولون : فما جدوى الإجماع إذن ؟

إذا نحن في إجماع تسلسلنا إلى عصر انعقاد الإجماع ، وتساءلنا من الفقهاء الذين انعقد بهم الإجماع ، عن مصدر الإجماع ، عن مصدر حكمهم بجهرية العشائين ، عندئذ لا تبقى فائدة في الإجماع ، أيّ إجماع ونحن ليس عندنا دليل .

إذا رجعنا إلى الفقهاء المتقدّمين الصدوق ،والمفيد ،والطوسي ،والمرتضى ، سألناهم قالوا : بلى ، نحن أجمعنا على هذا الشيء ; لأنّ عندنا حديثاً صحيحاً عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، فإذن تمسكنا في جهرية العشائين ليس بالإجماع ، تمسكنا

بالنصّ الوارد عن الإمام الصادق (عليه السلام) وهو الصحيح ، فما جدوى الإجماع ؟ إمّا أن نجد عند المتقدمّين الذين انعقد بهم الإجماع نصّاً ودليلا ، وامّا أن لا نجد ، فإن وجدنا فالحجةّ والدليل هو النص وّليس الإجماع ، واما إنّ لا نجد عندهم فالإجماع ساقط ، فما جدوى الإجماع ، هذا السؤال ؟

أقول : الإجماع له فائدة ، أحياناً يوجد نصّ واصل إليهم وما وصل إلينا ، يوجد نص صحيح في المثال الذي ذكرناه مثلا ، هذا النصّ كان موجوداً لدى الطبقة الأولى من فقهائنا القدماء وما وصل إلينا ، كثير من أحاديثنا ضاع ، فلهذا النص ما وصل إلينا لسبب من الأسباب ، أنا الآن ليس عندي نص ، أراجع الكتب الأربعة والوسائل لا أجد نصّاً ، أراجع إلى كلمات الفقهاء أراهم مجمعين على ذلك ، فأعتقد لعقيدتي في هؤلاء الفقهاء أنّهم لا يتكلمّون عن هوى ، وانمّا يستندون إلى دليل ، أقول : لابد أن يكون لهم مستند ، ولا يكون هذا المستند من الكتاب بالطبع ، لماذا ؟ لأنّ الكتاب موجود في أيدينا وما تغيرّ ، ولن يكون مستندهم من العقل بالتأكيد ، لماذا ؟ لأنّ العقل مشترك بيننا وبينهم ، لا يمكن أنّهم يصلون بالدليل العقلي إلى



القطع ونحن لا نصل ، فلابدّ أن يكون عندهم نصّ من السنةّ ، هذا ما وصل إلينا ، يعني هذا النص ضاع في هذا التاريخ الذي ضاع فيه كثير من نصوصنا ، فتكون حجّية الإجماع بهذه الطريقة .

## مناقشة الإجماع المدّعى في السقيفة

والآن نرجع إلى الإجماع الذي يدّعيه أهل السنةّ على خلافة الخليفة الأولّ وأنه انعقد في سقيفة بني ساعدة ، نقول لهم : هذا الإجماع لم يكن قائماً ، انتخاب الخليفة لم يكن من الكتاب بالتأكيد ، ولم يكن بالعقل بالتأكيد ، ما عندكم إلاّ النصّ ، فهذا النصّ الذي انعقدت به خلافة الخليفة الأوّل ، هذا النصّ مستحيل أن يضيع ، نصّ تعتمد عليه شرعية الخلافة برمتهّا ، ونصحح التاريخ ، وترتبط به قضية فقهية ، وقضية عقائدية ، وقضية تاريخية ، مسألة بضخامة مسألة الخلافة التي هي من أهم المسائل بعد التوحيد في حياة المسلمين ، ليس من الممكن أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد نصّ على خلافة الخليفة الأولّ وضاع النصّ وبقي الإجماع ، والإجماع يكشف لنا عن النصّ ، ولكن النصّ ضاع ، هذا النص مستحيل أن يضيع ، هذا من مصاديق أنّ عدم الدليل دليل العدم ، ليس من الممكن أن يرد نصّ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بخلافة الخليفة الأوّل ثمُ يضيع هذا النص ولا يجده المسلمون ، هذا مستحيل ، على حساب الاحتمالات داخل في المستحيلات والممتنعات ، بحدود الصفر .

إذن ، ليس عندنا إجماع ، والإجماع بنفسه ليس حجّة إذا جردّنا الإجماع عن النصّ الذي يستند إليه الإجماع ، الإجماع دليل استنادي ، يختلف الإجماع عن الكتاب والسنّة ، الكتاب بنفسه حجّة والسنةّ بنفسها حجة : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [1] الإجماع ليس بنفسه حجّة ، حجّية الإجماع باستناده إلى نصّ

1- الحشر : 7 .

ضائع ، ولمّا كان النصّ من غير الممكن أن يضيع ، لو فوضنا أجمع المسلمون على خلاف أبي بكر في سقيفة بني ساعدة ، فهذا الإجماع ليس حجّة ، الإجماع لا يكشف عن شيء إطلاقاً ، نحن نريد الحكم لله ، يجب أن يفوّضه الله ، الإجماع ليس تفويضاً ، الإجماع ليس من آليات التفويض .

## مناقشة البيعة التي حصلت في السقيفة

الآلية الثانية : البيعة ، هذه الآلية كصاحبتها فيها معنيان ، البيعة على فرض أنّ البيعة لها قيمة شرعية ، نحن نعتقد أنّ البيعة في عصر الحضور ليس لها قيمة شرعية ، بل قيمة تأكيدية ، يعني بيعة الحديبية ، بيعة العقبة ، بيعة الغدير تأكيد للولاية ، ليس فيها قيمة شرعية ، يعني الشخص الذي لم يبايع لا يستطيع أن يقول أنا في حلّ من هذه البيعة ، في بيعة العقبة أعطوا الطاعة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلو لم يعطوا البيعة ما كانت تجب عليهم الطاعة ؟ ! الله يقول : ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾[1] ، ﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾[2] بايعتم أم لم تبايعوا .

نحن نعتقد أنّ البيعة في عصر الحضور ليس لها قيمة تشريعية ، بل قيمة تأكيدية ، ولكن نأتي على مباني الجماعة ، يمكن أن نتصوّر للبيعة أحد معنيين ، المعنى الأول شرط في صحة الطاعة لا سبب للطاعة ، يعني الطاعة واجبة ، ولكن لن تكون الطاعة صحيحة إلاّ أن تكون مسبوقة بالبيعة ، هذا يشبه نوعاً ما مقدمّة الواجب عندنا ، مثل الوضوء بالنسبة إلى الصلاة ، الوضوء ليس شرطاً لوجوب الصلاة ، الصلاة واجبة على المكلّف توضأ أم لم يتوضأ ، الصلاة واجبة وليست متوقفة على الوضوء ، ولكن الوضوء شرط في صحّة الصلاة .

قد نتصوّر البيعة بهذا المعنى ، فإذا فوضنا البيعة بهذا المعنى فلا يكون لنا دور في إيجاب الطاعة ، يعني البيعة لا تأتي بالطاعة أبداً ، مصدر الطاعة شيء آخر ،

---

1- الأحزاب : 6 .
2- النساء : 59 .



وليس البيعة ، نعم لو أراد الناس أن يطيعوا عليهم أن يبايعوا حتّى تكون طاعتهم طاعة شرعية صحيحة ، هذا التصوّر والمعنى الأوّل .

المعنى الثاني : أن تكون البيعة سبباً في وجوب الطاعة ، كما في العلاقة بين الاستطاعة والحجّ ، هذا نسميّه مقدمّة الوجوب بالاستطاعة يجب الحجّ ، وبانتفاء الاستطاعة ينتفي وجوب الحجّ ، فإذا آمنّا بهذا وهو ليس ببعيد في عصر الغيبة ، يعني هذا المبنى يتبنّاه بعض فقهائنا في القيمة الشرعية للبيعة في عصر الغيبة ، أن تكون البيعة سبب للطاعة ، بالبيعة تجب الطاعة ، ولكن لمن ؟

تأمّلوا في هذه النقطة ، أنا أرجع إلى نفس الكلام ، الحكم لا يثبت موضوعه ، إنمّا تجب الطاعة بالبيعة لمن يأذن الله

سبحانه وتعالى بمبايعته ، لمن يأمر الله تعالى بمبايعته ، أمّا لو كان الله عزّ وجل لم يأمر ببيعته ، كما لو بايع الناس إنساناً فاسقاً مثلا ، لا تجب بيعته وطاعته ، إنّما تجب الطاعة بالبيعة إذا كانت البيعة لمن يأذن الله بطاعته .

فإذن هذه الآلية الثانية ليست كافية وضعيفة ، كما أنّ الآلية الأولى ضعيفة .

الآلية الثالثة : الشورى وقد ناقشناها .

هذه خلاصة مناقشة التفويض ، يعني التفويض في تصحيح الانتخاب ، إذا اتّخذنا التفويض أساساً لشرعية الانتخاب فلا نتحدّث هل هناك تفويض أم لا ؟ ولم نجد تفويض إطلاقاً ، الله لم يفوّض للناس انتخاب الإمام ، وبعد ذلك لو فرضنا وجد تفويض ، آلية التفويض لا تخلو من أحد ثلاثة طرق : إمّا الإجماع ، أو البيعة ، أو الشورى ، وأيّ من هذه الآليات الثلاث لا يمكن أن يقاوم المؤاخذات والمناقشات الحقيقية التي ترد على هذا الدليل .

والحمد لله ربّ العالمين .

الصفحة 74

الصفحة 75

# ( 48 ) القول المختار في الجبر والاختيار

السيّد عادل العلوي

الصفحة 76

الصفحة 77

بسم الله الرحمن الرحيم

**تمهيد :**

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيّد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمدّ وآله الطيبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين .

مسألة الجبر والاختيار من أهم المسائل الكلامية والفلسفية ، وهي من المسائل العويصة جدّاً ، واحتلتّ الصدارة في البحوث الكلامية منذ الأيّام الأولى وإلى يومنا هذا ، ولازالت المسألة معترك الآراء ومحطّ الأفكار ، وربمّا أولّ من خاض هذه المسألة وشقّ عبابها هو المعلّم الأولّ أرسطو طاليس اليوناني ، ومن ثم كانت المسألة بين الفلاسفة وحتى ظّهور الإسلام تبدلت المسألة من فلسفية إلى مسألة دينية ، وهي مسألة طويلة وعريضة ، وأتعجب كيف يمكن أن نبحث عن هذه المسألة في محاضرة واحدة وفي ليلة واحدة ، ولكن أحاول أن أذكر خلاصة البحث في هذه المسألة وكفهرست وكخطوة أولى لمن أراد البحث عنها .

الصفحة 78

الصفحة 79

## أسباب إثارة هذا الموضوع

إنّما أثيرت مسألة الجبر بين المسلمين في الصدر الأول من الإسلام لأمرين على ما يبدو من التاريخ الإسلامي :

الأمر الأوّل : تطهير ساحة الخلفاء ، حيث إنّ بعد رحلة الرسول تولدّت مدرستان : مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، وفي هاتين المدرستين وقع الكلام في مسائل عقائدية ، منها : مسألة الجبر ، وإنّما طرحت هذه المسألة بين المسلمين آنذاك ; لأنّ نتيجة الجبر أنّ الإنسان مقهور في فعله ، فما يفعله من الظلم والجور لا ضير عليه ولا يرد عليه إشكال ، وهذا يوجب تطهير أولئك الذين جاروا وفسقوا ، وتطهير أولئك الذين طغوا ، فكُلّ طاغية وكلُ حاكم طاغوت يروج لمثل هذا المذهب بلاشكّ ، ويفتح المجال لزعماء هذا المذهب .

وقيل : إنّ أول من طرح مسألة الجبر بين المسلمين بالخصوص هو ، جهم ابن صفوان وأتباع جهم .

ولا زالت المسألة مورد نزاع بين المسلمين ، فاستغل مسألة الجبر الساسة آنذاك قبل الكلاميين ، وكانت مسألة الجبر جسراً لعبور خلفاء الجور لا سيما خلفاء بني أُمية إلى مآربهم وتسلطّهم على رقاب الناس .

الأمر الثاني : منهم من ذهب إلى الجبر تطهراً لساحة الله سبحانه وتعالى من حيث الحرية الإلهية على أنّ الله سبحانه وتعالى حرّ يفعل ما يشاء ويَسأل ولا يسُأل ، فالحرية الإلهية تقتضي أن يكون الإنسان في فعله مجبورا ً، ويقابل هذا المذهب مذهب العدلية ومذهب التفويض ، العدلية أعمّ من التفويض ومن القائلين بالمنزلة بين الأمرين وبالأمر بين الأمرين ، فالذين ذهبوا إلى الجبر هم الأشاعرة ، ويقابل الأشاعرة العدلية ، أي : المعتزلة والإمامية الاثنا عشرية ، فمدرسة أهل



البيت مدرسة الأمر بين الأمرين ، ومدرسة الخلفاء مدرسة الأشاعرة والمعتزلة الذين يقولون بالجبر أو يقولون بالتفويض .



## معنى الجبر

ما هو الجبر ؟

خلاصته أنّ الإنسان إنّما يكون مجبورا ً في أفعاله ، أي : سلبُ الاختيار من الإنسان ، وما يفعله إنما هّو فعل الله جل جلاّله ، فلا فرق بين السيف والسيّاف عندهم ، فإنّ السيف آلة القتل بيد السياّف ، والسياّف آلة القتل بيد الله سبحانه وتعالى ، فكلاهما من آلة القتل بالنسبة إلى الله جلّ جلاله ، والمفوّضة تقول حفظا ً للعدالة الإلهية بأن الله سبحانه وتعالى عادل فلا يظلم ، ومن ثم ّ يلزم أن يفوّض الأمر إلى الخلق في أفعالهم ، فالإنسان قد فوّض إليه الأمر في فعله ، فما يفعله إنمّا يفعله هو بنفسه من دون أن يكون لله إرادة وقدرة في ذلك ، هذا معنى التفويض .

الجبريون لهم مسالك أيضاً ، والجبر بصورة عامّة عندهم أن ّالإنسان مسلوب الاختيار ، مسير ّ ، وغير مخير ّ ، إلا أنّ أباّ الحسن الأشعري وأتباعه يرون فساد هذا المطلب وفساد هذا المذهب ; لأنّه يتنافى مع الثواب والعقاب ، لذا قالوا بالجبر بشكل آخر من أنّه صحيح الإنسان باعتبار فعله المباشر ليس باختياره ذلك ، فهو مجبور ومقهور بإرادة الله وقدرته إلاّ أنهّ يتلونّ

الفعل بلون خاصّ ويتعنون بعنوان خاصّ ، وباعتبار هذا اللون وباعتبار هذا العنوان يترتب الثواب والعقاب ، التلونّ والتعنون إنّما هو بيد الإنسان ويُسمّى بالكسب ، طبعا الكسب له معان عند الجبريين إلا أنّه أفضل المعاني ما يذكره القاضي الباقلاني وهو أنّ ما يفعله الإنسان مجبور عليه بإرادة الله ، بقوة الله ، والله هو الذي يفعل ما يشاء ، وما يفعله الإنسان فعل الله ، لكن هذا الفعل يتلوّن بلون خاصّ يتعنون بعنوان خاص ، هذا العنوان كسب العبد ، العبد هو الذي يكسب هذا العنوان ، والثواب إنّما يترتب على العنوان ، مثال ذلك : ضرب اليتيم من العبد إنّما هو من أفعال الله ، ولكن هذا الضرب



إن كان للتأديب فعنوان التأديب لون التأديب وغير التأديب إنّما هو بيد العبد ، العبد هو الذي يعطي هذا اللون لفعله ، فالفعل فعل الله ولكن ثواب هذا الفعل ولون هذا الفعل إنّما هو بكسب العبد [1] .

وجوابه واضح بأنّ هذا الكسب وهذا التلوين الذي يتبع قصد العبد ، باعتبار أنّ العبد يقصد التأديب فيكون مثاب عليه ، ويقصد الظلم فيكون معاقب عليه ، هذا إنّما هو فعل من أفعال العبد ، لأنّ القصد إنمّا هو من أفعال العبد ، فعليه يلزم أن يدخل القصد ضمن الأفعال العبادية ، ضمن أفعال المكلفين ، فيدخل في الجبر أيضاً ; لأنّه كلُ فّعل من أفعال العبد بناء عًلى القول بالجبر المطلق يجب أن يكون جبرياً ، فقصد العبد أيضاً يدخل في الجبر .

فإذن لا ينفعهم هذا القول بالكسب بالنسبة إلى العبد .

1- انظر شرح إحقاق الحق 2 : 139 ، محاضرات في أصول الفقه 2 : 100 .



## لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين

وأمّا الأمر بين الأمرين في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فمنهم من ذهب إلى أنّ المراد من قول الإمام الصادق (عليه السلام) : إنّه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين [1] أن نأخذ قسماً وقسطاً من الجبر كما نأخذ قسما وًقسطا مًن التفويض ونركّبهما ونجعل منهما معجوناً جديدا بًاسم المتولة بين المتولتين ، فلا جبر بتمام المعنى ولا تفويض بتمام المعنى ، إنماً هو معجون مركب .

هذا المعنى مردود ، بل الحقّ أنّ لا جبر ولا تفويض ، لا جبر كما عند المجبرة ، ولا تفويض كما عند المفوّضة ، وانماً المتولة بين المتولتين والأمر بين الأمرين حقيقة مستقلة ، أي : لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين .

يسأل الإمام (عليه السلام) . كما تأتينا الروايات . أنّ الأمر بين الأمرين بأيّ مقدار ؟ يقول : سعة الأمر من حيث التفكرّ والتأمّل والتعقّل ، ومن حيث المصاديق ، ومن حيث المفهوم ، ومن حيث المحتوى سعة ، وميدانية الأمر بين الأمرين إنمّا هو بين السماء والأرض [2] .

إذن ، حقيقة مستقلّة سعتها بين السماء والأرض فلا شيء مركب منهما ، وهذا المعنى موجود أيضاً في الاقتصاد الإسلامي

، فمنهم من يعتقد على أنّ الاقتصاد الإسلامي إنّما هو شيء مركبّ من الاشتواكية والرأسمالية ، يعني لارأسمالية بتمام المعنى كما عند الغربيين ولا اشتواكية بتمام المعنى كما عند الشرقيين عند الشيوعية ، وإنّما هو أمر بين الأمرين ، أي : شيء مركب من الاشتواكية والرأسمالية ، وهذا باطل أيضاً .

1- معاني الأخبار : 213 ، بحار الأنوار 4 : 197 ، مستدرك سفينة البحار 8 : 335 .
2- الكافي 1 : 159 .



الحقيقة أنّ الاقتصاد الإسلامي إنّما هو اقتصاد مستقل بذاته وبنفسه ، له معالمه الخاصة ، له مفاهيمه الخاصة ، وله حدوده الخاصّة ، أصلا لا علاقة له بالاشتواكية ولا بالرأسمالية ، كذلك المسألة العقائدية بالنسبة إلى الجبر والتفويض وأمر بين الأمرين ، الأمر بين الأمرين عبارة عن حقيقة مستقلّة ذاتية لا علاقة لها بالجبر ولا بالتفويض .

علماؤنا الأعلام اختلفوا في أنّه ما هو المراد من الأمر بين الأمرين على سبعة أقوال ، أذكرها لكم على نحو الإشارة حتّى يكون فتح باب للمستقبل وللتحقيق .



## ذكر الأقوال في تفسير الأمر بين الأمرين

القول الأوّل : ما ذهب إليه الشيخ المفيد (قدس سره) في شرحه على الاعتقادات وهو أنّ الله تعالى أقدر الخلق على أفعالهم ومكّنهم من أعمالهم ، يعني أنّ الله سبحانه وتعالى أعطاهم القدرة على أن يفعلوا ، ومكنّهم من الأعمال ، وحدد لهم حدودا في ذلك ، ونهاهم عن القبائح بالزجر والتخويف والوعد والوعيد ، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها ، ولم يفوّض الأعمال إليهم لمنعهم من أكثر الأعمال ، ووضع الحدود لهم فيها ، وأمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها . ثُمّ قال الشيخ المفيد : فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض [1] .

القول الثاني : إنّ المراد من الأمر بين الأمرين أنّ الله تعالى جعل عباده مختارين في الفعل والترك ، ولكن في عين اختيارهم مع قدرته على صرفهم عمّا يختارون ، يعني جعلهم مختارين إلاّ أنّه بقدرة الله يمكن أن يصرفهم عن الفعل فيمنعهم عمّا يفعلون وعلى جبرهم على فعل ما يفعلون .

القول الثالث : إنّ المراد به أنّ الأسباب القريبة للفعل بقدرة العبد باعتبار أنّه عندما يأتي العبد بفعل بأسباب قريبة وأسباب بعيدة فالأسباب القريبة بقدرة العبد ، ولكن الأسباب البعيدة بيد الله كالآلات والأدوات والجوارح والأعضاء والقوى فهي بقدرة الله سبحانه وتعالى ، فقد جعل الفعل بمجموع القدرتين .

القول الرابع : إنّ التفويض المنفي هو تفويض الخلق والرزق وتدبير العالم إلى بعض العباد إلى بعض الأئمّة مثلا . ولكن هذا خارج عمّا ورد في الروايات من نفي الجبر والتفويض ; لأنّه سيأتي أنّ التفويض تفويض عقائدي يعني في علم الكلام في مقابل الجبر ، وعندنا تفويض عند الغلاة في العمل .

1- تصحيح اعتقادات الإمامية : 46 .



القول الخامس : إنّه في عين الاختيار مجبورون ، هذا ما يذهب إليه بعض الأعلام من علماء الشيعة ، يعني الإنسان مختار ولكن في عين أنّه مختار هو مجبور وفي عين أنّه مجبور هو مختار ،ربمّا يتصورّ أن هّذا جمع بين المتناقضين ، إذ إنه كّيف يكون مختاراً ومع ذلك هو مجبور في عمله ، وكيف يكون مجبوراً ومع ذلك هو مختار في عمله ؟ ويمثّل له بالموت وبالولادة ، فإنّ الإنسان بين جبرين ولادته جبرية وموته جبري ، ولم يكن باختياره الموت كما لم يكن باختياره الولادة ، فولادته جبرية ووفاته جبرية : ﴿ اللّهُ يتوَفىَ ألأنفسْ حُينَ موتهَا ﴾[1] ، فوفاته جبرية ، وكُلّ ما في هذا الكون إنمّا هو جبري ، فقط يكون فعل الإنسان بين الموت والولادة هذه الأفعال تكون اختيارية ، ففي عين أنّه مجبور هو مختار وفي عين أنّه مختار هو مجبور في ولادته وفي موته ، بهذا النحو أرادوا أن يصححوا الأمر بين الأمرين .

والقول الأفضل في هذا الباب أنّ المنفي في حديث الإمام الصادق (عليه السلام) : لا جبر ولا تفويض هو قول الأشاعرة بالنسبة إلى الجبر ،والتفويض بالنسبة إلى المعتزلة ، ومعنى الأمر بين الأمرين أنّ الفعل إنمّا يصدر عن اختيار العبد وقدرته ، وله أن يفعل وله أن يترك ; لأنّ الاختيار . كما في علم الكلام . بمعنى إن شاء فعل وإن شاء ترك ، فالمختار من يكون قادراً على الفعل والترك ، ولكن حياته قدرته اختياره كُلّها إنمّا تكون متحققةً بإفاضة البارئ تعالى بحيث لو لم يفض الله عليه لزم منه عدم صدور الفعل وعدم تحقّقه .

توضيح ذلك بالمثال : إذا أراد العبد أن يقتل شخصاً إلاّ أنهّ يمدُ في عمله بقوة كهربائية ، نفوض فيما إذا كان العبد قاصداً للقتل ، ولكن هذا القتل لا يتحقّق إلاّ بقوةّ كهربائية تمدهّ ،وهذه القوة الكهربائية آنا بعدً آن تكون ممدة لمّا يفعله العبد ، فيتحقق منه القتل بعدئذ ، يا ترى القتل إنّما صدر من القوة الكهربائية أو من العبد ؟

1- الزمر : 42 .



صحيح صدر من العبد إلاّ أنّ القوةّ الكهربائية لها تأثير أيضا باًعتبار لولا القوة الكهربائية لما صدر القتل من العبد ، ولولا مباشرة العبد للقتل لما صدر القتل من العبد ، فيقال : الأمر بين الأمرين بهذا المعنى .

هذا المعنى يميل إليه كثير من علمائنا الأعلام ، ويمثّل له بأمثلة عديدة ، ومن باب تشبيه المعقول بالمحسوس المثال الذي أميل إليه في هذا الباب هو إذا كان عندنا حديدة مخروطية الشكل كالجبل مخروط الشكل ، فهذه الحديدة المخروطية لها رأس رفيع ولها عقب يكون وسيع القطر ، الله سبحانه وتعالى يضع الحديدة على عاتق العبد ويأمره أن يصعد بهذه الحديدة الثقيلة على الجبل أو يتزل من الجبل بعدئذ ،والجبل ملتوي الطريق ، وصعب جدّاً ، نفوض بحيث إذا غفل هذا العبد عن هذا الحمل الثقيل على ظهره فإنّه ربما يسقط من الجبل ، فالله سبحانه وتعالى يقول لعبده : عبدي لرفع هذه الحديدة من حيث الرأس ،رأس

الحديدة إنّما هي بعاتقك ، أنت الذي تحمل مسؤولية التكليف ، والتكليف ثقيل كما أنّ الحديدة ثقيلة ، فهذه التكاليف بدايتها بيدك ، وأنّها على عاتقك أن تحمل وتصل إلى الجبل إلى القمة إلى الجنة : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [1] ، ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [2] ، إلاّ أنّه من لطفي عليك .واللطف ما يقرّب العبد إلى الطاعة ويبعدّ عن المعصية . أني ّأ لا أحمل لك القطر الكبير لهذه الحديدة ، ورأس الحديدة على عاتق الإنسان ، ولكن القطر الأكبر والأوسع والأثقل إنّما هو بيد الله سبحانه وتعالى ، فإنّه لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم ، بعدئذ يقول : أيهّا الإنسان في هذا الطريق الصعب قد وضعت لك مصابيح وعلائم لمعرفة الطريق باعتباره طريقاً ملتوياً معوجاً ، فيصعب عليك الأمر ، فلابد أنّ تصل إلى الصواط المستقيم إلى الطريق الكبير والصحيح ، ففي بداية الأمر وضعت لك على الطريق

---

1- البلد : 10 .
2- الإنسان : 3 .



على حافة الطريق مصابيح وعلائم للمرور وهي عبارة عن الفطرة الموحدة ثُمّ النفس الملهمة ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ ، ثُمّ الأنبياء والكتب السماوية كلهّا بمثابة المصابيح ، فإن الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والقرآن الكريم فيها النور ، وأنزل معه النور ، فالله سبحانه وتعالى أنزل القرآن أنزل الكتب السماوية كُلّها من الأنوار الإلهية ، وجعلها علائم كشرطة المرور في الطريق ، وهذه العلائم عبارة عن الأنبياء 124 ألف نبي للبشرية ، وعبارة عن الأوصياء ، وإنّ لكلّ نبي اثني عشر وصياً ، وعبارة عن العلماء الصلحاء ، العلماء ورثة الأنبياء ، ففي كلّ عصر في كلّ مصر يوجد من يهديك السبيل ، من يعرّفك الطريق ، من يعرّفك ما يصلحك مما يفسدك .

لأنّ الله سبحانه وتعالى أراد للإنسان أن يهديه لا يريد الضرر بالإنسان ، إنمّا أراد النفع ، إنمّا أراد الخير بالإنسان ، فلذا هداه السبيل ، عند ذلك يا ترى عندما يحمل الإنسان هذه الحديدة الثقيلة ، وهذا التكليف الثقيل على عاتقه في هذا الطريق كي يصل إلى الصواط المستقيم عندما يحمل ذلك يكون هو فاعل هذا الحمل ، ولكن الله سبحانه وتعالى يُمدّ بالفيض يمدّ بالحول والقوّة ، قوّة هذا الحمل من الله سبحانه وتعالى ، حول هذا الحمل من الله سبحانه وتعالى ، وإن كان الفعل المباشر من العبد ، العبد هو الذي يرفع الحديدة ويضعها على عاتقه إلاّ أنّه قطر الحديدة الكبرة إنمّا هي بيد الله ، يعني الحول والقوّة بيد الله سبحانه وتعالى ، فهذا معنى الأمر بين الأمرين .

طبعاً لا يخفى عليكم أنّ المثال من باب التشبيه ، والتشبيه يقرّب من جهة ويبعدّ من ألف جهة .

ربما يرد الإشكال على مثل هذا المثال إلاّ أنّه ليس إلا ّمثالا وًتقريبا للمعقول حتى نقرب الأمر بين الأمرين .

مثال آخر : هذا الضوء بأيّ شيء يشُعل ؟ إنمّا يسرج هذا الضوء ويشعل هذا



الضوء بالزر الذي قرب الباب مثلا ، فيا ترى من يسرج لنا هذا الضوء ؟

الإنسان هو الذي يسوج أو زر الكهرباء ، إذا تقول : الزر ، فليكن الزر هو الذي يطفيء ويشعل هذا الضوء ، والحال أنّه لم يكن كذلك . وإذا تقول : الإنسان ، الإنسان يدخل ويشعل الضوء وإذا لم يشعل الضوء ويسوج الضوء لما اشتعل الضوء .

فإذن الإنسان والزر كلاهما يؤثّران في إشعال الضوء ، ولكن لا على نحو الشركة العرضية ، بل على نحو الطولية .

تقول الجبرية : إذا كان الإنسان هو الذي يفعل والله سبحانه وتعالى له القوة ، وقوة العبد من قوة الله سبحانه وتعالى ، فإذن يلزم أن يكون الإنسان شريكاً مع الله في الفعل وهذا يتنافى مع التوحيد الإلهي ، فلكي نوحّد الله في الفعل كما نوحدّه في الصفات وفي الذات لابدّ أن نقول إنّ جميع الأفعال إنمّا هي لله .

والعجيب أنّ كثيراً من العرفاء من الصوفية أيضاً يقولون بالجبر ، أو لا أقل يقولون بشبه الجبر كما نجد ذلك عند المحقق الخراساني صاحب الكفاية فإنّه يذهب إلى شبه الجبر أيضاً ، حيث يقول : إنّ الإنسان في فعله يكون مختاراً ، ولكن هذا الاختيار يتبع الإرادة ، والإرادة فيها مقدّمات منها تصوّر الفعل والتصديق بالفائدة والشوق المؤكدّ وبعض هذه المقدمّات ليست اختيارية ، وإنّما هي ذاتية والذاتي لا يعلل .

إذن ، الإنسان إن لم يكن مقهوراً ومجبوراً ; لأنهّ ننفي الجبر ، ولكن يكون شبيه المقهور والمجبور في فعله ; لأنهّ عندما يفعل ويرفع هذه النظارة يرفعها بالاختيار ، ولكن هذا الاختيار وهذا الفعل لرفع النظارة مسبوق بالإرادة ، والإرادة مسبوقة بالمقدّمات ، وبعض مقدّمات الإرادة ذاتية للإنسان ; لأنّ الناس معادن كمعادن الذهب والفضةّ ، فمنهم شقي ومنهم سعيد ، والسعيد سعيد في بطن أُمهّ والشقي شقي في بطن أمة .



إذن هو بالنسبة إلى مقدّمات الفعل الاختياري يكون تابعاً لما هو ذاتي له باعتبار الشقاء الذاتي والسعادة الذاتية ، والذاتي لا يعلل[1] ، أي : لا تسألني من أين أتيت بهذا الذاتي ؟ فإنّ الذاتي لا يعلل .

وهذا القول موجود عند علمائنا الأعلام ، ويقولون بأنّ هذه الأفعال لم تكن أفعالا غير اختيارية للإنسان ، بل الإنسان مختار في فعله ، لأنّه بالوجدان نجد فرقاً بين من تتحرك يده باختياره وبين من يكون مريضاً وترتعش يده ، هذه مسألة وجدانية والوجدانيات من البديهيات ، فبالضرورة نجد فرقاً بين رعشة اليد غير الاختيارية والحركة لليد الاختيارية ، وهذا أكبر دليل على أنّ الإنسان مختار وليس مجبوراً في فعله ، لكن يقول الجبريون : إنهّ لا فرق بين الحركتين الحركة الارتعاشية والحركة الإرادية للإنسان .

1- كفاية الأصول : 68 .

## الأمور المترتّبة على القول بالجبر

هذا القول يستلزمه إشكالات وتواليات فاسدة أُجمل لكم القول فيها :

فخر الدين الرازي يقول : إنّ مسألة الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين مسألة عويصة أولا ، ومعترك الآراء ثانياً ، وثالثاً نجد كُلّ قوم عندهم ما يستدلون به ، لذا يذكر أدلة الطرفين في التفسير ، وأن كلّ واحد عنده آيات وروايات يتمسك بها ، سواء القائل بالجبر أو القائل بالتفويض ، إلاّ أنه يقول : خير الأقوال في هذا الباب ما ذهب إليه الإمام الصادق بأنه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين .

فنحن عندما نستدل في مثل هذا المقام إنّما نستدل بالآيات والروايات أيضاً ، ولكن بما أنّ القوم عندهم ما عندهم من الشبهات بالنسبة إلى كيفية الاستدلال بالآيات والروايات ، فلذا ابتداءً نبحث المسألة بحثاً عقلياً وأن القول بالجبر يستلزم الإشكالات التالية :

أولا : يلزم نفي الحسن والقبح الذاتيين العقليين .

تقول الأشاعرة : فليكن ذلك ، ومن ثمّ يقولون بنفي الحسن والقبح الذاتيين العقليين ويلزمهم نفي العقل أصلاً ، أي : يقولون بأنّ الحسن ما حسنّه الشارع ، والقبيح ما قبحّه الشارع ، فلا حسن ولا قبح عقلا لنا .

فعندهم الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ، وأنّه يسأل ولا يُسأل ، ومن باب الحرية الإلهية قالوا : لله سبحانه وتعالى . هذه المقولة موجودة عندهم . أن يُدخل أتقى الأنبياء نار جهنّم كما يدُخل أشقى الناس الجنة ; لأنه حر في أفعاله من باب الحرية الإلهية .

نحن نقول : هذا يتنافى مع العقل ، يتنافى مع الحسن والقبح الذاتيين العقليين .

يقولون : فليكن يتنافى ; لأنّه لا نعترف بالعقل ، لذا الأشاعرة لا عقل لهم بالنسبة إلى العقائد ولا سيمّا في مسألة الجبر والتفويض .



ثانياً : يلزمهم تعطيل الثواب والعقاب باعتبار أنّه إذا كان الإنسان مجبوراً على فعل المعصية فحينئذ لماذا يعاقبه الله سبحانه وتعالى ؟ ولماذا يثيب المطيع وهو مجبور على الإطاعة ؟

فإذن يلزم تعطيل الثواب والعقاب ، لذا نجد في روايات أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) وفي مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) التركيز على هذا المعنى هو أنّ القول بالجبر يستلزم تعطيل الثواب والعقاب .

ثالثاً : إنّ القول بالجبر يستلزم التكليف بما لا يطاق باعتبار أنّ الله كلفّ هذا العبد بالطاعة ، والحال هو مجبور على المعصية ، وإذا كان هو مجبور على المعصية فكيف يكلّفه بالطاعة ؟ ! هذا تكليف ما لا يطاق .

يقولون : فليكن تكليفاً بما لا يطاق فإنّه ليس قبيحاً عندنا .

نحن نقول : التكليف بما لا يطاق قبيح عقلا ونقلا .

فبمثل هذه المناقشات نرد على الذين يقولون بالجبر كما نرد على المفوّضة باعتبار أنّ المفوّضة يقولون : إن الإنسان مفوّض إليه الأمر ،وعندهم الموضوع بمثل البنّاء والبناء ، فإنّ البناءّ يبني الدار مثلا ، ثم عُنّد ذلك يذهب ويموت ويبقى هذا البناء ، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وفوّض إليه الأمر ، ثمّ الله سبحانه وتعالى يجلس على عرشه والخلق يفعل ما يشاء تفويضاً من الله سبحانه وتعالى ،ولا يحتاج في فعله إلى قوة الله وإرادة الله .

نقول : هذا المثال باطل ; لأنّ البنّاء بالنسبة إلى البناء ليس العلةّ التامةّ ،وأن الممكن وهو البناء يحتاج إلى علة مّحدثة كما يحتاج إلى علّة مبقية لوجود الإمكان ، باعتبار أنّ الممكن في ذاته يكون فيه حقيقة الإمكان ،وأينما كان الإمكان فإنهّ يحتاج إلى علّة في الوجود كما يحتاج علةّ في العدم ; لأنّ الممكن متساوي الطرفين ، فإذا وجد يسأل لم وُجِد ؟واذا عدم يُسألُ لم عدِمَ ؟ فليس الوجود والعدم ذاتياً للممكن حتّى يقال الذاتي لا يعلل ، بل يعلل ، فلابد له من

الصفحة 93

علّة وجودية وعلّة عدمية في الوجود والعدم ، فالممكن بما أنهّ ممكن وفيه حقيقة الإمكان فإنهّ يلزم حينئذ أن يحتاج في حدوثه وفي وجوده وإيجاده إلى علّة مُحدثة كما يحتاج إلى علةّ مبقية في بقائه ، فهذا البناءّ ليس العلة التامة المحدثة لهذا البناء ، بل البنّاء يعُد من المعداتّ ، البناءّ من العلة المعدة . طبعا المعدّ لم يكن علة ، ولكن من باب التسامح بالتعبير . إنما العلّة التامّة لهذا البناء هو وجود الطابوق ووجود الجص والمواد الموجودة في هذا البناء ، فمتى ما كانت هذه المواد بهذه الكيفية فإنّ البناء يكون باقياً وإلاّ فإنهّ عند زوال هذه المواد الإنشائية يزول البناء أيضا ً، فإذا انتفت العلة انتفى المعلول .

فعليه هذا المثال باطل ، فما يقوله المفوّضة يكون باطلا ; لأنهّ يتنافى مع السلطة الإلهية والقوة الإلهية .

ونجد هذا المعنى مركّزاً في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فإنهّم يركزوّن على السلطة الإلهية ،وأن الله أعز وأكرم من أن يفوّض الأمر إلى الخلق ،وأنّ له السلطة وبيده كلُ شّيء ، فعليه لا يفوضّ الأمر إلى الخلق .

طبعاً هذا تفويض في مقابل الجبر

الصفحة 94

الصفحة 95

## تفويض الغلاة

وعندنا تفويض من الغلاة ، فإنّ الغلاة ينقسمون إلى ثلاثمائة طائفة كما في كتب الملل والنحل منها طائفة من المفوّضة أولئك يقولون بأنّ الإنسان يباح له ما يفعله يباح له كلُ شّيء حتىّ المحرماتّ ، فقالوا بالإباحية في مقام العمل . وهذا نوع من التفويض .

وعندنا التفويض في العمل وهو أنّ الله سبحانه وتعالى فوّض أمر الخلق والرزق على نحو الاستقلال وبالذات إلى الأئمة (عليهم السلام) . هذا أيضاً تفويض من الغلاة ،وهو مردود ،وهو الغلو في الصفات ، إنمّا الخلق والرزق إذا نسُب إلى أهل البيت (عليهم السلام) بناءً على أنهّ نحن صنائع الله والخلق صنائعنا على نحو الطولية لا على نحو العرضية حتىّ يلزم الشركة

،والشرك هو أنّ شخصين يرفعان مثلا حجراً ثقيلا أحدهما في عرض الآخر على نحو الشركة ، الشركة إنمّا تكون على نحو العرضية ، أمّا إذا كان على نحو الطولية فلا يصدق عنوان الشرك ، فعليه ما تقوله المفوّضة باطل سواء المفوّضة الذين يقابلون الجبرية أو المفوّضة من الغلاة كلّ ما يقولونه فهو مردود وباطل عقلا كما هو ثابت في محلّه .





## نبذة من الروايات في الأمر بين الأمرين

لقد ورد في هذا الباب روايات عديدة أذكر لكم بعض الروايات من باب التيمّن والتبرّك ، روى الصدوق في التوحيد في باب نفي الجبر والتفويض الحديث السابع بسند صحيح عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال : ذكر عنده الجبر والتفويض فقال (عليه السلام) : «ألا أعطيكم في هذا أصلا لا تختلفون فيه ولا تخاصمون عليه أحداً إلاّ كسرتموه ؟

قلنا : إن رأيت ذلك .

فقال (عليه السلام) : إنّ الله عزّ وجلّ لم يطع بإكراه ولم يعص بغلبة ، ولم يمهل العباد في ملكه ، هو المالك لما ملكّهم . يعني نفى التفويض بهذه الكلمة القصيرة .والقادر على ما أقدرهم عليه ، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله منها صاداً ولا منها مانعاً ،وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه .

ثُمّ قال (عليه السلام) : من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه»[1] .

والإمام الصادق (عليه السلام) يمثّل لهذه الكلمات بمثال آخر على أنّه إذا رأيت شخصا يُذنب فنهيته عن الذنب إلا أنّه لم يرتدع وفعل الذنب ، ياترى هل لك دخل في فعل معصيته أو ليس لك دخل ؟ ليس لك دخل ، لكن مع ذلك لك دخل يعني في عين أنّه ليس لك دخل باعتبار هو الذي فعل المعصية وقد نهيته لك دخل باعتبار النهي الذي نهيته ، فالله سبحانه وتعالى يأمر العبد وينهاه بهذا المعنى ، فالفعل ينسب إلى العبد ولكن بحول الله وقوّته ،وهذا خير ما ورد في هذا الباب .

طبعاً مسألة الجبر والتفويض مسألة عويصة جداً حتىّ ورد في الأحاديث

1- التوحيد : 361 .



الشريفة أنّه بحر عميق[1] لا يغوصه إلاّ الأوحدي من الناس الذي يمكنه أن يصل إلى حقيقة الأمر بين الأمرين .

وخير مثال على ذلك ما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام) بالنسبة إلى نفي الجبر والتفويض أنّه عندما تقوم من السجدتين ماذا تقول في ذكر القيام من السجدتين ؟

تقول : بحول الله وقوّته أقوم وأقعد ، تنسب القيام إلى نفسك وإلى الله على نحو القوميّة .

فهذا أفضل جواب لنفي الجبر والتفويض وإثبات الأمر بين الأمرين ،وأنّه بحول الله وقوّته يعني القطر الكبير . في مثالنا

السابق الشكل المخروطي . بيد الله ، ولكن العمل في بدايته وعلى نحو المباشرة إنّما هو بيدي ، بحول الله وقوّته أقوم وأقعد ، فالقيام والقعود أنسبه إلى نفسي ، ولكن مع هذا هناك حول إلهي وفيض إلهي وقوّة إلهية هي التي تمدّني وتفيض عليّ ، فبحول الله وقوّته أقوم وأقعد .

هذا جواب من يقول بالجبر والتفويض ومن يؤمن بالأمر بين الأمرين بأنّ ما يفعله الإنسان في طول الله سبحانه وتعالى كالذّي يشعل الضوء مع الزر ، الإنسان والزر كلاهما يؤثران ولكن أحدهما في طول الآخر لا في عرض الآخر حتّى يلزم الشرك .

وقد ورد أيضاً في التوحيد عن الصادق (عليه السلام) أنّ الله عزّ وجل أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثمّ يعذّبهم عليها ، والله أعزّ من أن يريد أمراً نفي التفويض . فلا يكون .

فسُئل عليه السلام : هل بين الجبر والتفويض منزلة ؟

قال : نعم ، أوسع ما بين السماء والأرض [2] .

وفيه أيضاً عن محمّد بن عجلان قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : فوّض الله

---

1- التوحيد : 365 ، بحار الأنوار 5 : 57 ، 97 ، 110 ، 123 ، 66 : 136 ، 108 : 63 .
2- التوحيد : 360 .



الأمر إلى العباد ؟ قال (عليه السلام) : «الله أكرم من أن يفوّض إليهم» يعني له السلطة وله الملكية .

قلت : فأجبر الله العباد على أفعالهم .

فقال (عليه السلام) : الله أعدل من أن يجبر عبداً على فعل ثمّ يعذبّه عليه .





## إشكال وجواب

يا ترى هل هناك منافات بين العدل الإلهي والحرية الإلهية ؟ لا منافات بينهما ; لأنّ الله سبحانه وتعالى كتب على نفسه الرحمة ، يعني هو الذي قال بالعدالة لنفسه ، يعني كتب على نفسه العدالة ، فالله سبحانه وتعالى كتب على نفسه العدل في نطاق حريته ، يعني في عين أنّه حرّ هو عادل ، وفي عين أنهّ عادل هو حرّ ; لأنه هو الذي كتب على نفسه العدل ، هو الذي كتب على نفسه الحرية ، فلا منافات بين العدل الإلهي وبين الحرية الإلهية خلافاً للأشاعرة .





## عود على بدء

وفيه أيضاً عن الصادق (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «من زعم أنّ الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله تعالى ، ومن زعم أنّ الخير والشرّ بغير مشيئة الله فقد أخرج الله من سلطانه ، ومن زعم أنّ المعاصي بغير قوّة الله فقد كذب على الله»[1] .

وقال أبو عبد الله (عليه السلام) : أخبرني عمّا اختلف فيه من خلفّت من موالينا ، قال : قلت : في الجبر والتفويض ، قال : فسلني ، قلت : أجبر الله العباد على المعاصي ؟ قال : الله أقهر لهم من ذلك قال : قلت : ففوّض إليهم ؟ قال : الله أقدر عليهم من ذلك ، قال : قلت : فأيّ شيء هذا أصلحك الله ؟ قال : فقلّب يده مرتين أو ثلاثاً ، ثم قال : لو أجبتك فيه لكفرت[2] .

وهذا يدلّ على عمق الموضوع وخطورة هذا الموضوع ، وهناك روايات أُخرى في هذا الباب ، ومن أراد التفصيل فليراجع الكافي وبحار الأنوار وتوحيد الشيخ الصدوق ففيها باب كامل في نفي الجبر والتفويض ، كما أنّ كتب الأصول وعلماء الأصول يتعرّضون إلى مسألة الجبر والتفويض في بحث الإرادة والطلب من علم الأصول[3] ، فلا أطيل عليكم البحث وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا وإياكم لما فيه الخير والسعادة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

1- الكافي 1 : 158 ، ح 6 ، التوحيد : 359 ، بحار الأنوار 5 : 51 ، 108 : 62 .
2- التوحيد : 363 ، بحار الأنوار 5 : 53 .
3 - وقد كتبتُ في أيام شبابي تقريراً لشيخنا الأستاذ آية الله العظمى الشيخ فاضل اللنكراني عن الجبر والتفويض وطبع آنذاك سنة 1399 هـ بعنوان (الحق والحقيقة بين الجبر والتفويض) كما كتبتُ رسالة أخرى بعنوان (لمعة من الأفكار في الجبر والاختيار) ، وكانت مادة هذه المحاضرة آنذاك وهي مطبوعة في موسوعتنا الكبرى (رسالات إسلامية) المجلد الخامس عشر سنة 1420 هـ فراجع .





## الأسئلة والأجوبة

سؤال : تعرّضتم إلى أنّ بداية القول بالجبر والتفويض كان في صدر تاريخ الإسلام أو كما قال بها جهم بن صفوان أو المعلّم الأول أرسطو المهم أنهّا توليفة ، لكن لماذا لا نحاول أن نقرّب فنقول : إنه بداية التفكير الإنساني توجهتّ إلى أن هنالك شيئاً إما أن يكون جبراً أو يكون تفويضاً من بداية هذه التوليفة الكونية التي بدأت عندما يأتي الإنسان إلى هذه الأرض ، ألا يمكن أن نحاول أن نطرح تنظيراً جديداً إلى أنّ هنالك بداية غير هذه البداية الموجودة عند أرسطو وجهم بن صفوان بحيث يكون نفس التفكير الإنساني بغض النظر عن أن يكون فلان بادئ أو فلان بادئ هنالك تفكير إنساني مجرد عن كُلّ العقائد فكرّ بأنّ هنالك شيئاً إما أن يكون جبراً أو يكون تفويضاً ؟

سؤال ثان : ما هي العلاقة التي يمكن أن نتصوّرها بين نظرية الجبر وبين نظرية السنن الكونية والإنسانية ؟

سؤال ثالث : قد تستدل المجبرة بالحديث الذي نسلّم نحن به (تتبعون سنن من قبلكم . . . ) يعني توجد بعض الآيات والروايات يشم منها رائحة الجبر .

سؤال رابع : الروايات التي عندنا التي تنصّ على أنّ هذه الأمُة ستتبع بني إسرائيل وستفعل بالعترة كما فعلت بنو إسرائيل

ما هو تعليقكم عليها ؟

وهل أجبرت الأمّة على التوحيد والنبوة والطاعة والإمامة أم أرشدت ؟

الجواب : أمّا السؤال الأول : بأنّ المسألة ترجع إلى التفكير الإنساني صحيح كثير من هذه المسائل ترجع إلى التفكير الإنساني ، ولكن عندما نبحث عن مسألة كتدوين لهذه المسألة وكطرح دراسي وعلمي المسألة في دراسة أكاديمية بالخصوص فإنّه تطرح مثل هذه المسائل عند الفلاسفة ولاسيمّا في أكاديمية أرسطو ، باعتبار أنّ أرسطو وأفلاطون كانت عندهم في اليونان أكاديمية دراسية



يدخلون طلاب الفلسفة في تلك الأكاديمية ، فمثل هذه المسائل كطرح علمي وكتدوين لهذه المسألة ربما يُنسب إلى أرسطو ، وأمّا كتفكير إنساني ربما ترجع إلى الصدر الأول من الإنسانية إلى أولاد آدم مثلا ، وربما بعدما قتل قابيل هابيل ربما أولاد أولادهم يسألون أنّ ما فعله أبانا يا ترى كان عن جبر أو عن اختيار ؟ فربما أولاد قابيل أرادوا أن يطهّروا ساحة جدهّم ساحة أبيهم مثلا بقولهم بالجبر ، وأنّه لكي يتعلّم البشر كيف يدفن أخاه مثلا وما شابه ذلك ، ولكن كتدوين لهذه المسألة إنمّا ترجعها إلى أرسطو أو حوالي أرسطو والمدرسة الفلسفية التي كانت آنذاك .

وأمّا جواب السؤال الثاني : نحن ذكرنا على أنّ السنن الكونية كلُهاّ جبرية يعني الشمس تشع نورا وحرارة بالجبر ، الليل والنهار بحركة الكرة الأرضية بحركة وضعية ، الفصول الأربعة بحركة انتقالية حول الشمس ، وبعض الأمور الإنسانية إنّما تكون جبرية ، فإنّ التنفّس للإنسان إنمّا هو جبر وليس باختياره أن يتنفسّ أو لا يتنفسّ .

السائل : الحدود والقيود الإنسانية ؟

السيّد العلوي : لا أفهم معنى الحدود والقيود الإنسانية ماذا تقصد من ذلك مثلّ ؟

السائل : أقصد الإنسان كمجموعات الإنسان كبشر .

السيّد العلوي : إنمّا نبحث نحن في الجبر والاختيار فقط في دائرة أفعال الإنسان ، يعني أصل النزاع مع الجبريين والمفوّضة هو باعتبار أفعال الإنسان إنّ ما يفعله الإنسان يا ترى هل هو مجبور كما في هذا الكون كلهُ جبري أو ما يفعله على نحو الاختيار ؟

نحن نقول : الله سبحانه وتعالى مختار في فعله وليس مجبوراً ، والله سبحانه وتعالى يتجلّى في خلقه بأسمائه وصفاته ، ومن صفاته الاختيار ، فحينئذ أين الاختيار الإلهي ؟



أرونا ذلك أيّها الناس لا يوجد هذا الاختيار الإلهي إلاّ في الإنسان ، لذا تشرف خلق الإنسان على جميع الخلق وان الله تبارك وتعالى أحسن الخالقين في خلق الإنسان ; لأنّه جعله مختاراً وحراّ وهما أعظم حرية الإنسان ، وأما بقية الخلق لا اختيار لهم حتّى الحيوانات إذا كان عندهم اختيار فاختيار جزئي بسيط جداً ، وأماّ الاختيار الكلي والقوي إنماّ هو في الإنسان ، فعظمة

الإنسان باختياره ،وإلاّ إذا كان الإنسان مجبوراً في أفعاله إذن ما الفخر للإنسان على جميع المخلوقات ، لماذا تقولون الإنسان أشرف المخلوقات وليس الإنسان إلاّ كالعجلة التي تدور ؟ هذه العجلة تدور من دون اختيار ، كذلك الإنسان يدور من دون اختيار ، فحينئذ يلزم سلب كرامة الإنسان لو قلنا بالجبر وكذلك لو قلنا بالتفويض ، كرامة الإنسان إنّما هو في الأمر بين الأمرين ، فعليه فرق بين السنن الإلهية التكوينية والسنن الإلهية الإنسانية بصورة عامة وما يفعله الإنسان بصورة خاصّة ، فحديث الجبر والاختيار إنّما هو في فعل الإنسان .

وأمّا جواب السؤال الثالث : إنّ هذه الروايات تدلّ على أنّ هذه الأمة تفعل كما فعلت الأمم السالفة ، لكن لا تدل على أنهم يجبرون على هذا الفعل ، إنّما فعلوا ذلك باختيارهم ; لأنّهم أحبوا الدنيا أحبوا الجاه والمقام ، فانقلبوا على أعقابهم ، فالانقلاب على الأعقاب لم يكن جبرياً لهم ،وإلاّ لا نذمّهم إذا كان الانقلاب بعد رحلة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ [1] على نحو الجبر ، إذن لماذا نذمّهم ، ولماذا لا نقتدي بهم ؟ مع أنّهم مساكين ومجبورون على هذا الفعل .

فعليه إنّ ورد في الروايات بأنّه تدخلون كما تدخل الأمُم السابقة ولو دخلوا في جحر ضب لدخلتموه على نحو الاختيار لا على نحو الاضطرار والجبر .

وأمّا جواب السؤال الرابع : فإنّ الله سبحانه وتعالى هدى الناس كما

---

1- آل عمران : 144 .



ذكرنا : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [1] ، عندنا هداية تكوينية وهداية تشريعية ، فالثواب والعقاب إنّما هو باعتبار الهداية التشريعية ،وأمّا الهداية التكوينية : ﴿ خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [2] فهذه لكُلّ الخلق على نحو الجبر .

الهداية التكوينية إنّما تكون على نحو الجبر ،وأمّا الهداية التشريعية إنمّا تكون على نحو الاختيار ، فبما أن الهداية التشريعية اختيارية فعندئذ يترتب الثواب والعقاب ،والله سبحانه وتعالى إنّما أرسل الرسل وأنزل الكتب لتعريف الطريق ; لأنّ الله وان خلق الإنسان مختاراً لكن هداه النجدين ، فالإنسان هو الذي يختار إمّا أن يكون شاكراً لهذه الهداية بأن يفعل ما أمره الله وينتهي عمّا نهاه الله ،وإمّا أن يكون .والعياذ بالله . كافراً فيكفر بالله وبما أمر ، وذلك لان تركيبته من جسد ونفس ومن مراتب النفس أنّها تأمر بالسوء ، ولكن الله تعالى أعطاه العقل والحجّة الباطنية أيضاً وهذا كله لطف من الله سبحانه .

سؤال : سيّدنا أقول مثلا نفسي كنفس زيد ونفس زيد كنفسي فإذا قلنا بالاختيار لماذا زيد اختار العمل الصالح وأنا اخترت العمل غير الصالح ؟ هذا إذا لم نقل بأنّ للأفعال آثار ذاتية والذاتي لا يعلل .

الجواب : يكفيك جواباً بأنّ الله سبحانه وتعالى خالق وخلاّق وهذا الخلق لابد منه ، وكيفية الخلق تتجلى بالإنسان أيضاً ، فيكون الإنسان له قوة الخلق بمعنى أنّه ﴿ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ [3] ، فيكون الإنسان خلاّقاً وخالقاً أيضاً ،

وتصدر الأفعال بإرادته ، هذا لا شكّ فيه ; لأنّ الأفعال وليدة الإرادة الإنسانية ، فإذا أراد شيئاً يصدر منه الفعل ، هذه الإرادة من أين تأتي ؟ ليست من ذات الإنسان ، إنّما تأتيه من خلال المقدّمات ، كتصورّ الفعل والتصديق بالفائدة

---

1- البلد : 10 .
2- الأعلى : 2 ـ 3 .
3- الواقعة : 59 .



والشوق ثُمّ الشوق الموكدّ المحركّ للعضلات نحو العمل كما في علم الأصول ، فعندئذ زيد يتصورّ الفعل فيجده حسنا ويتّبعه إلاّ أنّ عمرو يتصورّ الفعل ويجده غير حسن فلا يتبعه . هذا التصوير من أين يأتي ؟

هذا من خلق الإنسان الإنسان هو بنفسه يخلق هذا الشيء ، لأنّه له قوة خلاقّة فيخلق هذا المعنى فيخلق الإرادة في نفسه ، ولا يتنافى بين أن يكون الإنسان مختاراً وأن يكون له هذه القوة الخلاقّة ، وقد ذكرت تفصيل ذلك في كتاب الحق والحقيقة بين الجبر والتفويض ، كما ذكرت الآيات والروايات بالتفصيل ، فمن أراد فعليه بالمراجعة ، فالإنسان حينئذ يكون مختاراً وباختياره يسير فمنهم من يختار طريق الخير ، ومنهم من يختار طريق الشر .

السائل : تصوّر الإنسان للفعل القبيح أو الحسن من الخلقة ؟

الجواب : لا ، إنّه من القوة الخلاقّة وليس من خلقته .

السائل : الإنسان هو ممكن الوجود أو لا ؟ إذا كان ممكن نقول لماذا ؟

الجواب : لا ، إنّما يكون من خلاقّيته يعني له خلاقّية لكي يخلق هذه الإرادة في نفسه بأنه يريد شيئا بعدما يتصور الشيء ويصدّق بفائدته لا أنّه يرجع إلى أمر ذاتي وأن الذاتي لا يعلل كما عند صاحب الكفاية .

السائل : يعني هذا التصوّر كان ممكناً وليس واجباً .

الجواب : كُلّ ما يفعله الإنسان إنمّا هو ممكن ; لأن نّفس الإنسان ممكن .

السائل : لماذا تصوّرت أنا الفعل القبيح والشخص الآخر تصورّ العمل الحسن ؟

الجواب : هذا تابع لتصوّر الإنسان تابع للإنسان ، الإنسان باختياره أن يتصورّ هذا التصورّ وباختياره أن لا يتصورّ هذا التصوّر .

السائل : ما معنى الاختيار ؟

الجواب : معناه إن شاء فعل وإن شاء ترك .



السائل : هذا دور .

الجواب : فليلزم حينئذ الدور ، إلاّ أنّه يردّه أن الدور بالإجمال والتفصيل ، كما يقال : الإنسان حيوان ناطق والحيوان الناطق إنسان فهذا دور إلاّ أنّه يجاب بالإجمال والتفصيل ، فإن الإنسان مجمل وتفصيله حيوان ناطق ، وكذلك ما نحن فيه

يجاب بالإجمال والتفصيل فنقول : الإنسان مختار لماذا ؟ لأنّه إن شاء فعل وإن شاء ترك ، والإنسان له هذا الاختيار ، فإنّه إن شاء يفعل وإن شاء يترك ، فافعل ما شئت أو اترك . وسوف نجدكم في موعد آخر إن شاء الله على خير وبركة وعافية .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمدّ وآله الطيبين الطاهرين .



# ( 49 ) نظرية الإمامة الإلهية بعد النبي (صلى الله عليه وآله)

السيّد سامي البدري





بسم الله الرحمن الرحيم

**تمهيد :**

الحمد للّه ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمدّ وآله الطيبين الطاهرين .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هوى وغرق»[1] .

أهل البيت (عليهم السلام) يستمدّون هذا الموقع الذي بيّنه لهم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) من حقيقة كونهم أوصياءً له (صلى الله عليه وآله وسلم) هؤلاء الأوصياء يقومون بدور هو عين دور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولو كان الله سبحانه وتعالى قدّر للنبوة المؤسسة أن تستمر لاستمرت عبر هؤلاء الأوصياء أوصياء هذا النبي المؤسس ، النبي المؤسس هو صاحب الكتاب والشريعة التي تنسخ الكتاب الذي قبله والنبي المؤسس صاحب الكتاب لايتّسع عمره الاعتيادي لكي يبلّغ كلّ ما أوحى له الله تعالى من علم الكتاب ، لكن تفصيل هذا الكتاب بحاجة إلى عمر أطول ، وظهور الوقائع والأحوال تعوّض الكتاب وسنّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى التحريف والضياع ، فتحتاج إلى حافظ لها بمستوى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بحجّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ومن هنا كان تقدير الله تعالى باعتبار أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له عمر محدود أن يكون له أوصياء يقومون بهذا الدور ، وبالتالي النبي المؤسس وأوصيائه يطرحون من قبل الله تعالى على أنّهم حقيقة واحدة ، أثرها أثر الشخص الواحد .

ومن هنا من أنكر واحداً من هؤلاء الأوصياء أنكر كلّ الأوصياء ، ومن أنكر الوصي نفسه كأنه أنكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولكن الشريعة فرّقت بين من ينكر الوصي

1- وسائل الشيعة 18 : 19 ، المعجم الأوسط 5 : 306 ، الكامل 4 : 198 ، وغيرها كثير .

ويعترف بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنّه يبقى في دائرة الإسلام له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، ولكن له حساب خاصّ يوم القيامة ; لأنّ الحساب في ذلك اليوم يترتبّ على الإيمان بمجموع هذه الحقيقة ، والمطروح في القرآن الكريم هو أن يؤمن الناس بكُلّ الأنبياء لا يفرّقوا بين أحد من رسله ، فكما أن الأنبياء أطروحة واحدة تبدأ بآدم (عليه السلام) وتنتهي بالخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كذلك الأوصياء الذين يرتبطون بهذا النبي المؤسس لا ينفكون عنه .

فإذاً قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا . .» يريد أن يبيّن أنّ الحركة بعده ينبغي أن يكون عنوانها الإلهي هو أهل البيت (عليهم السلام) ، ومن أراد أن يكون وفيّاً لعهوده مع الله تعالى ومع رسوله لابدّ أن يكون وفيّاً مع أهل بيت النبي مع أوصياء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والنجاة لا تحصل إلا بهذا الوفاء إلا بالإرتباط بأهل البيت (عليهم السلام) . والقرآن الكريم في مواضع كثيرة أنذر بعذاب شامل يستوعب البشرية ، وهذا العذاب الشامل هذا الهلاك الشامل مقرون بالضلال ، والضلال في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يشمل من لم يؤمن برسول الله من لم يؤمن بالنبي وكتابه ، ولكن يتصوّر الكثير من المسلمين أنّ هذه الحقيقة تقف عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقط ، وأنّ الضلالة والهدى محورها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لكن في الحديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه بيّن أنّ محور الضلالة مستمر بعده ، ومحوره أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : «إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً»[1] ، فإذاً هناك ضلال وهدى والضلال مستمر بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والعذاب الذي يقع بالضالين المكذّبين بالمستقبل سينجوا منه من ركب سفينة أهل البيت (عليهم السلام) ، إذاً يتمتعون بهذا الموقع الخطير جدّاً ، يعني في الدنيا في واقع الأمر الضلالة والهدى مرتبطة بهم ، وأنّ النجاة والهلاك في مستقبل الأيّام من هذا العذاب الشامل أيضاً مرتبط بهم .

---

1 - وسائل الشيعة 18 : 151 ، بحار الأنوار 21 : 387 ، 23 : 95 ، 118 ، 132 ، 133 ، 134 ، 155 ، 29 : 340 سنن الترمذي 5 : 329 ، مجمع الزوائد 3 : 267 ، وغيرها كثير فالحديث متواتر .



طبعاً مسألة العذاب الشامل مع الأسف لم تسلّط عليها الأضواء كثيراً ، أشير إلى آية واحدة : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾[1] ، وكأنّ الآية توصي وتشير إلى أنّ هذا العذاب الذي أنذر به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا العذاب الشامل ليس عذاباً قرشياً بالنسبة لقريش وأمثال قريش ، صحيح هم نالهم شيء من العذاب الجزئي في حروب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحروب أمير المومنين (عليه السلام) ، لكن هذه الآية لا تشير إلى هذا العذاب ، الآية تشير إلى عذاب شامل ، وهو موضوع جميل ومهم وخطير في القرآن الكريم .

النبي نذير مبين مثل نوح (عليه السلام) ، والشيء الجميل أنّ هذه الصفة (النذير المبين) وردت في القرآن الكريم لنوح (عليه السلام) وللنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)[2] ، ونوح (عليه السلام) أنذر بعذاب وتحقق بعد ألف سنة ، وهذا

العذاب أيضاً الذي أنذر به النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أيضاً عذاب يتحقق بعد مدةّ ،وألمح إلى أنه بعد الألف وعده سوف يتحقّق في وقتنا ، فإذاً أهل البيت (عليهم السلام) مطروحون إلى جنب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كسفينة نجاة للبشرية جميعاً .

والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي بلّغ به الأنبياء السابقون بشّر به الأنبياء السابقون أممهم ذكروا أيضا أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

إنّ البشرية في مستقبل أيامها لن ينجيها إلاّ الإيمان بمحمدّ وأهل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المحور لحركة النبوّات ،وهو المحور أيضاً للضلالة والهدى هذا لا كلام عليه ، الكلُ يّعترفون بذلك وأما أهل بيته هم محور الهدى والضلال في هذه الدنيا لكُلّ البشرية بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، الثواب والعقاب في الآخرة هذا أمر خطير والإمامة المطروحة بهذا العمق إمامة أهل البيت ليست مسألة حقّ

---

1- الحج : 47 .
2 - انظر الأعراف : 184 ، هود : 25 ، الحج : 49 ، الشعراء 114 ، العنكبوت : 50 ، سورة ص : 70 ، الأحقاف : 9 ، الذاريات : 50 و51 ، الملك : 26 ، نوح : 2 .



وحكم في قبال من اغتصب حقّهم ، مسألة الحكم في جنب حق أهل البيت (عليهم السلام) ومتولة أهل البيت (عليهم السلام) أمر ضئيل جدّاً وصغير جداّ عًلى أهمية الحكومة في الإسلام ، المسألة أعظم من ذلك وأكبر من ذلك ، مثل هذه المسألة الخطوة لابدّ أن تكون أدلتّها بمستواها أيضا ًوالإ لّا تكون الحجة متكافئة لا يكون الدليل متكافىء مع خطورة المسألة وأهمية المسألة .



## الأدلة على مقام أهل البيت (عليهم السلام)

الباحث يجد الأدلّة على مقام أهل البيت (عليهم السلام) متكافئة لمستوى مقامهم الخطير ، هناك آفاق من البحث أو أصعدة من البحث أنا شخصياً عنونتها بخمسة أصعدة كُلّ صعيد ينهض بشكل مستقل للكشف عن خطورة موقع أهل البيت (عليهم السلام) أو عن كون أهل البيت (عليهم السلام) وإمامتهم موقع إلهي ، هذه الآفاق أذكرها سريعاً .





## الأُفق الأوّل : الأفق القرآني

القرآن بنفسه منهج ينهض بإثبات إمامة أهل البيت (عليهم السلام) ،وإلى ذلك أشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى هذا المنهج : «من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب الفتن»[1] ، وفي رواية أخرى : «لو قُرئ القرآن كما أُنزل لألفيتنا فيه[2]

مسمّين» .

طبعاً قد يتصوّر البعض أنّ القرآن فيه أسماء الأئمة ثم حذفت لا ليس هذا المقصود ; لأن القرآن محفوظ من الزيادة والنقيصة وهذا من خصائصه ،وإنّما أراد الإمام (عليه السلام) الإشارة إلى أنّ أمرنا واضح في هذا القرآن الكريم من خلال خصائص ومواصفات ومعلومات لا تنطبق بالواقع التاريخي إلاّ على هذا البيت وإلاّ على هذا العدد .

---

1- الكافي 1 : 7 ، بحار الأنوار 89 : 115 ، تفسير العياشي 1 : 13 .
2- تفسير العياشي 1 : 13 ، بحار الأنوار 89 : 55 ، 74 ، 115 .

## الأُفق الثاني : أفق الحديث السنّي

الحديث النبوي المروي في كتب أهل السنة ،وهذا المنهج كتبت فيه آلاف الكتب من قبل شيعة أهل البيت (عليهم السلام) خلال هذه العشرة قرون أو أكثر من نشاطهم في سبيل نشر وتثبيت هذه المدرسة وهذه الإمامة ، ونعتمد هنا في الاستدلال على الحديث المروي في الكتب السنيّة ولا نستعين بحديث شيعي ،وإنّما يسأل السنيّ ما هو مصدرك المعتبر في الحديث وننطلق منه لنثبت هذه القضيّة الخطيرة والكبيرة .

الصفحة 122

الصفحة 123

## الأفق الثالث : اتّحاد حديثهم

وهناك مستوى آخر من البحث هو أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) أنفسهم ، هذا مستوى من البحث نجد فيه الحديث عن إمامة أهل البيت (عليهم السلام) بشكل لا نجده في الأُفقين الآخرين ; لأنّ الأئمة بما هم يتحدثّون عن أنفسهم وعن نواتهم وعن مقامهم يشكّل هذا التراث بنفسه قرينة ، بل دليلاً على أنّ هؤلاء الذين يصدر منهم الكلام وهذا الحديث وهذا المضمون المتناسق خلال مائتي سنة أو مائتين وخمسين سنة هذه الظاهرة لا يمكن أن تكون ظاهرة اعتباطية ; لأنّ الفقهاء إذا أردنا أن ننظر إليهم كفقهاء ، الفقيه بنفسه أحياناً في فتواه يتغيّر رأيه بين فترة وأُخرى بلحاظ الدليل أو وضوح أمور معينة توفر قرائن جديدة أما هؤلاء فهم مدرسة واحدة ، حديث الأوّل هو حديث الأخير وحديث الأخير هو حديث الأول انسجام عجيب .

الصفحة 124

الصفحة 125

## الأفق الرابع : ذكرهم في الكتب السابقة

وهنا يستوون مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، القرآن الكريم يحتجّ على قريش بوجود ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في كتب اليهود والنصارى ، ويحتجّ أيضاً عليهم بعلماء اليهود والنصارى ، يقول : اذهبوا اسألوهم ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [1] اسألوا بني إسرائيل سيحدّثونكم عن شخص يبعث في مكّة هذه مواصفاته ، نفس هذه الصراحة وهذا الوضوح نجده لأهل البيت (عليهم السلام) ، لكن في هذا الباب دراسات غير متكاملة ، أهل البيت (عليهم السلام) أيضاً أشاروا إلى هذا ، أهل البيت (عليهم السلام) من صفاتهم وخصائص تراثهم أنّهم يعطون مفاتيح إشارات قد الناس الذين في زمانهم لا يستفيدون من هذه الإشارات لأنّهم غير مبتلين بذلك ولكن يبقى هذا التراث مؤثّر وهذه المفاتيح محفوظة إلى أن يأتي الزمان الذي يستفيد الناس من تلك المفاتيح ، وفي قوله تعالى ﴿ يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾ [2] ، الإمام الصادق (عليه السلام) يقول : يجدونه مكتوباً عندهم ، الوصي مكتوب عندهم ،والقائم أيضاً مكتوب عندهم ،

وأيضاً في الحوارات التي جرت بين الإمام الرضا (عليه السلام) ورؤساء الأديان والمذاهب في عصر المأمون العباسي إشارات في هذا الباب[3] .

هذا أفق آخر يستطيع الباحث هنا أن يواجه اليهود والنصارى بهذه المواجهة ويقول لهم : بيني وبينكم كتبكم المتداولة فعلاً ولا يحيلهم إلى كتب سابقة أو كتب غير موجودة أو كتب غير معترف بها ، مثلاً «إنجيل برنابا» كتاب غير معترف به من

1- الشعراء : 197 .
2- الأعراف : 157 .
3- الأمالي للشيخ الصدوق : 259 ، بحار الأنوار 9 : 298 ، 13 : 331 ، 37 : 36 ، 49 : 73 .



اليهود والنصارى والذات يقولون : إنّ هذا الكتاب ظهر في القرن السابع الميلادي ولغته لغة إيطالية نحن لا نعترف به . أنت كمحاور نحن كمحاورين معهم لا ينبغي أن ننطلق من إنجيل برنابا ينبغي أن ننطلق من الأناجيل المعتمدة عندهم والمعترفة عندهم وأيضاً من خلال تجاربي أقول : إنّ الباحث يستطيع أن يقول لهم : هاتوا كتبكم هذه المعترفة لأثبت لكم نبوّة النبي الأكرم وإمامة أهل بيته الاثني عشر (عليهم السلام) . هذا أفق قوي ومتين .



## الأفق الخامس : الأفق التاريخي

لو انفتحنا على الواقع التاريخي بحيادية وبأمانة ، وتواجه ظاهرة النبوّة الخاتمة من خلال كتب السيرة والتاريخ والواقع التاريخي الذي حصل بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مائتين سنة هذا الواقع مبسوط بين أيدينا نعلم أنّه صار هناك انقسام إلى خطين بارزين كبيرين ، خط يعتمد على الصحابة كنقلة وأمناء لتراث النبوّة الخاتمة للسنّة النبوية ، يعتمدونهم ويعتبرونهم أنّهم امتداد لتراث النبوّة ولولاهم لضاع الدين .

وهناك خط يتمثّل بشيعة أهل البيت (عليهم السلام) يرفعون شعار أنّه لو لا أهل البيت (عليهم السلام) لضاعت سنّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه مسألة نفحصها تاريخياً ونجد التاريخ نفسه سوف يفرز من الذي ضيّع سنّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن الذي حفظها ، وبالتالي إذا أردنا أن نبحث عن أناس حفظوا سنّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نجد علياً والحسن والحسين وعلي بن الحسين وبقية الأئمّة من ذرية الحسين(عليهم السلام) لهم ميزة واضحة في سيرتهم وفي تاريخهم وهو أنّهم حفظوا السنّة ونشروا سنّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قبال غيرهم ممن ضيّعوا السنّة وكتموا السنّة وحرفوا السنة وأضافوا إلى السنة ما ليس منها .

هذه الآفاق كُلّ أفقٍ منها بحاجة إلى بحث تفصيلي في زماننا باعتبار أن هذا الزمان بعد أحد عشر قرناً من الغيبة من حركة أهل البيت (عليهم السلام) حقيقة تاريخية ناجزة هذه الحركة المنجزة حين ندرسها اليوم من خلال هذه الآفاق الخمسة نجدها غضّة طريّة بشكل عجيب وبهذه الأطروحة أطروحة إمامة أهل البيت (عليهم السلام) يتحول القرآن إلى غض طري .

لماذا القرآن الكريم كتاب خالد في قبال التوراة ؟ وكتاب موسى (عليه السلام) أيضاً كان كتاباً خالداً لأوسع من زمان موسى

عشر قبل الميلاد وأريد لكتاب موسى (عليه السلام) أن يستمر بعده إلى أربعة عشر قرناً وإلى ما بعد عيسى (عليه السلام) أيضاً ستة قرون ما نسخ كتاب موسى (عليه السلام) ،وأريد لهذا الكتاب أن يستمر إلى عشرين قرناً .

هذا الكتاب من الحقائق البارزة فيه أنّه يخبر عن المغيبّات المستقبلية التي تواجه بني إسرائيل بعد موسى (عليه السلام) ، لماذا هذا الاختيار ؟

هذا الاختيار مهم في الكتاب الإلهي من أجل أن يكون علامة أنّ هذا الكتاب كتاب إلهي .

وأيضاً أن يكون غضّ وطريا فَي المجتمع باعتباره دائما ينظر إلى حوادث كبيرة في تاريخهم فيرجعون إلى الكتاب ويستفيدون منه ، فإذا كان كتاب موسى (عليه السلام) وهو كتاب ما قدّر الله له أن يستمر خالداً إلى أبد الدنيا في هذه الصفة القرآن الكريم الذي قدّر الله له أن يكون خالداً إلى آخر الدنيا وناسخا لّلكتب ولا يأتي كتاب آخر ينسخه يخلو من هذه الصفة ؟ !

قطعاً لا ، ومعروف أنّه هناك دراسات في ملاحم القرآن ، القرآن فيه ملاحم ، لكن هذه الملاحم أو هذا النوع من الدراسة للقرآن الكريم حين نعزله من المغيّبات من المستقبل وحين نعزله عن حركة أهل البيت (عليهم السلام) تكون الملاحم جداً قّليلة وضعيفة .

أمّا إذا كان القرآن مع أهل البيت (عليهم السلام) هذه حقيقة مطروحة وقد أخبر كما يتّضح من خلال الإثارات ومن خلال الدراسات بحوادث ترتبط بسير هؤلاء العظماء ، هؤلاء الأئمّة (عليهم السلام) ، قتل الإمام الحسين (عليه السلام) ذنب عظيم ، أمر خطير في تاريخ الأُمّة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أمةُ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تقتل أحد الخمسة من أهل الكساء ، أحد أهل البيت (عليهم السلام) الذين نزل فيهم بشكل صريح أنّه تقتله الأمّة ،وهذا القرآن الكريم ما تركه دون أن يشير إليه .

والمهدي (عليه السلام) إمام يغيب اثني عشر قرناً أو أكثر ظاهرة فريدة في تاريخ هذه الأمّة وتترك عبثاً وهكذا .



أقول : في أُطروحة التشيّع وامامة أهل البيت (عليهم السلام) بصفتهم شهداء على الناس بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبصفتهم محور الهدى والضلال بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبصفتهم محور النجاة ، القرآن الكريم اهتم بهم وعنى بهم عناية خاصّة ، وتراثنا التفسيري تراث أهل البيت (عليهم السلام) التفسيري تراث كبير جداً ، روايات كثيرة جداً ، التراث يؤكّد على هذه الظاهرة تأكيداً واضحاً ، لكن لحد الآن لا نملك دراسات في هذا السبيل ليكتشف هذا الكنز . ونحن مبتلون به ، وذلك لأنّ الخصم بدأ يسلّط الأضواء على تراثنا ، التراث الشيعي ،وانفتح عليه انفتاحا تّاماً ،وبدأ يهاجمنا من خلال هذا التراث ، وبالتالي نحن ابتلينا بأمر لابدّ أن نعدّ له العدةّ ، العدةّ ستكون دراسات هي لصالح هذا الخط لصالح هذه المدرسة ،ولا سيما كما يظن هؤلاء أنّهم وضعوا أصابعهم وأيديهم على ثغرات هذا التراث ، يعني ببساطة يقول السالوس الذي

هو اليوم خليفة إحسان إلهي ظهير في كتبه ضدّ الشيعة ، عنده كتاب عن التفسير عند الشيعة ، ودرس كتاب تفسير علي بن إبراهيم ونور الثقلين وكتب التفسير الأخرى قال : الشيعة حوّلوا كتاب الله إلى كتاب مذهبي ، فيجعلوه في أئمتهم وأغلب آياته في أئمّتهم[1] ، وفعلاً الإنسان حينما يقرأ ويفتح تفسير علي بن إبراهيم أو يفتح تفسير نور الثقلين أو تفسير البرهان يجد القرآن كأنّه كلّه في أهل البيت (عليهم السلام) يتصورّ فعلا أنّه وضع يده على ثروة كبيرة جدا في تراث الشيعة ، حين ندرس سنكتشف أنّ هذا التراث يقوم على نظرية ، والنظرية يفصح عنها القرآن الكريم بكلّ وضوح ، الأمر الذي يدعونا أن نعلن منهج إمامة أهل البيت (عليهم السلام) ، البحث في إمامة أهل البيت (عليهم السلام) على أساس القرآن ، القرآن يدعو إليهم كما يدعو إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، نقولها بكُلّ وضوح وبصراحة إن شاء الله نعرض إثارات ونكات في هذا المنهج .

1- انظر كتابه (عقيدة الإمامة عند الشيعة الاثنا عشرية) : 41 ـ 104 .



طبعاً الموضوع لم يمهدّ له سابقاً ، وعلماؤنا كتبوا في المنهج الحديثي في المنهج العقلي في مسألة الإمامة وبقي المنهج القرآني شبه مجمّد باعتبار عدم وجود داعي له . طبيعة الفكر في عصر الغيبة فكر يرتبط بالحاجة ، كانت الحاجة إلى فقيه فرّع في المسائل الفقهية ، ولذلك الشيعة يمتلكون اليوم تراثاً فقهياً رائعاً جداً ، وما كان هناك ابتلاء في الموضوع لإثبات الإمامة من القرآن الكريم ، ولذلك لم تكن هناك دراسات تفصيلية بهذا الشأن ، هناك إشارات في الأحاديث إشارات في بعض الكتب ، لكنّها كتجربة مفصلة وكمنهج مبينّ لم تتيسر لنا التجارب ، التجارب قليلة ، ولذلك نحن ندخل أو نرتاد حقلا غير ممهدّ ، ومن هنا المداخل متعددة أمام الباحث .



## سورة الواقعة كمدخل لمعرفة أهل البيت (عليهم السلام)

أنا اخترت في حديثي سورة أتحدّث من خلالها ، وهو منهج من المناهج أو أُسلوب من أساليب عرض البحث ، نستطيع في كُلّ سورة من هذه السور أن نكتشف مفتاح يقودنا أو يفتحنا على إمامة أهل البيت (عليهم السلام) ، اخترت سورة الواقعة في حديثي اليوم وكان ينبغي أن أختار سورة الحمد باعتبارها السورة التي يقرأها كُلّ مسلم في صلاته يومياً ، ولكن اخترتها موضوعاً لحديثي في إحدى المساجد ولذا أقرأ المقاطع الأُولى من سورة الواقعة : ﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ، إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * إذا رجّت الأرض رجّا * وبست الجبال بسّا * فكانت هباء منبثّا * وكنتم أزواجا ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم * ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين ﴾[1] .

هذا مقطع فيه مفتاح مهمّ للحديث عن أهل البيت (عليهم السلام) ، نلاحظ أنّ الآيات الكريمة قسمّت الناس إلى ثلاثة أصناف

، هؤلاء الناس ليسوا في حقبة زمنية معيّنة ، بل منذ بدأهم إلى منتهاهم البشرية ككلٍّ قسمتّ إلى ثلاثة أصناف : السابقين من عباد الله ،وأصحاب اليمين ،وأصحاب الشمال ، ويبدو أنّ هذا التقسيم الثلاثي الهدف منه إبراز مكانة السابقين من عباد الله ، ذلك التقسيم هو ثنائي ، يعني عندنا هدى وضلال ،وأهل هدى وأهل ضلال ،وعندنا أيضاً جنّة ونار ،وأصحاب الهدى يثيبهم الله تعالى في جنّته ويتنعّمون فيها ،وأهل الضلالة يعذبّهم الله تعالى فيها .

هذا التقسيم الثلاثي الهدف منه إبراز دور السابقين من عباد الله .

---

1- الواقعة : 1 ـ 14 .



إنّ انقسام الناس إلى أهل يمين وإلى أهل شمال إنمّا بفعل موقفهم من هؤلاء السابقين .

ومن أجل أن يتّضح هذا الأمر لابدّ أن نتناول ست مسائل :

المسألة الأولى : ما الذي تعنيه كلمة السابق والمقرّب في اللغة ؟ وما هي الألفاظ الأخرى التي ترتبط بها على سبيل الترادف أو على سبيل الملازمة العرفية ؟

المسألة الثانية : ما هو المقام التفصيلي الذي بيّنه القرآن الكريم للسابقين المقرّبين ؟

المسألة الثالثة : ما هي العلاقة بين السابقين المقرّبين والصنفين الآخرين ؟

المسألة الرابعة : ما الذي تعنيه كلمة الأوّلين والآخرين ؟

المسألة الخامسة : من هم السابقون المقرّبون من الأوّلين ؟

المسألة السادسة : من هم السابقون المقرّبون من الآخرين ؟

أتعرّض إلى هذه المسائل بشكل موجز :



## المسألة الأولى : معنى السابق والمقرّب :

السابق في اللغة يقال : سبقه في الحلبة ، أي : إذا جلى ، وتسمية العرب الفرس السابق المجلّي ، وتسمية الفرس الثاني عادة المصلّي ، الأول هو أولّ ولكن لا تنقطع سلسلة الخيل به ،وانما يأتي بعده ثان وثالث ورابع ، العرب عنيت بالثاني فسمته مصلّي ، وسُميّ مصلياً ، لأن رأسه يأتي بظهر المجلي وبظهر السابق يقفوا أثره فكذلك عندنا مجلي وعندنا مصلي ، عندنا سابق وعندنا لاحق ، هذه الملازمة عرفية ، يعني العرف اللغوي يربط بين المجلّي وبين المصلّي [1] .

وأمّا بالنسبة للمقرّب في لغة العرب تسميّ جليس الملك الخاص بالقربان ، فقربان الملك يعني جليس الملك ، خاصة الملك من جلسائه ،وأيضاً تسمّي الفرس التي تدنُى وتقربّ وتكرموّ لا تترك ويعتنى بها عناية خاصة بالمقربة أو المقرب وفي القرآن الكريم ورد هذا المعنى أنّ جليس الملك هو مقرّب في قوله تعالى كما في قصة السحرة مع فرعون : ﴿ وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ [2]

﴿ قَالُوا إِنْ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ، يعني أتّخذكم جلسائي وخاصتّي ، والمقرّب للملك يردفه المخلص والصفي والمصطفى ، وفي قصّة يوسف إشارة أيضاً إلى هذا اللفظ .

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ [3] فإذاً يوسف (عليه السلام) خليص للملك مخلص للملك ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [4] هذا

---

1- انظر لسان العرب 2 : 123 ، 11 :519 .
2- الأعراف : 113 ـ 114 .
3- يوسف : 54 .
4- يوسف : 54 .



المخلص يمكن أن يكون أميناً على الأسوار ، فإذاً خليص الملك هو جليسه وخاصتّه الذي يطلع على الظاهر والباطن من أمر الملك ، ومنه نفهم أنّ خليص الملك مرادف لقربان الملك ، وكلاهما يعني قرين أو جليس الملك الخاص .

طبعاً هذه المنزلة للشخص من الملك لا يمكن أن يحصل عليها من دون إذن خاص من الملك يعني هو مؤهل للقرب ، لكن هذه الواقعية لا تحصل أو هذه العقلية لا تحصل إلاّ أن يأذن له ويصرّح له الملك أنهّ آتوني بفلان أستخلصه لنفسي وأقرّبهّ مني ، وأيضاً منه نفهم أنّ جليس الملك يكون من ذوي النعمة الخاصة ; لأن هّذا التقريب فيه نوع من الإنعام ، ينعم عليه بأن قربهّ ومكّنه وفتح له عن أسراره ، وينعم عليه بأن مكنّه من كلّ قّدراته .



## المسألة الثانية : المقام التفصيلي للسابقين والمقرّبين

أصفياء الله تعالى في القرآن الكريم من هم ؟

أصفياء الله تعالى هم المقرّبون الذين استخلصهم لنفسه ، والآية الكريمة أشارت إلى أنّ لله عبادا سبقوا غيرهم بإذن الله تعالى وقرّبهم الله تعالى منه بإذنه ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [1] ، وأيضاً في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا ﴾ [2] ، صنفان من المقرّبين ممن أنعم الله عليهم : نبيوّن وممن هدى واجتبى ، والقرآن الكريم أخبرنا عن هؤلاء المخلصين وأنّ إبليس صرّح باستثنائهم من الإغواء في حوار بينه وبين الله تعالى ، كما يقصّه علينا : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ

الْمُخْلَصِين ﴾ [3] .

1- الواقعة : 10 ـ 11 .
2- مريم : 58 .
3- الحجر : 28 ـ 40 .



المقطع بصورته في فترة مبكرة جدّاً من الخلقة يعني قبل الخلقة وعند الخلقة يعني البشرية ككل ، أي : هذا المخلوق آدم (عليه السلام) وذريته إلى آخر الدنيا فيهم صنف مخلص ، هذا الصنف المخلص إبليس يصرّح أنّه يستثنيهم من حالة الإغواء ، وذلك لأنّه يئس منهم ، هو يتعرّض لهم ولكنه ييئس من استجابتهم ،واذا يئس من استجابتهم يحولّ جهده إلى حقل آخر .



## المسألة الثالثة : العلاقة بين السابقين

## والمقرّبين والصنفين الآخرين

الذي تعرف عليه الناس أنّ جليس الملك وجليس الرئيس هو الأول في المجتمع ،وهذا الجليس هذا الصفي المقرّب الذي لديه حظوة ونعمة له حرمة خاصّة وبالتالي لكلامه أثر وبالتالي يهرع الناس إلى هذا الجليس أو إلى هذا الصنف ليستشفعوا به .

وهذه حقيقة تاريخية لا يستثنى منها صنف من أصناف المجتمع وهي أنّ للمقرّبين من السلطة حرمة خاصة وبالتالي لهم حرمة للاستشفاع ووسيلة للتجاوز عن بعض القضايا التي تحصل أو كسب مغانم معيّنة بواسطتهم .

والقرآن الكريم يشير في قصّة يوسف (عليه السلام) إلى هذا المعنى أنّ الخليص له مكانة خاصة ، ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [1] ، أنت الآن أيّ شيء تقوله نحن حاضرون بتنفيذه .

هناك سؤال : هو هل أنّ عند الله مخلصين ومقرّبين ؟ هل أثبت القرآن وجود خلفاء لله أصفياء لله لهم هذه الحرمة الخاصة ، لهم هذه الشفاعة الخاصّة التي هي مسألة متعارفة ؟

طبعاً الجواب هو الإيجاب ، القرآن الكريم يتحدّث عن هؤلاء : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا * لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ [2] .

فإذن الشفاعة ممكنة ومحققة لمن عهد الله له بها ، الوفد هنا مهمّ في الآية ، في اللغة الوفد من أوفد الشيء ، أي :رفعه ، وافد هو ، أي : ارتفع ، وتوفدت الإبل

1- يوسف : 54 .
2- مريم : 85 ـ 87 .

والطّير ، أي : تسابقت وتقصد أن تكون هي السابقة هي المقدّمة . وأيضا الوفد : ذروة الحبل من الرمل المشوف بالصحراء يصير حبال من الرمال تعلو . ووفد الناس خيارهم وكرامهم الذين يذبّون عن قومهم في قضاياهم [1] .

فإذن هؤلاء ليسوا كُلّ المتقين ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ ليسوا كُلّ المتقين كلُ المؤمنين ، المتقون في القرآن الكريم المسلمون في القرآن الكريم يريد به فئة خاصّة من الناس .

فإذن هؤلاء المتقون في الآية هم الذين رفعهم الله خاصّة جعلهم سابقين بإذنه ، كيف ؟ ! عندنا شاهد آخر يؤيّد هذا في سورة الأعراف : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [2] ، فهنا أصحاب الأعراف أُناس فئة معيّنة من المؤمنين متمكّنين يخاطبون أصحاب النار بخطاب معين : ﴿ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ [3] ، يقولون هم : ﴿ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ [4] .

فإذن هذا المقطع يؤكّد وجود فئة ، وجود شفعاء في ذلك الموقف العظيم .

الأعراف جمع عرف وهو كُلّ عال مرتفع ، وعرف الأرض مرتفع منها .

فإذن قوله : ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ ، أي : رجال واقفون على مكان عال . هذا يؤكّد الآية التي قبلها ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ ، الوفد والأعراف أهل الوفد وأهل الأعراف واحد ، أُناس مميّزون ، أناس من أهل

1- لسان العرب 3 : 464 .
2- الأعراف : 46 ـ 48 .
3- الأعراف : 49 .
4- هود : 27 .



الكرامة في ذلك اليوم العصيب في يوم الحشر ، ببركة هؤلاء يدخل أُناس إلى الجنة ، وما كانوا يطمعون أن يدخلوها معناه يدخلوها بشفاعة أهل الأعراف . وأيضاً في قوله تعالى حاكياً عن أهل النار : ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾ [1] ، نريد أن نعرف علاقة أصحاب اليمين مع السابقين ما هذه العلاقة ؟ العلاقة نستفيدها من هذا المقطع في القرآن الكريم ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ [2] فأصحاب اليمين صنف من الناس ، وضحّت الآيات الأولى من سورة الواقعة أنّ هذا الصنف حالته حسنة أصحاب المنزلة الحسنة في قبال أصحاب الشمال أصحاب المنزلة الخسيسة ، هذا في اللغة موجود عند العرب تقول : فلان عندي بالمنزلة الحسنة ، فلان عندي بمنزلة اليمين ، أي : بالمنزلة الحسنة ، وفلان عندي بمنزلة

الشمال ، أي : بالمنزلة الخسيسة .

فأصحاب اليمين من أهل الكرامة من أهل المنزلة الحسنة في الآخرة ﴿ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ [3] إذا كان المقصود هذه الصلاة الموجودة ، الكثير من الناس يصلونها ، لكن أوّل ما ينظر في عمل ابن آدم ينظر في الصلاة إذا قبلت قُبل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها ، لكن قبول الصلاة مشروط بصحّة المعتقد ، وهذه المقولة «قبول الأعمال مشروط بصحّة المعتقد» متفّق عليها عند المسلمين ، فما هو المعتقد الصحيح ؟ هل المعتقد الصحيح أن ينظم إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصيائه أو لا ؟ وإلاّ لا خلاف عليه أنّ العابد في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مالم يؤمن بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تقبل منه صلاته ، يعني اليهودي والنصراني المنصرف للعبادة في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يُقبل منه ، تعال آمن بالنبي وتكون عبادتك من هذا الطريق فتُقبل ، فهنا لم نكن من المصلّين نستفيد منه أن المصلّي هو الإنسان اللاحق أو الإنسان المقتفي أثر السابق.

---

1- الأعراف 53 .
2- المدثر : 38 ـ 39 .
3- المدثر : 40 ـ 43 .



السابق في اللغة الذي يتقدّم جماعته يتقدّم غيره ، فهنا السابق من البشر السابق من عباد الله تعالى يعني يكون عباد آخرين هو سبقهم في الخير ، فبالتالي هم يمشون خلفه في هذا الخير .

هكذا العلاقة بين السابقين وبين أصحاب اليمين ، وأيضاً من خلال الشفاعة بيّن ذلك أنّ قسما مِن الناس من هؤلاء الذين لم يدخلوا الجنّة لم تتحسن حالتهم إلاّ ببركة هؤلاء السابقين فالعلاقة واضحة جداً بيّن السابقين وبين أصحاب اليمين ، وانما نشير إلى هذا إشارة والإنسان يتوسّع إلى تحصيل الشواهد الأُخرى على ذلك وهي كثيرة جداً .

فبالتالي نفهم أنّ أصحاب الشمال ساروا في طريق آخر مغاير لطريق السابقين ، لأنّ الذي ينجو أو الذي يصل إلى طريق الله تعالى هو طريق السابقين من عباد الله تعالى ، بإعتبار أنّ هؤلاء هم مقرّبون إلى الله وجلسائه وخاصتّه وأصفيائه ، وبالتالي ثوابه ورضاه منحصر بواسطتهم ، فمن يسلك في الحياة ويتحرك إلى الله تعالى أو إلى العاقبة إلى الغاية من دون هذا الطريق هو في ضياع ، وبالتالي تكون عاقبته شؤم ، وهو كلّ من كان في قبال إمام الهدى وكلّ من نصب نفسه سابقا في المجتمع يقودهم إلى الله تعالى من دون أن يأذن الله له ، ومن لحق بهم واقتفى أثرهم هؤلاء أهل شمال ، والقرآن الكريم يتحدّث كثيراً عن فرعون ويقول : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ ﴾ [2] ، كان فرعون وجنوده إمام الضلالة وأتباعه الذين أخذوا بقوله .

---

1- القصص : 40 ـ 41 .

2- القصص : 39 .



## المسألة الرابعة : معنى «الأوّلون» و«الآخرون»

وهو موضع الشاهد ، هنا نبدأ بالمفتاح ، نقترب من القضية موضوع الحديث ، من هم ؟ وما الذي يراد بالأوّلين وما الذي يراد بالآخرين ؟

كفانا السيّد الطباطبائي جهد البحث في هذا الباب لمن أراد أن يتوسّع في البحث ، فالأولون مصطلح أريد به في القرآن الكريم الأمم المحجوجة بالأنبياء السابقين والآخرين ، الأمم والشعوب المحجوجة بالنبوّة الخاتمة . هذا مصطلح في القرآن الكريم .

قال العلاّمة الطباطبائي (قدس سره) : «إنّ المعهود من كلامه تعالى من كلّ موضع ذكر الأولين والآخرين هو أنه يريد بالأوّلين الأمم الماضية للأنبياء السابقين ، وبالآخرين هذه الأمّة ، قال تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ [1] ، يراد بالأوّلين الأمم السابقة والآخرين هم من آمن أو من حجّ بالقرآن الكريم» [2] .

1- المرسلات : 38 .
2- انظر الميزان 19 : 121 .





## المسألة الخامسة : من هم السابقون المقرّبون من الأولين

القرآن الكريم ذكر أسماء عدد كبير من السابقين من عباد الله في الأمم السابقة ، وهم كلّ الأنبياء الذين ذكرهم وذكر منهم أناس لم يكونوا أنبياء ، مثل : مريم لم تكن نبيّة ، طالوت لم يكن نبياً كان إماماً ، آل هارون لم يكونوا أنبياء كانوا أئمّة ممن هدى واجتبى .

ولا نريد أن ندخل في الحديث عنهم وإنّما القرآن الكريم صرّح أنّ السابقين المقربيّن من عباد الله في الأمم السابقة ليسوا فقط الأنبياء ، صرّح بهذا من خلال الحديث عن أنبيائه وعن أصفيائه ، والآية الكريمة في سورة مريم تحدثّت عن زكريا ويحيى وعيسى ومريم وإبراهيم وإسماعيل ويونس وهارون وإدريس ثُمّ قال : أولئك الذين أنعم عليهم من النبيين من ذرية آدم إلى إدريس ونوح وممن حملنا مع نوح مثل إبراهيم مثل هود مثل صالح ومن ذريّة إبراهيم إسماعيل وإسحاق وإسرائيل الذي هو يعقوب هنا أُقرد ، القرآن الكريم عنده لفتات مهمّة يعنيه ويقصده ولابدّ نحن نتنبه له جعل في قبال ذرية إبراهيم إسرائيل يعني ذرية يعقوب مع أنّ يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم ، بيت إبراهيم وبيت يعقوب هذا له خصوصية معيّنة .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ﴾ [1] ومن هذه الذرّيات يعني ممن هدينا واجتبينا من ذرية نوح من لم يكن نبياً ، من ذرية إبراهيم ممن لم يكن نبيا ،

من ذريّة إسرائيل من لم يكن نبياً ، آل هارون لم يكونوا أنبياء ، ولكن ممن كانوا قد هداهم الله واجتباهم وجعلهم أئمةً وأورثهم تراث موسى وهارون .

1- مريم : 58 .





## المسألة السادسة : من هم السابقون المقرّبون من الآخرين؟

الملفت للنظر في القرآن الكريم أنّه حين تحدّث عن السابقين من هذه الأمّة لم يذكر اسما مَن الأسماء ، مع أنه ثبّت وجودهم كما في هذه الآية أنّ هناك سابقين من عباد الله في الأمّة الآخرة ، أي : في الأمم البشرية والشعوب والمجتمعات المحجوجة بمحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وصلت مسلمة بالملايين من زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى آخر الدنيا ، وليس الكلام فقط بخصوص المجتمع الذي عاصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الكلام للبشرية ككل ، عن الخط النوعي ككل ، من زمن آدم إلى عيسى (عليهما السلام) ، الخط الإيماني فيه سابقون يقول : ( ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ )[1] ، يعني السابقون من عباد الله في الأمم السابقة ثُلّةٌ يعني جماعة كبيرة ، ثلةٌ تطلق في اللغة على كثير من الوراهم[2] ، لكن في هذه الأمّة في الآخرين السابقون من عباد الله المقرّبون من عباد الله فئة قليلة ، مع أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الأنبياء هو أفضل الأنبياء هو سيّد الأنبياء كتابه خالد ، الآية صريحة وواضحة في أنّهم فئة قليلة .

دعنا عن صفة القلّة إنّهم فئة سابقة من عباد الله مقرّبة مشفعةٌ هذا مهمٌ ، يعني إنسان مشخص بعينه يشفع ودعاؤه مستجاب ، هذا معنى يشفع ودعاؤه مستجاب يعني من يشفع في الآخرة دعاؤه مستجاب في الدنيا .

الدعاء والطلب واحد سواء كان في الدنيا أو الآخرة ، في الآخرة يدعو الشافع يطلب من الله أن يقبل من عبده المسيء ويدخله الجنّة ، فيستجيب له ، في الدنيا يدعو الشافع وهو الشخص الذي له صفة الشفاعة بأيّ أمر في الواقع في

1- الواقعة : 13 .
2- انظر لسان العرب 11 : 90 .



الظرف المعيّن إذا دعاه يستجيب له ، هذه الصفة واضحة يطلب من الله سبحانه وتعالى فيستجيب له باعتبار أنّ هؤلاء من آله من خاصّته ، ثبت وجودهم ، لكن القرآن ما ذكر أسماءهم .

نعم ، تحدّث عنهم كثيراً[1] هذا باب السابقون من عباد الله في أُمّة محمدّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ، مرّة يسميهم السابقين مرّة المخلصين . وقد ذكرنا أنّ هؤلاء المخلصين استثناهم إبليس من الإغواء ، معناه أنهّم معصومون ، معناه أن فئة خاصة

إبليس لا يقترب منهم ; لأنّه هو يائس منهم لا يستجيبون له ، فلذلك هو لا يقترب منهم ،والأكثر من هذا هم مصونون تكوينياً أيضاً .

نحن غير مصونين تكوينيّاً من وسوسة إبليس ; لأنهّ يرانا ويسري فينا مجرى الدم من العروق ووسوسته تدخل إلينا ، لكن هذه الفئة المخلصة المقرّبة من عباد الله إبليس ما يقرب منهم ، يعني ما يعبث في فكرها من ناحية تكوينية يبقى المعصوم يملك إرادته إزاء الأمر الإلهي ، إزاء التكليف ، مثل بقية البشر ، إرادته مفتوحة لكن لا يعصي الله .

نعم ، تدخل تكوينياً في جنبة أُخرى في جنبة أنهّ لا ينسى في جنبة أن الشيطان لا يعبث في فكره ، لذلك هناك جنبتان للمعصوم جنبة تكوينية وجنبة اختبارية الجنبة التكوينية أنّ المعصوم مصون من هذه الأخطاء من هذه الوساوس ،وأيضاً لا ينسى ويعلم العلم التام .

صحيح القرآن الكريم ماذكر أسماءهم لكن تحدّث عن هذه الفئة بما فيه الكفاية بأساليب مُختلفة تجعل الإنسان أمام فئة واضحة وأمام فئة غامضة حتّى شخّص بالأخير البيت الذي ينجب هذه الفئة ،وأيضاً تحدثّ عنهم بواسطة الأمثال والقصص السابقة ، نريد يبيّن صفة معينّة يأتي بقصة هذه الحقيقة مع السابقين .

---

1- انظر سورة يوسف : 24 ، الحجر : 40 ، الصافات : 40 ، 74 ، 128 ، 160 ، 169 ، سورة ص : 83 .



أختم بصفة ذكرتها السورة عنهم لا ينبغي أن نغفلها تكون هي أوّل هذه الصفات وهي صفة تشملهم جميعاً كونهم قلةّ ، حيث يعدّون بالأصابع بخلاف الأُمم السابقة ، يقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : «الأئمة من بعدي اثنا عشر» ،والوهابية معهم 13 عدد قليل إزاء الموقف منهم حيث بلحاظهم تنقسم البشرية المحجوجة بمحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالقرآن الكريم إلى مهتدين وضالين . هذا عدد قليل ، وفي الآخرة تظهر منهم ما يظهر على يد الشفعاء السابقين ، فهم قليلون فنبحث في الواقع التاريخي عن فئة قليلة مطروحة ،وهذا مشخّص نتحدّث عن الواقع التاريخي لكن لا ندخل فيه ،وانمّا نريد أن نبقى في حدود القرآن .

القرآن ثبت فيه وجود فئة سابقة من عباد الله تعالى مقرّبة شافعة مشفعّة ، وكلُ مّا ذكرنا عن عباد الله السابقين ينجر إلى هؤلاء إلاّ ما استثني ، ولم يقل أنّ الفئة السابقة من عباد الله في الأمُم السابقة مستثناة من هذه الخصائص لما تتحدثّ عن السابقين نتحدّث عنهم بلغة واحدة ، وكلُ مّا ذكره عنهم يستدعينا أن نتعرفّ على صفاتهم وسوف ينسحب هنا ، وذكر عنهم أنّهم فئة قليلة . هذه أول صفاتهم .

وأكتفي بهذا المقدار والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمدّ وآله الطيبين الطاهرين .

## الأسئلة والأجوبة

سؤال : ذكر سيادتكم أنّ غياب الأئمّة هي ظاهرة تاريخية مع أنهّا لم تكن ظاهرة تاريخية ما لم يتفقّ عليها جميع المذاهب ، هذه نقطة .

النقطة الثانية : أنّ تحريف الحديث متفّق عليه بين المذاهب المختلفة ،والتي يستند عليها الشيعة للاحتجاج على أهل السنة وبقية المذاهب فكيف تكون محرّفة ؟

النقطة الثالثة : الآيات التي نزلت في أهل البيت (عليهم السلام) لم تكن صريحة .

الجواب : بخصوص السؤال الأوّل لم يكن الأئمّة كلُهمّ غائبون ،وانماّ المقصود الإمام المهدي (عليه السلام) ،وهذه ظاهرة يعرضها شيعة أهل البيت (عليهم السلام) للأُمّة ، يعني هناك فئة كبيرة معتبرة من الأمُةّ فيها مختلف المواقع العلمية والاجتماعية ليس واحد واثنين أو ثلاثة ، لا فئة مطروحة ومعروضة تعتقد أنّ الإمام الثاني عشر غائب ،وأبقاه الله تعالى حياً ،وهذه ظاهرة بلحاظ هذه الفئة . طبعاً كفئة هذه تملك دليلها ، وليس لدينا مجال في البحث في هذا الدليل ، فإذاً في نفسها ظاهرة وحيث تعرض حيث تناقش سيكون البحث هل لهذه الظاهرة مثيل في الأنبياء السابقين في الأُمم السابقة ، حينئذ ترتفع الغرابة ،وإذا ارتفعت الغرابة نقول : هل وقعت ؟ نأتي إلى الرواة لهذه الظاهرة ،وحين نجد أنّ رواة هذه الظاهرة أو الدليل على وقوع هذه الظاهرة جماعة يؤمن أو لا يرتقب منهم أو لا يتوقّع منهم أن يختلقوا هذه ، وبالتالي تكون ظاهرة واقعية وحقيقية ، هذا بالنسبة للسؤال الأوّل .

وأمّا جواب السؤال الثاني : مسألة التحريف تتضح من خلال المقارنة ،وأهل السنّة أنفسهم يثبتون وجود ووقوع التحريف في الأحاديث على الأقل ، هم يتّهمون الشيعة بأنّهم محرفّون للحديث .

البحث المقارن بين التراث الشيعي والتراث السنيّ يكشف وجود تفاوت في



الأحاديث وهذا التفاوت بمستوى التناقض ، بحيث لا يمكن قبول الروايتين معاً ، فإذاً لابدّ أن أحدهما محرفّ .

أصل وقوع التحريف في الأحاديث أمر متفّق عليه بين المسلمين ، الكلام في أنّ هذا الحديث هو المحرف أو ذلك الحديث هو المحرّف ، هذا بحاجة إلى البحث العلمي ، ونحن كشيعة نعتقد أنّ ما يخالف التراث الشيعي المجمع عليه أو المشهور عند الشيعة أو الذي يخالف القرآن أو يخالف الثابت ممّا صدر عن أهل البيت (عليهم السلام) ، قطعاً نحن نعتبره مُحرفّ ، لكن نحتاج إلى أن نبحث في كُلّ قضيةّ على انفراد .

وأمّا جواب السؤال الثالث : نحن بعد في أول الطريق ، نحن فقط أشرنا إلى جانب من المسألة وأنهّ يوجد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فئة ،وغير معقول أنّ هذه الآيات حينما تتحدّث عن السابقين وأنهّم ثلةّ ،والسابقين من عباد الله في الأُمّة الآخرة وأنهّم فئة قليلة ، يقصد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فإذاً لابدّ أنهّ يريد مع رسول الله أسماء أخرى ، أما مّن هم ؟ نحن إلى الآن لم نبدأ بالحديث ، هم قلة . هذا الذي استفدناه

أنّهم قلّة ، ثمّ تذهب إلى التعرف على الصفات الأخرى .

وعرفنا أيضاً أنّ هؤلاء شفعاؤنا في اليوم الآخر . هذا مهم جداً ، يعني نجاة أي مؤمن أي صالح وحتى تقبل عبادته وينجوا في هذه الأُمّة ممن يؤمن برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فنجاته موقوفة على هؤلاء .

هذه أوّل الصفات وسوف نتحدّث عن الصفات الأخرى ، وسوف نبقى في المستوى الثاني أو الحديث الثاني أيضا في معزل عن التطبيق التاريخي ، نريد أن نتعرّف على خصائص هذه الفئة ، عن خصائص فئة قليلة ما هي ؟ لا نستعجل الحديث نثبت هذه الخصائص في مستوياتها التي يذكرها القرآن وهي خصائص عامّة بعد ذلك عن طريق القصص القرآني نذكر خصائص أكثر تفصيلاً ويعبرّ عنها

صفات تفصيليه بعد ذلك يشخّص البيت الذي ينجب هؤلاء .

يبقى التسمية قلنا : إنّ القرآن لا يُسميّ ، فبالتالي نحن بين أمرين أن نزهد في هذا المنهج القرآني ما دام القرآن لا يسُمي إذاً لا نحتاجهُ ،وهذا لا يذهب إليه عاقل ، لأن التسمية ليست هي كلُ شّيء ، القرآن الكريم أشار إلى الصلاةوأن الصّلاة واجبة : ﴿ وَأَقِيمُوا الْصلاةَ وآتوَا الزكُاةْ ﴾ ، وما أكثر الآيات التي تتحدّث عن الصلاةوالزكاةوالحجوالصوم ، ولكن الكيفية ، عددركعات الصلاة ، نصاب الزكاة ، عدد الحصى أو الرمي ؟ نحتاج إلى النبي (صلى الله عليهوآله وسلم) فتسمية هذه الفئة القليلة من السابقين من عباد الله في الأُمّة الآخرة شأنها شأن تشخيص عددركعات الصلاةوأنصبة الزكاة في القرآن الكريم ، أحالها إلى النبي (صلى الله عليهوآله وسلم) .

سؤال : ذكرتم في بداية البحث الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله : «لو قرىء القرآن كما أُنزل . .» ، ما المقصود تحديداً بقوله : «كما أُنزل» ؟ فهل هذا يعني القرآن الذي بين أيدينا ليس كما أنزل أم المراد ترتيب نزول القرآن أم أيّ شيء آخر ؟

الجواب : كما أنزل مرادبة ترتيب النزول . يعني باعتبار أنّ الترتيب الفعلي للآيات داخل السور لا يزامن أو لا يعكس النزول في وقته ،وإنّما كان يعرف انقضاء سورةوابتداء سورة أُخرى بنزول البسملة .

فهنا إذن سورة تنزل والآيات تضاف إلى تلك السورة حتّى يفتح سورة أخرى ، هناك آيات تنزل لوحدها والنبي (صلى الله عليهوآله وسلم) يقول : ضعوا هذه الآيات في المكان الفلاني ،وهذه مسألة تفصح بها المصادر .ولا خلاف في أنّ هناك مرحلة ألّف فيها القرآن أو نظمت فيها الآيات بأمر من النبي (صلى الله عليهوآله وسلم) ، فإذاً الآيات داخل السور في الحقيقة لا تعكس ترتيب النزول .

هذا والهدف منهواضح من أنّ الله تعالى شاءت حكمته باستخدام الإعجاز وخرق القانون للضرورة ، فحينما لا تكون هناك ضرورة ويتحقق حفظ النص بغير



قدرزائد من الإعجاز لا يستخدم تلك الضرورة ، يعني الله تعالى بين أمرين إمّا أن يذكر أسماء الأئمةواحداًواحدا فيِ النص القرآني ، ويستخدم قدر أعلى من الإعجاز لحفظه فيحفظ هذا النصّرغم الظروف ، يعني يأتي بنو أُمية ويقتلون الحسين (عليه السلام)والحسين مذكور في القرآن ، يأتي بنو العبّاس ويقتلون الأئمةوهم مذكورون في القرآن ، لكن هذا يحتاج إلى مؤونة كثرة ، وما وجدنا من خلال سنّة الله تعالى مع الأنبياء أن يفعل هذا الفعل ،وإنّما يتخّذ القدر الأدنى من الإعجاز وهو الحالة الثانيةوالاحتمال الآخر وهو الحاصل أنّه لا يذكر الأسماءوإنّما يتحدثّ عنهم بطريقة يحوم حولهمولا يسميّ حتى لا يترك مجالاً للفئات التي تصل إلى الحكم وتجد من أهل البيت (عليهم السلام) عقبة كؤود ، لا نجد ذكرهم صريحاً في القرآن ، وبالتالي تطوّع النصّ لصالحها ، وبالتالي لا ترى حاجة أو مبررا إلى تحريف القرآن .

ومن هنا حفظ النصّ القرآني من التحريف قائم على أُصول ، وكثير من هذه الأصول طبيعية ، ومنها ما يرتبط بذكر الأئمة

(عليهم السلام) وإلاّ لو ذكروا نصاً في القرآن لحرفّ وفق الوضع الطبيعي .

فإذن يراد الإمام (عليه السلام) أن لو قرئ القرآن كما أُنزل ، يعني أن تنظر الآيات أن تلحظ الآيات أن تربط آية بآية ، القرآن خصائصه مثاني تقشعر منه القلوب ، والمثاني تفسّره آية أُخرى ، وهذه صفة القرآن .

يعني كتاب متصل آياته بعضها ببعض ولا تفصل السورة دلالتها عن السورة الأخرى .

قارئ القرآن يتحرّك بهذه الطريقة ، يتحرك في الآية من خلال القرآن كلهُ ، يعني يعرض الآية على القرآن بهذا الشكل فهناك مداخل إمّا من خلال اللفظ وإمّا من خلال الموضوع تربطها بآيات كثيرة ، فتستطيع هذه الألفاظ وهذه المداخل أن تجمع آيات متعددة لموضوع واحد ، أنت أمام الآية الأولى تفهم قدر معيّن من الموضوع فعند ضمّها إلى آية ثانية يحصل فهم الموضوع بشكل واضح .



فإذن كما أُنزل إمّا يراد به هذا المعني أن يربط آية بآية ، كأنهّ يحاول القارئ أو الباحث أن يصل إلى حالة النزول ، أو معنى آخر لا مانع من الجمع بينهما .

فالقرآن الكريم له أهداف مسبقة ، وله مواضيع مسبقة مشخّصة كمسألة السابقين من عباد الله ، يعني تنقسم البشرية يوم الحشر إلى أهل يمين وإلى أهل شمال ، كما في سورة الواقعة حيث تحدّثت عن ذلك ، وسورة النمل تحدثّت عن شيء آخر ، نجمع من كُلّ السور من أجل أن نستجلي الموضوع بتمامه من خلال الآيات .

وهذا يعني كما أنزل يعني كما أريد يعني كما رتّبت لهذه الكلمات من أهداف وأفكار أريد أن أصل إليها .

فإذاً لو قرأ القرآن كما أُنزل ، أي : أنّ الإنسان يقرأه يتدبرّ معانيه وآياته من أجل أن يصل إلى واقع المراد من خلال ضم واحدة إلى الأخرى ضمّ آية إلى أية أُخرى ، ولا يريد به أنّ هناك قرانا غير القرآن المتداول كما اتهمّ الشيعة به ، وكما حاول بعض الغلاة في وقته أن يفسّر الروايات بهذا المعنى .

سؤال : إنّ البحث عن أهل البيت (عليهم السلام) في العلوم القرآنية بحث غير ممهدّ وبشكل قرآني ، فلو كان الاستدلال على إمامة أهل البيت (عليهم السلام) بهذه القوّة وهذه المتانة فلماذا لم يأتي أكُله بهذا الشكل ؟ أم أنّ هنالك حضرات ناقصة لم يتعوّض لها أو ما هو السبب الذي جعلهم يعرضوا عن ذلك ؟

الجواب : إنّ البحوث الكلامية بالمعنى الأعم التي يقدمّها العالم الشيعي ويهدف منها إثبات إمامة أهل البيت (عليهم السلام) ودفع الشبهات عن إمامتهم هذه البحوث ترتبط بحاجة الناس في وقته ، ومن هنا علم الكلام يواكب الزمن الذي يعيشه ، وليس علماً تاريخياً ، لأنهّ يعكس هذه الحالة من أن هنالك مجتمعا وأن هنّالك قضية حيّة مطّروحة في المجتمع عرضت عليه أو هناك شبهات حولها يراد أن ترد .

فهي إذن مرتبطة بالعصر ، لكُلّ زمان علم كلامه ، ولكلُ زّمان أسلوُبه

الخاص ، يعني لا ينفع اليوم أن تحفظ شوح كتاب الباب الحادي عشر عن ظهر القلب وتخوج للتبليغ في المجتمع ، لكن في زمنه يعتبر البلسم ، يعني الزمان تغيّر ، ولذلك الأئمة (عليهم السلام) أشاروا إلى هذا في وقته يحتجوّن ويستفيدون هنا وهناك وعلماؤنا في حواراتهم أيضاً يستفيدون ، لأنّ علماءنا مرتبطون بالقرآن الكريم وبتراث أهل البيت (عليهم السلام) التفسيري ، وهذا التراث يشير باستمرار إلى الآيات القرآنية ، لكن ما كانت هنالك حاجة لتشييد منطق قرآني خاصّ للإمام (عليه السلام) ، أمّا اليوم حيث يثار .والإثارة قليلة أنا أذكر في إحدى الصحف السنية الطليعة في وقتها قبل خمس أو ست سنوات قرأت كلاماً لأحد المفكّرين السنة ، كان يقول : إنّ بيننا وبين الشيعة مسألة حكومة ، الشيعة يعتقدون بأن أئمتهمّ مثل الأنبياء معصومون ، وأكثر من هذا يوُحى إليهم بالإلهام ،وأنّ الأئمة محدثوّن ملهمون . فهو لا يفهم معنى محدثّ أو يريد تحميلها أكثر مما تتطلب .

ومثل هذا الموقع الخطير للإمامةولأهل البيت (عليهم السلام) هو يقول : المفروض أن نطالبهم بأدلّة من القرآن ، فلا يمكن لمثل هذه المسألة الخطيرة أن يهملها القرآن ، وليأتونا بهذا من القرآن قبل أن يأتون بها من الحديث . مثل هذا الكلام يقوله ثان وثالث ورابع وعاشر ، عند ذلك تصبح حاجة ماسّة لبلورة منهج بهذا الاتجّاه .

أنا قلت : إنّ تجاربنا القرآنية قليلة ،والمنهج فعلاً غير ممهدّ ، ولذلك هو مرغوب فيزمانه ، ولعلزمانه هذا . باعتبار الهجوم الواسع على خط أهل البيت (عليهم السلام) فهو بحاجة إلى أدلّة من مختلف الآفاق والأبعاد ،واليوم إمامة أهل البيت (عليهم السلام) من القرآن ستكشف لنا أنّنا لم نبحثولا نعرف أهميّة هذا المنهج .

إنّ المنهج القرآني في إمامة أهل البيت (عليهم السلام) من روائع البحوث ونستطيع أن نقول : القرآن الكريم كتاب توحيد ، وفي نفس الوقت نقول : هو كتاب مكرس للنبوّة ،وأيضاً يستطيع الباحث أن يقول : إنّ القرآن كتاب إمامة ، يعني يشير إلى هذا المنطق القرآني للإمامة ، ويستطيع الإنسان أن يكتشف النظرية تماماً من



القرآن الكريم يربط آية بآية ، ويعرض القضايا بشكل متسلسل وجميل . صياغة هذا المنطق بحاجة إلى تجارب ، ونحن عندنا دراسة مفصّلة منذ أكثر من خمس سنوات ،وأثرت الكثير من القضايا ،وجلبت الأنظار إلى هذا المنهج .

سؤال : الحديث «لو قرىء القرآن كما أنزل . .» هل نستطيع القول بأنّ هنالك قراءة للقرآن اتفّق عليها جميع المسلمين ، وقراءة أُخرى بالمفهوم وهي التي تشرف على مفاهيم القرآن وعلوم القرآن ،وهي التي لا يعلمها إلاّ اللهوالراسخون في العلم ،والذين اختصّهم الله سبحانه وتعالى ،والذين تفرقّت الأمةّ عنهم ، فلو قرىء القرآن حسب ما فسرّه النبي وما ألهموعلم لما تفرّقت الأمّة ؟

الجواب : القراءة تعني التفسير ، فأقرأهم النبي (صلى الله عليهوآله وسلم) هذه السورةوعلّمهم ألفاظها ومعانيها ، لأن القرآن نزل بتلك اللفظة وبتلك اللهجة المعيّنة .

«لو قرىء القرآن كما أُنزل» يعني لو فسرّ تفسيراً صحيحاً بالتفسير الذي أنزلُ : «لألفيتمونا مسمينّ» .

طبعاً هذا يفرض علينا أن نفهم القرآن وفق روايات أهل البيت (عليهم السلام) فقط ،وهذا يعني أنّ القرآن ينهض بإثبات

الإمامة ، أي : أنّ عندنا شيئاً على مستوى الإجمال وشيئاً على مستوى التفصيل ، فعلى مستوى الإجمال لو قرأنا القرآن حياديين كما أُنزل بالحق وجرّدنا أنفسنا من الرواسب المسبقة وتعاملنا مع النصّ كما هو لاكتشفنا أهل البيت (عليهم السلام) في القرآن الكريم .

وفي هذا البحث لا ينبغي اقتطاع الآية من موقعها والنظر إليها مستقلاً ، بل ينبغي أن نعرض الآية على الآيات الأخرى لاكتشاف ما يرتبط فيها ، واكتشاف الفكرة من القرآن الكريم في الموضوع المعيّن .

هذا ولو قرىء القرآن بالحقّ وبحيادية من أجل الوصول إلى ما يريد ، لأنّ القرآن الكريم كلام له مقاصد ، ومقاصده قد فرّقها وأخفاها من أجل أن يحمي النصّ من التحريف والتزييف ، ولو كان يعرضها بشكل صريح لحرّف النص ،



وامتدّت يد التحريف إلى الكثير من النصوص النبوية ، وأضافت إليها شيئاً آخر .

فإذن هناك نهجاً إلهياً لسبك القرآن من أجل معاينة بعض معانيه وخاصةً ما يرتبط بهذه الحقيقة الكبرى ، وهم الاثنا أو الثلاثة عشر معصوماً ومع ذلك لُعن الإمام علي ثمانين عاماً ، فلو ذكر النص علناً صراحة لحرّفوا وطالته يد التغيير ، ثم بعدّ ذلك جاء العبّاسيون وعرّفوا أنفسهم بأنهّم أهل البيت في قبال الصادق والباقر .

فإذن القرآن الكريم تحاشى الصراحة من أجل حماية النصّ القرآني ، لكن القرآن الكريم لم يترك بيان مراده حتّى على نحو الإجمال ، وإنّما بيّن المراد بشكل إجمالي وذلك من خلال ربط الآيات بعضها ببعض لفهم المراد .

وكذلك بالرجوع إلى أهل البيت (عليهم السلام) لفهم المراد من القرآن الكريم والآيات النازلة في حقّهم .

وهذا المنهج في معرفة أهل البيت (عليهم السلام) من خلال القرآن الكريم يصل الإنسان إليه من خلال الأخذ بتعاليم وإرشادات أهل البيت (عليهم السلام) وتراثهم التفسيري المبثوث في الكتب التفسيرية ، وهذا التراث وإن كان فيه روايات ضعيفة إلاّ أنّ الرواية الضعيفة التي تفسرّ الآية بشكل آخر تضيف احتمالا آخر إلى الاحتمالات التي يذكرها المفسرون للآية الكريمة ، ومن ثُمّ ندرس الآية لنرى مدى قابلية انطباق هذا الوجه عليها ، ومدى مصداقية تحملّ الآية له ، وهكذا يستمر البحث في الآيات الأُخرى في نطاق الروايات المثرة لهذه القضية وهي قضية أهل البيت (عليهم السلام) في القرآن الكريم .

والحمد لله ربّ العالمين .



## ( 50 ) التعريف بالأئمّة (عليهم السلام) الإلهيّين من خلال القرآن الكريم

السيّد سامي البدري

بسم الله الرحمن الرحيم

**تمهيد :**

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمدّ وآله الطيبيّن الطاهرين .

تحامى القرآن الكريم عن ذكر أسماء الحجج الإلهيّين بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) بناءً على قاعدة أن الإعجاز يقوم على أساس القدر الأدنى ; لأنّه استثناء من القانون والسنن ، واستخدام هذا الاستثناء يكون بقدر الضرورة ، فإذا كان هناك أسلوب يحقق الهدف ويحقق الغرض من دون إعجاز فسنّة الله تعالى هي استخدام هذا الأسلوب وعدم استخدام الإعجاز ; لأنّ الإعجاز هو خرق للقانون وأبى الله أن يجري الأمور إلاّ بأسبابها الطبيعية .

وقلنا : إنّ القرآن الكريم كنصّ توفرّ له قدر من الإعجاز لحفظه ، والكتب الإلهية السابقة كنص ما حفظت من التحريف ، وكان هناك فصل بين معجزة النبيّ وبين النصّ وبين الكتاب وبين الرسالة ، فمعجزة موسى هي العصا وبقية الآيات ، فهناك انفصال بين المعجزة ، أي : بين وسيلة إثبات النبوّة وبين الرسالة ، وشاءت حكمة الله تعالى أن تجتمع وسيلة إثبات النبوّة مع الرسالة عند النبوّة الخاتمة ، وهذه الوسيلة وسيلة بلاغية ، أي : أن يصاغ الكلام بطريقة يعجز عنها البشر ، وتحدّي العرب إنّما كان بالذي يملكونه على البداهة ، والذي تملكه قريش وتملكه العرب على البداهة هو القول البليغ وصياغة الكلام المؤثر .

طبعاً لا أريد أن أدخل في بحث الإعجاز ، وإنمّا أريد أن أنبهّ إلى هذه المسألة وهي أن الإعجاز يستخدم بقدر الضرورة ، وأن يحفظ نصّ من التحريف هذا يحتاج إلى استثناء .



**عوامل التحريف :**

طبعاً هذا الحفظ أو هذا الخرق في الواقع يقاوم عوامل التحريف ، يعني النصّ الطبيعي ككلام الإنسان حين يطلقه وحين يصدر منه ويصبح حقيقة في الخارج هناك عدّة عوامل تؤثرّ عليه فتحرفه عوامل طبيعية وعوامل عمدية ، يعني حين يستقر هذا الكلام في ذهن إنسان آخر فذاك الإنسان الآخر ينسى ويشتبه فيروي الكلام فيدخل فيه عامل النسيان وعامل الاشتباه فيُحرّف بشكل عفوي وتكويني ، يعني الإنسان تكوينه يؤثرّ على ذلك .

وهناك تحريف عمدي ، أي : هو يتعمّد أن يحرّف .

فالكلام حينما ينقل عبر الوثائق وعبر الوسائط وحين يكتب هذا المكتوب ينقله إنسان آخر ، وبالتالي حين الكتابة يحرّف عمداً أو سهواً ، وهذه سنةّ من السنن ، يعني من سنن الله تعالى الطبيعية في المجتمع أن الكتاب حينما يكتبُ وينقل ويستنسخ بالأيدي أو بوسائل متطورّة يناله التحريف عمداً أو سهواً ; بدليل أن هذه الكتب الإلهية السابقة كالتوراة مع شدة عناية هؤلاء بها ، حيث لابدّ أن يوجد من حملتها ممن يحرصون عليها ، ويوجد أناس أيضاً يتعمدّون التحريف ، ومع ذلك وقع التحريف فيها ، وهذه حقيقة قائمة .

فإذن هنا الاستثناء أن يعطّل القانون المرتبط بالنصّ وحركة النصّ في المجتمع وحركة الكتاب في المجتمع ، فلذلك إلى

اليوم كتاب الله تعالى على الرغم من أنّه تناولته ملايين الأيدي واستنسخ بملايين النسخ ووجدت عوامل لتحريفه كنصّ مع ذلك بقي هذا النصّ وبقيت نسخه متحركة في العالم .

والروايات التي تقول : إنّ هناك آية أسقطت أو كلمة أسقطت لكن مع ذلك ما امتدّت هذه الكلمة أو تلك الفقرة إلى أن تصير نسخة في القرآن الكريم ،وهذا من معالم الإعجاز ، هذا المقدار يمثّل القدر الأدنى من الضرورة .

إذا افترضنا أنّ أسماء هؤلاء الحجج تدخل في النصّ فنحتاج إلى قدر آخر



من الإعجاز ، وذلك لوجود ظروف سياسية تقوم على خلاف هذا الاسم ، يعني العهد الأموي على خلاف علي بن أبي طالب والحسن والحسين وبقيّة الأئمّة ، وكذا العهد العباسّي ودول العالم الإسلامي آنذاك السلطان العلمي والفكري بيدها ، فالكتاب إذا احتوى على أسماء تتعارض مع الأطروحة السياسية القائمة وراد لها أن تكون هذه الأسماء في النص فنحتاج هنا إلى قدر آخر من الاستثناء ومن خرق القانون غير القدر الأوّل ، يعني القدر الأول لا يكفي ، أي : القدر الأولّ الذي حفظ النصّ وعطّل قانون التحريف الطبيعي للكتاب هنا لا يعمل ونحتاج إلى شيء آخر ، ومن هنا شاءت حكمة الله تعالى أن يكون البيان بطريقة يتحامى فيها ذكر النص ولكن يعرّف ويؤدّي غرض التعريف تماما بوسائط أخرى .

وقلنا : إنّ القرآن تحدّث عن فئة سابقة عن فئة صالحة عن فئة معلومة مكلفّة بحفظ الرسالة ، هذه الفئة أئمةّ هدى معروضين للناس شفعاء في الآخرة ولها مجموعة خصائص .

## التعريف بالأئمة (عليهم السلام) من خلال القصص :

ونحاول الآن أن نتحدّث عن المستوى الآخر من التعريف وهو من خلال القصص ، هنا يعطي معلومات أكثر ، ويصل الحدّ بالمعلومات أنّه في مستوى من المستويات يعطي التواريخ المقترنة بأولئك الأشخاص .

فإذن القرآن الكريم تحدّث عن هؤلاء الحجج الإلهيين بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله)بأساليب متعددة ، وذكر خصائصهم العامّة ،واستخدم القصص واستخدم التواريخ ، هذه الحروف المقطّعات في القرآن الكريم إنمّا هي تواريخ تخدم فكرة التعريف

.

ثمّ يشخّص البيت بعنوانين عنوان آل إبراهيم وعنوان أهل البيت وذوي قربى النبيّ(صلى الله عليه وآله) ، فالتشخيص من خلال هذه المستويات يكون واضحاً جداً ، وبالتالي يتحققّ الغرض أن القرآن الكريم تحدث عن قضايا مستقبلية تشخصّ هؤلاء الحجج باعتبار أنّ هؤلاء الحجج بعضهم غير موجود وبعضهم كان في زمن النبيّ (صلى الله عليه وآله) طفلاً وكبر وصارت عليه حوادث كثيرة .



فالقرآن الكريم تناول كميات الحوادث التي ترتبط بتاريخ هؤلاء الحجج ، ومن هنا المنهج القرآني في عرض إمامة أهل البيت (عليهم السلام) حينما يتشيّد تنكشف لنا زاوية جديدة في القرآن الكريم يصبح فيها القرآن الكريم غضاً طرياً ، يعني حينما

نكتشف أنّ القرآن تحدّث عن قتل الحسين (عليه السلام) وشخّص عمره وسنة قتله ، أو يعطي سنةولادة الإمام الجواد (عليه السلام) ، ويأتي بذكر الظروف السياسية في القصّة تتشابه تماماً مع قصة الإمام الرضا (عليه السلام)والإمام الجواد (عليه السلام) ، بل التشابه يكون في الاسم أيضاً ، فإذا هذا المنهج يبرز ويشيّد يشد ّالسامع ، ويبدأ القرآن يثير فكرا جديدا كأنه قرّا انتبه إليه من قبل المجتمع .

والسرّ في ذلك أنّ حركة أهل البيت (عليهم السلام) أصبحت تاريخا ناجزا ،والقرآن الكريم تحدثّ عن هذا التاريخ الناجز قبل حدوثه ووقوعه ،واليوم علينا أن نكتشف ،ووسائل الاكتشاف معروضة للجميع وهي عبارة عن كلمات ، كما نمارس اليوم اكتشاف نص في التوراة في النبيّ الخاتم(صلى الله عليه وآله) ،والدراسات لازالت مفتوحة إلى اليوم من قبل المسلمين ، والقرآن الكريم ثبّت مسألة وجود خبر بعثة النبيّ (صلى الله عليه وآله) في الكتب السابقة : ﴿ الَّذِينَ يَتبَعُونَ الرَسولَ النَبيَ الأُمِيَّ الذِي يجدونَهُ مكتوبًا عِندَهُم فِي التَورَاةِ والإنجيلِ ﴾ [1] ، وْفعلاً نجد كلّ عالم يبدأ يدرس يستفيد مما مضى وينفتح على شيء جديد في هذا الباب ، وبالتالي تصبح المسألة غضّة طريّة بلحاظ القرآن حيث أخبر أن ّالتوراة تحتوي على خبر بعثة النبيّ (صلى الله عليه وآله) ،وأيضاً بلحاظ نفس التوراة وأسفاره حين يوجد فيها نص يتحدثّ عن قضية بعد ألفين سنة ،وهذا يثبت أنّ هذا المقدار هو من كلام النبوة ومن كلام الله تعالى ، فهذه المسألة واضحة كل ّالوضوح بخصوص النبي (صلى الله عليه وآله) .

أهل البيت (عليهم السلام) نبّهونا في حركتهم أنّ خبرنا كخبر النبي ّ(صلى الله عليه وآله) في القرآن الكريم وفي التوراة ويعطون نماذج ، كلّ القرون الماضية ما كانت هناك حاجة

---

1- الأعراف : 157 .



ماسّة لتشييد هذا المنهج ولكن اليوم بحمد الله تعالى العقول تحركت والمسائل كثرت والمصادر تيسرّت ، اليوم بإمكانك أن تحصل على كلّ المصادر الأصلية باللغات السابقة وتبحث ،وهكذا بالنسبة للنص القرآني فبإمكانك أن تتحرك فيه .

فالمسألة إذن في تقديرنا أنّ هذا هو زمانها ،وهذا التراث المجمدّ تراث أهل البيت (عليهم السلام) في التفسير شبه المجمدّ لآفة مشخّصة أو لصفة الإرسال ،وأنّ هذه الأحاديث غير قابلة للدراسة لأنهّا مصابة بالإرسال فهي مجمدة إلا شيّئا يسيرا ، هذا الكم الهائل عندما يعود للحياة من جديد يؤي اكتشاف المنهج في القرآن الكريم ، وتتوفر له من خلال الدراسة شواهد ، يعني النتائج القرآنية ستكون شواهد على صدق الآيات .

أنا أذكر لكم مثالاً من مقطع قرآني في سورة الصافات ، هذا المقطع يتحدثّ عن إنسان أثيم يعذبّ في الآخرة : ﴿ ذُقْ إنكَ أَنتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ ﴾ [1] ، الرواية الواردة تقول : إنّه معاوية ، فالإنسان لأول وهلة عندما يدرس المسألة يقول : لعلهّ تطبيق لعلّه جرى ، ولكن عندما يجد الرواية مرسلة يصير الأمر مشكلاً ، لكن إذا جئنا منزاوية أخرى القرآن الكريم يعطي نصوصا

في هذه القضية ، ويشخّص إنساناً بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) تشخيصا معيناً يكاد أن يسميه ، يشخصه حتى في الفترة الزمنية ، يشخّصه من خلال علاقته المضادة بإمام الهدى وعلاقته بالمخلص ، ويعطي التاريخ مثلاً بين خمسين إلى ستين ، أي : عشر سنوات ، افترضوا في الفترة من خمسين هجرية إلى ستين هجرية ، أي : عشر سنوات في تاريخنا الإسلامي ، المصادر كثيرة والمعلومات واضحة جداً ، وفيها حقيقة بارزة جداً هذه الحقيقة هي تحول الأمر من أهل البيت (عليهم السلام) ، حيث إنّ علياً (عليه السلام) حكم خمس سنوات والحسن (عليه السلام) سبعة أشهر وحققوا شيئا في الأمة ، وعشر سنوات كانت هدنة ، ولكن بدأ من خمسين إلى ستين فصارت هذه الدولة التي برأسها معاوية شغلها الشاغل

---

1- الدخان : 49 .



ملاحقة شيعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فالقضية ظاهرة لا تحتاج إلى تكلّف لبيانها ، فحينما يتحدّث النص القرآني عن قضية من هذا القبيل ويحصر زمنها ونرجع إلى التاريخ نجد أنّ الواقع صارخ وواضح ، فنحتاج هنا إلى ثمة رواية ولو مرسلة لها قيمة معيّنة ; لأنّ الرواية ستأتي وتشخّص ، فلها قيمة في هذا الباب .

فاستخدم القصص القرآني من أجل الحديث عن هؤلاء الحجج (عليهم السلام) بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، وتحدّث بلغة القصص فيما يرتبط بهم مستقبلياً .

**القصص القرآني :**

والقصص القرآني تخدم هدفين : الهدف الأوّل : تعرّفنا بالمسيرة السابقة لأنبياء الله وأوصيائه (عليهم السلام) وموقف الأمم منهم ، وسنّة الله تعالى في المكذّبين ، هذا هدف متعارف عليه وكتب فيه كثيراً جداً .

الهدف الثاني : نحن نطرح فكرة أنّ هذا القصص القرآني الذي من ظواهره أنّه تفصيل خاص في بني إسرائيل ، كان بعض الخطباء في وقته يثير على المنبر أنّ القرآن معجب بموسى بدليل أنّه يكثر الحديث عن موسى (عليه السلام) ، ولم يكن فاهماً لماذا القرآن يتحدّث بهذا التفصيل عن موسى وبني إسرائيل ؟ ، في الواقع أكثر الشبه من الأمم السابقة مع الأمة الآخرة هو أمّة بني إسرائيل ، وبالتالي يزول العجب ، فالمسألة ليست مسألة إعجاب القرآن بموسى هذا الكلام ليس له أصل ، وإنّما القرآن الكريم عنده قضايا مختلفة منها تربية الإنسان عن طريق القصص ، ولكن عنده قضية أكبر من هذه يريد أن يتحدّث عن أخطر مقام بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأفضل أناس في الخير بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، يريد أن يتحدّث عنهم بما يفوض الحجّة وبما يرتّب الحجة ويقيم الحجة على الناس ولا يريد أن يسميّ ، وبالتالي بين يديه نماذج ونظراء لهؤلاء يسوقها ويتحدّث عنهم بلغة القصص .

وهذا هو السرّ لتفوقة وتجزئة القصص القرآني ، يعني القصة القرآنية ما جيء بها متكاملة وانمّا يأتي القرآن بمقطع ويكرره أحياناً في سورة أخرى ولكنه لم

يكن تكراراً ; لأنّه في ذلك المقطع يبينّ شيئا آخر ، إذا تعاملنا مع القصص القرآني على أنها شواهد ، كما في شرح ابن عقيل يأتي ببيت من الشعر وفيه شاهد ، فعندئذ هذه القصص وهذه المقاطع القصصية في القرآن الكريم جيء بها كشاهد للحديث عن أهل البيت (عليهم السلام) .

أصل هذه الفكرة وهي أنّ القصص تؤدّي وظيفة التعريف هذه دعوى كبيرة وخطيرة تحتاج إلى إثبات . طبعا القصة الوحيدة في القرآن الكريم التي جيء بها كاملة هي قصّة يوسف (عليه السلام) ولم تتكرر في مورد آخر ، والسرّ في ذلك أنّ قصّة يوسف لا يتحقق الشاهد فيها إلاّ أن يؤتى بها كاملة .

## المدخل للاستفادة من هذه القصص :

المدخل للاستفادة من هذه القصص ومن هذه الفكرة هو مصطلح الأوّلين والآخرين ، هذا من مفاتيح البحث ومن مفاتيح المنهج ، ومن الملفت للنظر أنّ مصطلح الآخرين ورد في القرآن عشر مرّات منها ثلاث مرّات في سورة الواقعة وواحدة في سورة الزخرف وواحدة في سورة الشعراء وأربعة في سورة الصّافات ، وهي السورة التي ورد الحديث فيها عن السابقين والمخلصين ، وذكر المخلصون فيها خمس مرّات من أصل ثمان مرّات ، فلذلك تشكّل سورة الصافات ثقلا في هذا المنهج من هنا الحديث هو في آفاق سورة الصّافات واستفادتنا منها لتثبيت هذا المنهج .

## أهميّة الصّافات في تثبيت هذا المنهج :

من الآيات التي ذكرت هنا : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَنْ خَلَقْنَا ﴾[1] الخطاب من النبيّ (صلى الله عليه وآله) لقريش وللناس الذين يبلغهم القرآن الكريم ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ * بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا

---

1- الصّافات: 11.



رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ * وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ ثمّ يقول : [1] ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ * قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[2] إلى أن يقول : ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾[3] ثمّ يقول : ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾[4] هذا المقطع يتحدّث ويخاطب الناس اللذين في زمن النبيّ (صلى الله عليه وآله) ومن بلغهم القرآن الكريم ، وبالتالي حين يقول : إنّ هؤلاء الناس المكذبّين بالقرآن سينالهم العذاب سواء في الآخرة أو في الدنيا إلاّ عباد الله المخلصين يراد بالمخلصين هنا في الأمّة الآخرة ولا يتحدّث عن المخلصين في الأمم السابقة .

وبعد ذلك يتحدّث عن هؤلاء المخلصين في الآخرة : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ

* عَلَى سرُرُ متقَابلِينَ * يطَاف عُليَهمُ بكأسَ مِن مِعِينْ ﴾ [5] إلى أن يقول : ﴿ فَأَقبَلْ بَعضَهُم عُلىَ بعضَ يتسَاءلونَ * قَالُ قَائلِ مِنهُم إنيْ كاَنَ ليَ قَرِينِ ﴾ [6] القرآن الكريم يتحدّث هنا عن أحد المخلصين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا يتحدّث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

فمنهج القرآن الكريم هو إعطاء طرف من المعلومات هنا وفي سورة أخرى يكرر نفس المقطع ولكن هناك يعطينا شيئاً آخر ، فلذلك ليس فقط نحتاج إلى ربط آية بآية أو عرض آية على آية في القرآن ، بل أحياناً نحتاج إلى عرض مقطع على

---

1- الصّافات : 11 ـ 17 .
2- الصّافات : 24 ـ 29 .
3- الصّافات : 33 ـ 34 .
4- الصّافات : 40 .
5- الصافات 41 ـ 45 .
6- الصافات : 50 ـ 51 .



مقطع ، هذا مستوى آخر من العرض ، وأخرى نحتاج إلى عرض سورة على سورة ، هذه السورة القصار إلى جنبها سور متوسطة التفصيل وسور أكثر تفصيلاً ، وفي الحقيقة السور المفصّلة تفصيل للوسطى ، والوسطى تفصيل للقصار ، ومن هنا نحتاج إلى أن نعرض السورة القصيرة على السورة الأوسع ، وحينئذ يتحرّك أمامنا القرآن ومعانيه بشكل جميل جداً ، وهناك مقاطع في سورة الصّافات هي :

المقطع الأوّل :

﴿ فَأَقبَلْ بَعضَهُم عُلىَ بعضَ يتسَاءلونَ * قَالُ قَائل منهَم إنيَ كاَنَ ليِّ قَرِينِ * يقوَل أَئنكَ لمنَ المّصدقيَنُ * أَئذَا مَّتنَا وَكنَا تُرَابا وَعظَاما أَئنَا لَمدِينُونَ * قَال هَل أنتَم مطلعُونَ * فاطَّلعَّ فَرَآه فيَ سوَاءَ الَجحيَمَ * قَال تاَللهَ إن كدتَ لتردين * وَلوَلا نَّعمِةَ رَبيِّ لكَنتُ مُن اِلمَحضُرِينْ ﴾ [1] ، هذا المقطع من السورة يتحدّث عن أحد المخلصين وعن طاغية زمانه ، وأمّا من هو ؟ وهل هناك معلومات أكثر تفصيلاً ؟ هنا نحتاج إلى أن نبحث عن مقطع آخر يرتبط بهذا الحديث ، وسيأتي من خلال الحديث إنّ شاء الله تعالى .

هذا المقطع يتحدّث بطريق مباشر عن المخلص ولكن لا يذكر اسمه ، ولو ذكر اسمه واسم ذلك الطاغية يتحرّف النصّ بشكل طبيعي ، وأمّا المقطع الآخر فيتحدّث عنهم بطريق القصص .

المقطع الثاني :

﴿ وَلقَدَ ضَل قَبلَهمَ أَكثرُ الأَوَلينَ * وَلقَد أَرسَلنا فيهَمَ مُنذرِينَ * فانظرِ كيفَ كاَنَ عاقبةَ المُنذرِينَ * إلاَ عبَاد اللهَ المُخلَصِين * ولقدَ نَادَانَا نُوحَ فلنعمَ المجيبَونَ ﴾ [2] ، هنا يتحدّث عن المخلصين في الأمم السابقة ، والسورة قدّمت لنا أربعة نماذج تطرحهم كنماذج للأمّة الآخرة بشكل صريح .

1- الصّافات : 50 ـ 57 .
2- الصّافات : 71 ـ 75 .



﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [1] ، نحن قلنا : إنّ الآخرين مصطلح أراد به أمّة النبيّ (صلى الله عليه وآله) الخاتم ، والأوليّن أراد بهم الأمم السباقة ، فالله سبحانه وتعالى يذكر أنّه أبقى قصّة نوح في الأمّة الآخرة تتحرك بشكل خاصّ .

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ الترك ، أي : الإبقاء ، وتركك على الشيء ، أي : الإبقاء عليه ، فتركه في الآخرين يعني ترك ذكره في الآخرين يتحرك ليؤدّي وظيفة خاصّة .

﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ [2] هنا الآخرين غير الآخرين في السابق وهذا واضح .

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ [3] ، أهل نوح هم : خاصّته من أهله ، وليس مطلق من ينتسب إلى نوح ، وهم المشار إليهم في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ [4] يعني ممن حملنا مع نوح من ذرّيته باعتبار أنّ بعض ذرية نوح لم يحمل في السفينة ، وأيضا قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ [5] فواد بأهل نوح هنا خاصّته وأصفياء الله تعالى الذين ورثوا الكتاب بعد نوح .

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ معناه أنّ هناك حدثاً سيناظر حدث نوح في

1- الصّافات : 75 ـ 78 .
2- الصّافات : 79 ـ 82 .
3- الصّافات : 76 .
4- مريم: 58.
5- الحديد : 26 .



الأمّة الآخرة ، وأهم ما تميزّ به نوح أمران : الأوّل : طول العمر ، حيث لبث في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما .

الثاني : إبطاء نزول العذاب ، حيث أنذرهم في بداية الدعوة ونزل العذاب بعد ألف سنة .

هذا الأمر القرآن الكريم يصرّح به بشكل واضح ، وأنّ هناك عذابا إلهيا سيأتي ويعم المكذبين بالقرآن الكريم ، والى اليوم صار أكثر من أربعة عشر قرناً ولم ينزل العذاب ، وحاشا لله تعالى أن يخلف وعده .

وقد أشرنا إلى أنّ صفة النذير المبين وردت في القرآن الكريم لنوح عليه السلام ، ووردت أيضاً بحق محمد (صلى الله

عليه وآله) ، وبقيّة الأنبياء لم يذكر لهم هذه الصفة .

وهذا أيضاً نهج قرآني من أجل أن يجعل القارئ يربط بين هذه القصّة وتلك القصة أو بين هذا الاسم وذلك الاسم ، وأيضاً حينما يستكثر الإنسان أن يبقى أحد المخلصين حيّاً إلى اليوم نحتاج إلى شواهد من التاريخ ومن أعظم الشواهد هو نوح(عليه السلام).

فحينما يقال : إنّ المهدي (عليه السلام) كيف يمكن أن يبقى حياً طول هذه الفترة ؟ يجاب بأن من أبرز الشواهد قصة نوح (عليه السلام) .

فهي في هذين الميزتين متحرّكة يومياً مادام هناك حركة وحوار في الدعوة إلى الإسلام والي أهل البيت (عليهم السلام) والي القرآن الكريم ، فتتحرّك هذه القصّة في الأمة لتؤدي دور رفع الغرابة من بعض القضايا ودور التثبيت في قضايا أخرى ، وبالتالي من الناحية التطبيقية قصّة نوح (عليه السلام) بهاتين الميزتين لها ما يناظرها ، وهذا هو السرّ في إبقاء ذكر نوح (عليه السلام) في الآخرين .

المقطع الثالث :

يتناول قصّة إبراهيم (عليه السلام) : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ [1] ، إبراهيم من

---

1- الصّافات : 83 .



شيعة نوح يعني على نهجه في التوحيد ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [1] ، ثمّ يتحدّث عن قصة ذبح ولده : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [2] .

لابدّ أن نبحث عن الامتياز في قصّة إبراهيم وولده إسماعيل ، حيث لا يوجد في قصص الأنبياء نبي أمر بذبح ولده غير إبراهيم ، وإسماعيل يستجيب استجابة عجيبة ، والله تعالى يكرّم إسماعيل على هذه الاستجابة بأن يجعل إمامة إبراهيم في ذريّته ويصير وارثاً لإمامته .

إذن ننتظر حتّى يوجد لهذه القصّة نظير في هذه الأمة ، وهذا الابتلاء لا يشترك أن يكون هو بعينه ; لأن إبراهيم لم يذبح ولده وإنّما أقدم على الذبح وفداه الله تعالى ، وإنّما الذي نحتاجه هو الهيكل العام للقصة في هذه الأمة .

والقرآن الكريم يوضّح النظير في موارد متعددة ، والسنة النبوية وأحاديث النبيّ (صلى الله عليه وآله) تتحدّث عنه بشكل واضح أيضاً .

والشيء المفيد والمثير جداً أن النبي الوحيد الذي تكررت به قصة إبراهيم ، يعني إبراهيم (عليه السلام) بعث وحطم

الأصنام ، بعث في مجتمع يعبد الأصنام بشكل بارز ، ثمّ يحطّم الأصنام ، ثم يجتمع قومه عليه ليحرقوه بالنار ، ثم ينجيه الله تعالى ، ثمّ يهاجر ، ثمّ يبتليه الله تعالى بذبح ولده ، ثم يعفيه من الذبح ويجعل فيه الإمامة ، هذا هو الهيكل العام .

1- الصّافات : 84 .
2- الصّافات : 101 ـ 108 .



وتكرر هذا بشكل عجيب في النبيّ الخاتم (صلى الله عليه وآله) حين بعث في مكّة ومكة بيت للأصنام ، وحطم الأصنام وسفّهها ، واجتمعت قريش من أجل أن تحرق النبيّ وتقتله ; لأن الحرق وسيلة للقتل ، وأنجاه الله تعالى ، وهاجر ، وبعد ذلك ابتلاه الله تعالى بتلك الرؤيا : ﴿ وَما جَعَلنَا الرُّؤيا الَّتي أَرَيناكَ إِلا فِتنَةً لِلنّاسِ ﴾ [1] .

وفي هذه الرؤيا لا يفصّل ما هي الرؤيا ؟ هنا نحتاج إلى الروايات ، حيث تذكر أنّه (صلى الله عليه وآله) رأى بني أمية ينزون على منبره ، يعني دينه احتواه بنو أمية كاملاً ، هنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يثور غضباً ويتألم كثيراً ، وأنه كيف النبيّ الخاتم (صلى الله عليه وآله) والأنبياء يعولون عليه بأنه هو الذي يحفظ خطهم ورسالاتهم ، وإذا بالدين يحتويه بنو أميّة ؟ !

وبنو أميّة يعرضون أنفسهم للمجتمع المسلم وللعالم على أنهم أولياء رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والدين يؤخذ منهم ، هنا النبيّ لابدّ أن يفكر أنه ما هو المخرج من ذلك ؟ ومن المعد لذلك ؟ فيخبر أن واحدا من أولاده ينبغي أن يذبح ، أمستعد أنت ؟ فاستعداد النبيّ هنا كاستعداد إبراهيم (عليه السلام) .

طبعاً النبيّ (صلى الله عليه وآله) حين يتحدث مع هذا المخلص مع ولده الذي هو يعده هو مستعد لأن يعده إذا كان الدين يحفظ بذبح الولد لكن لابدّ أن يشاور الولد ، هنا الإنسان لابدّ أن يستذكر أن النبي (صلى الله عليه وآله) في تلك اللحظات حين يقول له وهو ابن ست سنوات : إنّ بني أميّة سوف يحتوون ديني وليس لهم إلا أنت هل أنت مستعد أن تذبح ؟ هنا الحسين (عليه السلام) يقول : نعم جدّي .

واليوم نرى من خلال التجارب المعاصرة أنّ ابن خمس سنوات يحفظ القرآن وابن ست سنوات يمنح دكتوراه في القرآن يعني عنده وعي ، فكيف إذا كان ربيب النبيّ (صلى الله عليه وآله) وربيب علي (عليه السلام) وربيب الزهراء (عليها السلام) ؟ يعني ثلاثة معصومين يربّونه .

1- الإسراء : 60 .



وأيضاً حين قال النبيّ (صلى الله عليه وآله) للزهراء (عليها السلام) : يا بنية ستلدين غلاما تُقتله الأمة قالت : يا رسو الله لا حاجة لي في غلام تقتله الأمّة قال : إنّ الله جعل في ذريته الإمامة قالت : رضيت [1] .

فالذي نجده في التراث الروائي منسجم تماماً مع أصل النظرية ، يعني هناك نظير لقصة إبراهيم واسماعيل بميزتها ، ميزة

الابتلاء ومنزة الكرامة على الابتلاء .

طبعاً من الآيات التي تعضد هذه الفكرة هي : ﴿ وَالْفَجْرِ * وليال عشر ﴾[2] الله تعالى يقسم بفجره ، وهذا له أهمّية خاصّة في التاريخ حيث لا يوجد في تاريخ الأنبياء إلاّ فجر يوم العاشر من ذي الحجة الذي أقدم فيه إبراهيم على ذبح ولده ، وهذا فجر خاص يستحقّ أن يقسم الله تعالى به ; لأنّ فيه طاعة فريدة في التاريخ طاعة إبراهيم لله تبارك وتعالى وطاعة ولده ، ولذلك القرآن الكريم حينما يقول : (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ)[3] يريد أن يكرّم هذه الحالة تكريماً خاصاً .

وأغلب المفسّرين يذكرون أنّ ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ هي ليالي ذي الحجّة التي بني البيت فيها ، واليوم العاشر هو يوم النحر ، وما نحروا إلاّ بعد أن نحر إبراهيم (عليه السلام) بعد أن حاول أن يذبح ابنه ولكن الله تعالى فداه بذبح عظيم وذبح ذلك الذبح وذبح الناس .

هذا اليوم فريد في التاريخ هو وتر ، وبقي فرداً حتّى تكرر النظير بعشرة أيام أخرى في التاريخ وفجرها ، ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ في الرواية عن الرضا (عليه السلام) أنّ الذبح العظيم هو الحسين (عليه السلام)[4] ; لأنّه تعرّض للظروف التي تفرض عليه أن يقدم ويقتل من أجل أن يحفظ الدين .

---

1- الكافي 1 : 464 ، بحار الأنوار 44 : 222 ، 66 : 266 .
2- الفجر: 1 - 2.
3- البلد : 3 .
4- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) 2 : 187 .



فبقي ذلك الحدث الإبراهيمي وتراً حتّى شفعه الله تعالى بحدث آخر ، والشفع يعني الرقم الذي شفع به الفرد وصار زوجاً وشفعاً .

وهذا الشفع والحدث الثاني المناظر فوقه عن الحدث الأوّل أنّ هذا حدث ظلامة وذاك اختبار ، وهذا حدث حقيقتاً ، أي : وقع القتل وحدثت الظلامة وإن كانت هذه الظلامة هي الأساس في حفظ الدين ولكن بقيت ظلامة ، وأقسم الله تعالى بها : ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[1] وهذه الظلامة شاءت حكمة الله تعالى أن لا يبقيها كما هي وإنّما أعدّ لها عدةّ ليأخذ بثأرها ثأراً عالمياً باجتثاث كلّ أصول الظلم من على وجه الأرض والإ الثأر الخاص أخذه المختار رحمه الله تعالى في زمانه .

المقطع الرابع :

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴾[2] يعني هناك نظير لموسى وهارون ، وهذا من الواضحات عندكم حيث تذكرون الرواية الموجودة في البخاري وهي من أهمّ الروايات وموجودة في غيره أيضاً :

«يا علي أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»[3] ، أنا أذكر هذا من أجل توضيح الفكرة وإلاّ منهجنا أن لا نستشهد بالروايات في هذه المرحلة من الحديث .

هناك تناظر واضح بين موسى وهارون وبين محمّد وعلي ، الآيات تقدّم هذا المعنى أنّ قصّة هارون وموسى فيها ميزتان بارزتان هما : عندما خوطب بالنبوّة طلب وزير من أهله يتحمّل معه التبليغ ، ثمّ كافأ الله تعالى هارون على تضحياته

1- الفجر : 3 ـ 4 .
2- الصّافات : 114 ـ 119 .
3- صحيح البخاري 5 : 129 .



مع موسى بأن جعل الله الإمامة من ذريّته ، ونفس هاتين الميزتين موجودتان في هذه الأمّة فعلي وزير محمدّ (صلى الله عليه وآله) وخليفته ، وأيضاً كافأ الله تعالى علياً أن جعل الإمامة في ذريّته .

وقصّة موسى (عليه السلام) لها امتياز آخر بسبب أنّ رسالة موسى وأمّة موسى احتفظت بكتاب موسى ، يعني من سنة 1300 قبل الميلاد إلى اليوم الكتاب محفوظ ، يعني الأمّة الموسوية والمسيحيّة كلاهما ينتميان إلى كتاب موسى ، ويحتفظان بهذا الكتاب وبقصص هذا الكتاب ، وبالتالي القصّة تكون حيّة في أذهانهم ، أي : قصة موسى وهارون وما كافأ الله تعالى به هارون من جعل الإمامة في ذرّيته .

والشيء المثير حقّاً في بحث البشارات أنّ الله تعالى يخبر موسى (عليه السلام) ويطلب منه أن يخبر قومه أن النبي الخاتم الذي سيبعثه في آخر الزمان نبي مثله «سيَبعَث لكم نبياً مّن أقاربكم مثل ما أرسلني إليكم»[1] يعني من بني إسماعيل .

وهذه المثلية إذا أراد الإنسان أن يبحثها ، وأنّ الصفة المميّزة لموسى في قبال الأنبياء ما هي ؟

نقول : إنّ له وزراءً من أهله ، وعوقه من اليوم الأولّ ، يعني حينما جاء موسى إلى قومه في مصر من اليوم الأولّ اجتمع فيها اجتماعاً خاصّاً ، وأعلن عن نبوة هارون ووزارته وخلافته ، وكانوا شركاء في الحركة ، وهذا يتناظر مع ما عندنا تماماً .

واستمرّت الرسالة من عهد موسى إلى عيسى ثلاثة عشر قرناً تقريباً ، وحوادث ثلاثة عشر قرناً تتناظر مع حوادث ثلاثة عشر قرناً من أمّة النبيّ (صلى الله عليه وآله) بشكل غريب وحقيقة معجزة ، يعني حين يكشف للعالم أن التناظر على مستوى الأسماء ، عندنا موسى وهارون أبواهما عمران ، وأب عمران قاهث وقاهث بالعبرية

1- البداية والنهاية 6 : 199 .



يعني مجمّع ، وهو ابن لاوي يعني لؤي ، وهو ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

وفي قبال هذا محمّد وعلي جدّهم عبد المطلب بن هاشم وهاشم لقبه عمرو العلا ، والنون في عمران تعريب أصلها بالعبرية عمرام يعني قبيلة عالية أو شعب عالي ومرتفع رفعه الله تعالى ، إذن عمرو العلا وعمران واحد ، وعمرو العلا بن عبد مناف

بن قصي إلى لاوي «لؤي» ، وقبل لؤي قصي وتلقّبه قريش مجمّعا ً; لأنه ّجمع قريش وأسس دار الندوة ، وهذا التشابه ليس صدفة .

والإمامة صارت من ذريّة هارون ، أنتم تعرفون شبر وشبير والحسن والحسين هذا معلوم في الأحاديث حتّى بالعبرية الشفر يعني الحسن ، ولكن لا نجد في التوراة أنّ من أولاد هارون من اسمه شفر وشفير وإنّما نجد اسمين آخرين .

ونجد أنّ هارون كان عنده أربعة أولاد اثنين ماتوا واثنين صاروا أئمة من بعده ، ثمّ استمرّت الإمامة من بعده في أحدهما ، وأسماء الأئمّة من ذريّة أحدهما فيهم بقيّ يعني باقر بقيّ بالعبرية يعني العالم ، ثم يأتي بعده صادوقا يعني صادق ، ثم بعده أخيمعص وهو بالعبرية يعني كاظم ، وبعده من الأسماء علي عزرياً وهو بالعبرية يعني علي ، وبعد علي يوحنان يعني جواد ، هذا حقيقة غريب ، ثمّ نصعد أكثر من هذا ; لأنّ البلاي كررها فمن الائمة من ذرية هارون زكريا ويحيى ويحيى بالعبرية يوحنان يعني الجواد الكريم ، ثمّ يختمه بعيسى ومريم وعيسى آخر الأوصياء في بني إسرائيل من ذريّة هارون .

هنا التناظر حقيقي تعالوا أيّها العالم فسرّوه ، هل يمكن أن يقصده أصحابه ؟ ! وأنت لا تسيطر على ابنك وابن ابنك فكيف بثلاثة آلاف سنة هذا الحفظ والتشابه واحد ، والتناظر ليس فقط في الأسماء ، بل في المحتوى لهذه الأسماء ، يعني قصي دوره أن جمع قريش كما أنّ قاهت كان دوره أن جمع بني إسرائيل ، وكذا عمرو العلا وعمران ، هنا أئمة هدى وهناك أئمة هدى ، هناك آخر الأئمة من



ذريّة هارون غاب غيبتين فعيسى غاب غيبة صغرى وغيبة كبرى وهنا أيضاً كذلك .

الشيخ الصدوق في كتاب إكمال الدين يقول : أنا رأيت في الرؤيا الإمام المهدي (عليه السلام) ] ونحن نثق بالشيخ الصدوق فهو واحد من أوتاد علمائنا في القرن الأوّل من الغيبة ، وكان مهموماً في مسألة تأليف كتاب في الغيبة من أجل أن يرفع بعض الشبهات عن قلوب الناس [ وقال لي : ألّف كتاباً في الغيبة يكفي همكّ ، فقلت له : يا مولاي أنا ألفتّ ، قال : لا ، ألف ّكتابا واذكر فيه غيبات الأنبياء[1] .

وغيبات الأنبياء لها نظائر ، وأوضح تلك النظائر غيبة عيسى حيث له غيبتان غيبة صغرى وغيبة كبرى ، وما قتل ولكن شبّه لهم ، وأنجاه الله تعالى ليس بمعنى أنّه أنجاه من هؤلاء الجلاوزة وغيبّه كاملا ورفعه ، بل بمعنى أنه كان يتحرك في المجتمع من طريق وكلائه ونوّابه وحواريه ، وكان يظهر على يد حواريه معاجز تكشف أنّ الحواريين لا يدعّون أن هذه المعاجز لهم ، بل هي ببركة عيسى وعيسى موجود .

وهذا بالضبط مثل ما للنوّاب الأربعة رضوان الله عليهم حيث كانوا يخبرون بالمغيبّات ويقولون :

هذه من الإمام (عليه السلام) ، وإلاّ فالشيعة التفوا حولهم بأي وّاسطة ويخضعون لهم كخضوعهم للأئمة (عليهم السلام) ؟ ! فالشيعة كانوا على معرفة بان الإمام (عليه السلام) من ورائهم ، وتجري على يدهم ما كان يجري على يد الأئمّة السابقين ، وبعد فترة غيبّه الله تعالى غيبة تامّة .

المهم أنّ هناك تناظراً على مستوى الأسماء وعلى مستوى الحوادث وعلى مستوى الموقف العام ، وأرفع بيت في بني إسرائيل بيت عمران وهو البيت الذي أنجب النبيّ والأئمة ، وهنا أعظم بيت في بني إسماعيل بيت هاشم وأنجب

---

1- إكمال الدين : 3 .



النبيّ (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) ، في بيت عمران هناك امرأة صديقة ، وهنا في بيت هاشم امرأة صديقة ، هذا البيت مستضعف على طول الخط من قبل الأمّة إلاّ في فترات قليلة جداً ، هذا البيت أيضا مستضعف ، هذا التناظر عجيب .

والقرآن الكريم يقدّم لنا التناظر بشكل واضح وأنّ هناك حوادث لها نظير ، ومن أوسع حقول هذا التناظر هو ما يرتبط ببني إسرائيل .

**قصص بني إسرائيل شاهد لما يجري في الآخرين :**

طبعاً هناك أمور مفصلة من المهم جداً أن أشير إليها إشارة سريعة مما يؤكد كون قصص بني إسرائيل جيء بها كشاهد لما يجري في الآخرين ، كقوله تعالى : ﴿ **فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ * أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ * فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ * وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [1] ثمّ يتحدّث ويذكر هنا مقاطع مهمة جداً ، وأنا أذكر لكم أن قصّة موسى غير مدروسة دراسة مقارنة ، وقصص الأنبياء تركناها للروايات ، وليس عندنا بحوث مقارنة بين القرآن الكريم والتوراة والوثائق التاريخية من أجل أن نهتدي إلى مقاطع القصّة .

والقرآن الكريم مفتاح لهذا فحين بعث موسى بدأ الاستضعاف ، ولمّا جاءهم الطوفان والضفادع والآيات التي محقت خواتهم جاؤوا إلى موسى (عليه السلام) : ﴿ **وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ** ﴾ [2] ، رفع عنهم العذاب لفترة وصارت هدنة بين موسى وقومه وبين فرعون وقومه ، والتاريخ والقرآن ساكت عنهم ، وأنا أستنبط أنّ

---

1- الزخرف : 41 ـ 46 .
2- الزخرف : 49 ـ 50 .



الهدنة بقيت عدّة سنوات بدليل أنّ فرعون استطاع أن يعيد البناء الاقتصادي والعسكري إلى أن رأى نفسه قوياً جداً ، فبدأ يستضعف موسى بني إسرائيل من جديد : **وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي**

﴿ مِن تَحتِي أَفلاَ تَبصَرُوْنَ * أَم أَنا خَيرٌ مِنَ هذا الذيِ هُو مَهِين وَّلا يكادُ يبين * فَلولا أُلقِيَ عَلَيهِ أَسوِرَة مِنَ ذَهَب أَوْ جاء مَعَهُ الْمَلائِكَةِ مُقتَرِنِيْنَ * فاستخفَ قَومَه فَأَطَاعُوْه إِنهُم كَانوا قَوماً فاسِقِين * فَلما آسَفُونا انتقمنا منهم فَأَغرَقناهُم أَجمعين * فَجَعلناهُم سُلفا وَمَثلاً لِلآخَرِينَ ﴾ [1] .

وهذا واضح أنّه يريد أن يربط هذا النموذج والحدث بمثله في الآخرين ، والشيء الجميل جداً أن من معاني السلف في اللغة : الجماعة المتقدّمة ، سلف الرجل : آباؤه المتقدّمون ، والسلفتان : المرأتان تحت الأخوين والسلفان : رجلان تزوجا بأختين كل واحد منهما سلف لصاحبه ، والمرأة سلفة لصاحبتها [2] ، وقوم فرعون الذين أنذر فيهم موسى ، وقريش قوم النبي (صلى الله عليه وآله) سلفتين للنبيّ (صلى الله عليه وآله) ، شيء عجيب حينما ندرس التناظر يبرز هذا الأمر بشكل واضح تماماً .

## سورة الدخان تتحدّث عن النظير :

وفي سورة الدخان تأكيد لهذه المماثلة وفيها يتحدّث عن النظير في الأمّة الآخرة : ﴿ حم * وَالْكِتابِ الْمبِيْنِ * إِنا أَنزلنَاه فِي لَيْلَةٍ مبارَكَةٍ إِنا كنا مُنذِرِيْن * . . . ] الخطاب لقريش ولامتداد قريش [ بل هم في شَكٍ يَلْعبُون * فَارْتقبْ يَوم تَأتي السَّماء بِدخَانٍ مبِينٍ * يغشَى النَاس هَذا عَذابٌ أَليمٌ * ربَنا اكشِف عنا العَذابَ إِنا مؤمِنُون ﴾ [3] ، إذن هؤلاء مؤمنون وليسوا مشركو قريش ، إذن يتحدّث عن فترة ما بعد النبيّ ، ولكن هؤلاء شاكّون فلما جاءهم

---

1- الزخرف : 51 ـ 56 .
2- لسان العرب 9 : 158 .
3- الدخان : 1 ـ 12 .



العذاب قالوا نحن مؤمنون لرفعوا عنّا العذاب : ﴿ رَبَّنَا اكشِفْ عَنا العَذَابَ إِنا مؤمِنُون * أَنى لَهم الذكرَى وقَد جَاءهُم رَسُولٌ مبِينٌ ﴾ [1] هؤلاء سوف لن يذكرون ، يعني يتحدّث بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، فهؤلاء في زمن النبيّ حاربوه وأسلموا كرهاً وخوفاً وصارت الأمور بأيديهم وهناك لم يستفيدوا الآن يستفيدون ؟ ! ﴿ أَنَّى لَهُم الذكرَى وَقَد جَاءَهُم رَسُولٌ مُبِينٌ * ثم تَوَلوا عَنهُ وقَالُوا مُعَلمٌ مَجنُونٌ * إِنا كَاشِفُوا العَذابِ . . . ﴾ [2] أي : نكشف عنكم العذاب ، ونفس الكلام حدث تماماً ومناظر لما جرى بين موسى وفرعون : ﴿ إِنا كَاشِفُوا العَذابِ قَلِيلا إِنكُم عَائِدُوْنَ * يَومَ نَبطِشُ البَطشَةَ الكبرَى إِنا مُنتَقِمُون ﴾ [3] وفعلاً انتقم منهم .

هنا يتحدّث عن وقائع تاريخية حينما ننظر لها في الواقع التاريخي نجدها متطابقة مع هذه النصوص بشكل لا ينخرم التطابق ، وهنا القصص والشواهد محبوكة بحيث لا يفلت القارىء من مورد إلاّ ويأتيه مورد آخر ليذكّره ، إذن مسألة أن هذه

القصص جيء بها كشاهد للحديث هذه من أوضح الواضحات .

**شاهد على الرجعة :**

بقي المقطع الخامس من سورة الصّافات :

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [4] وأبقى على إلياس في أمّة محمّد (صلى الله عليه وآله) وأبقى ذكره .

---

1- الدخان : 12 ـ 13 .
2- الدخان : 13 ـ 15 .
3- الدخان : 15 ـ 16 .
4- الصّافات : 123 ـ 129 .



وخلاصة قصّة إلياس هي أنّ إلياس هذا هو المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ [1] ، وإرميامن أسماء إلياس ، وهما بمعنى واحد ، والقرية هنا بيت المقدس ، ومن أبرز صفات إيليا التي تميّز بها في خط الأنبياء أنّه مات وبعث بعد مائة عام ، يعني رجعة إلياس ، وإلياس يعني علي ، فكان بني إسرائيل شخص اسمه علي ، وأماته الله وأحياه .

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ، هنا القرآن الكريم ينبّهنا أنّه في هذه الأمة يحدث ما حدث في الأمة السابقة .

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ [2] ، فهناك دابة من الأرض في آخر الزمان يخرجها الله تعالى ويجعلها آية ، ما هذه الدابة التي تكلّمهم ؟ واضح ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ ﴾ أي : إنسان ميّت (دابة تكلّمهم) أي : إنسان يتحدّث بعد الموت ، ولا يشترط أن يكون مائة عام ، فقد يكون أكثر من ذلك ، فالفترة الزمنية غير مهمّة .

فهنا الآية تنبىء إلى وجود هذا النظير ، وأنّه يترقّب في الأمة الآخرة أن يحصل مثل ما حصل لإلياس من أنه يموت ويبعثه الله تعالى ويكون آية لقومه ، ولمّا نبحث في القرآن الكريم نجد أنّ هناك آياتاً تلمح أن هناك إنسانا يبعثه الله تعالى للمجتمع من جديد بعد فوته ليكون آية .

طبعاً تميّز شيعة أهل البيت (عليهم السلام) بالعقيدة بالرجعة ، وحين يستكثرون علينا نقدّم لهم هذا ، فشاهد إلياس هنا قوي جدّاً ، فحيثما تتحرك لطرح الرجعة يتحرك معك شاهد إلياس .

وهذه النماذج في السورة وما حولها تؤكّد فكرة أنّ القصص القرآنية جيء

---

1- البقرة : 259 .
2- النمل : 82 .

بها للحديث عن المخلصين لتقديم معلومات أكثر عن هؤلاء المخلصين ،وأوجزتها سورة الانشقاق حيث تتحدّث عن هذا الأمر ( فَلاَ أُقْسِمُ بِالشفقِ *وَاللَيلِ وَمَا وَسَقَ *والقمرَ إذا اتسَقَ *لتركبنَ طَبَقاً عَن طبَقٍ )[1] فتؤكّد موضع التشابه وموضوع التماثل بين الأمّة الآخرة والأمم السابقة بلحاظ الموقف من المخلصين والتشابه أيضاً بين المخلصين .

أكتفي بهذا المقدار وأطوي عن كثير من الأفكار .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ،والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطيبين الطاهرين .

---

1- الانشقاق : 16 ـ 19 .





**الأسئلة والأجوبة :**

سؤال : قلتم في معرض الحديث عن السابقين من الآخرين : إنّه وجدت أسماء الأئمّة (عليهم السلام) صريحة وواضحة لكان مصير القرآن هو التحريف ، ولكن القرآن الكريم أكّد من خلال قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ أنّ الأمر محسوم وأنّ القرآن لا يناله التحريف حتّى لو وجدت الأسماء .

وقلتم : لو كان هناك تصريح أو تلميح قوي لناله يد التحريف ،واستشهدتم بآية ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ﴾ ، والنصوص تنصّ على أنّها في بني أمية ، فالأمويون ألم يحاولوا أن يحذفوا هذه الآية ؟

الجواب : أنا أشرت أنّ الإعجاز استثناء والاستثناء بقدر الضرورة ، فالآية حينما تقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ هذا يعني نحن حافظون هذا القرآن الذي تحامينا عن ذكر الأسماء فيه ،ولا يتحدّث عن صياغة أخرى للقرآن فيها الأسماء ، يتحدّث عن هذا الموجود .

فالإعجاز استثناء وخرق للقانون والخرق لابدّ أن يكون له نظام فبمقدار الضرورة نخرق القانون ، فإذا شيء آخر لا يحتاج إلى خرق القانون ويتحقق بأقلّ القدر فيؤخذ به ، ومن هنا بهذا المقدار الحديث عن أهل البيت (عليهم السلام) يتحقق لكن بدون التسمية فقط ، وله نظائر كالحديث عن الصلاة مفصّلاً حيث ذكر الصلاة ولكن عدد الركعات حولّها للنبي (صلى الله عليه وآله) ، فالمسألة طبيعية لمّا يحول ، فهو تحدّث عن قضية وذكر خصائصها ومعلومات عنها .

ثمّ أبقى الاسم ، من هو هذا الاسم ؟ من هم أصحاب هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ ؟ إنّهم علي والحسن والحسين وفاطمة هذا تركه لبيان النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، فهذا المقدار من التعريف إذا تحقق من دون استخدام

درجة أخرى من الاستثناء وافتراض درجة أعلى من خرق القانون لم يكن حينئذ ضرورة لاستخدام الدرجة الأعلى من خرق القانون .

يعني : الكلام هو أنّنا نتعامل مع نص فيه اسم علي وعلي يحارب ، هذا يراد له درجة أعلى من الإعجاز مما لو كان هذا النص يذكر علياً بصفات يمكن لهذا الحاكم أو ذاك العالم للسلطة أن يقول : هذه يقصد بها فلان ، وفي ذلك يبقى النص محفوظاً ، فالكلام يدور بين حالتين بين حالة ما إذا ذكر الاسم فيحتاج إلى درجة أعلى من استخدام الإعجاز ، وبين ما إذا لم يذكر الاسم وذكرت الصفات ولم تكن هناك ضرورة لذكر الاسم ، فتقدّم الحالة الثانية .

إن قلت : إنّ أصل الصلاة أو الحج وغيرهما هذه من الفروع ، وأمّا الإمامة فهي من الأصول فلم لم يذكرها ؟

قلت : ذكرها ، ومجرد عدم ذكر اسم علي ليس معناه عدم ذكر الإمامة .

وهذا من عظمة القرآن ككتاب نص ، طبعاً هناك أهداف أخرى ، منها : أنّ هناك أناساً في قلوبهم مرض عندما يبحثون في النص يحسّون أنّ هناك حقيقة لكن لا يريدونها فيحرفوها ، فالله سبحانه وتعالى عندما صاغ القرآن بهذه الطريقة ليس فقط ليصونه من التحريف ، بل ليفسح الفرصة ليظهر صاحب الضغن والمرض مرضه ، حتّى يقول له : أنت مريض حكمنا عليك من خلال واقعك ، وذاك الإنسان ليس مريضاً وإنّما يطلب من الله تعالى أن يوصله إلى الحق فيجاهد ويربط آية بآية ويبقى حائراً أنّ هذه الآية ما هو حلّها ؟ فيهديه الله تعالى بذلك ، بينما إذا ذكرت الأسماء وذكرت الأمور بشكل واضح بحيث لا غبار عليها هنا الفكر يجمد تماماً.

نحن نحاول أن نتعرّض إلى أسوار أوسع من عدم ذكر الاسم ، فحين يذكر الاسم الخسائر أكثر مما لو لم يذكر الاسم ، لمّا لم يذكر الاسم القرآن حقق أغراضاً كثيرة ، كلّ ما يريده حققه ، وفي نفس الوقت حقق أغراضا إضافية كالامتحان والابتلاء.



الآن هؤلاء هل يقبلون من النبيّ أن يسمّي ؟ لما تنزل الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ يقول لهم : اكتبوا أنّ هذه الآية نزلت في علي ، هم يتناجون أنّ هذه التسمية من عنده والكلام من الله تعالى ، وهكذا في أهل البيت (عليهم السلام) يقبلون التنزيل ويشككون في بيان النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، هنا سقطوا في الامتحان ، خضعوا للكتاب ولذلك قالوا : حسبنا كتاب الله ، أي : نقبل النص ما دام فيه مجال أن نحرّه ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ .

سؤال : عنوان آل إبراهيم عنوان عام يشمل من كان من آل إبراهيم إلاّ ما أخرجه الدليل ، لماذا القرآن مثّل بآل إبراهيم ولم يقل آل محمّد ؟

الجواب : سيأتي في البحث أنّ آل إبراهيم عنوان أريد به آل محمّد (عليهم السلام) .

أنا بودّي أن أستفيد من انطباع الإخوة الكرام حول المنهج ، صحيح أنّ هذا المنهج بنفسه بحث علمي ويخضع للتحليل

الموضوعي من قبل الباحثين ، لكنه أيضاً في نفس الوقت يطرحه المبلّغ لخط آهل البيت (عليهم السلام) ، ويهمنا جميعا أنّ هذا النوع من البحث ومن العرض كيف يستقبله السامعين على اختلاف مستوياتهم .

أنا أحتاج إلى سطرين أو ثلاثة أسطر عن انطباعكم عن هذا المنهج ، هل هذا المنهج يفرض نفسه على السامع ويعطيه شيئاً أو فيه ثغرات ؟وأيّ ثغرة موجودة في هذا ؟وهذا المنهج أنا معنيّ في طرحه ،وأرجو أن يتحرك في المجتمع من قبل غيري أيضاً ،وهو منهج أهل البيت (عليهم السلام) ، ولم أختلقه أصلاً ، أنا استفدته من مائدة أهل البيت (عليهم السلام) ، وكلنا على هذه المائدة في الحقيقة .

سؤال : عند الأوساط الشيعية هذا المنهج مقبول ، ولكن عندما نناقش السنّي أو غير السنّي قد يشكل ويقول : هذا أول الكلام ، فالخروج على الظاهر يحتاج إلى دليل وقرينة قطعية ،وهذه الآيات ظاهرة في العموم ولا تقصد شخصاً بعينه ، ومجرد ربط آية بأخرى لا يعطيها ظهوراً في الخصوص .



الجواب : كلامكم جميل جدّاً ، ومن أجل أن يكون أكثر جمالاً وأكثر دقة ينبغي أن نحدد المورد ، فعندما تتضح عندنا الفكرة ونشخّص مقطعاً زمنياً نطبق فيه تلك الحادثة القرآنية التي هي حادثة غير مشخصّة ، ولكن شخصّت لنا معالمها وأيضاً الفترة التاريخية شخّصت لنا ،وأنا أتبنّى أنّ الحروف المقطعّة تواريخ ،وهي ترتبط بتلك القصص وبتلك الشواهد ، فالقرآن الكريم من خلال هذه المقاطع شخّص لنا حادثة معينّة وشخّص لنا فترة معينة ،وعندما نرى تلك الفترة نجد معاوية والشيعة ، معاوية والحسن ، في هذه السنوات من خمسين إلى ستين عاماً لا يوجد لهذه الفترة نظير في تاريخنا ، فإنّ المشانق نصبت في كلّ البلاد الإسلامية ما عدا الشام والمدينة ،وأثقلها كان في الكوفة يتبّعون شيعة علي ، فشيعة علي بين مقتول ومسجون وشارد .

فهذه الآيات تحدّثت عن حدث يأتي بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) ،وافترضوا من فترة ما بين خمسين إلى ستين بالتحديد في القرآن الكريم ، فعندما نرى تلك الفترة نجد معاوية فيتبادر في الذهن ، هذا المقدار ظن وهو معتبر ، ولكن قبل معاوية وبعده ليس عندنا شاهد ، فحينئذ نطبّقه عليه ،والقرآن يتحدّث عن حوادث بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ** ﴾[1] ، فَبدأ يتحدّث عن هذا الانقلاب ،وعن العدّة الإلهية في مواجهة الانقلاب ،والحوادث الكثيرة في ذلك .

أنا أقول : فليأتي المفسّرون الآخرون ويناقشون هذا المنهج ، هذه الآيات التي عرضت لا تبقى معلقّة وهي تنظر إلى واقع عملي وفعلي ، ونحن نبقى في حدود الجانب النظري ، بل نحتاج إلى تشخيصها في الواقع الخارجي ، فعندما نشخّصها على مستوى الظن فهو ظن علمي ، وفي قباله من يقدّم شيئاً آخر على مستوى الظن فيتعارضان فنبحث عن مرجّحات أخرى وحينما نأتي ونحصل في

1- آل عمران : 144 .



تراث أهل البيت (عليهم السلام) على رواية تنسجم تماماً مع هذا الظهور أو مع هذا الظن المعتبر هذا مهم جداً في هذا الباب .

يبقى هذا المقدار من العرض هذا المقدار متأخّر ، يعني نحن نبدأ بالأصل وهو أنّه توجد فئة مخلصة معصومة وارثة للكتاب هذا الذي تحدّثنا عنه ، هذا إذا قبلناه كأساس حيث إنّ القرآن يمنحك أصولاً تقبلها ، فعندئذ يساعدك ذلك على البحث في مستوى آخر وأعلى ، ولذلك نحن إذا أردنا الحوار مع أهل السنّة فلا نبدأ من هذا المقطع الأخير ، بل نركّز على المرحلة الأولى والثانية ، وهذه الحواشي التي ذكرت تحذف حيث إنّها تشوش البحث أحياناً ، ونبقى في المسائل الأصلية وهي خصائص عامّة ذكرت ، وذكرت أنّ القصص القرآني فوق من أجل تقديم معلومات إضافية عن هؤلاء المخلصين ، هذا المنهج نقبله ثمّ نبدأ نبحث سوية في قصص القرآن الكريم لنشخّص معلومات عن الفئة السابقة عن المخلصين في هذه الأمة ; لأن هؤلاء قليل ، وهناك أفراد وهناك معلومات عنهم فنبدأ نشخّص ونفتح ملفاً عن هؤلاء ، ونبتغي القرائن من أجل أن تنمو هذه المألة الافتراضية وذلك الظهور الظني .

سؤال : أشرتم إلى الشبه ما بين بني إسرائيل وأمّة موسى وبين الأمة الإسلامية ، وهذه في الواقع شبهة يطرحها المخالفون ويقولون : إنّ الروافض أخذوا دينهم من اليهود ؟

الجواب : هذه الشبهة تثار من قبل ابن تيمية وهو من أبرز من تبنّى إثارة الشبهة ، هذا التناظر إذا عرضناه على شكل لوحة ، وأنا بصدد أن ترسم لوحة لكشف هذا التناظر ، وهذه الأسماء أسماء الأئمّة من آل هارون بهذه التسمية غير معروفة حتّى من أهل التوراة أنفسهم ; لأنّها في الزوايا ، ونحن بالتنقيب المتتابع استخرجناها وحصلنا عليها ودرسناها من الناحية اللغوية ، فهي ليست من الأفكار المعهودة والمتعارف عليها في عهد الأئمّة (عليهم السلام) ، ولا في الفكر الإسلامي في ذلك العصر ، واليوم نحن نكتشفها مثل ما يكتشف اليوم مسائل ترتبط بتاريخ العراق



القديم تؤيّد ما ذكره أهل البيت (عليهم السلام) ، مثلاً : في مسألة الجودي ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [1] يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : الجودي هو فرات الكوفة [2] .

العلاّمة المجلسي رحمة الله عليه وهو رجل محور في زمانه لتراث أهل البيت (عليهم السلام) قال : لعلّها مصحفة قرب الكوفة [3] ، يعني غير معهود عندنا أنّ الجودي فرات بالكوفة .

هنا أنا أعلّق وأقول : لا يا شيخنا الحديث صحيح وغير مصحّف ; والدليل (القاموس الأكدي) وهو معجم الألفاظ الأكدية والآشورية والبابلية حيث ألّف في ضوء الألواح المسمارية التي اكتشفت في العراق منذ 150 سنة ، هذا التراث المسماري حديث ، وانتشر في العالم وترجم ، واشتغلت عليه جامعة شيكاغو خمسين سنة وأصدرت هذا المعجم في عشرين مجلد لازال

إلى الآن يصدر ، هناك لفظة (گادو) وگادو وجودي واحد ، الإمالة والضمّة والفتحة ليس لها أثر في اللغات القديمة يقول : اسم للوات القديم ، فهذا كشف .

الإمام الصادق (عليه السلام) عندما ذكرها في زمانه أصلاً هذا النوع من الثقافة لم يكن معهوداً في المجتمع وانمّا اكتشف حديثاً ، وبالتالي نكون أمام إثارة شيء جديد ، من أين للإمام الصادق (عليه السلام) هذه المعلومة حيث خالف بها عامّة ما عند أئمّة عصره ؟ نفس الأمر هنا في موضوع التسميات ، هذا التناظر إلى الآن غير معروف وغير مكشوف ، وانمّا ابن تيمية يحاول أن يتصيّد بعض المتشابهات في الأحكام وفي الأعواف وهذا أساسه خاطئ ; لأنّ الدين واحد .

مثلاً في التوراة موجود أنّ الميت إذا ترك بنتا فالتركة لها ، والشيعة من بين المذاهب الإسلامية تقول : إن التركة للبنت .

---

1- هود : 44 .
2- الكافي 8 : 281 .
3- بحار الأنوار 11 : 333 .



هنا أنا أساعده وأقول له : إذا تريد أن تحصل على أرقام أنا أساعدك ، أنت بعض الأرقام التي ذكرتها جئت بها زوراً وبهتاناً وظلماً ، وانمّا هذا الرقم أنا أساعدك عليه وهو موجود ، ولكن إذا هذا المنهج تقبله إذن السن بالسن والعين بالعين موجود في التوراة وقبله في شريعة حمورابي ، اليوم العلمانيون يقولون : التوراة أخذه من حمورابي ، يعني هذه التشريعات في التوراة مستمدّة من أصول وثنية للتشابه ، هذا أصل غير علمي وغير صحيح ، والقرآن الكريم أيضاً قال : ﴿ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ ﴾ [1] .

يعني ابن تيمية حينما عرض بعض المتشابهات إنّما عرضها من خلال الأحكام والأعواف وهي كانت معهودة في زمانه ومكشوفة ومعروفة ، والذي نعرضه أمر آخر ، نحن نعرض حقيقة تاريخية القرآن نطق بها ، القرآن عرض مسألة التشابه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وآله عرض مسألة التشابه وأكّد عليه ، فمسألة التشابه والتناظر بين أمّة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وبني إسرائيل أسسه القرآن والنبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) .

سؤال : الإشكال ليس في التشابه وإنّما عندما جاء بعض الصحابة بالتوراة غضب الرسول (صلى الله عليه وآله) فقال : لقد جئتكم بالمحجّة البيضاء ، فالإشكال ليس في أننّا نأخذ من القرآن السن بالسن والعين بالعين لأنهّ ثابت وقطعي وغير محرف ، وإنّما الإشكال أنهّ عندما نقول : إنهّ في أبناء هارون من اسمه صادق وجود وغيرهما هذا مأخوذ من التوراة المحرف ، فربما اختلقها أهل التوراة من الرهبان وغيرهم .

الجواب : هذا الإشكال إشكال جزئي لا يرد ; لأنّ هذه الأسماء ليس لها قيمة خاصّة عندهم كما عندنا اليوم ، يعني ضائعة في خضم أسماء كثيرة ، فيذكر أسماءفي سفر من الاسفار من دون أن يرتّب عليها أيّ أثر ، يعني مجرد معلومة مهملة نحن استفدنا من هذه المعلومة تطبيقاً لقول النبيّ (صلى الله عليه وآله) : يا علي أنت منيّ بمنزلة هارون من موسى .

1- المائدة : 45 .



وهذه المثلية تتسع ليس فقط في جانب الحكم والانقلاب على علي (عليه السلام) كما انقلب بنو إسرائيل على هارون ، وإنّما تتسع في الإمامة في ذرية هارون ، ومن دلالة الحديث أنّ الإمامة استمرّت بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) في ذرية علي (عليه السلام) كما استمرّت في ذرية هارون (عليه السلام) ، فنحن نتحرّى عما يؤيد وعما يبيّن دلالة هذا الحديث عمليا ، فيبقى الإشكال إشكالاً افتراضياً ليس له أصل .

المهم الكلام في أصل الطرح وأنّ الهدف من هذا الطرح هو أنّ القرآن الكريم نبّه إلى التناظر من أجل أن يتحدثّ عن طريق تلك الحوادث السابقة التي لها نظير في هذه الأمّة من دون أن يتحمل مؤونة أن يفترض إعجاز آخر أوسع ، فتبقى هذه المعلومة بعد أن تتحرر قرآنياً بحاجة إلى تشخيصه تاريخياً ، فهناك معلومات بواسطة التناظر قدمّت لنا الآن ، فالمطلوب منا بعد أن يتحرر ويتنقّح هذا الأمر أن نبحث في الواقع التاريخي عما يجسدّ هذه المعلومة القرآنية فلا نجد حينئذ إلا خّط أهل البيت (عليهم السلام) .

مثلاً : حينما يتحدّث في كهيعص هذه الحروف وفق إحدى النظريات أنها تواريخ ، طبعا هذه النظرية مستفادة من أهل البيت (عليهم السلام) ، ففي الرواية أنّه ما من حرف من هذه الحروف إلا وإمام من بني هاشم يظهر ويقوم ، لكن نحن لا نستدل بهذا نحن ينبغي أن نأخذ الفرضية الآن ، كهيعص نحسبها من الهجرة تكون سنة 195 هجرية ، وسنة 195 هجرية هي سنة ولادة الإمام الجواد (عليه السلام) ، المفروض أنّ القصّة التي تحدثّت عن بني إسرائيل تتحدثّ عن النظير ، فهي تحدثّت عن زكريا ويحيى وتقول : اشتعل الرأس شيبا وكان عقيماً وقال : ربّي هب لي ولدا يرثني ويرث من آل يعقوب وانيّ خفت الموالي من ورائي ، هنا يتحدّث عن ظرف سياسي ، وعنده معركة سياسية ودينية وفكرية مع بني عميه ، هذا المقدار واضح فزكريا كان ينافسه بنو عمّه في مقام أهل البيت ، يعني هو يطرح نفسه وريثاً لآن عمران وأولئك يقولون نحن آل عمران ، وزكريا متقدّم بالسن وليس له وريث ،



وبالتالي هؤلاء دعواهم سوف تتطلي لذالك يكن له امتداد فجاء الولد ، ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [1] وهو بعمر دون العاشرة ، ويحيى معرّب يوحنان ويوحنان يعني الجواد .

فلنرى الآن الواقع التاريخي في سنة 195 هجرية تقول الرواية في الكافي : أنّ الإمام الرضا (عليه السلام) عمره 42 سنة وليس عنده ولد حتّى اتهّم بالعقم ، وعنده معركة يخوضها مع بني العباس مع بني عمة حول الإمامة حول مقام أهل البيت (عليهم السلام) ، هو عوض نفسه ممثلاً لأهل البيت (عليهم السلام) ، وبنو العباس قالوا : نحن آل البيت ، فإذا مات الرضا (عليه السلام) من دون عقب تتعرّض للخطر .

إذن هذه النظرية القرآنية لابدّ لها من تطبيق في الخارج وإلا تبقى هذه النظرية نائمة ومجرد قصة ، ونحن لا ننفي أن هذه

القصص تؤدّي دور التوبية ولكن الهدف هل يقف عند هذه الحدود أوجيء بها كشاهد أيضاً ؟ القصص كلهّا جيء بها كشاهد ، والشاهد هنا مدعوم برقم تاريخي وبسنة من السنين ، وليست هذه الحادثة هي الوحيدة وإنّما هذه الحوادث تنسحب على بقية المشابهات المدعومة بالحوادث التاريخية .

فهذه النظرية لها أسس وإذا انطلقنا من تلك الأسس وقبلناها فسوف نقبل النتائج التي تأتي ، وهذه النتائج تأتي منسجمة كلّ الانسجام مع تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذي يزخر به تراثنا الروائي ، فأنت إمّا أن ترمي تفسير الوهان ونور الثقلين وتستجيب لبعض الكلمات من أنّ هذا التراث كلهّ غلو ، أو تقبل به وأن هذا التراث هو التراث الصحيح ولكنه غريب ، لماذا هذه الغربة ؟ لأنّ التيار العام تيار آخر ، فمن هنا إذا بدأنا من القرآن الكريم فسوف يتحرر ذلك التراث .

والحمد لله ربّ العالمين .

---

1- مريم : 12 .





# ( 51 ) بيوت الإمامة في القرآن الكريم

السيّد سامي البدري





بسم الله الرحمن الرحيم

**تمهيد :**

الحمد للّه ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمدّ وآله الطيبين الطاهرين .

حديثنا هذه الليلة عن البيت الذي ولد فيه السابقون من عباد الله ، وكان حقّ الحديث أن يكون في الليلة السالفة ، وحديث الليلة السابقة أن يكون في هذا اليوم ، وسنذكر خلاصة الحديث حيث انتهينا إلى أنّ القرآن الكريم كما في سورة الواقعة وغيرها تحدّث عن عباد الله في الآخرة . وذكرت سورة الواقعة أنّ من أقسام العباد صنف سماّه الله تعالى بالسابقين المقربيّن ، وأنهمّ ثُلّة من الأولين وقليل من الآخرين .

وبدأنا الحديث عن مصطلح الأوّلين والآخرين حتىّ يتضّح حديثنا عن السابقين المقربيّن في أمةُ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الآية المباركة ، والتي وصفتهم بأنّهم فئة قليلة .

ثُمّ تحدثنا عن صفات هؤلاء في السور الأخُرى ، وانتهى بنا الأمر إلى أنهمّ معصومون من وسوسة الشيطان ، وأنهمّ ورثة

الكتاب الذي نزل على النبي الأكرم ،وأنّهم حفظة الرسالة المباركة الخاتمة ،وأنّهم مبينون للكتاب الكريم على نحو بيان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ،وأنّهم شهداء وحجج على الناس كما كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ،وأنّهم ممن بشرّت بهم زبر الأوّلين كالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ،وأنّ العاقبة لهم .

والملاحظ أنّ القرآن الكريم في طرحه للإمامة يطرحها بمستوى عال جداً ، فيذكر مثلا أنّ هؤلاء الأئمة معروفون في الأمم السابقة كالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ،وأنّ هنالك أناساً في المدينة المنورة كانوا ينتظرونهم كانتظارهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ،وأن هنالك من سكن العراق والنجف وكربلاء من اليهود من أجلهم ، ففي كتاب وقعة صفين لنصر

الصفحة 196

ابن مزاحم .وهو عالم شيعي زيدي . ، وكتاب وقعة صفين لابن دنيل .وهو عالم سنيّ مشهور وموثق ومعتبر عندهم . يروي قصة أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما توجه إلى صفين لقتال معاوية ، فعند مروره بكربلاء كان هنالك دير لنصراني ، فخرج صاحبه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وبيده صحيفة وأخذ يقرأ منها على علي (عليه السلام) وصفته في الآخرين ، فبكى علي (عليه السلام) وقال : «الحمد لله الذي لم يجعلني عنده منسياً» [1] .

1 - وقعة صفين : 148 ، المسترشد : 667 ، شرح الأخبار : 367 ، الإرشاد : 334 ، مناقب آل أبي طالب 2 : 92 ، بحار الأنوار 32 : 425 ـ 428 .

الصفحة 197

## تبشير الكتب السابقة بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

كما أنّ الكتب السابقة على القرآن الكريم بشّرت بالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكانت الأمم اليهودية والنصرانية تنتظر ظهور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إلى جانب ذلك كانوا ينتظرون أهل البيت (عليهم السلام) ، وقد قرنت الكتب السالفة والقرآن الكريم بين التبشير بالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والتبشير بأهل البيت (عليهم السلام) على مستوىً واحد وبنفس الدرجة .

الصفحة 198

الصفحة 199

## العناوين الواردة في القرآن الكريم لوصف أهل البيت (عليهم السلام)

عرّف القرآن الكريم أهل البيت (عليهم السلام) بعنوانين :

العنوان الأوّل : أنّهم آل إبراهيم (عليه السلام) .

العنوان الثاني : أهل البيت (عليهم السلام) وقربى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وحديثنا اليوم عن العنوان الأوّل وهو آل إبراهيم (عليه السلام) ، قال الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى

قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [1] .

هذه الآيات المباركة صريحة في أنّ هنالك مصطفين من الآباء والأبناء والإخوان ، وفي آيات أُخرى صرّحت بأسماء هؤلاء المصطفين ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً ﴾ [1] .

فالله سبحانه وتعالى يصرّح هنا بأنّه اصطفى داود (عليه السلام) واصطفى سليمان ابنه دون غيرهما ، لأنّ آل الرجل في اللغة يعني أهله وعياله وخاصّته من ذريّته ، فهؤلاء هم الأهل في اللغة ، ومن آل داود سليمان ، لكن اليهود يعتقدون أنّ المنقذ هو المسيح المنتظر وهو من ذريّة سليمان (عليه السلام) ، وهذا خطأ لأنّ الله ما اصطفى من ذرية داود إلا سليمان ولم يصطف غيره ، وإنّما أصل الاصطفاء هو من ذرية هارون ، وكان هناك استثناء في اصطفاء داود وسليمان ، فدعوى اليهود غير صحيحة . ومن جانب آخر وقع النصارى في خطأ عندما أرجعوا نسب المسيح إلى داود (عليه السلام) مع أنّه من ذرية هارون (عليه السلام) .

فإذن داود (عليه السلام) رمز لأُسوة صغيرة وقد اصطفاه الله تعالى واصطفى من ذريته سليمان (عليه السلام) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ ﴾ [2] .

فهنا الله سبحانه وتعالى اصطفى موسى وهارون ويوشع ابن عمّة موسى ، اصطفاهم وجعلهم أئمّة للناس ، واصطفى ذريتّهم .

وبيت هارون (عليه السلام) من أكثر البيوت عدداً من حيث الاصطفاء من ذريّة الأنبياء (عليهم السلام) ، قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا [3]

---

1- الأنعام : 83 ـ 88 .

. ﴿ .

وقال سبحانه وتعالى في آية أُخرى حول اصطفاء هؤلاء الأربعة آدم ونوح وإبراهيم وإسرائيل مع تبديل إحدى العناوين وهو إسرائيل بعمران الذي هو من

---

1- سبأ : 10 ـ 13 .
2- البقرة : 248 .
3- مريم : 58 .



ذريّة يعقوب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآلَ عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ﴾ [1] .

والملاحظ في الآيات التي ذكرناها أنّ سورة مريم ذكرت عنوان (المنعم عليهم) ، وهذا بحث آخر غير بحثنا في سورة الواقعة وإمامة أهل البيت (عليهم السلام) وإنّما مرتبط ببحث المنعم عليهم الوارد في سورة الحمد ، قال تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ [2] ، والذين أنعم عليهم بالهداية هم أهل البيت (عليهم السلام) .

والمنعم عليهم نوعان أو فئتان : أنبياء وغير أنبياء ، قال تعالى : ﴿ أُولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا ﴾ [3] ، فأولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذريّة آدم ونوح وإبراهيم وإسرائيل هذا صنف . وممن هدى واجتبى ممن لم يكن نبياً ، أي : من غير الأنبياء .

---

1- آل عمران : 33 ـ 34 .
2- الحمد : 6 ـ 7 .
3- مريم : 58 .





## البيوتات التي اصطفاها الله تعالى أربع

القرآن الكريم ينصّ على أنّ الاصطفاء واقع على أربع بيوت كوى :

1 . بيت آدم وتلحق به ذريته المصطفاة دون آدم (عليه السلام) وحده لدلالة الآية على ذلك .

2 . بيت نوح (عليه السلام) .

3 . بيت إبراهيم (عليه السلام) .

4 . بيت يعقوب أو بيت عمران ، ولا فرق بينهما لأن عمران فرع يعقوب (عليه السلام) وكذلك داود (عليه السلام) من آل يعقوب (عليه السلام) لأنّ داود ينتسب إلى يهوذا بن يعقوب .

أما البيت الأوّل فالاصطفاء لآدم (عليه السلام) وذريته الذين منهم إدريس ونوح (عليهما السلام) ، ويمكن أن نعبرّ عنهم بآل آدم إلاّ أنّ القرآن الكريم لم يستخدم هذا التعبير ، بل استخدم مضمونه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اصطفىَ آدم ونوحا وَآل إِبْرَاهِيمِ وآلَ عمرانِ عَلىَ العَالَمين ﴾ [1] ، والنبيون من ذريّة آدم (عليه السلام) هم آل آدم .

وأمّا البيت الثاني وهو بيت نوح (عليه السلام) فالاصطفاء لنوح (عليه السلام) ولأوصيائه من بعده وهم : هود وصالح وآخرهم إبراهيم ولوط (عليهم السلام) .

والقرآن الكريم حينما قال : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِه لَإِبرَاهِيمَ ﴾ [2] ذكر آخر شخص مصطفىً من هذا البيت الكريم وهو إبراهيم (عليه السلام) .

وأمّا البيت الثالث وهو بيت إبراهيم (عليه السلام) أو آل إبراهيم ، وهذا ما نتحدّث عنه لاحقاً لأنه محور البحث .

وأمّا البيت الرابع وهو بيت إسرائيل وله اسم آخر وهو يعقوب أو لقب ليعقوب . وإسرائيل معناه عبد الله .

---

1- آل عمران : 33 .
2- الصافات : 83 .



وهذا البيت يتمثّل بيعقوب نفسه وآل يعقوب وعترته بدءاً من يوسف وذرية يوسف إفراسيم ومنسر ولدين كانا ليوسف (عليه السلام) ، وآخرهم هو العبد الصالح الذي علّم موسى (عليه السلام) في القصّة المعروفة ، والمشهور على الألسنة من أنّ موسى كان نبيّاً حينما التقى العبد الصالح غير صحيح ، بل لم يكن نبياً واصطفاه الله تعالى وجعله صاحب شريعة بعد اللقاء بينه وبين ذلك العبد .

واستمر الاصطفاء في بيت عمران (عليه السلام) الذي هو أثقل بيت وأعظم بيت من ناحية عدد الأفراد المصطفين ، وكان آخرهم عيسى (عليه السلام) .

والمعروف عند المفسّرين أنّ مريم هي بنت عمران ، مع أنّ عمران أبو موسى وهارون ، فمعنى قولهم : بنته ، أي : منسوبة إليه ، ويؤيّد ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أخت هارون . . ﴾ ، ويقال : يا أخا هاشم ويا أخا العرب بمعنى : يا هاشمي ويا عربي ، فمعنى الآية : أنّك هارونية ومن أُسرة محترمة فرض الله تعالى طاعتها ومحبتها على الناس ، فلا ينبغي أن يصدر منك ما يخالف آداب الأُسرة وأخلاقها الحميدة .



## المراد من آل إبراهيم (عليهم السلام)

قال تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ اصطفىَ آدم ونوحا وَآل إِبرَاهِيمَ وَآلِ عمران . . ﴾ [1] ، وعند مراجعة الآيات الأُخرى نلاحظ أنّ الله تعالى جعل بيت يعقوب (إسرائيل) قبال بيت إبراهيم (عليه السلام) مع أنّ يعقوب حفيد إبراهيم (عليه السلام) ، وكذلك جعل

بيت عمران (عليه السلام) قبال بيت إبراهيم (عليه السلام) مع أنّه من ذرية يعقوب ، بل هناك آية أخرى تجعل إسحاق (عليه السلام) في قبال إبراهيم ، قال تعالى : ﴿ سَلامٌ عَلى إِبراهِيمَ * كَذلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِن عِبادِنَا المُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْناهُ بِإِسْحٰقَ نَبِيّاً مِنَ الصّالِحِينَ * وَبارَكْنا عَلَيْهِ وَعَلى إِسْحٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِما مُحْسِنٌ وَظالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [2] ، والمفسّرون يجمعون على أنّ الضمير (عليه) راجع إلى إبراهيم (عليه السلام) ، والآية صرّحت بذرية إبراهيم وذرية إسحاق مع أن إسحاق ابن إبراهيم (عليه السلام) ، وإسماعيل (عليه السلام) هو الابن الأكبر لإبراهيم (عليه السلام) وهو ذبيح الله ، لكن الآية ذكرت إسحاق (عليه السلام) مما يعني أنّ المقصود بذرية إبراهيم إسماعيل وذريته المعصومة المطهرة .

فإذن بملاحظة ظواهر الآيات الكريمة نفهم أنّ ذرية إبراهيم (عليه السلام) هي إسماعيل وبنيه بعد جعل ذرية إبراهيم قبال ذرية إسحاق ويعقوب وعمران (عليهم السلام) والذين هم من ذرية إبراهيم (عليه السلام) .

وإذا رجعنا إلى الآية القرآنية القائلة : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ القَواعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ * رَبَّنا وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً ﴾ [3] نُلاحظ أنّ إبراهيم (عليه السلام) الذي رزق

---

1- آل عمران : 33 .
2- الصافات : 109 ـ 113 .
3- البقرة : 127 ـ 128 .



بإسماعيل (عليه السلام) بعد ما تجاوز التسعين وما إن كبر ابنه حتّى زوّجه ، نلاحظه يدعو بهذا الدعاء : ﴿ رَبَّنا وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً ﴾ ، يطلب من الله تعالى أنّه يجعله مسلماً خالصاً تام الإسلام لاشائبة فيه ، ويطلب ذرية على نهجه الذي رسمه واختاره ، ثمّ تكمل الآية لتقول : ﴿ رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [1] . وقد ختم إبراهيم (عليه السلام) دعاءه بالعزّة والحكمة لأنّ لا أحد يستطيع إجابة الدعاء غير الله تعالى .

وتبقى ذرية إبراهيم في ذلك المكان وتتكاثر وتتشعب وتعبد الأصنام لكن يبقى خط واحد فيها على الهدى وعلى نهج إبراهيم (عليه السلام) ليكون الخاتم وتكون منه الذرية المعصومة . وكان بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين إبراهيم (عليه السلام) أكثر من 2500 عام .

فعنوان آل إبراهيم (عليه السلام) قبال آل إسرائيل وهي ذرية إسماعيل التي كانت محور دعاء إبراهيم (عليه السلام) والنبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) منها وهو المبعوث فيهم .

---

1- البقرة : 129 .

## البيت الذي بعث فيه النبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)

إنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأكرم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث في بيت مسلم وأمّة مسلمة كإسلام إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) والشواهد القرآنية جمة قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بعث فِي الأُمِيينَ رَسُولاً مِنهُم يتلُو عَلَيهِمْ آيَاتِهِ وَيزَكِيهِمْ وَيعلمهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَان كَانُوا مِن قَبلُ لَفِي ضَلَال مبين * وَآخَرِين مِنهُم لَمَّا يلحقوا بِهِم وَهُوَ العَزِيزُ الْحَكِيم * ذَلِكَ فَضلُ اللهِ يؤتِيهِ مَن يشاءُ وَاللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيم ﴾[1] .

وهذه الآية المباركة تطرح عدّة نقاط :

النقطة الأولى : إنّ المراد بالأميين هم أهل مكة (أُم القرى) ، وكان أكثرهم في ضلال مبين بعدما تركوا ملّة إبراهيم (عليه السلام) ونصبوا الأصنام في الكعبة المقدّسة . ذلك البيت الذي بناه إبراهيم وإسماعيل وأسسا قواعده على التوحيد .

وقد يَتوهم أنّ كلّ الأميين كانوا في ضلال لكن الأمر ليس كذلك ، حيث إذا رجعنا إلى الآية المباركة نجدها : ﴿ وَآخَرِين مِنْهُمْ لمَا يَلحقوا بِهِمْ ﴾ حيث إنّ (لما) عندما تدخل على الفعل المضارع تقلبه إلى الماضي ، فيصير المعنى ما يلحقون قومهم في الضلال الذي هم فيه ، قال الشاعر :

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل *** وإلاّ فاتركني ولمّا أمزق[2]

بمعنى أنّي إلى الآن لم أمزق ، فكذلك معنى الآية أنّهم ما لحقوا بقومهم والى الآن بقوا على التوحيد على إيمانهم إلى حين بعث النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فالآية صريحة في أنّ هنالك صنفين من أهل مكة صنف في ضلال مبين وصنف بقي على التوحيد الخالص الذي شيده إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) .

---

1- الجمعة : 2 ـ 4 .
2- البيت للممزق العبدي كما في الأصمعيّات : 166 .



تقول الآية الكريمة : ﴿ وَبارَكنَا عَلَيهِ وَعَلَى إِسحَقَ ﴾[1] يعني في كثرة ذريتهم ، فالله سبحانه وتعالى أعطاهم من الأولاد ما شاء الله كثرة ، وهؤلاء الأولاد منهم : (محسن) على خط أبيه التوحيدي ، و(ظالم لنفسه) يعبد الأصنام منحرف عن التوحيد .

وإذا رجعنا إلى المجتمع المكي نجد أنّ ذرية إبراهيم (عليه السلام) في قريش وهم الأغلبية العظمى ، وكان أكثرهم يعبد الأصنام ما عدا بيت عبد المطلب حيث كان هو ومن قبله أبيه موحداً يتعبّد في غار حراء منتظراً نزول البشرى والوحي الإلهي . وهذا الأمر معروف حتّى عند أهل الكتاب ولذلك قطنوا مكة انتظاراً لظهور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الموعود فيها .

النقطة الثانية : ختم في الآية المباركة كلامه بقوله : ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ وهو نفس ما ختم إبراهيم وإسماعيل عليهما

كلامهما عندما رفعا قواعد البيت إذ قالا : (وهو العزيز الحكيم ) فالتناسب واضح بين الآيتين .

النقطة الثالثة : في هذه الآية المباركة قدّم التزكية على التعليم حيث قال : ﴿ هُوَ الذَّي بعث فيَ الأمِيينَ رَسُولاً منهمُ يتلوَ عَليَهْمِ آياتهَ ويزكيهمُ وَيعلمِهمْ الكُتابَ وُالحُكمةُ ﴾ [2] ، بْينماَ في تلك الفئة المسلمة من ذريّة إبراهيم (عليه السلام) قدّم فيها التعليم على التزكية ، قال تعالى : ﴿ رَبنَّاوابعَثَ فيْهمِ رسِولا مَنهُم يَتلوَ عْليْهمَ آيُاتك وَيعَلمِهمْ الكتابَ والحُكمَةَ ويُزكيهمْ ﴾ [3] ، والفرق بين الأمرين هو أنّ أغلبية المكيين في ضلال مبين فكان عليهم أن يزكّوا أنفسهم ومن بعد ذلك يتعلموّا ، أما الصنف الآخر فهم مسلمون مطهّرون مستعدّون للتعلمّ ومن بعد ذلك يزكيهم بمعنى يرفعهم درجة فوق درجتهم .

---

1- الصافات : 113 .
2- الجمعة : 2 .
3- البقرة : 129 .



وهناك شاهد آخر على وجود مسلمين في ذريّة إبراهيم (عليه السلام) قبل البعثة النبوية الشريفة ولم ينحرفوا ولم يغيّروا توحيد أبيهم إبراهيم (عليه السلام) والشاهد قوله تعالى : ﴿ وَلقَدَ وْصَلنناَ لْهَمَ القَوْلُ لعْلهَمْ يتذكرَونَّ الذينَ آتيَّناهم َالكتَّابِ مَن قَبلهِ هِم بُه يؤمِنوُنْ * وُاذا يتلىَ عَليهمُ ْقالوا آمنَا بِهْ إنهَ ُالحقَ مَّن رِبنا إنَّا كُنا ْمَن قُبلهِ مسَّلمِّينَ ﴾ [1] ، أي : أنّ هناك فئة مؤمنة بالله سبحانه وتعالى وهي وريثة الكتاب المنزل عليها ، وكان هؤلاء يحملون التوحيد ويطبّقونه ويتحدثّون به إلى الناس ، ففي مناسك الحج كانوا يقصّون على الحجيج قصّة التوحيد .

فإذن قبل نزول الكتاب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان هنالك موحدون ينتظرون خروجه وبعثته ، وأوّل ما جاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء إلى عمّه أبي طالب ويستقبله عمّه استقبالاً حارّاً ويجلس بين يديه جلسة المحترم مع أنه شيخ قريش ; لأنّه كان هنالك تقسيم للأدوار ، فآباء وأجداد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا مسلمين محافظين على التوحيد إلى أن جاءهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المبشر بالرسالة السماوية الخاتمة .

---

1- القصص : 51 ـ 52 .

## عودة إلى الآية الكريمة

قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيكُمَ فَيُ الدينِ منِّ حرِجِ ملّة أبيكم إبرَّاهيَم هَوِ سُمَاكِمُ المِسلمينُ منَ قَبَلُ وفي هذا ليكونَ الرَّسوُلُ شُهيَدا علَيكمَ وَتكُونوا شَهُداءُ علىُ النَاس ﴾ [1] فالآية الكريمة تخاطب آل إبراهيم (عليه السلام) من أنّه هو الذي سمّاهم المسلمين (وفي هذا) يعني في القرآن ، والتسمية من الله تعالى .

﴿ لِيكوُنَ الرسوَّلُ شهُيداَ عِليكمً وتَكوَنوُا شَهَدَاءُ عُلى النَاسَ ﴾ أي : أنّ هؤلاء فئة خاصّة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حجّة عليهم وهم حجج على الناس كافة وهذا محور دعاء إبراهيم (عليه السلام) .

وفي الآية الكريمة عدّة مطالب :

المطلب الأوّل : تشير الآية إلى أنّ الله تعالى هو الذي اصطفاهم واجتباهم .

المطلب الثاني : إنّ الآية تشير إلى أنّ هؤلاء فئة خاصة من ذرية إبراهيم (عليه السلام) وليس عمومها ، بل من بقي على خط التوحيد ، ويؤكّد هذا المعنى قوله تعالى حاكياً عن إبراهيم (عليه السلام) : ﴿ وَاجعَل لي لسانَ صَدقِ فيْ الآخرين ﴾ [2] .

أي : أنّ إبراهيم (عليه السلام) طلب من الله تعالى أن يبقى له لسان صدق وممثل له في ذريته ، وهو النبي الخاتم محمدّ صلّى الله عليه وآله وسلم . الذي أحيى ذكر أبيه إبراهيم (عليه السلام) عندما حطّم أصنام مكةّ .

وقال تعالى : ﴿ إلاّ الذَّي فطرَنيَ فإنه سَيهَّديُن * وَجعلها كلمة بَاقيَة فيَ عَقبَه ﴾ [3] ، وهذه الذرّية بقيت متمثلة بالنبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

---

1- الحج : 78 .
2- الشعراء : 84 .
3- الزخرف : 27 ـ 28 .





## الذرّية الطاهرة في عقب إسماعيل (عليه السلام) دون غيره

الآيات المتقدّمة كلّها جاءت بعد دعاء إبراهيم (عليه السلام) ، وبعد قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كلمة بِاقيَةً فيِ عَقبِه ﴾ ، أي : عقب إسماعيل (عليه السلام) ، وأمّا الذرية الباقية فهي التي قال عنها الله تعالى : ﴿ بَلْ متعتَّ هُؤلاءَ وُآبَاءهَم حَتىُ جْاءَهمَّ الْحقَ ُورسَولُ مبيّن ٌ﴾ [1] ، والمقصود بهم قريش ، فقريش هي التي متعها الله تعالى حتّى جاءها الحقّ ورسول مبين .

وقال تعالى في آية أُخرى : ﴿ وَلمَاّ جاءَهم ُالحقْ قالواُ هَذاُ سحرَ وَانا بِهْ كافرَونَّ ﴾ [2] ، أيَ : كفرت به قريش بعدما

جاءها الحقّ والرسول المبين .

المطلب الثالث : قوله تعالى : ﴿ لِيكوُنَ الرسوُلُ شهُيداَ عِليكمَ وتَكوُنوُا شهَداَءُ عُلى الُناسَ . . ﴾ [3] الشهيد بمعنى العالم الذي يبيّن ما علمه ، يقال : شهد الله يعني يبيّن الله ويظّهر ، وشهد شاهد عند الحاكم بمعنى بينّ ما علمه وأظهره ، قال تعالى : ﴿ إنِاَّ أرَسلناكْ شاَهداَ ومبِشرًِا وَنذيرَاً ﴾ [4] بمعنى مبلّغاً ومبيناً للرسالة .

ومعنى الآية الكريمة أنّ الرسول الكريم يبلّغ هؤلاء تبليغا خاصا ؛ لأنهم مطهرونّ ومختارون للشهادة على الناس وعلى الأُمّة ، وهم ورثة الكتاب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمبلغّون من بعده التعاليم الألهية ، قال تعالى : ﴿ فقَدَ آتيناآ آلَ إبِراهيمِ الكتابْ وَالحكمةَ ﴾ [5] ، فهم ورثة الكتاب والشهداء على الأمّة يوم القيامة .

---

1- الزخرف : 29 .
2- الزخرف : 30 .
3- الحجّ : 78 .
4- الأحزاب : 45 .
5- النساء : 54 .



وآية أخرى تتحدّث عن ذلك وهي قوله تعالى : ﴿ ألَمَ تْرَ إلِى الَذين ًأوِتوا نصُيبُا منَ الِكتاَبً يؤُمنوُنِ بَالجبتُ وْالطُاغوَتِ وَيقوُلوُنَ للذينِ ًكفروَا هؤَلاء أهدَىُ من الَذّين آمنِوا سبَّيلا ﴾ [1] ، حيث كانت قريش تسأل أهل الكتاب في المدينة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان جوابهم بأنّه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المبعوث ، لكنهم انقلبوا على أعقابهم في مكّة وتبعوا أهواءهم .

قال تعالى : ﴿ أمَْ يحَسْدوُنُ الناس ًعلى ما آتاهمَ اللهَ منُ فضّلهُ فقِد آتيَنآ آلِ إبِرَاهَيمْ ﴾ [2] المقصود بآل إبراهيم (عليه السلام) في هذه الآية تلك الفئة الخاصّة المصطفاة من قبل الله تعالى ، والتي بقيت على إسلام أبيها إبراهيم (عليه السلام) ، بدليل أنّ الآية لو كانت تتحدث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لذكرت النبوة وبما أنهّ لا نبوة بعد نبوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكرت الآية ورثة الكتاب وهم الأئمّة المصطفون .

فإذن اتّضح لدينا أنّ الوارث لعلم الكتاب وراثة خاصة هم من ذرية إبراهيم (عليه السلام) وهم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، وقد أشار إليهم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته إلاّ أنّ هنالك حسدة ومردة فبعضهم آمن وبعضهم كفر .

---

1- النساء : 51 .
2- النساء : 54 .

## الأسئلة والأجوبة

سؤال : هل المراد من قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [1] ، هم آل إبراهيم (عليهم السلام) ؟

الجواب : المراد بالآية الكريمة آل إبراهيم (عليهم السلام) ، إلاّ أنّ الناس حسدوهم وأكنوا لهم العداء والبغضاء ، قال الله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ﴾ [2] ثُمَّ عقب ذلك بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [3] فواضح من الآية الكريمة أنّ طاعة آل إبراهيم (عليهم السلام) واجبة وهم ورثة الكتاب وقرن الله طاعتهم بطاعته .

سؤال : يختلف مفهوم التحريف عند المذاهب الإسلامية ، فعند الشيعة مفهومه مغاير لمفهومه عند السنة وهكذا بقيّة الطوائف الإسلامية ، لكن ما هو مصداق التحريف ؟

الجواب : لديّ بحث من ليلة 21 إلى 27 من شهر رمضان المبارك ، وفي هذه المحاضرات تعرّضت لمنجزات النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) خلال الفترة التي عاشها من بدء النبوّة ، ومن منجزات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الكتاب والسنّة المطهّرين ، نبحث بعد ذلك ما جرى على الكتاب والسنةّ من تحريف وتغيير ، ثم نُعّد ذلك ماذا فعل الإمام علي (عليه السلام) لإرجاع السنّة النبوية إلى نصابها النبوي الصحيح .

تعرّضت السنّة النبوية في أوّل الأمر إلى الكتمان ومنع النشر بدءا مَن الخليفة أبي بكر إلى زمن عمر وعثمان وهكذا ، ولما جاء الإمام علي (عليه السلام) إلى الخلافة سعى جاهداً إلى نشر السنّة النبوية ، وإخراجها من حالة الكتمان والضمور إلى عالم النور

---

1- النساء : 54 .
2- النساء : 55 .
3- النساء : 59 .



والبزوغ ، وتصحيح المفاهيم المغلوطة لدى المسلمين والتي وُجدت بعد خلافة من سبقه . ومن بعده حاول أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) حفظ التراث النبوي العلوي وإفشائه بين المسلمين مع الضغوط الموجودة والجهاز الأمني المقيت الذي مارس ضدّهم أشدّ أنواع المطاردة والمصادرة والمراقبة .

وفي تراث أهل البيت (عليهم السلام) نواجه أمرين :

الأمر الأوّل : إذا لاحظنا تراثهم الفقهي نجد فيه موارد إذا ما فسّرناها فسوف تخالف الظاهرة القرآنية ، وهذا ما يسبب مشكلة حقيقية في عالم اليوم المتطوّر ويعكس نظرة سلبية عن القرآن الكريم ، فمثلاً ظاهرة الموت السريري فبعض الأحيان يفحص الطبيب المريض ولا يجد لديه ضربان القلب فيحكم بموته مع أنّه ليس بميت ، فلذلك لمّا رأى العلماء هذه الظاهرة

أسسوا جمعية لإنقاذ مثل هذه الحالة ، وقد أنقذوا مئات المرضى الذين يتعرّضون لمثل هذه الحالة .

وفي سنة 1952 م اجتمع العلماء لدراسة هذه الظاهرة وقرروا أنّ إعلام الموت لا يتم إلاّ بالتفسخ أو تأجيل المشتبه بموته 48 ساعة أو 72 ساعة .

وهذه الظاهرة نجد أنّ أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) أشاروا إليها قبل أكثر من ألف سنة ، ففي رواية عن الإمام الكاظم (عليه السلام) أنّه حدثت في أيّامه صعقة فمات كثير منها ، فذكر الإمام (عليه السلام) أنهّ يجب تأخير دفنهم ، فقال علي بن أبي حمزة : يابن رسول الله إنا دفناهم فقال : دفنتموهم أحياء[1] .

سؤال : الفخر الرازي والآلوسي يذكران أنّ المقصود بالمخلصين الذين أخلصوا التوحيد وصدقوا فيه ، بينما نحن فهمنا من الآية أنّ المخلصين فئة خاصّة وثلة معينّة ؟

الجواب : في مثل هذه المسائل يجب أن لا نقلّد فيها ونأخذ برأي الرازي أو الآلوسي ، وإنّما يجب علينا الرجوع إلى القرآن الكريم مباشرة ، والتدبّر في آياته

---

1- وسائل الشيعة 2 : 677 ، ح5 .



الكريمة لمعرفة المراد منه والمقصود الذي يبتغيه ، وينبغي أن يكون تأثير القرآن الكريم فينا أكثر من تأثير أيّ عالم ينطق بخلاف ما يقوله القرآن ، وهكذا تأثير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو الإمام (عليه السلام) ينبغي أن يكون أكثر من غيره ، لأنّ المعصوم له تأثير خاصّ في نفوس الناس وبالأخصّ أصحاب الفطرة السليمة ، فمثلا نجد أن الناس يتأثرونّ بالإمام الصادق (عليه السلام) عندما يحضرون عنده ، بل حتّى أمثال أبي حنيفة يتأثرّ بكلام الصادق (عليه السلام) ، ففي بعض المصادر السنية تنقل القصّة التالية : أنّ أبا جعفر المنصور دعا أبا حنيفة مع غيره من العلماء إليه ، وطلب من أبي حنيفة تهيئة مسائل عديدة وصعبة ومن أبواب مختلفة لامتحان الصادق (عليه السلام) ، لأنّ الناس قد فتنوا به ، فاستجاب أبو حنيفة لذلك ، ودخل على الصادق والمنصور وأخذ يلقي مسائله واحدة تلو الأُخرى ، وكان الإمام (عليه السلام) يجيب وفق المدن والنواحي ، فيقول :رأي أهل المدينة كذا وأنتم تقولون كذا ونحن نقول كذا . . وهكذا إلى أن أتى على آخرها وأجاب عنها أجمع . ولمّا خرج أبو حنيفة سئل : كيف وجدته ؟ قال : لمّا دخلت عليه أخذتني الهيبة منه أكثر مما أخذتني من المنصور[1] .

والمقصود أنّنا يجب أن نأخذ من القرآن ونقرأه ونتدبر فيه ، وإنّا عندما نقرأ ألفاظه تأخذنا القشعريرة فإذا حاولنا رفع الغشاوة والتدبّر فيه ستتكشف معالمه لنا وتصبح مطالبه واضحة تغنينا عن أمثال الرازي والآلوسي . فعند الرجوع إلى آيات القرآن المحكمة وربطها بغيرها من الآيات المباركة سنصل إلى المقصود والمطلوب ، ويصير الأمر لدينا جليّاً واضحاً مثل النهار ، وقد أمرنا أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) بالتدبرّ بالقرآن والتمسكّ به حتىّ قالوا : من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكبّ الفتنة[2] ، وقالوا : لو قرأ القرآن كما أنزل لألفيتمونا فيه مسمّين .

وهكذا أرادوا منّا التعامل مباشرة مع القرآن ، والأخذ منه ، والتزوّد من

1- الكامل في الضعفاء 2 : 122 ، تهذيب الكمال 5 : 79 .
2- المحاسن 1 : 216 ، بحار الأنوار 2 : 242 .



معلمه لمعرفة الدين الصحيح ، ومعرفة أهل البيت (عليهم السلام) معرفة حقيقية تامّة لا شوب فيها ولا نقص .

سؤال : هل يمكن الاعتماد على الكتب السماوية السابقة والاستدلال بها على ما نريد ؟

الجواب : هذا السؤال وجيه جدّاً ، وذلك أنّ الاحتجاج بالكتب المقدسّة يصح فيّما إذا كان الكتاب المقدسّ متفق عليه بينهم ومعترف به عندهم ، فلا يصحّ الاعتماد على إنجيل برنابا لأنّهم لا يعترفون به ، فلذلك حذفت الاستدلال به في دراساتي .

وهناك مسألة أُخرى وهي أنّ هذه الإناجيل المترجمة إلى اللغة العربية وإن كتب عليها اسم الكتاب المقدسّ إلا أنّهم لا يعترفون بها ولا يؤمنون ، لأنّ الترجمة مختلفة وتغير المعنى المراد من النصّ الأصلي ، فيجب الاعتماد على أصول الكتب المترجمة باللغة اللاتينية ، لأنّها جيدة ويصحّ الاعتماد عليها ، وكذلك النسخة اليونانية لها قيمة معترة عند اليهود .

والنسخة اللاتينية غير معترة عند اليهود لكن الكنيسة الكاثوليكية تعتمدها والنسخة اليونانية مترجمة من قبل سبعين عالماً يهودياً في أيّام القسطنطين المسيحي الذي انتقل من الوثنية إلى اليهودية وأمر بترجمة الكتاب .

وعند المقارنة بين الأصل اللاتيني والأصل اليوناني نجد فروقاً بين النسختين تعكس الاختلاف بين فترتين .

وهناك نسخة آرامية ترجمها اليهود من أصل عبري إلى الآرامية فلابدّ من الاطلاع عليها .

وأنا في دراساتي عن بشارات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليهم السلام) في الكتب المقدّسة كنت أراجع جميع هذه النسخ ، وإن كنت لا أُجيد اللاتينية واليونانية وكلّ اللغة العبرية ، إلا أنّني أراجع المعاجم والقواجم وأقارن بينها ، وقد استطعت أن



أجمع النصوص بالصورة الموجودة الآن بحيث إنّ علماء اليهود والنصارى لم يستطيعوا جمع ذلك وفي هذا فخر للمسلمين عموماً وللشيعة بالخصوص .

سؤال : التواريخ التي ذكرتموها في بحثكم هل هي من مصادرهم أم من مصادرنا ؟

الجواب : البحث في تاريخ الأنبياء (عليهم السلام) بحثته بشكل مقارن بين التواريخ الإسلامية واليهودية والآرامية والعبرية ، وهو بحث مقارن ومفصّل ذكرته في بحث قصص الأنبياء الذي أُناظر به أهل التوراة والانجيل .

والحمّد لله ربِّ العالمين

# ( 52 ) علم الإمام (عليه السلام)

الشيخ محمّد السند

الصفحة 222

الصفحة 223

بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الغوي الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّ اللّهم على محمدّ وآله الطيبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين .

السلام عليكم أيّها الحضور ورحمة الله وبركاته .

## علم الإمام وآثاره :

هذا العنوان ذو أبواب وفصول عديدة ، وليس من الموضوعية التعرّض لكلّ أبوابه وفصوله في حديث واحد أو في سلسلة واحدة ، بل أصبح هذا البحث في الإمام والإمامة من عمدة المباحث ، والسرّ في كونه من عمدة مباحث الإمامة أنّ البحث والحديث حول الإمام يتوّع عليه عدّة مباحث ، منها البحث في ولايته وتوليّ الآخرين له ، ومنها أن هذه الولاية وتولي الآخرين له هل تختلف بحسب حضوره وظهوره ، وبحسب غيابه وتستّره ؟ هل هي تختلف بحسب تقلّده لمنصب الحكومة الظاهرية ، أو بحسب عدم تقلّده الظاهري لزمام الحكومة الظاهرية كما في علي (عليه السلام) طيلة السنوات الخمسة والعشرين ؟

إلى غير ذلك من مباحث الولاية له ، هل ولايته قانونية اعتبارية أو أنّ التولّي ومقامه في الولاية تكويني ، واحدى درجات ولايته تكون مؤدّاها قانون اعتباري ؟

على أية حال البحث في شؤون وشعب الولاية متأثّر صلب التأثّر بشرح علم الإمام (عليه السلام) .

## حقيقة حجّية الإمام :

كذلك البحث في حجيّة الإمام ، ما هو التصوّر الذي ينطبع عنها لدى

الصفحة 224

المعتقدين بإمامته (عليه السلام) ، أو الانطباع لدى غير المعتقدين بإمامته (عليه السلام) ما هو معنى حجّيته ؟

وبعد الفراغ من حجيّة مقام الإمام والإمامة كنُهاً وماهية نقول : ما هو معنى حجية الإمام ؟ هل حجية الإمام هي على نسق حجيّة الرواة الثقات العدول عند المسلمين فيما يخبره من أخبار ، وزان حجيّة قوله وزان حجيّة قول الرواة والمخبرين العدول ، أو أنّ سنخ ونمط حجيّته تختلف عن حجيّة قول الرواة الثقات عند المسلمين ، كزرارة ومحمدّ بن مسلم ، أو سلمان الفارسي

أو أبي ذر أو جابر بن عبد الله الأنصاري المتّفق على وثاقتهم مثلاً بين الفريقين ، هل حجيّة قوله من هذا القبيل أو لا ؟

حجيّة قوله في فتاواه هل هي من سنخ ووزان حجيّة فتاوى الفقهاء غير الأئمّة المنصوبين من قبل الله ، الفقيه عندما يريد أن يفتي بحكمه ويستنبط حكماً يراجع المصادر والعمومات الموجودة والمخصّصات لها والمطلقات الموجودة ، أي فقيه من فقهاء المسلمين إذا أراد أن يستنبط حكماً ويفتي بفتوىً يراجع حينئذ القرآن الكريم والسنّة النبويّة وهلم جرا ، فحينئذ يعمل مراحل الفحص والاستنباط والجمع بين الأدلّة وتقريب مفاد الأدلّة إلى غير ذلك من مراحل عملية الاجتهاد والاستنباط ، هل بالإمكان أن نقول في حجيّة فتوى الإمام وما بيّنه من أحكام ويحكم به من أحكام ، أن سنخ حجيّته هي على وزان حجيّة فقهاء المسلمين ، أو أنّ سنخ حجيّة حكمه تختلف ؟

وإذا غايرنا بين سنخ حجّية قوله وإخباراته أو فتاواه وأحكامه عن حجيّة أقوال الرواة ، وحجيّة أقوال الفقهاء ، فهل هي كحجية الخبر النبوّي ، والحكم النبوي ، مع أنّ حجيّة قول النبي (صلى الله عليه وآله) أو حكمه أو فتاواه أو ما شابه ذلك مستندة إلى منبع علم الوحي ، بينما الإمام لا يلتزم في علمه بأنّه علم من قبيل النبوّة أيّاً ما كان فلا الشق الثاني ، ولا الشق الأول ، فشق ثالث .



## حقيقة الإمامة :

ربما في تصوّرات الكثير من المسلمين أنّ علم الإمام عندما نقول بإمامته ، هو الإمامة بما هي زعامة سياسية قانونية اعتبارية ، ليست تزيد على ذلك المعنى .

ما هي الإمامة في كتب المتكلّمين ؟

الإمامة هي رئاسة دينية ودنيوية لحفظ الدين وإقامة الحكم بين المسلمين .

والحاصل أنّ تعريف الإمامة وحجيّة مقام الإمامة ، متأثّر كثير التأثّر ومرتبط عمدة الارتباط بعلم الإمام .

إذن هذا بُعد آخر مهم متأثّر بعلم الإمام ، ألا وهو حجيّة أقوال الإمام ، أفعال الإمام ، فتاوى الإمام ، أحكام الإمام وعلى أيّة حال تجد الغفلة عند كثير من إخواننا المسلمين في تصوّر حقيقة حجيّة أقوالهم وما شابه ذلك وأنّها بمعنى حجيّة قول الفقهاء ، أو الرواة الثقات العدول .

والأمر الثالث الذي متأثّر عمدة التأثّر بعلم الإمام هو تعريف حقيقة الإمامة ، فهذا المبحث الثالث هو في صلب البحث في الإمامة .

## الوراثة في الإمامة :

مبحث رابع في الإمامة يتأثّر أيضاً بعلم الإمام ، وهو : الوراثة ، الكثير من المسلمين ربمّا ينطبع لديهم أن الوراثة التي تذكر في باب الإمامة عند الإمامية هي على نسق ووزان الوراثة القبلية الموجودة ، الاعتبارية الموجودة ، النسبية اللحمية من وراثة الدم الموجودة لدى سلسلة الملكية البشرية الوضعية ، أو سلسلة الأسر البشريّة المعتادة ، أو هي وراثة من جنس آخر

الوراثة التي تذكر في القرآن الكريم عن الإمامة : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾ [1] ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ﴾ [2] .

1- النمل : 16 .
2- آل عمران : 33 ـ 34 .



هذه الوراثة في القرآن ليست بهذا المعنى ، والبحث عن الوراثة بحث على أيّة حال هامّ وخطير من مباحث الإمامة ، وله ارتباط بل متوقّف عمدة توقفه على مبحث علم الإمام .

**حقيقة عصمة الإمام :**

أيضاً هناك مبحث خامس من مباحث الإمامة ، متأثّر ببحث علم الإمام ، ألا وهو : عصمة الإمام ، عصمته العلمية والعملية ، بل عصمته العلمية تكاد تنطبق على علم الإمام ، أو هي عين علم الإمام ، ولا ريب أنّ عصمته العلمية أيضاً متأثّرة أو البحث فيها مترتّب على علم الإمام . فنلاحظ مباحث عديدة ، علم الإمام لها ساق الشجرة الذي يتفرّع عليه أغصان شجرة مباحث الإمامة .

فإذن لابدّ من اليقظة والتنبيه في مباحثها وأبوابها وفصولها وكثير من جهات مباحثها ، إلى أن نحرر بدقّة وصوابية وسداد علم الإمام ، الذي قد افترضناه كصفة رئيسية له ، ومن ثُمّ خضنا في ذلك البحث في جملة من مباحث الإمامة من حجيّة ، أو عصمة ، أو وراثة ، أو أيّ مبحث آخر في بحث الإمامة .

فالعمدة هو تحرير مبحث علم الإمام ، وطبعاً الآن الحديث في علم الإمام المفروض فيه الفراغ عن تقرير الدليل على الإمام والإمامة ، وبعد الفراغ عن الدليل سواء الدليل العقلي أو النقلي ، العقلي البحت المحض ، أو النقل المركّب ، وبعد الفراغ عن تلك الأدلّة الموصلة لنا إلى الاعتقاد بإمامة الأئمّة إجمالاً ، بعد الفراغ عن وجودها وثبوتها واثباتها للإمامة ، حينئذ تصل النوبة إلى مبحث علم الإمام فرتبة هذا البحث وموضعه حسب الترتيب الطبيعي والمنطقي في البحث هو بعد الفراغ عن الأدلّة على الإمامة بلا ريب ، وسنرى كيف يتأثّر فقه النصوص الواردة والأدلّة الواردة في إمامة الأئمة بهذا المبحث مبحث علم الإمام ، مثلاً حديث الثقلين المتفّق عليه بين الفريقين ، والذي سنشير إلى أنّ العديد من الآيات القرآنية مؤداها حديث الثقلين . كما أشارت إليه روايات أهل البيت إشارة تنبيهية ، وأنّ



حديث الثقلين سنده ليس فقط سند الطرق المتواترة بين الفريقين في الصحاح الموجودة عند أهل السنّة ، أو من طرق الإمامية الاثني عشرية ، بل سنده قرآني ومفاده قرآني أيضاً ، أيّاً ما كان حديث الثقلين الذي هو من أحد الأدلة المهمة الدالة على إمامة الأئمّة ، ما هو مؤداه ؟

## مؤدّى حديث الثقلين :

ربما الكثير من المسلمين يفسّرون حديث الثقلين : «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي» أنّ حجيّة العترة هي على وزان حجّية قول الرواة ، أو قول فتيا الفقهاء وأنّهم صلحاء عدول !

وهذا الانطباع عن مفاد حديث الثقلين سببه هو عدم الفطنة بالمفاد الدقيق لمتن الحديث بطريقه الروائي ، ولمتن الحديث بطريقه القرآني ، إذ إنّ حديث الثقلين نُصَّ عليه في الكتاب العزيز .إذن فقه النصوص الدالّة على إمامتهم يتأثر بمبحث علم الإمامة .

هذا كمقدّمة للدخول في بحث علم الإمام .

## ما معنى علم الإمام ؟

وقبل الدخول في مبحث علم الإمام يجب الالتفات إلى أنّ البحث في نفس العلم ، علم الإمام أو علم الإمامة ،والعلم الموجود عند الأئمّة ربما يطلق عليه اللدني . هذا العلم يتشعّب إلى شعب عديدة جداً ، ومباحث علماء الإمامية والمتكلمين عموماً عن علم الإمام من العترة النبويّة ، يبحث في أبواب عديدة ، أو يقسّم إلى مسائل عديدة ، ولن يكون بحثنا في علم الإمام مستوعباً لكُلّ هذه المسائل ،وانمّا نتوخىّ ونقصد جهة معينة خاصة في بحث علم الإمام ،والا فالحديث عن علم الإمام طويل الذيل ، ويحتاج إلى أبواب وفصول عديدة ، المهم أنّ المسائل التي تذكر كفهرسة أذكرها ، مثلاً : علمهم بالكتاب ، علمهم بتأويل



المتشابه القرآني ، علمهم بأعمال العباد : ﴿ وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [1] .

علم الأعمال ، علم النوايا التي في القلوب ، علم الأصلاب ، علم المنايا والبلايا ، علم تأويل الأحاديث ، علم تأويل الوجود والتأويل على أقسام استعرضه القرآن الكريم ، علم منطق الحيوانات والطير ، علم ما كان وما يكون ، علم الموضوعات والأحكام ، علم الظاهر والباطن ، غير ذلك من سلسلة مباحث العلم ، وفي علم الأنبياء أو علم الأئمّة الأولياء الحجج ، هذه مسائل عديدة تذكر وتبحث .

كما أنّ هناك مباحث في علم الإمام من قبيل مراتب علوم الأئمّة ، سواء من عترة النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، مراتب علومهم كيف هي ؟ هل هي على وزان واحد ، ودرجة واحدة ، أم تتفاوت ؟ منابع ومصادر علم الأئمّة ما هي ؟ وما جهات علومهم ؟ عقد الكليني في أصول الكافي أبواباً في ذلك ، والصدوق في عدّة من كتبه ككتاب (التوحيد) و(عيون أخبار الرضا (عليه السلام) وكتاب (المعاني) أو (العلل) ، وعقد المجلسي رحمة الله عليه في البحار أيضاً عدّة عناوين من هذه المباحث ، في منابعها وجهات علومهم وما شابه ذلك .

إذن المقصود أنّ أبواب البحث في علم الإمام عديدة ، وفصولها عديدة ، ومسائلها عديدة الزوايا ، وما نريد أن نركّز عليه في هذا الحديث بعد هذه المقدّمة هي الإلفات إلى المغايرة بين علم الإمام ، وعلم الفقيه أو الراوي من جانب ، ومن جانب آخر مغايرته للعلم النبوي وهو الوحي الخاص .

فهناك عنوان علم الإمام كما يصطلح عليه القرآن الكريم ،والروايات الواردة في السنّة ، أنّ علمه لدنيّ بشعبه وأقسامه .

هذا العلم اللدني يتغاير سنخاً مع علم الرواة وعلم الفقهاء ، ويتغاير مع العلم النبوي الذي يصطلح عليه بالوحي النبوي .

---

1- التوبة : 105 .



## معنى الوحي :

الوحي بالمصطلح القرآني له اصطلاحان أو استعمالان ، الوحي بمعنى الوحي النبوي ، وله استعمال آخر بمعنى مطلق العلم الإلهي .

أيّاً ما كان علم الإمام فالذي يعبرّ عنه القرآن الكريم ، وتعبرّ عنه الروايات ،والسنة الشريفة للمعصومين ، عنوانه وسنخه يطلق عليه العلم اللدنّي ،وهذه التسمية والمغاورة في التسمية ، بخلاف علم الفقهاء أو الرواة ، الذي العمدة فيه ومستنده إلى العلم الحسّي ،والمناشئ الحسيّة بحسب ما يفسرّ من معنى وأدوات العلم الحسيّ ،والعلم الذي هو من نشأة دنيوية .

فهناك إذن فارق سنخي وجوهري بين هذه العلوم التي يمتلكها الرواة والفقاء ، أي : بين مناشئ علومهم ، ومناشئ العلم الذي عند المعصومين عند الإمام ، وبين مناشئ علم النبوّة ،رغم أنّ الإمامة ليست هي من سنخ النبوّة ، هذا الفارق بهذا المقدار من التسمية على الأقل ،والمعنى الإجمالي هو ألف باء البحث في الإمامة ،وأيّ خوض في مبحث الإمامة وجهات مباحث الإمامة ، أو علم الإمام من دون الالتفات إلى أصل هذا التغاير المبدئي الذي يجب أن يلتفت إليه الباحث سينجم عنه نوع من الخبط .

وكثير من الأخطاء والغفلات في تحرير مباحث الإمامة ، هي نتيجة عدم الالتفات إلى هذه المغاورة والفوقة ولو بنحو مبسّط إجمالي ،ولابدّ حينئذ من الالتفات إليها .

## علم الإمام لدنّي :

فإذن عنوان المسألة في الواقع الذي نريد أن نركّز عليه من علم الإمام هو أنّ علم الإمام علم لدنيّ .

وقبل أن ندخل في الشواهد القرآنية على ذلك ،والتي سنقتصر في الحديث عليها في هذا البحث ، يجب أن نقدّم مقدّمة في كيفية استعراض الشواهد القرآنية .



هذه المقدّمة هي أنّه عندما يعنون أنّ علم الإمام علم لدني وليس علما حسّيا مستنداً إلى الحس . كما في علوم الفقهاء والرواة .ربما تثار ثائرة لدى بعض الأوساط من المسلمين المتأثّرين ربمّا بالغرب أو بالعلمنة والعلمانية ، أنّ دعوى وعنونة علم الإمام بالعلم اللدنّي نوع من المذاق والمشرب الباطني ، ونوع من الغلو ، نوع من البطون ، وما إلى ذلك من التعابير ، ومبحث الغلو ، ومبحث المشرب الباطني ، وما إلى ذلك من أطراف الحديث عن هذا المطلب .

حديث هو بنفسه أحد البحوث المستقلّة في الإمام والإمامة ،وهو من الأبواب الأصلية والرئيسية في مبحث الإمام والإمامة ،وإن كان هذا المبحث يثار أيضاً في النبوّة ، كما قد غلت بعض الملل السابقة في النبيّ عيسى (عليه السلام) ، أو أنبياء آخرين ، ولكن المبحث الأصلي فيه هو في الإمام والإمامة ، على الأقل في حقبة العهد الإسلامي ،وهذا المبحث هو ذو شجون وشؤون مستقل بنفسه ، إلاّ أنّنا الآن نذكره كأصل موضوعي لدفع مثل هذا التساؤل ، أو مثل هذه المناقشة أنّ الوسطية والموضوعية في تحرير القواعد الدينية والعلمية والاعتقادية أيّاً ما كان ، يجب أن تتخذ الطريقة الوسطى ، بلا إفراط ، أو تفريط ، أي : كما تتجنّب الغلو فاللازم تجنبها للتقصير أيضاً .

**الوسطية في البحث :**

كما أنّ الوسطية في كثير من المباحث الاعتقادية وأبواب المعارف تعني إصابة الواقع من دون إفراط أو تفريط ، مثل مبحث الاختيار ، لا جبر ولا تفويض ، ومثل مبحث الصفات الإلهية ، فلا نخلي معرفتنا بالذات الإلهية عن الصفات ; لأنّه يؤول إلى النقص في الذات ونتصوّر أنّه تنزيه للذات الإلهية ،ولا أننا نعطلّ الذات الإلهية عن الصفات ، مسلك التعطيل في الصفات الإلهية ،ولا هو مسلك ومنهج التشبيه والمشبّهة ،وإنّما توحيد في الصفات .

على أيّة حال في كثير من المباحث ومن قواعد المعارف وأبواب



الاعتقادات ، هناك مباني إفراطية وهناك مباني تفريطية ،وهناك مسالك إفراطية وهناك مسالك تفريطية ، فيجب أن لا نقصر النظر ونشدّ الهمّة في الحذر من الإفراط من دون التحذير من التفريط ، لأنّ كلُ منّ الإفراط والتفريط هو على أي حالّ نوع من العمى عن الواقع ، ونوع من الصمم والكمم عن الحقيقة ، ونوع من الانحراف أيّاً ما كان ، كما أنّ الإفراط واضح فيه الانحراف ، التفريط أيضاً هو نوع واضح من الجهالة .

وكلاهما في الانحراف عن العقيدة لا يقل عن الانحراف في الآخر ، كذلك الحال في البحث حول الإمام والإمامة ، بل كذلك في البحث حول النبيّ والنبوّة ، في حين أننا كما يجب أن لا نغالي في النبي ونؤلهه ، يجب أيضا أنً لا نقصر في معرفتنا للنبي (صلى الله عليه وآله) ،والتقصير هو في معرفتنا أثناء البحث .

**بين الغلو والتقصير :**

ألا تنظرون إلى تلك القلائد الإلهية التي وشّحها تعالى لنبيّه في القرآن الكريم ، في حين أنّ القرآن الكريم ينهى عن الغلو والتأليه للأنبياء كما في قوله تعالى : ﴿ **لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ** ﴾ ، كما يحذّر أيضاً عن التقصير في معرفتهم كما في قوله : ﴿ **قَالُوا أَبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَسُولاً** ﴾ ، ﴿ **مَا هَذَا إِلاَ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ** ﴾ ، ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ** ﴾ ، وهذه كانت مقولة المنكرين لمقام أنبياءهم ورسلهم قال تعالى : ﴿ **انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً** ﴾ ، وخير شاهد هي الآيات الكريمة ، مثلاً في سورة الحجرات ، تنشأ مهابة وقدسية في مستهل السورة للنبي (صلى الله عليه وآله) ،

ليست مهابة وقدسية وعظمة ملوك الدنيا ، وإنّما هي مهابة وقدسية ربانية للنبي (صلى الله عليه وآله) ، حتّى رفع الصوت في محضوه (صلى الله عليه وآله) ينذر القرآن الكريم بأنّ مجرد رفع الصوت فقط يحبط الأعمال جميعاً عند النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، أيّ عظمة يريد أن يعظّم بها الله نبيّه ، في حين أنها ليست بتأليه ، ولكنها ليست بتقصير .

الصفحة 232

إذن كما يجب الخوف من الغلو وبعض أنواع البطون وما شابه ذلك من الانحرافات الإفراطية ، يجب الحذر والخوف كُلّ الحذر من التقصير والسطحية والقشرية .

وفي الواقع أنّ التفريط والتقصير كما أنّ منشأه قد يكون الخوف من الغلو ، قد يكون منشؤه الآن في الوسط الفكري في الأوساط الإسلامية غَلَبَة المنهج الحسي ، أو ما يقال عنه بأصالة الحس .

وهو منهج غربي راهن في الفلسفة الغربية والمدارس الغربية منحدرة منه ، وربما الكثير من المفكرين الإسلاميين متأثّرون به ، وفيه عوامل عديدة مؤدّية للتقصير في المباحث والمعارف الاعتقادية فبعضها من خوف الإفراط ، وبعضها من التأثّر بالمنهج الحسّي وأصالة الحس .

فاللازم الالتفات إلى أنّه كما يجب الحذر من الغلو والباطنية يجب الحذر أيضاً من الوقوع في التقصير في المباحث الاعتقادية وأبواب المعارف .

**معنى الغلو والباطنية :**

الغلو هو إعطاء المخلوق أيّاً ما كان الصفات الإلهية أو المقام الألوهي أو التجاوز بالشيء عن الحدّ الذي هو عليه .

والباطنية هي عدم اتّباع الموازين الظاهرية ، وهذا هو مجمل معنى الغلو والباطنية .

وسنبيّن أنّ المتبّع لدينا في دعوى أن علم الإمام علم لدنيُ هو في الشواهد القرآنية ، ويتخذ من الموازين الظاهرية ميزانا له ، وأنّ العلم اللدنّي ليس نوعاً من التأليه ومن المقام الألوهي ، وإذا تخيُل ذلك أو اشتبه في أن العلم اللدني هو نوع من التأليه ، فسوف يجاب هذا المتوهّم أو المتخيل أنّ القرآن الكريم أثبت العلم اللدنيّ إلى قائمة من النماذج الإلهية من الأنبياء والرسل أو الأولياء الحجج ، أثبت لهم هذا العلم اللدنّي ، فالعلم اللدنّي لهذه القائمة أمر مفروغ عنه وضروري ومتسالم عليه عند المسلمين ، فمن ثمّ إذن لا نكون قد تخطّينا موازين الظاهر في إثباتنا

الصفحة 233

للعلم اللدنّي للإمام ، ولا نكون أيضاً قد تخطينّا ميزان أنهمّ مخلوقون ومحتاجون وعبيد مفتقرون إلى ربهمّ بادئ ذي بدء ونهاية المنتهى .

على أيّة حال هناك آية من الآيات المحكمة التي تبيّن أنّ العلم اللدنيّ يحبيه الله ويهبه لأوليائه ، هذه الآية من محكمات الآيات ، وهي دليل إجمالي وشاهد إجمالي لا تفصيلي على الفرق بين علم الإمام وعلم الرواة والفقهاء ، وفيما بعد سنبيّن كيفية الفرق بينه وبين العلم النبوي ، هذه الآية هي في قوله تعالى في سورة الجن آية : 26 . 27 : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبَ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى

﴿ غَيْبِهِ أَحدَا * إلا مِنِ ارْتضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ .

فعلم الغيب كصفة ذاتية بالذات هي صفة حصرية ثابتة لله عزّ وجلّ ، أمّا العلم الإظهاري للغيب فقد يهبه الله عز وّجل لمّن ارتضاه من حججه ورسله .

فهذه الآية هي بيان إجمالي ودليل إجمالي على سنخ العلم الذي يحبيه الله عزّ وجلّ لأوليائه .

**آيات الثقلين :**

وقبل الخوض في الشواهد القرآنية على كون علم الإمام علم لدنّي ، وقبل أن نذكر قسماً ممن وهبه الله علما لّدنياً ، نستعرض الآيات التي تتعرّض لحديث الثقلين ، لأنّ تلك الآيات التي تتعرّض إلى حديث الثقلين هي شواهد رئيسية أصلية وعمدة في بيان علمهم أنّه علم لدنّي وليس مستندا إلى الحسّ ، تلك الآيات بنحو السرد الإجمالي في سورة النحل قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [1] هذا الثقل الأوّل .

وهذه الآية هي من الآيات الملحمية من ملاحم القرآن التي يقف عندها المفسّرون حيرى ، كيف أنّ القرآن قد انطوى على العلوم كلّها ! !وعندهم في تفسير الآية حيص وبيص طويل الذيل .

---

1- النحل : 89 .



هذه الآية تعادلها آية أُخرى في القرآن الكريم دالّة على ثقل آخر ، ألا وهي في سورة العنكبوت قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [1] ، فهذه الآية إجمالاً دالّة على أنّ هناك ثلّة في هذه الأمة تحمل وتعرف بيان العلم ، وأنّ القرآن بمجموعه بيّن جلي لديهم .

فإذن دعوى القرآن أنّ في القرآن بياناً لكلّ شيء ، وفي آية أخرى في سورة العنكبوت يخبر القرآن الكريم أن هذا البيان الذي في القرآن إنّما يقدر عليه ثلّة في هذه الأمة ; إذ لم يقل القرآن ليكون معطلاً ، وليس هو بين عند جميع هذه الأمة ، فالذي يقتدر عليه في هذه الأمّة ثلّة .

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ من دون تفصيل : ﴿ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ . والبيان لآيات القرآن الكريم قد تكفّلت العهدة الإلهية القيام به كما تشير إلى ذلك سورة القيامة : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ . . ثم إن عُلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [2] ، والقرآن كمصدر هداية للمسلمين والبشرية إلى يوم القيامة ، يجب أن يتوّج ويستمر تبيانيّته لكلّ الأشياء المستجدة ، ولكل جوانب الخلقة والحياة .

فلابدّ إذن أنّ تلك الثلّة الذين أوتوا العلم ، والقرآن بيّن في صدورها ، يجب أن تكون باقية ببقاء القرآن ، وهذا هو مقتضى الآيتين .

وآية ثالثة مرتبطة بنفس هاتين الآيتين اللتين مؤدّاهما حديث الثقلين : ﴿ وَأَنزَلنَا إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِم ﴾ [3] ، ومن الواضح أنّ تبيين القرآن من وظائف القرآن ، ومن وظائف القرآن أنّه يبيّن للناس على مر العصور إلى يوم القيامة ، والقرآن الكريم يوكل عهدة التبيان إلى الجانب الإلهي : ﴿ إِنَّ عَلَينَا بَيَانَهُ ﴾ وقد بيّن من هم لديهم البيان : ﴿ بَل هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ ﴾ .

1- العنكبوت : 49 .
2- القيامة : 17 و19 .
3- النحل : 44 .



وهذا المفاد من ورود مؤدّى حديث الثقلين في الآيات أشارت إليه روايات أهل البيت (عليهم السلام) ، وهذه الإشارة كما يقال يكفي فيها أنّها إشارة إرشادية عقليةولا حاجة فيها للتعبّد .

## دلالة حديث الثقلين على العلم اللدنّي :

هناك آيات أخرى أيضاً تشير لحديث الثقلين ، ولا يظن الباحث أنّ الدخول في حديث الثقلين هو دخول في بحث معترض لا صلة له بالمبحث ، بل هذا المبحث له صلة وثيقة مع حديث الثقلين في القرآن ، وهو علم الإمام ، أو المسألة الأصلية التي نريد أن نركّز عليها في علم الإمام ، هي العلم اللدنّي ، وهي أنّ آيات مفاد حديث الثقلين في القرآن الكريم دالة على عمدة علم الإمام ، وأنّه علم لدني ، كما سنبيّن فيما بعد .

ففي سورة الواقعة : ﴿ فَلا أُقسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَو تَعلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [1] فيعظّم القرآن هذا القسم ، والمقسوم عليه هو : ﴿ إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكنُونٍ ﴾ [2] ، مكنون ، أي : محفوظ في كن وحفظ ، ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ ﴾ [3] و(لا) هنا لا نافية ، لا (لا) ناهية ، فليست في مقام الإنشاء ، وأمّا استفادة حرمة مسّ الكتاب من دون طهارة فلا ينافي كون مفادها خبرياً لما هو ظاهر الآية ، بل هو من باب دلالة الإشارة أو الإيماء من المعنى الملازم لمفاد الآية ، والقسم الذي في الآية لا يكون على شيء إنشائي : ﴿ فَلا أُقسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَو تَعلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ، مثلاً : آمركم بالصلاة ، القسم لا يوقع على شيء إنشائي إذ لا معنى محصّل له ، والقسم دوماً يكون على شيء إخباري ، خبري مخبر عنه موجود متحقّق تكويني ، سواء مستقبلي أو ماضي ، وأمّا القسم

1- الواقعة : 75 ـ 76 .
2- الواقعة : 77 ـ 78 .
3- الواقعة : 79 .



على شيء إنشائي فلا معنى له ، فظاهر الآية : ﴿ فَلا أُقسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَو تَعلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرآنٌ

﴿

كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ ، أنّ المقسوم عليه الإخبار عن كون القرآن في (كن) وحفظ ، وهذا الكن والحفظ : ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (المطهّر) هذه مفردة قرآنية تناولها القرآن بمعنى الأسمى في آيات أُخرى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [1] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [2] .

آيات التطهير في القرآن تشير إلى الفرق بين المطهّر والمتطهّر وأنّ الأولّ هو حائز على الطهارة من الذنوب والخطايا بالاصطفاء والاجتباء الإلهي بينما الثاني هو الذي يحصل على الطهارة من الذنوب بالاكتساب بالتوبة بالغسل بالوضوء : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ، ونظير معنى المتطهّر معنى لفظة المطهِّر (بتشديد الهاء بالكسر) اسم فاعل ; لأنّه بمعنى من يسعى لتطهير نفسه بخلاف المطهَّر (بتشديد الهاء بالفتح) اسم مفعول الذي هو المعنى الأول ، فهو لبيان العصمة من الذنوب وهو مقام الأسمى .

فهذه الآية أيضاً تدلّ على أنّ القرآن الكريم بكلّه لا يصل إليه وهو في حفظ وبعدُ عن تناول البشرية ، لكن لابد أنّ لا يؤدي ذلك إلى تعطيل القرآن كما قد يُتوهّم ، بل دالّ على ضرورة اقتران ووجود أهل آية التطهير كي يبقى القرآن حيا فاعلا بكلّ مراتبه ودرجاته ، ليس فيه تعطيل للقرآن الكريم ، وإنّما بيان ضرورة وجود القيّم على تبيينه والمعلّم الإلهي لبيان القرآن ، بمعنى أنّ الوصول إلى تمام ما في القرآن من علوم وحقائق ومعارف هذه محفوظة عن البشر لا يتناولها البشر إلاّ بواسطة مسّ المطهّر .

وهذه الآية من الآيات التي مؤدّاها ومفادها حديث الثقلين وأنّ هناك في

---

1- الأحزاب : 33 .
2- آل عمران : 42 .



هذه الأمّة من هو مطهّر يمسّ تمام القرآن ، ولا يكون القرآن في أي حقل من حقوله ، وفي أي درجة من درجاته ، وفي أيّ معلومة وحقيقة من حقائقه مكنون عنه ، بل يستطيع أن يصل إليه ويمسّه .

وهناك طائفة ثالثة من آيات الثقلين ومفاد حديث الثقلين ، والتي أشارت إليها روايات أهل البيت (عليهم السلام) كإشارة عقلية إرشادية لا حاجة إلى التعبّد فيها ، في سورة الرعد الآية 43 : ﴿ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾

وأحد دلائل النبوّة . نبوّة النبيّ (صلى الله عليه وآله) في هذه الآية . هي القرآن ; لأن شهادة الله لنبيه هي بتوسط القرآن ، والقرآن كما يبيّن دلالاته الإعجازية ، دلالة يقينية قطعية سواء قطعية بالعلم الحصولي كما يفسرّه المتكلمّون ، أو دلالة القرآن الكريم على نبوّة النبيّ ليس بالعلم الحسي والوجدان والعلم الحصولي ، بل هو الوجدان العياني ، يعني العلم الحضوري ، القرآن فيه بريق ولمعان قوة الغيب اللامتناهية فيه ، فهذه يستحضرها الإنسان حضوراً كما نذهب إليه أياً ما كان .

فإذن الدليل الأوّل لنبوة النبيّ (صلى الله عليه وآله) هو الله عز وّجل بتّوسط القرآن الكريم كلام الله . والدليل الثاني على نبوّة النبيّ : ﴿ وَمَنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ، ومن الواضح أنّ الذي يقرن بشهادة القرآن ليس هو من يكون غير مسانخ لشهادة القرآن ، من قبيل شهادة الرواة مثلاً ، ليس الحال كذلك يعني : ﴿ وَمَنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ، يعني هناك شخص عنده علم كل الكتاب .

وتشير هذه الآية إلى أنّ مدرك حجيّة شهادة هذا الشاهد الآخر ، كون علمه مضافاً ومسنداً إلى الكتاب ، ولم تفد الآية علماً من الكتاب ; لأنّ الوصف في الآية (علم الكتاب) ظاهره الإسناد لمجموعة تمام الكتاب العزيز ، وهذا كما ذكرنا أنّ آيات الثقلين لها تمام الصلة القريبة لمبحثنا نحن ، وهو أنّ علم الإمام علم لدنيّ .

**الإمام عنده علم الكتاب :**

ومن العناوين الأخرى لعلم الإمام أنّ عنده علم الكتاب ففي هذه الأمّة هناك



من هو يحمل علم الكتاب ، تشير الآية الكريمة إلى حجّية شهادته أياً ما كان ووجوده .

فإذن هناك من هو عنده علم الكتاب ، والكتاب قد وصف في القرآن الكريم إلى ما شاء الله من الصفات الدالة على أنّ الكتاب الكريم حاو لكُلّ شيء ، مثلاً الآيات : ﴿ يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ففي أمّ الكتاب والكتاب فيه كلّ شيء ، هذه الآية في سورة الرعد 39 ، وفي سورة الأنعام آية 38 : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ ، يعني لم يغرب عن الكتاب شيء ، وفي آية 59 : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ ، والكتاب المبين من أسماء القرآن أيضاً الذي دلّت عليه سور وآيات عديدة : ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ في سورة يوسف الآية الأولى ، وفي سورة الشعراء الآية الثانية ، وفي سورة الزخرف الآية الثانية ، وفي سورة الدخان الآية الثانية ، وفي سورة النمل الآية الاولى ، وفي سورة القصص الآية الثانية ، أنّ الكتاب المبين اسم من أسماء القرآن الكريم : ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ سورة النمل الآية 75 .

علم هذا الكتاب الذي يستطر فيه علم كل شيء هو لمن في الأمّة شاهدٌ لرسالة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، والذي أُضيف علمه إلى مجموع الكتاب وإلى تمام الكتاب ، في قباله هناك شخص في أُمّة بني إسرائيل لديه علم لبعض الكتاب ، كما في سورة النمل الآية 40 ، والذي هو من أوصياء سليمان وهو آصف بن برخيا فيما يعرضه القرآن من قصّة سليمان : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ المقصود أنّ هناك مغايرة قرآنية دقيقة بين هذين التعبيرين ، من عنده علم الكتاب ، ومن عنده علم من الكتاب كما نبّهت إلى ذلك روايات أهل البيت (عليهم السلام) ، التفريق بين هذين من ربّ الخليقة المحيط بدقائق التعابير ، وليس في ذلك خروج عن موازين البحث الظاهر .

وهناك طائفةرابعة من الآيات الدالة على حديث الثقلين الثقل الآخر : ﴿ ثُمَّ أَورَثنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَينَا مِن عِبَادِنَا ﴾ ، وهذا التوريث للقرآن ذكرنا أنّ سنخه سنخ آخر لأنّ الكتاب مادة لدنيّة غيبية ، فالكتاب الذي لا يغرب عنه شيء في عالم الخلق ورّث للمصطفين من العباد كما في سورة فاطر آية32 .

ومن آيات وطوائف حديث الثقلين في القرآن الكريم ما في سورة آل عمران : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابتِغَاءَ الفِتنَةِ وَابتِغَاءَ تَأوِيلِهِ وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّن عِندِ رَبِّنَا ﴾[1] هذه الآية بمؤدّاها احتوت على مفاد حديث الثقلين ودالة على أنّ القرآن يقسّم إلى محكمات : ﴿ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ وأنّ المحكمات وتأويل المتشابهات لا يقتدر عليه إلاّ كما في الآية : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ ﴾ واو استئنافيه ، لكان هذا موجباً لتعطيل القرآن ، لماذا ؟

لأنّ في القرآن متشابه ، لا يعلمه إلاّ الله أمّا خلقه فمحجوبون عن العلم بتأويله ، فشطر وافر من القرآن الكريم سيكون معطّلاً ، وتعطيل بعض الكتاب باطل بضرورة القرآن ،والدين الحنيف القرآن إنمّا أنزل لا لكي يعطلّ ، فإذن الواو عاطفة هنا ، مضافاً إلى التعبير بهذا الوصف (الراسخ في العلم) القرآن الكريم الذي يقول : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[2] يصف هذه الثلّة في هذه الأمّة أنهّاراسخ علمها ، ورسوخ العلم هو بإحاطته وشموليته .

ومن الواضح أنّ هذه الثلّة وهذه الجماعة في هذه الأمة باقية على مرّ زمن بقاء القرآن والا لزم تعطيل الكتاب فهناك ثلة هي العالمة بتمام التأويل ،وهذا المفاد للآية يدل أيضاً على أنّ الإحاطة بتمام المحكمات القرآنية غير ممكنة لعموم

1- آل عمران : 7 .
2- الإسراء : 85 .



الناس من دون الاستعانة بهذه الثلّة (الراسخون في العلم) ; لأنّه لو أحاط شخص بالمحكمات تماما مَن غير هؤلاء الجماعة التي هي الراسخة في العلم لما بقي عليه متشابه لاستطاعته عبر الإلمام بكلّ المحكمات أن يفسّر كلُ المتشابه وهذا باطل ; إن المتشابه لا يمكن معرفته إلاّ بمعرفة تمام المحكم ، وتمام المحكم لا يمكن معرفته إلاّ الراسخون في العلم .

وهذا المفاد للآية هو عين مفاد حديث الثقلين ،واللطيف أنّ هذه الآية تدل على أنّ المحكمات هي : ﴿ أُمُّ الكِتَابِ ﴾ ،وأُمّ الكتاب قد ذكر في سورة الرعد الآية 39 وأنّ في أُمّ الكتاب .وهي محكمات الكتاب . مستطر فيه كلُ شيء : ﴿ يَمحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ ﴾ ،وأُمّ الكتاب قد أشير لها في سورة آل عمران ، هي محكمات القرآن ،وهذه المحكمات التي هي أُمّ الكتاب ، إنمّا يحيط بها لمعرفة سائر المتشابه ﴿ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ ﴾ على أيّة حال هذه طائفة أُخرى من

ينضمّ إلى هذه الطائفة أيضاً أو يفوز ولكلُ وجه الآية83 في سورة النساء ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ تُشْيرُ ظاهر الآية إلى أنّ هناك ثلّة في هذه الأمةّ هي أولُي الأمر ، لا يستعصي عليها استنباط أيّ حكم في أيّ نازلة تنزل بهذه الأمةّ إلى يوم القيامة ، نازلة في أبواب المعارف ، نازلة في الفروع الفقهية ، نازلة في الآداب ، نازلة في السير وأيّ مسير ، أو أيّ صعيد وأيّ علم ، هناك ثلةّ هي تتلوا الرسول (صلى الله عليه وآله) ، تلك الثلة فّي هذه الأمّة هي التي لا يستعصي عليها استنباط حكم النازلة التي تنزل بالمسلمين من القرآن الكريم ، ومن الواضح حينئذ تطابقها مع نفس سورة آل عمران : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ هذه طْائِفةْ خامسة .

على أيّة حال فقد تكررت الإشارة في القرآن الكريم في آيات أُخرى أنّ هناك ثلةّ في هذه الأمة أو تيت العلم ، كما في سورة الحج الآية54 : ﴿ وَلِيَعْلَمَ

﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ﴾ ، وفي سورة سبأ الآية6 : ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ ﴾ فأسندت الرؤية إلى الوحي النزل ﴿ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ و﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ ﴾ ، وهذا المفاد نظير ما في قوله تعالى في سورة العنكبوت الآية 49 : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ ، أي : الكتاب جميعه آيات بيّنات في صدور تلك الثلّة الذين أوتوا العلم والحاصل أنّ هناك طوائف عديدة أشارت إليها روايات أهل البيت (عليهم السلام) ، وأنّ حديث الثقلين ليس فقط حديث نبوي ، وإنّما حديث الثقلين هو مفاد قرآني ، حدّث به القرآن الكريم في العديد من طوائف آياته ، وفي حديث الثقلين تركيز على أنّ حجيّة هذه الثلّة وهذه الجماعة في هذه الأمّة ، حجيّتها وسنخ حجيّتها ، وعلمها وسنخ علمها هو من نمط وسنخ عدله ، هو علم الكتاب ، وسنخ العدل يعني كحجيّة الكتاب ، والكتاب قد وصف بأوصاف ملكوتية غيبية لدنيّة عديدة في القرآن الكريم ، وكلّ صغير وكبير مستطر ، وما من غائبة في السماء والأرض إلاّ في كتاب مبين ، وعنده أُمّ الكتاب ، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين ، ولو أنّ قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ، والى ما شاء الله من الصفات .

فالقرآن الكريم بلحاظ منزله الغيبية قد وصف بأوصاف عديدة من العلم الإحاطي ، وأيّاً ما كان فعلم هذا الكتاب موجود لدى الثلّة من هذه الأُمّة .

فهذا مفاد وبيان إجمالي من آيات الثقلين نسمّيها بآيات الثقلين .

فإذن آيات الثقلين تشرفنا وتطلعنا إجمالاً على وجود ثلّة في هذه الأمة علمها ليس من نمط العلم الحسي ، بل لدنيّ ; لأن هذا العلم قد تعلّق بالكتاب وقد ذكر أنّ الكتاب في (كن) غيبي في سورة الواقعة : ( إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ )[1] فهذا لا يتوصّل إليه بالعلم الحسي ، على أني العلم الذي للمعصوم علم الإمام ، ليس هو من قبيل علم النبوة ، ولا هو من قبيل علم الرواة والفقهاء ; لأنّه علم حسّي اكتسابي ، وانمّا هو علم لدنيّ .

وهناك آيات عديدة دالّة على أنّ الله عزّ وجل يرزق ويهب ويحبي ويعطي أولياءه الحجج العلوم اللدنية ، وليس هذا نوع من التأليه ، ولا نوع من الغلو ، ولا نوع من الباطنية المهلوسة ، أمّا عدم الغلو ; فلأنّ الآيات تصرح بأن هنالك أولياء لله حجج من الأنبياء وغير الأنبياء قد أعطوا هذا العلم اللدنّي فأيّ غلو ؟ ! وليس فيه أي تجاوز عن مقام المخلوقية ، وأما عدم هلوسة الباطنية ، فمن جهة أنّنا لا نتبّع إلا موازين الظاهر ، والمتفق عليها من موازين علوم الأدب واللغة .

كما أنّ هناك قائمة من الآيات دالّة على أنّ هناك بشرا علومهم علوم لدنية ، وليست علوما حسّية ، وليست علوم نبوة هذه القائمة تعدادها مذكور في جملة من السور والآيات منها كمثال وعيّنة في سورة لقمان : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ هذا الإيتاء ليس إيتاءً حسيّاً ، فعلم لقمان مع أنه ليس بنبي ، ومن المسلمات بين المسلمين أن لقمان ليس ببنبي ، لكن

علم لقمان ليس علم الرواة ،وعلم لقمان ليس علم الفقهاء حسّياً منشأه كسبياً ، لا ، وليس هو نبوة من النبوات .

وإذا قلنا بأنّ علم الإمام علم لدنّي ، وليس بنبوة ولا بعلم حسيّ ، لم نكن قد أحدثنا قولا مبتدعا ، إلا أن نرفع اليد على الاعتقاد بالقرآن الكريم ،والكتاب العزيز يطلعنا في سورة لقمان أنّ هناك حكمة وهبية وعلما لدنياً ،وأحد أقسام العلم اللدني الذي يعطى هو الحكمة ،وإذا كان الشأن في لقمان كذلك فكيف بالأئمّة الذين جعلهم الله حججاً ؟ ! لأن المفروض فيما نحن فيه أنّه قد فرغنا الأدلّة من القرآن والسنةّ القائمة على إمامتهم ، وموضع البحث هو في علمهم بعد الفراغ عن الأدلة الدالة على إمامتهم وحجيّتهم ، فإذا كان لقمان ليس بنبيّ ولا وصي ومع

---

1- الواقعة : 77 ـ 87 .



ذلك بيّن القرآن الكريم أنه قد أعطي علما لدنياً وليس علما كسبيا ، فكيف بأولياء الله الحجج ؟ ! بل في الحقيقة هذه الآيات في العلم اللدنّي هي بنفسها أدلة مستقلة على منصب الإمامة الإلهية المغاير لمنصب النبوة والرسالة .

وخاطبنا القرآن الكريم ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ ولم يقل كلاّ لو كنتم آلهة لعلمتم علم اليقين وترونّ الجحيم ، لم يخاطبنا القرآن الكريم بذلك ، فليس علم اليقين عنواناً لدعوى الألوهية ،ولا يخاطبنا في هذه السورة : كلا لو كنتم أنبياء لعلمتم علم اليقين وترونّ الجحيم ، بل خاطبنا بهذه العبارة : ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ فهناك سنخ من العلم يثبته القرآن الكريم هو علم اليقين ، الذي ليس بعلم كسبي ولا حسّي ، هذا العلم له مثل هذه الآثار ،وهذا سنخ من العلم اللدنّي يثبته القرآن الكريم لخاصته من البشر ، لا لكلّ البشر .

فالعلم اللدنّي إذن ليس فيه أيّ غلو أو أيّ هلوسة باطنية ،وعلى أي حال أستعرض آيات عديدة بصورة سردية إجمالية وأنهي الحديث :

ففي سورة البقرة يقول عزّ من قائل : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [1] ولم يقل : وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض نبياً ، لا ، إنّي جاعل في الأرض رسولاً ، لا ، إنيّ جاعل في الأرض آدم خليفة ، لا قضية حقيقية عمومية كليةّ ، هذا الخليفة الإلهي الذي أخبر الله به ملائكته ،وأتبع به ملائكته ،وأسجد له ملائكته ، هذا الخليفة ما هو أبرز شيء في خلافته ؟ هو الذي ذكرناه في مستهل الحديث علمه : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [2] ، هذا العلم ليس بنبوّة وإنباء هذا علم لدنّي ، علم الأسماء الجامع ،وهذا المقام هو منصب الإمامة والخلافة الإلهية في الأرض الذي لا ينقطع ولا يزول ،

---

1- البقرة : 30 .
2- البقرة : 31 .



وهو الذي تعتقده الإمامية ،والذي هو يغاير منصب النبوّة والرسالة ، ومقام خليفة الله في أرضه ، وقوام خلافة خليفة الله

في أرضه ، هو علمه بالأسماء الجامعة .

وكذلك في سورة يوسف إشارة إلى علوم لدنّية أُخرى : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [1] هذا العلم ليس بالنبوّة التشريعية ، علم تأويل الأحاديث الذي حبى به يوسف ليس من العلم التشريعي والنبوة ، ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ .

وكذلك في سورة الكهف : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ [2] في شأن صاحب موسى الخضر ، ولم يقل وجعلناه نبيّاً وعلمّناه علما لدنيا .

وكذلك في سورة الأنبياء : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [3] ليس نبوّة تشريعية .

وكذلك في سورة النمل : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [4] ، ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [5] .

وأيضاً في قوله في سورة البقرة في شأن داود : ﴿ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ [6] وأيضاً في طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ ﴾ [7] ، أي : بسط له العلم اللدنّي .

---

1- يوسف : 6 .
2- الكهف : 65 .
3- الأنبياء : 79 .
4- النمل : 15 .
5- النمل : 16 .
6- البقرة : 251 .
7- البقرة : 247 .



وهذه نبذة عمّا في القرآن الكريم من إشارة وإثبات لعلم لدنّي يباين النبوة ويباين العلم الحسيّ ، هذه آيات بينة ومفادها هو الظاهر الأولي الابتدائي في دلالة الآيات ، لا أنّنا نتأولها أو نبطنها أو ما شابه ذلك ، موازين الظاهر ننضدها نضداً سليماً ، فترى أنّ القرآن يثبت مقاماً وعلماً هو غير النبوة ، وغير العلم الحسي ، هو علم لدنيّ لجماعة وثلة من أوليائه الحجج .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





## الأسئلة والأجوبة

سؤال : ما المقصود من الإمام ؟ هل المقصود الأئمّة الاثني عشر أم الإمام المتّصف بالإمامة ويشمل أيضا إبراهيم (عليه السلام) : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [1] إذا كان بالمعنى الأعم فهل يجتمع علم النبوّة وعلم الإمامة ؟

الجواب : استهللنا الحديث بعد الفراغ عن إمامة الأئمّة الاثني عشر ، وكان الحديث أيضاً في علم الإمام أعم من الأئمة الاثني عشر أو الأئمّة السابقين الذين أثبت لهم القرآن الكريم الإمامة التي هي منصب غاير القرآن الكريم بينه وبين النبوة ﴿ وَإِذِ ابتَلَىٰ إِبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ ﴾ وبيّن في فُرَص الآية وقوع الوحي بين النبيّ إبراهيم وإيحاء الله للنبي إبراهيم قبل إعطائه منصب الإمامة وهذا الجعل للإمامة كان في أُخريات حياة النبيّ إبراهيم ، إلى غير ذلك من الشواهد التي جعل الله لإبراهيم إمامة ومنصباً إلهياً وعهداً إلهياً يغاير النبوة بعد الرسالة والخلة ، فحينئذ هذه الإمامة سواء في الأئمة السابقين أو أئمّة الأمّة الإسلامية من أوصياء النبيّ الخاتم الإمامة علمها علم يغاير العلم النبوي سنخاً ، وهو علم لدنيّ في حين أنّ النبيّ لا يمتنع أن يجتمع فيه النبوة والإمامة كما كان النبي (صلى الله عليه وآله) نبياً ورسولاً وإماماً بضرورة المسلمين ، كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرسَلنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ [2] والشاهد على أعمال وحركة الخلق إلى المعاد هو الإمام فإمامته (صلى الله عليه وآله) مقدّمة على نبوته (صلى الله عليه وآله) .

سؤال : ما هي حقيقة العلم اللدنّي هل هي حالة إذا توجّه الإمام نحو مسألة يعلمها كما نعلم اليقينيات ، مثلاً أن أتوجه إلى اجتماع النقيضين فيتبادر لي عدم اجتماع النقيضين ، أو هو إلهام ؟

---

1- البقرة : 30 .
2- الأحزاب : 45 .



الجواب : طبعاً بيان حقيقة العلم اللدنّي يحتاج إلى أداة عقلية ونقلية وحديث مستقل آخر ، نحن في هذا البحث في صدد إثبات إجمالي لبيان أنّ القرآن الكريم يبيّن أنّ العلم اللدنيّ أعطي لثلة من البشر ، قائمة يستعرضها القرآن الكريم ، وهي غير النبوّة ، وهي غير العلم الكسبي الحسّي ، هذا العلم اللدنيّ من امتيازاته وصفاته الإجمالية التي ذكرها القرآن الكريم في آياته أنّه علم محيط ، أنّه علم الكتاب ، أنّه في كن محفوظ ، فيه سداد وصواب : ﴿ نَزَّلَ عَلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ ﴾ [1] و﴿ وَبِالحَقِّ أَنزَلنَاهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ ﴾ [2] .

نعم ، لاريب أنّه يغاير العلم الحسّي من ناحية الخطأ فيه والتبدّل ، وانما هو علم صائب حضوري لدنيّ من لدن الله لتشريفه وبيان عظمته .

السائل : فهل هو إلهام أم ماذا ؟

الجواب : ذكرت أنّ الدخول في حقيقة هذا العلم بقدر الوسع البشري يحتاج إلى حديث آخر مستقل طويل الذيل بأداة عقلية ونقلية ، نحن الآن في صدد أصل المفارقة بين العلم الحسّي والعلم النبوي والنبوة والعلم اللدنيّ ، لأجل أنه عند الخوض في مباحث الإمامة في الجهات التي ذكرتها في مستهل البحث يجب أن لا نخلط حينئذ بين اجتهاد المجتهدين والفقهاء ورواية الرواة وإخبارات الإمام بعد الفراغ عن إمامته .

نعم ، العلم اللدنّي على أقسام هي من الأقسام الكثيرة من أنماط وأنواع الوحي بمعناه العام لا معناه الخاصّ بالنبوة كما في قوله تعالى : ﴿ أَوَحْينا إِلى أَمِ موسى ﴾ و﴿ وَإِذْ قالَتَ المَلائِكَة يَا مَرْيَم ﴾ وغيرها من الموارد ، فهناك الوحي التأييدي والتسديد والإلهام والنكت في القلب والسمع والتطهير الإلهي الموجب للشفافية ورفع الحجب .

1- آل عمران : 3 .
2- الإسراء : 105 .



سؤال : أيّ العلمين أشرف العلم المأخوذ من الوحي وهو علم النبوة أم العلم اللدنيّ الذي هو من الله ؟

الجواب : يقال : الشجاعة فضيلة وشرف ، والعلم شرف ، والكرم شرف ، وتلك مناقب إلهية مختلفة وإن كان لكلّ منها شرف وامتياز إذا قيست إلى بعضها ، ويظهر من سورة البقرة في جعل إمامة النبيّ إبراهيم (عليه السلام) : ﴿ قَالَ إِنِي جَاعِلُكَ لِلنَاسِ إِماما ﴾ أنّ الإمامة مقام أُعطي وحبي به إبراهيم بعد مقام النبوة والرسالة والخلة أو مناصب إلهية أخرى أي : بعد أن امتحنه الله تعالى وابتلاه وفاز في ذلك ، ممّا يدل على علو شرفها ومكانتها مع أنّ نبوته كانت نبوة أولي العزم ، ولكن لا يعني ذلك أنّ أنبياء أولي العزم أو النبيّ الخاتم والعياذ بالله فقد هذا المقام وهو الإمام ، بل النبيّ الخاتم (صلى الله عليه وآله) كانت إمامته أشرف رتبةً من سائر الأئمة .

سؤال : أردت أن أعرف موقفنا للشخص الذي يعرف العلم اللدنّي كيف نقيّم مواقفه مع مجريات الأمُور ؟

على سبيل المثال عندما نثبت للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) علماً لدنيّاً ففي هذه الحالة . مثلا . موقفه في ليلة المبيت أو مواقفه في الشجاعة في مواقف الحرب إذا قلنا بأنّ هذا العلم اللدنّي يعطيه بأنه لا يموت في ليلة المبيت أو أنه في هذه الحرب يخرج منتصراً فكيف نستطيع أن نقيّم هكذا شخص مع أن عنده علما لدنيا ؟

الجواب : يقال أولاً : ليس العلم وإن كان علما لدنياً كالعيان الخارجي ، فإن الله عز وجّل أنبأ موسى بانحراف قومه ، ودار الحوار المعروف بينه وبين الله سبحانه وتعالى ، وأخبره بانحراف وافتتان قومه بالسامري وعجله ، هناك لم ينثار النبيّ موسى على نبيّنا وعلى آله وعليه السلام تلك الإثارة ، أمّا عندما ذهب موسى كما تحدثنا السورة القرآنية إلى قومه وشاهد انحرافهم لاتّباعهم العجل حينئذ انثار وألقى الألواح ، ثمّ سكت عن موسى الغضب ، طبعا الغضب لم يكن غضبا خارجا



عن الموازين العقلي لذلك عبّر القرآن الكريم عنه بـ ﴿ سَكَتَ ﴾ [1] كأنّ الغضب له نطق وسكوت ، ولم يعبرّ القرآن الكريم بـ(سكن) في مقابل الحركة الذي هو غضب حيواني ، فسكت يعني غضب إلهي عقلي .

فالعيان الذي عاينه موسى يختلف عن العلم .

وبعبارة أُخرى : إنّ صرف العلم ببقاء الحياة هذا لا يولدّ الشجاعة ، بل لولا الشجاعة لما أفاد العلم شيئا ; لأن العلم بالشيء

ولو يقيناً إذا كان الإنسان ليس لديه صفة الشجاعة عندما يوجد في ميدان الامتحان فحينئذ العلم شيء والعمل والعيان شيء آخر ،وهذا مجرّب فلو علم الإنسان بشيء إلاّ أنهّ حين التطبيق وحين الابتلاء العملي الحقيقي بالشيء هذا نفسه يحتاج إلى مؤهلاّت وراء العلم وهي الشجاعة فلا تنافي بين الأمرين ، نظير الشجاع الذي يعلم أنّ الطرف الآخر لا يستطيع أن يغلبه حينئذ غلبة الشجاعة على ذلك الطرف المقابل لا تنافي أنّه شجاع ،ولا ينافي أنّ ذلك الشجاع على علم بأنهّ قوته تفوق الآخر .

ثانياً : إنّ البداء وهو تغيير مقادير الأمور والقضاء بحسب المشيئة الإلهية ليس مسدودا ﴿ **يَمْحُوُ اللهّ مُا يشاءَ وَيثبتَ وَعِندهَ أم الُكتابْ** ﴾ ، فالبداء يعني إطلاق العنان للمشيئة الإلهية في إبداء أيّة تغيير ، وليس ذلك عن جهل والعياذ بالله تعالى في الساحة الإلهية جلّ وتعالى عن ذلك ، بل هو إبداء لعالم الخلقة مالم يكن من المشيئة الإلهية القطعية ، فليس هناك من حاكم على الله تعالى لا القضاء ولا القدر ولا العلم المحفوظ ولا شيئاً من ما هو مخلوق له تعالى ، ومن ثمّ لم يبعث نبي قط إلاّ وأخذ عليه في الميثاق التسليم لله تعالى بالبداء ، أي : إطلاق القوة الإلهية ، فليس لمشيئته تعالى غالب ، ومع وجود البداء فلا حتم على الله تعالى ، بل له المشيئة ، وحينئذ إذا لم يكن مقرّاً بحتم فيظل ميدان الامتحان قائماً على قدم وساق .

---

1- الأعراف : 154 .



سؤال : السؤال في حدود علم الإمام يقول الشيخ المفيد أعلى الله مقامه في كتاب المسائل العكبرية في المسألة العشرين قال السائل : الإمام عندنا مجمع على أنّه يعلم ما يكون .

والجواب وبالله التوفيق عن قوله : إنّ الإمام يعلم ما يكون بإجماعنا أن الأمر على خلاف ما قال وما أجمعت الشيعة قط على هذا القول ، إلى أن يقول : ولسنا نمنع أن يعلم الإمام أعيان الحوادث تكون بإعلام الله تعالى له ذلك ، فأمّا القول بأنّه يعلم كلّ ما يكون فلسنا نطلقه ولا نصوّب قائله لدعواه فيه من غير حجةّ ولا بيان ، هذا في المسائل العكبرية ج6 ص69 .

أمّا الشريف المرتضى قدّس الله نفسه فيقول حول العلم بالصنائع والكتابة : وانتهينا إلى أبعد الغايات وقلنا : إنّ إيجاب ذلك يؤدّي إلى إيجاب العلم بسائر المعلومات الغائبات والحاضرات وأن يكون كلُّ واحد من النبي والإمام محيطا بمعلومات الله تعالى كُلّها . فوجوكم التعليق على هذا ؟

الجواب : الشيخ المفيد كان بصدد نفي الاتّفاق على زواية من زوايا العلم اللدنّي وسعته وأنهّ لم يكن هناك اتفاق ، أي : إن المسألة مختلف فيها لا أنّه مختلف في أصل العلم اللدنّي .

استذكروا العبارة التي قرأها الأخ إنّها ليست بمعنى نفي أصل العلم اللدنّي وانمّا الكلام في سعته وضيقه ، هذا ما يقوله الشيخ المفيد ،وهذا ليس فيه اتّفاق بين العلماء على نفي أصل العلم اللدنّي ، هذه العبارة ليس مؤداّها أن هناك إجماع على نفيه ،وانما المراد أنّه ليس فيها اتفّاق على السعة ، ونفي الشيء ليس إثبات لضدهّ ، ولم يكن هناك إجماع على هذه السعة ، لكن ليس فيه إجماع على نفي ذلك .

نعم ، المسألة بحسب اختلاف البحث لدى العلماء في المسائل العقائدية من يستوسعَ ذلك العلم أو من لا يستوسع ذلك العلم ، لكن لم ينقل اختلاف في أصل



كون العلم لدنّياً ، أماّ بمقتضى هذه الآيات التي قرأناها فالصائب السعة ، لكن الخوض في كلُ مّسائل علم الإمام يتوقف على سلسلة بحوث عديدة : أقسامه ، حقيقته وماهيته ، كما في صحيحة علي بن سويد السائي صاحب الكاظم (عليه السلام) في كتاب الكافي في جهات علوم الأئمّة رواية صحيحة السند سأل الكاظم (عليه السلام) عن أقسام علومهم ، لكنه (عليه السلام) بعد ما يستعرض هذه الأقسام ينبّه على ما هو أشرفها ،وهو العلم الحادث [1] .

فأقسام العلوم تستدعي بحثاً آخر سعتها وضيقها ، الكلام المهم الأصلي الذي نريد أن نستثمره علمياً من هذا الحديث بطوله هو كون أصل علمه لدنّياً وليس علما كًعلم النبوةّ وليس علما حًسيا ّ .

فتحصّل من الدلائل السابقة أنّ ألف باء تفسير الأدلةّ الدالةّ على إمامة الأئمة ّمثل حديث الثقلين وغيره هو أن لا نفس حًّديث الثقلين ومؤدّاه أنّ حجيّة العترة كحجية فتوى الفقيه والا فلّم خِصَص حديث الثقلين بالعترة والكتاب سواء ذلك في حديث الثقلين القرآني أو حديث الثقلين النبوي المتواتر ؟ ولِمَ خصصت العدِلية بالكتاب والعترة دون غيرهم من فقهاء المسلمين ؟

وتبيّن أنّ علمهم ليس بعلم حسيّ أو كسبي ، نعم باستطاعة المعصوم عن طريق منظومة موازين الظهور والظواهر كما أشرت إلى ذلك سورة آل عمران وأن تأويل المتشابه بالمحكم . لكن الفارق بين المعصوم وغيره في هذا الطريق أيضاً هو أنّ العلم اللدنّي له يمكنّه من الإحاطة بكل ّمنظومة موازين الدلالة وكيفية تناسباتها المتكاثرة بلا غفلة ولا خطاء في تناسق كل ّ محتملات الموازين الأدبية تطبيقاً وإحاطة بكلّ قوالبها العامة . وفي قدرة المعصوم أن يأخذ بيد غير المعصوم من خلال الظاهر ويوصله إلى كُلّ بطون القرآن .

1- أُصول الكافي 1 : 264 .



# ( 53 ) الإجابة على الأسئلة العقائدية

آية الله الشيخ جعفر السبحاني





بسم الله الرحمن الرحيم

**تمهيد :**

الحمد للّه ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه وعلى آله الطاهرين ، ولعنة اللّه على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين .

قال الحكيم في محكم كتابه الكريم : ﴿ ادْعُ إِلِى سبيلِ ربِك بَالْحكمةِ والْمَوْعظةِ الحَسْنةِ وَجادلهمَ بَالَتي هَي أَحسُنْ إِنَّ رَبك هُوَ أَعلَمْ بَمُنِ ضلْ عنَ سَّبيلهْ وهوَ أعلِمِ بَالمُهتدينَْ ﴾ [1] .

إنّ من دواعي الخير وأسباب السرور والغبطة إلقاء المحاضرة أو الإجابة على الأسئلة في هذا الحفل الكريم المحترم ، خصوصاً في هذه الليلة المباركة المقرونة بميلاد النور ، ميلاد الإمام الحسن السبط الأكبر ، الذي حفظ بصلحه أصول التشيّع وأساسه ، وهيّأ الأرضية الصالحة لجهاد أخيه الحسين ، فسلام اللّه عليهما يوم ولدا ، ويوم استشهدا ، ويوم يبعثان حييّن ، والسلام عليكم جميعاً ورحمة اللّه وبركاته .

كما أفاد الأستاذ المحوي حفظه اللّه مثلا يقال : (الحقيقة بنت البحث) فكأنّ الحقيقة ولد ، له والد ووالدة ، والزوجان يتولدّ منهما الحقيقة باسم السائل والمجيب ، فكما أنّ اصطكاك الأسلاك الكهربائية يتولدّ منها النور فكذلك عند احتكاك الأفكار يتولدّ نور الحقيقة ، فلذلك من الواجب أن يكون بين الأفاضل الحوار الدائم ، الحوار المستمر ، والحوار المستمر داخل في القسم الثالث من الأقسام الثلاثة التي أشارت إليها الآية المباركة : ﴿ وَجادِلهمُ بْالتيَّ هِي أحِسنَ ﴾ ، وربما يكون على أساس البرهان فيدخل في القسم الأوّل ، وعلى كُلّ تقدير نرحبّ

---

1- النحل : 125 .



بكم ونعتزّ بكم ، وأن يكون لي حظٌ في إلقاء المحاضرة ، فأنا مستعد للأسئلة المطروحة من جانب الإخوة ، فمن كان له سؤال فليتقدّم ، فللمتقدّم الدرجة العليا .

## حول صفات الله تعالى :

سؤال : يدور حول صفات اللّه تعالى .

نحن نقول : إنّ صفات اللّه عين ذاته كالعلم والقدرة وما أشبهها ، ونقول أيضاً : إنه لا يجوز التفكر في ذات الله ، فماذا يعني البحث العميق حول العلم والقدرة ونحن نعتقد أنّها عين ذات اللّه ؟

الجواب : حقيقة السؤال يرجع إلى أمر حقيقي ، وهو أنّا نقول : إنّ صفات اللّه تبارك وتعالى عين ذاته ، فإذا كانت الصفات عين ذاته فكيف يصحّ لنا أن نتكلّم ونقول : إنّ صفاته تبارك وتعالى عين ذاته أو لا ؟

فكأنّ هذا البحث يرجع إلى البحث عن ذات اللّه تبارك وتعالى ، وقد أمرنا أن نترك البحث في ذاته سبحانه ، ونتفكرّ في أفعاله ، يعني يقول : هناك معارضة بين النهي عن البحث في الذات ، البحث في أنّ صفاته تبارك وتعالى عين ذاته أو لا .

ولكن الجواب على هذا السؤال سهل ، وهو أنّ النهي عن البحث في ذاته تبارك وتعالى يرجع إلى البحث عن حقيقتها ، وأنّها

جوهر أو عوض ،وأنّها من قبيل المعادن النباتات ، فالبحث عن حقيقة الذات وكينونتها وواقعيّتها ،وأن ّأي ّعنصر من العناصر يشكّل ذاته تبارك وتعالى ، فالنهي موكزّ على ذلك ، ونحن أبدا ً لا نبحث عن أن ذّاته جوهر أو عوض ، أو أن ّ عنصر ذاته أيّ شيء ،وإنّما نبحث في أن ّصفاته سبحانه وتعالى عين ذاته أو عارضة على ذاته سبحانه حتىّ يكون هناك تعدد ّ واثنينية ، وبما أنّ الاثنينية شرك ذهبنا إلى القول بأن ّصفاته سبحانه عين ذاته ، فالبحث عن كيفية الصفات من العينية ّأو الزيادة لا يمتّ إلى النهي عن البحث في ذاته .



## طرق إثبات صفات الله تعالى :

سؤال : حسب علمي أنّهم يقولون : إن أفضل طريقة لإثبات صفات اللّه الذاتية أننّا حينما نرى في الإنسان صفة العلم وصفة القوة نراها من كمالياته ،واللّه سبحانه وتعالى هو الكمال المطلق ، فلابدّ أن تكون هذه الصفات في ذات اللّه بكمالها المطلق ، يعني ما دامت موجودة في العبد فيجب أن تكون في ذات اللّه بطريق أولى ; لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه ، ولكن هنا اعتراض على هذا الدليل ،وهو أنّنا نرى الصفات الموجودة في الإنسان من العلم والقوة والحياة مختلفة ومركبّة ، فإذا كانت في ذات اللّه بشكلها الأكمل ، فربما تكون مركبّة كذلك ، فكيف نعتبر هذا أفضل دليل على إثبات الصفات الذاتية في ذات اللّه سبحانه وتعالى ؟

الجواب : يرجع سؤال إلى أنّ هذه الصفات في الإنسان مختلفةزائدة على الذات ، أيّ : ذات الممكن ، فيجب أن يكون كذلك في الواجب تبارك وتعالى ، نقول : الكمال هو نفس العلم ، لا العلم الزائد على الذات ، فهناك خلطٌ بين كون العلم كمالا ، وبين كون العلم الزائد كمالا ، أيّهما كمال هل العلم كمال أو العلم الزائد على الذات ؟ فإذا كان نفس العلم كمالا ، فنحن نقول إنّ ذاته سبحانه نفس العلم ،والذي يوجد في البشر هو العلم الزائد ،والعلم الزائد بزيادته ليس كمالا ،وإنّما نفس العلم كمال ، نفس القوة كمال ، ونحن نحتفظ بالكمال ، ونطرح جانب النقص .

وبعبارة أُخرى : إذا كانت الذات عين الكمال بحيث صارت نفس العلم ، صارت نفس القوة ، صارت نفس الحياة ، هل هذه الذات أكمل أو الذات التي تفتقد في حدّ ذاتها للعلم ، ثمُ ّيعوض عليها العلم ؟

الأوّل أكمل ونحن نقول به .

## ضرورة توسيع مباحث العقيدة :

سؤال : في الكثير من العقائد كالعصمة أو الأمر بين الأمرين أو غيرها من



العقائد نحسّ أنّها مازالت تحتاج إلى بحث موسعّ ، وذلك لأن مّا نثبته عقائد مجملة لا أكثر .

ففي فرض العصمة ، إذا قلنا بأنّها العصمة عن الخطأ والزلل فنحن نعرف أنّ كثيرا ً من العلوم الإنسانية ، كالفقه وما شابه ذلك علوم مشوبة بالنسبية ، كما يقول كثير من الفلاسفة منهم العلاّمة الطباطبائي ، فإذا قلنا إنّها مشوبة بالنسبية ففي مورد

صدورها من المعصوم تكون صحيحة وأمّا في مورد آخر يعني في استصحابها إلى زمن آخر غير زمن المعصوم فإنّها لا تكون صحيحة مطلقاً ، ومن هنا يصبح إشكال على من يقول بأنّ الإيمان لا يخطئ .

فبناءً على ما قاله السيّد العلامّة الطباطبائي من أن العلوم الإنسانية كالفقه أو الأصول أو ما شابه من ذلك العلوم الإنسانية كُلّها غير العلوم التكوينية . . . فإنهّا علوم مشوبة بالنسبية ذكر ذلك في مبحث العلم ، بناء عًلى هذا فيجب أن نعتبر المعلومات التي تصدر عن المعصوم صحيحة في زمن صدورها من المعصوم ، وأمّا استصحابها إلى زمن غير زمن المعصوم فيكون محل اشتباه ومحل خطأ ربّما .

الجواب : العلم النسبي له معنيان :

تارة يطلب في علم الفيزياء ، ونحن مباحثنا خارجة عن هذا الموضوع .

وهناك علم نسبي في الفلسفة ، العلم النسبي عبارة عن العلم الذي يتولّد تحت ظروف خاصّة من الزمان والمكان ، فيكون العلم متولّداً من الزمان والمكان والظروف المحيطة به ، فإذا تبدلّت الظروف يتبدلّ العلم ، هذا هو معنى العلم النسبي في الفلسفة الإسلامية .

السيّد الطباطبائي إذا قال بالنسبية ، فإنمّا يقول في العلوم البشرية ، والعلوم الإنسانية ، العلوم الإنسانية التي تتولدّ من التفكرّ ، فربّما تتأثرّ بالظروف من الزمان والمكان ، ويكون صدقها صدقا نًسبيا حًسب هذه الظروف والأمكنة ، فإذا تغيرّت الظروف والأمكنة يتبدّل العلم ، لو قال يكون هذا معناه ، ولم يقل بذلك .



وأمّا ما أفاده المعصوم سلام اللّه عليه فهو علم مطلق ، فإذا قال : التراب أحد الطهورين ، أو يكفيك عشر سنين سيكون علماً حقيقياً مطلقا كًلياً ، لم يتأثر بالزمان والمكان ولا الظروف ، وانما هًو وحي من الله سبّحانه إلى نبيه ، ومن نبيه إلى وصيه ، ومن وصيّه إلى تلامذته ، فعلم المعصوم الصادر منه علم مطلق له كلُيةّ وقطعية غير متأثرّة بالظروف ، فإذا كان هذا العلم علماً قطعياً ، فهو يعمّ جميع الأزمنة والأمكنة ، فعلم البشر إذا كان نسبيا فًلا يمت بصلة إلى العلم الصادر عن المعصوم .

ثُمّ إنّ علم الإنسان ليس علما نًسبيا ، فإن أكثر علومه علوم مطلقة كلية قُطّعية ، مثلا اثنان في اثنين يكون أربعة ، هذا ليس علماً فالاثنان في الاثنين تساوي أربعة في هذا الزمان وفي الأزمنة الغابرة وفي الأزمنة القادمة ، في كرة القمر وفي كرة الأرض ، هذا علم حقيقي كلّي مطلق ، القوانين الرياضية علوم مطلقة ، القوانين الفلسفية ، كلُ ممكن يحتاج إلى علةّ ، علم قطعي مطلق لا يتأثرّ بالظروف ، فقياس العلوم البشرية بالعلم الولوي قياس مع الفارق ، هذا أولا .

وثانياً : ليست العلوم الإنسانية كلُهّا علوما نًسبية والا أصّبحنا شكاكيّن ، وقد أثبتنا ذلك في أصول الفلسفة .

## المعرفة مطلقة وليست نسبية :

سؤال : الظاهر أنّكم تذهبون إلى أنّ الخطأ نسبي وليس العلم نسبيا كًما ذكر ذلك في أصول الفلسفة السيدّ العلامةّ ، ولكن في نهاية الحكمة ذكر شيئاً آخر وهو أنّ العلوم الإنسانية وما شابهها يعني العلوم غير التكوينية منوّعة مثل الملكية فإنهّا ليس

المقصود بها الملكية الحقيقية ، بل الملكية الاعتبارية ، وبالتالي نجعل هذه النسبية لأنّها اعتبارية غير تكوينية ، هذا إشكال آخر .

الجواب : إنّك في وصف العلوم تتفضّل وتقول الاعتبارية ، العلوم الاعتبارية الوضعية ، الاعتبارية هي نسبية ، الملكية أمر نسبيٌ ربما يكون هناك بيئة هؤلاء



يعتبرون الملكية ، وربما يكون هناك بيئة لا يقرّون الملكية ، الأمور الاعتبارية تابعة للأزمنة والأمكنة .

نعم ، الأمور الوضعية ، القواعد الوضعية ، سمّه العلوم الاعتبارية ،ولا تقل إنّ علوم الإنسان كلُهاّ أمورُ نسبية .

نعم ، الأمور الوضعية الجعلية الاعتبارية القائمة باعتبار المعتبر نسبية ، فربما يكون هناك قاعدة سائدة في إيران ولا تكون سائدة في العراق ، وربما يكون هناك أُمور اعتبارية لها اعتبار ونظم في بيئة ولا يكون لها اعتبار ونظم في بيئة أُخرى ، وهذا لا صلة له بعلم اللّه سبحانه ، وبعلم المعصوم المأخوذ من اللّه ، قل مكان العلوم الاعتبارية العلوم الإنسانية فليس كلُهاّ علوما اعتبارية ، علم النفس ليس علماً اعتبارياً ، فالحسد له واقعية ، علل الحسد لها واقعية ، علل البخل لها واقعية ، العلوم الاعتبارية هي : كالنحو ، والصرف ، والفقه ، والأصول ، هذه العلوم اعتبارية ، وأمّا العلوم الإنسانية فهي تتردّد بين كونها علوماً حقيقية كعلم النفس ، وبين كونها علماً اعتبارياً .

## المعراج جسماني أم روحاني ؟

سؤال : سؤالي حول معراج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنّ هناك اختلافاً بين المتكلمّين ، حيث يقولون : إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يصعد بجسمه إلى السماء ، في حين أنّ الفلاسفة ينكرون ذلك ويقولون بأنّه عرج بروحه .

الجواب : أظنّ أنّ الزمان حلّ هذا البحث ، كان قسم من المتكلمين الذين كانوا متأثرّين بالعلوم الطبيعية الحيوية الفلكية يتصوّرون أنّ الخرق والالتيام أمر محال ، فلذلك عمدوا إلى تأويل القرآن الكريم ، فالقرآن الكريم يقول : ﴿ **سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ** ﴾ [1] والعبد يطلق على هذا الجسم ، على هذا الجثمان ، على

1- الإسراء : 1 .



هذا الموجود مع جسمه وروحه ، ظاهر الآية أنّه سرى بجثمانه وجسمه وروحه ، ولكن المتكلمين كانوا يعتقدون أنّ الخرق والالتيام أمر محال أو يغاير حكمة اللّه تبارك وتعالى ، فأوّلوا القرآن الكريم ، وأمّا الهيئة الجديدة فقد شطبت على هذه الأفكار ، فعلم أنّه ليس هناك جسم عائق ، أو صعود النبي لا يحتاج إلى الخرق والالتيام ، ولذلك العلماء ومنهم السيّد الطباطبائي في تفسيره يقول : سرى بجسمه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأمّا من المسجد الأقصى فالآيات ساكتة ولكن الأحاديث ناطقة بأنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) سرى في تلك الليلة بجسمه وروحه ، فنحن نعتقد بأنّ المعراج جسماني وروحاني ، أي

: مع جسمه وروحه ، فالمانع كان مانعاً طبيعياً وقد ارتفع المانع من حوالي أربعة قرون .

**مقدار علم الإمام :**

سؤال : حول حدود علم الإمام ومساحته ، هل هو علم بما كان وما هو كائن وما سوف يكون ؟وإذا كان الأمر كذلك ، فهل كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يعرف بوقائع السقيفة وما سيحدث ؟وهل كان الحسين (عليه السلام) يعرف مصيره قبل أن يتحرّك إلى العراق ؟

الجواب : أمّا تحديد علم الإمام فليس من العقائد اللازمة والضرورية بحيث يناط بها التشيّع ، فنحن نعتقد أنّ الأئمة كانوا يعلمون الغيب ، ولكن هل يعلمون كُلّ شيء كما عليه بعض الأحاديث ، أو يعلمون ما علمّهم سبحانه تبارك وتعالى ،ولا نعلم حسب تعبيرك مساحته .

نحن نعتقد بأنّه سبحانه تبارك وتعالى علمّهم أشياء ،وأنهّم محدثوّن مفهموّن ، لا يعلمون الغيب من أنفسهم ،وانما تّعلموا الغيب من ذي علم ، كما قال الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) في البصرة عندما أخبر بالملاحم ، اعترض رجل من بني كلب ، قال يا أمير المؤمنين : ادّعيت علم الغيب ، فقال : ليس هذا بعلم غيب ،وانّما



هو تعلم من ذي علم [1] .

وأمّا المساحة الكمية فليست أمراً ضروريا لًنبحث عنها ، ومع ذلك كلهُ يّبقى هناك سؤال وهو أنهم هل كانوا يعلمون مصيرهم في الحياة ؟ مسلّماً كانوا يعلمون .

إن قلت : هل كان الحسين يعلم مصيره ومسيره ؟ نقول : كان يعلم ، إن قلت : فلماذا ذهب ؟ بأمر من اللّه تبارك وتعالى ; لأنّ في شهادة الحسين إحياء للإسلام ، فلا نصفه بالتهلكة ،ولا بالإلقاء في التهلكة ،وانّما كان مأموراً من جانب الله تبارك وتعالى أن يستشهد مع أولاده وأصحابه ، حتّى يصل إلى الغاية المتوخاّة من هذه الشهادة ، فليس القتل وليست الشهادة هناك إلقاء في التهلكة ، فإذا كان إحياء الإسلام منوطاً بالشهادة والقتل فعليه أن يستشهد .

وأمّا سائر الأئمة فربمّا يعلمون ، ومع ذلك كلهُ هّذا النوع من العلم لا يثبت تكليفا ، فإن علمّهم من جانب الغيب بأن هناك قتلا وأنّ هناك سماً لا يثبت تكليفا لهم ،والشاهد على ذلك أن أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما أرسل أبا موسى إلى الحكمية للمحاكمة من جانب نفسه ، فلمّا خرج قال الإمام : وكأنّي به وقد خدُع .

قال الأصحاب : يا أمير المؤمنين ، إذا كان هذا الرجل رجلا ساذجاً ويكون مخدوعاً لماذا ترسله ؟

قال : هذا النوع من العلم لا يثبت تكليفاً ، فلو كان علم الغيب مثبتاً للتكليف لما وجب على اللهّ سبحانه إرسال الرسل [2] ; لأنّه يعلم أنّ قومه لا يجيب سؤال موسى ، ومع ذلك كلهّ أرسله وبعثه ليتمُ الحجة .

هذا النوع من العلم ، العلم الغيبي لا يولّد تكليفاً ،وانمّا العلوم العادية الآتية من الحواس ، تثبت تكليفاً ،وأما العلوم الغيبية فلا تثبت ،ولا يقال : إنّ فيه إلقاء للتهلكة .

1- نهج البلاغة 2 :10 ، خ128 .
2- مناقب آل ابي طالب 2 :98 ، الطرائف : 511 .



وهناك أجوبة أُخرى كإنّ علومهم علوم إنشائية إن شاءوا علموا ،وإن شاءوا لم يعلموا ، وربما يقولون : إنّ هذه العلوم من المستثنيات ، ولكن الذي أذهب إليه أنّ علمهم في مصبوهم على قسمين : إمّا كانت الشهادة ملاكاً لإحياء الإسلام ،وإما كانت هذه العلوم لا تولّدولا تثبت تكليفاً للإمام ، لأنهّ لم يحصل من المجاري العادية .

## هل المعصوم يسهو ؟

سؤال :ربما يكون هذا السؤال سؤال كثير من الإخوة المستبصرين حيث إنّهم يتساءلون بالنسبة لمسألة سهو الإمام ، فإنّ المحقق التستري . كما هو معروف من كبار العلماء في العصر الحديث كتب رسالة كاملة في إثبات سهو الإمام ،واستدل بعشرات الروايات ، ونقل كلمة من كتاب (من لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق حيث يقول نقلاً عن شيخه : أوّل درجة في الغلو نفي السهو عن النبيّ . وقال : إنّ الرد أو مناقشة مسألة سهو الإمام المسلمّة عند الشيخ الصدوق تعتبر تشكيكا فيً كثير من الروايات ،والذين رووا روايات سهو الإمام في الحقيقة هم الذين رووا لنا روايات الأحكام [1] ، فهذه المسألة كانت خلافية في القديم وأصبحت الآن ومن ضروريات المذهب .

الجواب : للإمام أمير المؤمنين سلام اللّه عليه كلام يقول : «إنّ الحقيقة لا تعرف بأقدار الرجال ، اعرف الحق تعرف أهله ، اعرف الباطل تعرف أهله» [2] .

إنّ صدور القول بالسهو من شخصية علمية لا يكون دليلا على أنهّ كلام حقّ ، نعم هو رجل محدثّ كبير ولعله أكبر محدثّ بين الشيعة بعد الكليني أو مساوي للكليني ، ولكن العقيدة لا يمكن أن تستند إلى أخبار الآحاد ، يجب أن تستند إلى أخبار متواترة أو مستفيضة أو محفوفة بالقرينة على وجه تفيد العلم .

1- من لا يحضره الفقيه 1 : 360 .
2- روضة الواعظين : 31 ، وسائل الشيعة 18 :98 .



فافرض أنّ هناك روايات ، أنا وقفت على الروايات وجمعتها وعددها لا يتجاوز عن اثنتي عشرة رواية ، ولكنهّا كلهُاّ روايات آحاد ، نقلها شخص واحد أو شخصان ، فهل يمكن أن يكون هذا المقدار من العدد مثبتاً للعلم ؟ !

الأحكام غير العقائد ، الأحكام يجب علينا أن نعمل بهذا الخبر سواء أكان مطابقاً للواقع أم لا ، مسألة العمل مسألة سهلة ، ولكن العقيدة ليست أمراً بيدنا وبإمكاننا ، يجب أن تكون المقدّمات على نحو تفيد العلم ، فهذه الأخبار آحاد ، فكأنّ الصدوق تلقّاها أخباراً متواترة وحصل له العلم بها وأفتى بذلك ، ولكن تلميذه المفيد حقق الروايات وحقق الأخبار ، ورأى أنهّا روايات آحاد ، وفي قبالها روايات مخالفة ، فردّ هذه الروايات .

فقولك أنّها كانت مسألة خلافية ، نعم كانت مسألة خلافية في القرن الثالث ، ولكن العقائد تتكامل شيئاً فشيئاً ، الحقائق تظهر شيئاً فشيئاً ، فبعدما حقق العلماء أسانيد الروايات وما يخالفها وصلوا إلى حقيقة أنّها أخبار آحاد لا تفيد علماوًلا عملا ، وفي المقابل يقول سبحانه : ﴿ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيكَ عَظِيمًا ﴾ الفضل هو العلم ; لأنّه سبحانه يقول : ﴿ وَعلمَّكَ مَا لم تَكن تَعلَمْ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيكَ عَظِيمًا ﴾[1] ، فإذا كان فضله سبحانه عظيماً ، فهل يمكن أن يصدر من هذا النبي السهو ؟ !وعلى فرض الصدور ، فلم يكن سهواً ، بل كان إسهاءً ، ليتعلمّ البشر أحكام السهو ، أو لا يغالى في حق النبي ، فهاهنا أجوبة ثلاثة :

أوّلا : إنّها أخبار آحاد لا تفيد العلم .

وثانياً : إنّها تعارض القرآن الكريم ، يقول تعالى في سورة النساء : ﴿ وَعلمَّكَ مَا لم تَكن تَعلَمْ وَكانَ فَضل اللهِ عَلَيكَ عَظِيما ﴾ ، فإذا وصف علمه بالعظيم فلا يمكن أن يصدر منه السهو .

وثالثاً : لو قلنا بذلك ، كان إسهاءً لا سهواً ، لغاية صحيحة وهي أن يتعلمّ

---

1- النساء : 113 .



الناس أحكام السهو ، وأن لا يغالي الناس ، ولكن صدور السهو مرّة واحدة ، فلا يقال إنّ النبي مستعد للسهو ، هذه الأجوبة ذكرناها في الجزء الخامس من موسوعتنا (مفاهيم القرآن الكريم ) .

سؤال : التستري أثبت أنّ القضية ليست محصورة بالشيخ الصدوق ، وأثبت أنّ ابن الوليد ومجموعة من القدماء من المدرسة القمية ومن بعض البغداديين ذهبوا إلى ذلك ، وكذلك اعتمد على روايات ، وهو وصل بالتحقيق مثل ما وصلتم بالتحقيق أنّها أحادية هو وصل بالتحقيق أنّ الروايات متواترة ، وعنده كتاب كامل .

الجواب : أنا رأيت في الجزء الثاني عشر من كتابه (قاموس الرجال) جميع رواياته ، وهذه الروايات موافقة للعامّة الذين هم الأصل للقول بالسهو ، ونحن مكلّفون بعرض الروايات على أقوال العامّة .

أهل السنّة يقولون : إنّ النبي سها ، فجاء أحد من الصحابة وقال : يا رسول اللهّ أقصرت الصلاة أو قصرّت الصلاة أم نسيت ؟

فقال رسول اللّه : لم يكن شيء من ذلك[1] .

وهذه الروايات موافقة للعامّة ، وإذا كانت الرواية موافقة للعامّة ، فتدلّ على أن صدورها تقية ، هذا أولا .

وثانياً : كثرة الروايات لا يدل على التواتر ، ربما يصل إلى راويين أو ثلاث ، في مقام الإثبات اثنتا عشرة رواية ، ولكن عند التحليل يصل إلى شخص أو شخصين .

وثالثاً : ابن الوليد أُستاذ الصدوق ، والصدوق مقلدّ لأستاذه ، لا يعدانّ فكرين بل فكر واحد .

وعلى كُلّ تقدير كان هناك خلاف ، وكان هناك حشوية من الشيعة يقولون

1- أُنظر الموطأ 1 : 93 ، مسند أحمد 2 : 271 ، 284 ، 422 ، 4 : 77 ، صحيح البخاري 1 : 175 ، 2 : 66 ، 7 : 227 ، صحيح مسلم 2 : 86 .



بذلك كالحشوية من العامّة ،والمتبّع هو قوله سبحانه : ﴿ وَعلمَّكَ مَا لم تَكنْ تَعلَمْ وكَانَ فَضل الله عَليْكَ عظيِما ﴾ [1] .

**ضرورة ترك الفلسفة غير الإسلامية والأخذ بالمباني الإسلامية :**

سؤال : بالنسبة إلى عقيدة أبناء العامّة نجد أنّهم نتيجة ابتعادهم عن العترة اضطروا أن يلتجؤوا إلى سدّ هذه الثغرة بالميول إلى ترجمة الكتب اليونانية الفلسفية والمذاهب الأخرى الباطنية الصوفية ليشغلوا بها الأمّة الإسلامية ، ومن هنا تبلور علم الفلسفة في الأمّة الإسلامية ، فوقعت في حيص وبيص ، ثُمّ جاء علم الكلام ليردّه .

فسؤالي نحن كشيعة نمتلك العترة إضافة إلى القرآن فما هو الداعي أن نتمسّك بمبان وأُسس ليست منا لنقع في الفخ ؟ لأن المباني الفلسفية من الفلاسفة وليست منّا ،وهم أعرف بمبانيهم . فعلى سبيل المثال مسألة العلّة والمعلول قالوا : إنّ الله علة والعالم معلول ، فقبلنا ، ثُمّ قالوا بعد ذلك بأنّ العلة والمعلول متلازمان فعندما تأتي العلة يأتي المعلول ، فعندها أثبتوا وأرادوا أن يقنعونا بأنّ العالم قديم ، فوقعنا في شيء يخالف القرآن والعترة ، أما كان من الأفضل القول من الأول بأنّ الله تعالى في مصطلحاتنا خالق والعالم مخلوق حتّى لا نقع في مثل هذه الأمور ؟

الجواب : إعدام العقل من شعار العامّة ، العامّة هم الذين أعدموا العقل ،والشيعة هم الذين أحيوا العقل ،ركزّ على إحياء العقل ،ولا تركّزوا على الفلسفة اليونانية ،وأمّا ترجمة فلسفة اليونان لإشغال الناس عن العترة ، هذه نظرية ربما تكون صحيحة في بعض الترجمات ، ولكن المسألة أنّه كان هناك جبر الزمان ، فإنّ هناك احتكاكات ، وكان المسلمون معاشرين لليونانيين وللطوائف أُخرى ، فإدخال بعض العلوم في البيئة الإسلامية كان من جبر الزمان ولا يمكن أن يسد ذلك ،

1- النساء : 113 .



فنحن الشيعة ونحن المسلمون كلّنا نريد أن نحتفظ بالإسلام والتشيّع ، ومع ذلك دخلت العلوم الغربية في أوطاننا وفي عقر دارنا ،ولا يمكن أن نقول : كُلّما دخل من العلوم الغربية في الأوساط الإسلامية وفي البيئات الإسلامية كان لإشغال الناس عن العترة ،ربما يصدق في بعض المواضيع ، ولكن في المواضيع الأخرى كان هناك جبر الزمان ،والاحتكاكات الفكرية والمعاشرات والصلة بين المسلمين وغير المسلمين ، فكان هناك تبادل ثقافي بين المسلمين وغير المسلمين ، هذا أوّلا .

وثانياً : إنّ القرآن الكريم يدعو إلى التفكير حوالي تسع عشرة مرّة ، ويدعو إلى التعقلّ حوالي تسع وأربعين مرة ، ويدعو إلى التدبّر أكثر ، فنحن لا نتبّع الفلسفة اليونانية ،ولا الفلسفة الفارسية ،ولا الهندية ،وانمّا نتبعّ العقل ، فإذا كان هناك علوم غير إسلامية ، علوم من خارج الإسلام ، فعلينا أن نتأمّل فيها ، فنأخذ الأصلح ، ونترك غير الأصلح ، فإعدام العقل وتفكيك

العقل عن الشويعة شعار الحنابلة لا شعار الشيعة .

وأوّل حديث في أصول الكافي في مبحث العقل ،وهناك جنود العقل ،وهناك جنود الجهل ، فكيف يمكن أن نتهّم الشيعة بإعدام العقل ،والشيعة بُرآء من هذه التهمة .

وأمّا الفلسفة الإسلامية وبحث العلّة والمعلول ، الخالق والمخلوق ، لا يفرق فيما تصبو إليه كما أنّ هناك ضرورة بين العلة والمعلول ، هناك ضرورة بين الخالق والمخلوق ، إذا كان الخالق خالقاً غير إراديّ ، سواء أقلت العلةّ والمعلول ، أم قلت الخالق والمخلوق لا يفرق ،وإذا كانت العلّة علةّ مختارة فيمكن التفكيك ، لأنهّ لم تتم مراتب العلةّ ،واذا كانت العلة أو الخالق خالقاً مضطراً غير مختار فهناك اضطرار ، فتبديل كلمة مكان كلمة أخُرى لا ينجح ولا يفيد .

فعلينا أن نتفكر فيما يدعو إليه القرآن الكريم والسنّة النبوية ، وما يدعو إليه العقل ، فليس هناك تعارض بين العقل والكتاب والسنّة ،واذا كان هناك تعارض



فمعنى ذلك أنّ العقل يدعو إلى شيء والكتاب والسنة يدعوان إلى شيء آخر ،وهذا نفس التفويق بين العقل والدين ، الفصل بين العقل والدين ،والأمر أكثر مما تتصوّر أنت من قدم العالم .

وأمّا قدم العالم فهذه مسألة أظن أنهّا تحتاج إلى وقت آخر ، العالم عالم حادث ، مع أنّ هناك علةّ ومعلولا ،والعالم حادث ; لأنّ الحدوث جوهر العالم ; لأنّ الحركة الجوهرية أثبتت أنّ العالم في كلُ آنّ يحدث ، وفي كل أنّ خلقة ، وفي كل آنُ وّجود وإنعدام ، فالقول بالعلّة والمعلول لا يضر بحدوث العالم بشرط أن نرد البيوت من أبوابها .

**معنى إدراك العقل :**

سؤال : عفواً شيخنا ، العقل محترم ، لا شكّ أننا نقدسّ أشخاصا يرون العقل كاشفا عنً الحقيقة يعني يكشف علم الغيب ، لكننا نقول في معتقداتنا وفي مصطلحاتنا الإسلامية أنّ العقل ميزان يسعه أن يكون ميزان الحقيقة لا يستطيع أن يكشف ؟

الجواب : العقل كاشف أو ميزان أيّ فرق بين الكلمتين ؟ العقل كاشف ، السنة كاشفة ، الكتاب كاشف ،وعلى كل تّقدير قدر الإنسان وقيمة الإنسان بعقله وفكره ، فلا يمكن فصل العقل عن الدين .

السائل : أضرب مثالاً أفضل : يأتي شخص لا يسعه أن ينتقل إلى ما وراء الجبل .

السبحاني : يعني العقل يمتنع أن يصل إلى ما وراء الطبيعة .

السائل : يمتنع أن يكشف الغيب ، الغيب يأتينا عن طريق الرسل ، يأتي شخص هو ذهب إلى الغيب كالرسل يأتونا بأمور لا يسع العقل أن يكشفه .

السبحاني : معنى ذلك أنّك رجل حسي تعتمد على الإحساس وعلى الحواس الخمسة فقط ،وأمّا ما وراء الخمسة فلا تعتقد .



نعم ، العقل كاشف عن الغيب ، مثلا مسألة أنّ اللهّ تبارك وتعالى يمتنع أن يكون له شريك هل هذه المسألة مسألة غيبية أو

حسية ؟

السائل : مسألة غيبية .

السبحاني : وقوفك على أنّه ليس له سبحانه شريك ، هل كان من طريق الكتاب والسنّة أو عن طريق العقل ؟ طبعا ً من طريق العقل ، فالعقل حجّة يرى ما وراء الحس .

السائل : ما لم يكن هناك رسل ويأتوننا ويقولون بأنّ هناك ربا ً لا يسع العقل أن يصل إلا إلّى شيء وهمي .

السبحاني : هذا يلزم الدور ; لأنّ اعتبار قول الرسل يتوقّف على اعتبار العقل ،واعتبار العقل توقفّ على إخبار الرسل ، هذا هو الدور .

السائل : إذا كان العقل كاشفاً فما هو دور الرسل ؟

السبحاني : اعتبار العقل لأجل أنّ الكتاب أعطى الاعتبار للعقل أو هو معتبر بالذات ؟

السائل : لأنّه حجّة بالذات .

السبحاني : على كُلّ تقدير هذه القواعد من صميم العقل أو من صميم الكتاب ؟

السائل : من صميم العقل ، لكنّه لا يكشف عن الحقيقة .

السبحاني : إنّ اللّه تبارك وتعالى يمتنع أن يكون له شريك ، هل هذه حقيقة واقعية أو وهمية ؟

هذه حقيقة واقعية ، إذن كشف عن الحقيقة ، كيف لا يكشف عن الحقيقة ، فلو لم يكن هناك كتاب ولا سنّة حكم العقل بأنّه يمتنع أن يكون لصوف الوجود ثان ، إذا حكم العقل بأنّ صوف الوجود لا يتثنى ولا يتكرر ، إذا كشف عن هذه الحقيقة فهل هي معتبرة بالذات ، أو معتبرة لقول الرسول ؟



السائل : معتبرة لأنّها من الوحي ، العقل يقول لا يسعك أن تكشف الغيب فخذ من الوحي ومن الرسول .

السبحاني : لا ، لا ، قبل أن يأتي الرسول اعتبار العقل بالذات أو من جانب الرسول ؟

السائل : من جانب العقل .

السبحاني : إذا كان من جانب العقل فلا حاجة لاعتبار العقل الرسول ، فلو كان اعتبار العقل من جانب الرسل لدار ; لأنّ اعتبار الرسل لأجل قضاء العقل بأنّ هذا رسول وأنّه صادق .

وهذه من أوهام الحنابلة من أوهام الحشوية ، الذين يريدون فصل الدين عن العقل ، وفصل الدين عن العقل ، وفصل العقل عن الدين ضربة قاضية للدين ،وهو ذريعة لإنكار الدين ، فما بال دين لا يوافق العقل السليم ، وفصل العقل عن الدين شعار الكنيسة ،وعندما نستشكل عليهم بأنّكم من روّاد التوحيد ، يقولون : نعم ، فنقول : كيف تقولون بأنّه ثالث ثلاثة ؟ !

يقولون : هناك مرحلة لا يفهمها العقل ، إذا لم يكن يفهمها العقل فما بال دين لا يفهم العقل أصله .

نعم ، العقل لا يمكن أن يحيط بجميع الحقائق ، بجميع الأسوار ، وبجميع الحكم ، فنحن نقول : الصواط هكذا ، العقل لا

يفهم ذلك ، هذا حلال وهذا حرام ، لا يفهمه العقل ،وأمّا الأُصول فالشرع والسنة يطرحان المسألة العقلية مع البرهان ﴿ لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لفسَدَتا ﴾ [1] ،وهو إرشاد إلى العقل : ﴿ وَما كانَ معَهُ مِن إِلهٍ إِذاً لذهبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلقَ ولعلا بَعضُهُم عَلى بعضٍ ﴾ [2] هذه إشارة إلى البراهين العقلية ، فنحن غير مقتفين لا أثر اليونانيّين ولا الفارسيين ولا

---

1- الأنبياء : 22 .
2- المؤمنون : 91 .

الهنود ، نحن نتّبع العقل السليم ، وكلّما يرد من خارج نتدبرّ فيه حتى نصل إلى الحقيقة .

## الارتداد بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) :

سؤال : مسألة ارتداد الناس بعد وفاة الرسول إلاّ عدّة أشخاص ، وقسمّ علماء الشيعة بأن الارتداد على قسمين : ارتداد عن الإسلام ، وارتداد عن الولاية ، وحملوا ما ورد في الروايات من ارتداد الناس بعد وفاة الرسول على أنّه ارتداد عن الولاية ، فما هو رأيكم حول هذه المسألة ؟

الجواب : أمّا مسألة ارتداد الناس بعد رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنا فحصت في رواياته فوصلت إلى خمس روايات ، ولأجل ذلك لا يمكن أن نتّخذ مدركاً للعقيدة ، العقيدة يجب أن يكون لها رصيد عقلي ، أو رصيد نقلي قطعي ، فالروايات التي رواها (الكشي) في كتابه تصل إلى خمس روايات ، ظاهرها كثرة ، ولكن المواطن يصل إلى خمسة أشخاص ، ولعلّ هذه الرواية ناظرة إلى ما تفضّلتم به من أنّ الارتداد كان عن الولاية وعن الأخذ بالإسلام بأكمله .

وليست هذه الروايات مختصّة بالشيعة ، فعند السنّة أكثر من ذلك ، روى البخاري في كتابه (كتاب الفتن) في الجزء التاسع صفحة 41 : أنّ النبي الأكرم عندما يرد الحوض ويرى أصحابه ، فيدعوا أصحابه إلى الحوض فيمنعون ، فيقول رسول اللّه : هؤلاء أصحابي أو أصيحابي ، فيخاطب النبي أن يا رسول اللّه ، لا تدري ما أحدثوا بعدك إنّهم ارتدوا على أدبارهم القهقري ، وكذا في صحيح مسلم [1] .

فأخبار الارتداد عند السنّة أكثر من الشيعة ، فليست الشيعة مختصّة بنقل هذه الروايات ، وقول الشيعة ارتدّ الناس بعد رسول اللّه إلاّ ثلاثة أو خمسة أو

---

1- صحيح مسلم 7 :66 .



تسعة ، وربّما يتهمون عمارا [1] ، أظنّ أنّ هذه الروايات فيها مبالغة ، وتحمل على الارتداد عن الولاية أو ارتداد عن حقيقة الإسلام ، لكن لا بهذا المستوى ، لأنّا نرى أنّ بين أصحاب رسول اللّه رواد الشيعة حوالي خمسين صحابيا ، كتبت أنا أسماءهم وخصوصياتهم في كتاب ، كانوا شيعة معتقدين ولاية الإمام أمير المؤمنين ، وفي أمر السقيفة كانوا في بيت فاطمة ، حوالي ثمانية عشر رجلا من بني هاشم وغير بني هاشم كانوا هناك مجتمعين ، فالعدد إمّا مبالغ فيه وإمّا ارتداد عن الولاية ، وعلى كُلّ تقدير كان بعد رسول اللّه ارتداد على وجه الإجمال .

## ما هو الدليل على إمامة الائمّة ؟

سؤال : من أكبر أسئلة الزيدية طولا وعرضاً في نظرية الإمامة عند الإشكال على عقيدة الاثني عشرية هذا السؤال : أنتم تقولون إنّ الإمامة لابدّ وأن ينصّ عليها ، وقد تستدلون بحديث «الأئمة أو الخلفاء من بعدي اثنا عشر» ، وهذا الحديث لم يتواتر ولم يعم ، وما تعمّ به البلوى لابدّ أن يعلم ويشتهر حتىّ يصبح من الضروريات ، وهذا ما لم يعم في حديث النص على

الاثني عشر ، فالحديث بعد عدم تسليم تواتره لكونه أُحادياً ولم يرو إلا عن جابر بن سمرة ،وهو ضعيف حتى عند الإمامية ، لم يعيّن من هم هؤلاء الاثني عشر ، فكيف نكلّف بما لا نعلم ولم نعلم ؟

ولو كنتم أيّها الإمامية . الزيدية يقولون . تعتقدون حقاً بأن النص على الأئمة جاء من الرسول فلم حصل عندكم البحث عن المعجز وجعله طريقاً آخر لمعرفة الإمامة ؟ فأنتم تحتجون علينا بما لم يثبت من تسمية الأئمة عند السنة ،وهذا غير صحيح ، فاحتجّوا علينا بما ثبت عندنا . وهناك نصّ لعبد الله بن حمزة

---

1- الكافي 2 :244 ، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) 1 :38، 51 ، بحارالأنوار 22 :352، 440، 28: 238، 239، 259 ، 64 :165 .



في كتاب العقد الفريد يقول فيه : أفهل خصّكم وحدكم بمعرفة الأئمة والنصّ عليهم فهذا لم نكلفّ نحن به فنحن معذورون وإلاّ لعلمنا به ،وإن كان النص عندكم صحيحاً فلم حصل عندكم عدم معرفة الإمام بعد الإمام ،والتخبطّ في ذلك ،وعدم الوقوف على معرفة النصّ ، فتارة قلتم بأنّ المهدي هو موسى بن جعفر وجئتم في ذلك بسبع عشرة رواية ؟ فأرجو أن تتفضّلوا بالجواب .

الجواب : جلس الخليل في مجلسه ،وجاء رجل من أطراف البلد ومعه ولده قال : علّمه النحو والصرف واللغة والعروض والفقه والحمار بالباب ، هذا السؤال يشبه هذا السؤال ! ! ومع ذلك كُلّه لأنكّ بحمد الله نابغة من نوابغ اليمن ، ولك مستقبل زاهر ، بشرط أن تركّز على العلم والتحصيل ، أنا أستقبل هذا السؤال .

أمّا رواياتنا في هذا الموضوع فلا تصل إلى تلك الروايات المحددة ، الشيعة بأجمعهم بعوامهم وخواصّهم وعلمائهم وغير علمائهم يروون هذه الأحاديث ، فوصاية الإمام موسى بن جعفر ، أو وصاية علي بن موسى الرضا ، لا يتّصل إلى الصدوق ولا إلى الكليني ولا إلى الشيخ الطوسي ، بل الشيعة سطراً بسطر يروون هذه الأحاديث ، فنحن لا نعتقد بما كتب في الكتب ، وبما روي في الصحف ، هذه روايات ولها قوتها ولها عظمتها ، ولكن الرواية تستند إلى رواية عامّة الناس ، فالشيعة في كلّ العصور يروون هذه الأحاديث .

نعم ،ربما يزّايد عدد الرواة شيئاً فشيئاً ، ولكن ليس معنى هذا أن روايات الوصاية تستند إلى واحد أو اثنين ، هذا أولا .

وثانياً : لم نقل بثبوت الإمامة بالمعجزة ، المعجزة تختصّ بالنبي الأكرم ، النبوة تحتاج إلى الإعجاز ، ولم يقل أحد من العلماء بأنّ الإمامة تثبت بالمعجزة .

نعم ، للإمام (عليه السلام) يكون كرامة لا معجزة ، المعجزة في اصطلاح العلماء مقرونة بالنبوّة والتحدّي ، فلم يقل الشيعة بأنّ الإمامة تثبت بالمعجزة على خلاف الاصطلاح .



نعم ، الكرامة ربما تصدر منهم ، ولم يستدلّوا على إمامتهم بالكرامة ، ففي محتشد من الناس كلُهّم كانوا يدعوّن الوصاية ، ويشهد عليهم بطانتهم والأصحاب الذين كانوا حولهم ،والعلوم المنتشرة من هؤلاء ، فالشيعة احتفظوا بهؤلاء ، لا لأجل تلك

الروايات ،وإن كان لها قدر وعظمة ،ولا لأجل صدور المعجزات عنهم ، بل لأجل رواية عامّة الناس من أنّ هذا وصي .

فالمسألة ليست مسألة رواية ، بل المسألة مسألة تواتر ليس عند الإمامية فقط ، بل عند هؤلاء الذين يروون ،والذين يروون يمكن أن يكونوا إمامية ، ولكن يمتنع تواطؤهم على الكذب ، فلو نقل النصارى شيئاً بما هم نصارى عن حسّ يتصل إلى حقيقة من الحقائق ، فنحن نعتقد به لابما هم نصارى ، بل بما أنّ تواطأهم على الكذب أمر محال ، فمحال أن يجتمع هؤلاء الجماعة بكثرتهم على واقعية يكون تواطأً عن كذب وعن غير صدق .

ثُمّ إنّ هناك كتابا لأحد المحققين في الحوزة العلمية ، جمع فيه المصادر الكثيرة حول نص النبي للأئمة الاثني عشر ، وتنصيص كُلّ إمام للإمام الآخر ، إذا طالع الإنسان ذلك الكتاب بهذا الحجم الكبير ، لا يتصورّ أن صدور هذه الأحاديث عن تواطئ كاذب ، ومؤلّف هذا الكتاب هو السيدّ آل طه ، نشرته جامعة المدرسين .

وأمّا رواية الأئمّة الاثنا عشر فلا يختصّ بجابر ، بل رواه أهل السنة في صحيح مسلم في باب الأمراء : «كان هناك مجمع للصحابة قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : لايزال أمر الناس ماضياً عزيزاً ما وليهم اثني عشر خليفة كلُهمّ من قريش)[1] ، فمن هم الأئمّة الاثنا عشر الذين أريد بهم عزّ الإسلام ؟

فهل هم الخلفاء الأمويون أو العبّاسيون أو الراشدون ؟ من هؤلاء الخلفاء الذين أنيط بهم عزّ الإسلام ؟ فهل تجد على أديم الأرض اثني عشر خليفة متّصلين متسلسلين يناط بهم عزّ الإسلام غير أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ؟ !

---

1- صحيح مسلم 6 : 3 ـ 4 .



السائل : يعني تريدون أن تقولوا إنّ الدليل الوحيد هو الوجدان ؟

السبحاني : لا ، هناك قرينة ، العمدة هو التواتر ، يعني الوصاية المتواترة المحفوظة عند الشيعة سطراً بسطر جيلا بجيل ولا تختص بالكتب ، وقسم من ذلك حديث الغدير والّذي لا يختص بالشيعة ،ولا بالروايات الموجودة في الكتب ، بل هو في صدور المسلمين ، نقلوا حديث الغدير من أوّلهم إلى آخرهم كما نقلوا سائر الأحاديث .

فالناس أولا ،والكتب ثانياً ،والقرائن ثالثاً .

السائل : نُسلمّ بأن ذلك التواتر قد حدث ، ولكن كيف نستطيع أن ننقل حجيةّ هذا التواتر إلى المسلمين أجمع ؟ فنقول : هذا تواتر عند الإمامية ، وثبت أنّهم لم يتواطؤوا على الكذب ،وإنمّا الأئمةّ ركزوّا على النص فقط ،والمعجزة نخرجها ولو ذكرها مثل الشريف الرضي والشيخ المفيد وأبي الصلاح الحلبي والمقداد السيوري كُلّهم لا بأس نتنزل عنهم جميعا ً، لكن كيف يصبح هذا التواتر حجّة على الآخرين وعلى المسلمين ، ونقول لهم : هذا الشيء تواتر عندنا فاقبلوا بما جاء عندنا ؟

السبحاني : لا ، التواتر لا يتحقق عند أحد حتّى يطالع الأمر عن كثب ، فالذي جلس في آخر الدنيا لم يتواتر هذا الحديث عنده ، يجب حتّى يكون مطالعاً للكتب ، ومعاشرا ً للشيعة الإمامية ، ويطالع الكتب عن كثب ، ويطالع الأخبار ، فعندما يطالع الأخبار ولم يحصل عنده تواتر فهو معذور عند اللّه تبارك وتعالى .

وإلاّ فالإنسان المعزول عن المجتمع الإمامي ، غير المطالع لكتبهم ،ولا تواريخهمولا عقائدهمولا كلامهم ، يقول لم يكن عندي متواتراً ، فهذا القول مثل قول النصارى إنّه لم يثبت عندنا نبوّة نبي الإسلام فنحن معذورون ، هل هؤلاء الذين ينفون تواتر الوصاية ، طالعوا الكتب ، قرؤوا الروايات ، حققوا الروايات ، حققوا أسانيدها ، هل كان لهم معاشرة بالكتب ومعاشرة بالعلماء ؟



لا ، هؤلاء جالسون في أمكنتهم ويصدرون الحكم بأنّه لم تثبت إمامة الأئمّة الأطهار الاثني عشر بالتواتر عندنا ،وهذا غير صحيح ، وصاحبه ليس بمعذور .

السائل : يعني اختصّ اللّه الإمامية الاثني عشرية بمعرفة النصّ وبمعرفة الأئمةّ والتمسكّ بهم ؟

السبحاني : هذا سؤال آخر ركّز على سؤالك السابق .

السائل : هو هذا يعني الإمامية الاثنا عشرية الذين جالسوا الصادق والباقر والكاظم (عليهم السلام) قد اختصّوا بهؤلاء المجموعة .

السبحاني : لم يختص هؤلاء هم الذين قصّروا في معرفة الأئمّة ، المجتمع البشري يبلغ عددهم حوالي ستة مليارات وأكثرهم محرومون من الإسلام ، فهل الرسول مختصّ بمليار واحد ، أو هو رسول الجميع ؟

ومع ذلك لم يستضيؤوا بالإسلام إلاّ جماعة خاصّة ، فليس هذا تقصير الإسلام ، بل هو تقصير الذين لا يريدون أن يستضيؤوا بنور الإسلام ، كان عليهم المباشرة .

هؤلاء إذا جاؤوا إلى مراكز الإمامية وطالعوا الكتب ،وجرّدوا أنفسهم عن كلّ رأي مسبق ، لوصلوا إلى الحقيقة عن كثب .

السائل : تواتر هذا النصّ في مرحلة الأئمّة هذا الاضطراب الذي نلاحظه بعد الإمام الكاظم في عدم معرفة الإمام ، ظهور القطعية ، ظهور الواقفية ، ظهور الفرق الإسماعيلية ، ظهور العلوية .

السبحاني : هذا دليل على أنّ الحقيقة لا يمكن أن تكتشف إلاّ بالإمعان .

وكانت الظروف ظروفاً قاسية ، لم تكن الظروف ظروفاً يتجلّى أمر الإمامة فيها بوضوح ، كانت الظروف قاسية بحيث إنّ الإمام الصادق جعل المنصور أحد أوصيائه ، الإمام المعصوم يجعل المنصور القاتل السفّاك أحد أوصيائه [1] ، ففي هذه

1- الإمام جعفر الصادق : 371 .



الظروف القاسية لا يمكن أن يعرف الإمام بسهولة ، فلو عرف الإمام بسهولة لقتل بسهولة ، ولذلك كان هناك جهود حتّى يعرف الإمام (عليه السلام) .

ثُمّ هذه العلوم المنتشرة عن الأئمةّ الاثني عشر ، يقول الرازي في تفسير قوله سبحانه : (إِنا أَعطَينٰاكَ الكوثَر) [1] انظروا إلى أولاد فاطمة (عليها السلام) كالباقر والصادق والكاظم وعلي بن موسى الرضا ،والعلوم المنتشرة عنهم لم تنتشر عن

غيرهم .

**المعجزة :**

سؤال : مسألة المعجزة التي تفضّلتم بها هل هناك شبه إجماع من علماء الكلام ؟

الجواب : المعجزة للأنبياء والكرامة للأئمّة ، الأئمّة لا يركّزون على الكرامة ، وإن كان ربما تصدر عنهم الكرامة ، ولكن إمامتهم لا على أساس الكرامة ، بل على أساس التنصيص ، الكرامة مؤيّدة لإمامتهم ، وليس كلّ إمام تكون له كرامة كالنبي الأكرم .

نعم ، أصحاب الكرامة إذا كان هناك مصالح يتمسّكون بالكرامة ، ولكن لا يدّعون الإمامة ، ودليل إمامتهم كرامتهم .

السائل : هناك نصوص صريحة يعني السيّد المرتضى في الذخيرة يقول : والدليل على معرفة الإمام هو النص والمعجزة .

السبحاني : تعبيره بالمعجزة عبارة عن الكرامة ، لعلّ السيّد كان في كلامه قرينة ، الإعجاز للأنبياء ، والكرامة للأئمة ، هو يقول ذلك ، الكرامة مؤيّدة ، ولكن الإمامة تثبت بالتنصيص .

**حساب المشركين المعاصرين :**

سؤال : كيف يحاسب مشركوا ونصارى هذا العصر ؟

---

1- الكوثر : 1 .



الجواب : الذين لا يعتقدون بالإسلام سواء أكانوا مشركين أم غير مشركين هم على أقسام :

ربما يكونوا في مناطق لا يمكن لهم أن يعرفوا الحقيقة على وجهها ، وهؤلاء هم القُصّر في تعلّم الإسلام ، فهؤلاء حسب النص القرآني معذورون .

وهناك قسم آخر له صلة بالإسلام والمسلمين ولكن الظروف تمنع من مطالعتهم ، تعوق عن مطالعتهم أدلّة الإسلام وحقائق الإسلام ، وهؤلاء أيضاً معذورون .

وأمّا الذين لهم صلة بالإسلام والمسلمين ، ويعلمون الإسلام ، ويحتملون أن يكون هناك دين حقّ باسم الإسلام ، ومع ذلك لا يطالعون ولا يتمسّكون بالإسلام ، وليس لهم تحرّ عن الحقيقة ، فهؤلاء عند اللهّ تبارك وتعالى غير معذورين ، مجزيونّ .

فهناك قاصر ، وهناك غير قاصر لكن ممنوع ، وهناك مقصّر ، فالقسم الثالث غير معذور ، والقسمان الأوّلان معذوران ﴿ وَآخَرُونَ مُرجَوْنَ لأَمرِ اللّهِ إِما يُعَذِّبهُمْ ... ﴾ [1] .

السائل : يعني تقولون : إنّ العذاب مختصّ فقط بالمعاندين ؟

السبحاني : بالمعاندين والمهملين الذين يهملون وهم أعمّ من المعاند ، المعاند وحتّى غير المعاند الذي يهمل المطالعة ، ولا يرى لهذا الأمر أهمّية .

**مراتب حساب المشركين :**

سؤال : ما هي مراتب المعاندين والمهملين في الحساب ؟

الجواب : نحن لم نذهب إلى الآخرة حتّى نرى مراتبهم ، ولكن نروي أنّهم معذبّون عند الله تبارك وتعالى .

---

1- التوبة : 106 .



نعم ، عذاب المعاند غير عذاب المقصّر .

السائل : نحن نعلم أنّ القطع حجّة ، والقطع في الأمُور العقائدية ليس قطعا طَريقيا حتّى نقول إنه منّ أي شيّء كان فما يقطع به لابدّ أن يكون قطعاً موضوعيا أليس كذلك ؟

السبحاني : وماذا تريد من هذا السؤال ؟

السائل : مثلاً إنّ الإنسان الموجود في روسيا وتربى وترعرع في ذلك المجتمع الذي يضُللّ ولا يرشُد ، فهذا يصل قطعه إلى ما هو عليه مجتمعه من إنكار الخالق والعياذ بالله ، مع أنّه فيما لو لم ينشأ في هذا المجتمع لكان متمسكّا بأهل البيت (عليهم السلام) ، وقد ينال أعلى الدرجات ، فأين العدل ؟

السبحاني : الفرق بين الإنسان الناشئ في البلاد الإسلامية والإنسان الناشئ في البلاد السوفيتية ، هل هذا الفرق يرجع إلى اللّه تبارك وتعالى ، تفريق من اللّه تبارك وتعالى ، أو يرجع إلى ظلم المجتمع الإنساني ؟

أي : الذي ظلمه هل هو المجتمع السوفياتي أم اللّه تبارك وتعالى ؟

السائل : قد يقال : اللّه سبحانه وتعالى .

السبحاني : فلم يكن لستالين أيّ ذنب في هذا المجتمع ولا للنين ! !وعلى كُلّ للمجتمع تأثير في العقيدة الإنسانية ، شخصية الإنسان وليد أضلاع ثلاثة : الوراثة ، والثقافة ، والبيئة ، فإذا كانت الوراثة صالحة ، والثقافة صالحة ، والبيئة صالحة يكون الإنسان إنساناً كاملا ، فإذا كانت الوراثة أو البيئة أو الثقافة ثقافة فاسدة يكون الإنسان ملحداً ، فهذا الإلحاد يرجع إلى اللّه تبارك وتعالى ، أو يرجع إلى هذه المجتمعات الفاسدة ؟ ! ليس هناك ظلم من اللّه تبارك وتعالى ، بل يرجع إلى المجتمع ، فلذلك هذا الإنسان المتربي في هذه البيئات الفاسدة إذا كان له اختيار وقوة وإرادة وإمكان أن يتخلّص من يد الإلحاد فهو مقصرّ ، وإذا لم يكن له اختيار وإمكان فهو مستضعف : ﴿ وَآخَرُونَ مَرجُوْنَ لأمرَ اللّهْ إما

---



يُعذبِّهُمْ . . ﴾ ، فوليد البلاد السوفياتية ليس معذّباً قطعاوًلا منعماً ، وًانما يّتوقع عّلى اختياره وامكانه ، ولا أظن أن لا يكون هناك اختيار ، لأنّ الإذاعات العالمية ، والكتب نشرت في الآفاق ، ووقف على الحقيقة .

السائل : يعني الكلام يعمّ السنُيّ أيضا ً.

السبحاني : أنا أركّز على الإسلام هذا أحسن ، المسلمون خمس البشر ، وإذا كان هناك سنيّ لم يكن له إمكانية المطالعة ، ولا الخروج من البيئة ، ولا احتمال دين آخر ، شويعة أُخرى ، وسنّة أُخرى ، فهو معذور في تسننه ، ويكون قاصراً ، وأما إذا كان مقصّراً ، فهو معذّب كسائر المشركين .

السائل : فنقول : غير الشيعي في النار فنأخذها على إطلاقها ؟

السبحاني : لا ، ولذا الكافر القاصر ، غير الشيعي القاصر الذي لا يتمكّن من درك الحقيقة ، ولا تحوّي الحقيقة ، فهو معذور ; لأنّ الله سبحانه وتعالى عادل ، والعادل لا يُعذّب غير المتمكّن .

## كيفية التوفيق بين المعجزة والأسباب الطبيعية :

سؤال : هل المعجزة تلغي السببيّة في قانون الطبيعة ؟

الجواب : المعجزة ليست تخصيصاً في قانون الطبيعة ، بل ليست تخصيصاً في قانون العليّة ، قانون العلية هو أن كلّ مُمكن يحتاج إلى علّة ، وهذا أمر ثابت ، والمعجزة لها علّة ، والعلّة إما عبارة عن إرادته سبحانه ، أو الأرواح المجردة ، أو الملائكة ، أو نفس النبي الأكرم ، كما هو ظاهر القرآن الكريم : ﴿ وَما كانَ لِرَسُولٍ أن يَأتِيَ بِآيةٍ إلا بإذنِ اللّه ﴾ [1] . فعلى كُلّ فرض الإعجاز ليس معلولا بلا علّة ، ولا يخرق قانون العلية ، ولا يخرق قانون المعلولية .

---

1- الرعد : 38 .



نعم ، هو تخصيص في قانون الطبيعة ، بمعنى أن يصل النبي إلى الحقيقة الطبيعية عن طريق أسرع ، فالنخل حسب الطبيعة تحتاج إلى ستة أشهر ، ولكنه سبحانه لأجل مريم أنمى النخلة في دقيقة واحدة ، أو دُقيقة واحدة ، أو ثانية واحدة ، فقال : ﴿ فَكُلي . . . وقَرّي ﴾ [1] .

السائل : هذا ليس خرقاً لقانون العليّة ؟

السبحاني : نعم ، ليس نقضاً لقانون العليّة ، وانمّا هو بيان لقانون العليّة ، فالمعجزة ليست ظاهرة بلا علة ، بل ظاهرة لها علّة ، ولكن العلّة غير معلومة ، وهي إما إرادته سبحانه مباشرة كما يقول الأشاعرة ، أو الملائكة ، أو الأرواح المجردة ، أو نفس النبي (صلى الله عليه وآله) كما يقول السيّد الطباطبائي .

## حول شخصية عبد الله بن سبأ :

سؤال : حاول البعض إنكار وجود (عبد اللّه بن سبأ) ، وأنّه شخصية وهمية أوجدها أعداء الشيعة للطعن بالتشيع والشيعة ، ويرد على هذه المسألة وجود اسم عبد الله بن سبأ في المصادر الشيعية ، والأحاديث الصحيحة عند الشيعة ، بالأخص ما رواه (الكشي) ، فما هو رأيكم في مسألة (عبد اللّه بن سبأ) هل هو شخصية وهمية أم أنّه شخصية لها وجود ، ولكن الكثير مما نسب إليه وهم ولا صلة لعبد اللّه بن سبأ بذلك ؟

الجواب : أنا أدعم النظرية الثانية ، عبد اللّه بن سبأ لا يمكن أن ينكر وجوده ، لوجوده في روايات الكشي وغير الكشي ، ولو قلنا بأنّ عبد اللّه شخصية أسطورية وهميّة صنعتها يد التاريخ . كما يقول به طه حسين والشيخ الأميني والسيد العسكري . فعبد اللّه بن سبأ بالشكل الذي يرويه أهل السنة ، كان له إمكانية أن يسوق الجيش ضد الخليفة الثالث ، ويقتله في عقر داره ، ثُمّ يكون له

1- مريم : 26 .



قوة وإمكانية أن يسوق جيشاً لصالح علي بن أبي طالب ، ويجول في البلاد ولا يأخذه لا عثمان ولا معاوية ! !

وهذه فكرة باطلة ; لأنّه إذا كان أبو ذر يوح بكلمة في مدينة الشام يأخذه عامل الدولة ويسوقه إلى المدينة لماذا ; لأنّه قال : «جاء القطار يحمل النار»[1] ، لأجل هذه الكلمة يساق مشياً من الشام إلى المدينة ، فهل يمكن أن يكون عبد اللّه ابن سبأ بهذه القوة وبهذه الإمكانية ، يجول في البلاد ويبثّ السموم ضدّ الخليفة الثالث ويترك ولا تأخذه أي قوة ؟ !

هذه أسطورة تاريخية صنعتها يد التاريخ ، ولكن مع ذلك كُلّه عبد اللّه بن سبأ بالمعنى البسيط كان من أصحاب علي (عليه السلام) ، غلا في حقّ علي ، وقتله علي ،ولا ننكر ذلك .

ولعلّ ما ذكره السيّد العسكري سلمّه الله تبارك وتعالى ، يرجع إلى ذلك الجانب من البحث ، وبهذا الشكل الذي يرويه أصحاب التاريخ ، ويذكروه بعنوان أنّه من صناّع التشيعّ ! لا ، إن التشيع صنعة الإسلام ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يرويه السيوطي : «أنت يا علي وشيعتك خير البرية»[2] .

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته .

1- الأربعين : 606 ، الدرجات الرفيعة : 235 .
2- الدر المنثور 6 :379 .



# ( 54 ) الإمامة فكرة وتطبيقاً عند فرق المسلمين

الشيخ محمّد رضا الجعفري





بسم الله الرحمن الرحيم

**تمهيد :**

أعوذ باللّه السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم اللّه الرحمن الرحيم ، الحمد للهّ رب العالمين ، وصلىّ الله علّى سيد

رسله وخاتم أنبيائه محمّد وآله الطيبين الطاهرين الأئمّة الهداة المنتجبين ، لا سيما أولّهم مولانا أمير المؤمنين وسيد ّالوصيين ّ، وخاتمهم مولانا الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر ، جعلنا الله من أنصاره وأعوانه في غيبته وظهوره ، والعن اللهم أعداءهم والموالين لأعدائهم والمعادين لأوليائهم من الأوّلين والآخرين ، ولا حول ولا قوّة إلا ّبالله ّالعلي العظيم .

اللهمّ كن لوليك الحجّة ابن الحسن ، صلوات اللهّ عليه وعلى آبائه ، في هذه الساعة وفي كلُ سّاعة ، وليا وحًافظا ، وًقائدا وناصراً ، ودليلا وعيناً ، حتىّ تسكنه أرضك طوعا ً، وتمتعهّ فيها طويلا ، وهب لنا رأفته ورحمته ودعاءه وخيره ما ننال به سعة من رحمتك وفوزاً عندك ، إنّك نعم المولى ونعم النصير .

## اختلاف الأمّة الإسلامية بعد وفاة نبيّها (صلى الله عليه وآله) :

الأُمّة التي أراد اللهّ سبحانه وتعالى لها أن تكون أمةُ وّاحدة ، وأن يكون سبحانه وتعالى ربا لهّاً لا يعبد سواه ، وأن لا تتنازع فيما بينها فتفشل ويذهب ريحها ، قُدرّ لها أن تفترق في أولى لحظات حياتها بعد رحلة سيدّ الأنبياء والمرسلين إلى جوار ربّه ، تقول الصديّقة الطاهرة (عليها السلام) : «فلماّ اختار اللهّ لنبيه دار أنبيائه ، ومأوى أصفيائه ، ظهرت فيكم حسكة النفاق ، وسمل جلباب الدين . . .» [1] .

وقدّر لها أن تختلف فيمن يخلفه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بحيث كلُ ّما حدث لها من وجوه

1- شرح الأخبار 3 :35 ، الاحتجاج 1 :136 .



الفرقة والاختلاف والنزاع والحروب التي سفكت دماءهم نشأت منذ أن افترقت فرقتها الأولى ، وعند مؤرّخي الفرق من المسلمين ومن الطبيعي أن يتبعهم غير المسلمين يؤكّدن تأكيداً قاطعا بًأن أول ّفرقة واختلاف حدثت في الإمامة .

ولم يحظ موضوع في المسائل الإسلامية ما حظيت الإمامة من الاهتمام بها عند مفكّري المسلمين تأليفاً بحثا ً، بل وشعرا ً ووعوداً وتهديداً .

ولكن مع ذلك كُلهّ هناك موضوع لم يدرس كما ينبغي له أن يدُرس ، ولم يتناول بالدرجة التي تليق به أن يتناول ، وهو أن ّ المسلمين عندما اختلفوا بالإمامة .وأقول المسلمين وأقصد المحرّك الأول أو الباعث الأولّ ، والذي تبعه فيما بعد أعداد أصبحوا له ورأيه شيعة وأتباعاً وأنصارا ً، وإلا أولّ الأمر العدد الذي كان يمثلّ الأمة ُالإسلامية لم يجتمعوا كلهم ليتداولوا فيمن يخلفه (صلى الله عليه وآله وسلم) فيختلفون ويتنازعون . حصل الاختلاف من فئة قليلة ، ولكن مع الأسف الشديد ولعوامل لا أريد أن أبحث عنها هنا تبعهم عدد كبير ، بحيث أصبحوا كُلمّا ازدادت الأمُةّ عددا وانتشارا ازدًادت الفرقة والخلاف بينهم بحسب ما يرتأون من الانضمام أو الاتبّاع لهذه الفئة أو تلك .

أقول : الذي يبدو في النظرة الأولى أنّهم اختلفوا فيمن يخلفه ، ولكن هذا ليس بالنظرة الدقيقة ، فلم يختلفوا في بادئ الأمر فيمن يخلفه وإنّما اختلفوا في الذي يأتي بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) يخلفه في أيّ جهة من الجهات ؟

هل يخلفه في شأن من شؤونه (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ هل يخلفه في كُلّ ما جعل اللهّ سبحانه وتعالى له من المنصب

الإلهي بالسعة التي أراد اللّه سبحانه وتعالى في هذه أن تحكم البشرية منذ أولى أيّام بعثته (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى آخر يوم تعيش فيه البشرية بهذه الحياة التي يسمّيها القرآن الكريم بالحياة الدنيا على ظهر هذا الكوكب الذي نسميّه الأرض ، فهل الّذي يخلفه يخلفه في هذه السعة ؟



وما معنى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»[1] ؟

أصبح هذا القول رأياً لطائفة يُعبرّ عنهم بالإمامية ، والإمامية اسم لا أقول نشأ هذا الاسم منذ أولى أيامّ الخلاف ; لأن أولى أيّام الخلاف كان الخلاف بسيطاً ينوّعون قوة من شخص ولا يحبون أن تكون له هذه القوة ، وكرهت قريش أن تجتمع فيكم النبوّة والخلافة كما يقول أبو حفص فتتبجّحون على قومكم بجحاً بجحاً[2] .

وهناك فئة أُخرى وهم الذي يمثلّهم أبو حفص وصاحبه أبو بكر ، أبو بكر عُرف بكنيته وأبو حفص عرفُ باسمه ، وسيان بين من عُرف بكنيته ومن عُرف باسمه ، فأبو حفص هو عمر وأبو بكر إماّ عتيق أو عبد اللات أو عتيق اللات أو عبد اللهّ .

فحقيقة الخلاف ترجع إلى أنّ المدار الذي يكون فيه الإنسان مستخلفاً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو ما يدور به ما جعله اللّه سبحانه وتعالى لنبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) من ولاية عامةٌ شاملة لا يستُثنى منها أحد ، ولا يصح لجّهة أن تجد نفسها خارج حدود ولايته (صلى الله عليه وآله وسلم) أم لا ؟

كان رأي أولئك النفر الأوائل الذي صنعوا بيعة السقيفة رأيهم أنّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ذهب إلى لقاء ربهّ ، فذهب به وحي السماء ، وذهبت به الشريعة التي أنزلت عليه ، وكُلّ ما فعله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنهّ بلغّ الأمة بكل ما أُوحي إليه من شريعة ، فلا حاجة لأحد أن يخلفه في بيان الشريعة بصورة خاصّة ; لأنّ علم الشريعة علم لم يختص به أحد بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) بصورة مباشرة ، فليسوا بحاجة إلى أن يأتوا أو يكشفوا أو يحققوا فيمن له الكفاءة في بيان الشريعة ، كفاءة تقرب من

1- الكافي 1 : 287 ، 294 ، 420 ، 4 : 149 ، 566 ، 8 ، 27 ، بحار الأنوار 2 : 211 ، 226 ، 4 : 203 ، 5 : 21 ، 69 ، 10 : 266 ، 22 : 232 ، 23 : 103 ، 141 وغيرها كثير ، فالحديث متواتر .
2- المسترشد : 686 ، تاريخ الطبرى 3 : 288 .



كفائته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وإنّما أرادوا . حسب تعبيرهم . أن يكون شخص يدير دنياهم ، فقال قائلهم : . وسنأتي لمناقشة هذا القول وهذه الحجّة . : إنّا اخترنا لدنيانا من اختاره اللهّ تعالى لديننا[1] .

ويعنون بذلك أنّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) اختار أبا بكر أيامّ مرضه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولم يتمكنّ من الحضور بنفسه ليؤمّ المسلمين في المسجد النبوي الكريم ، فاختار أبا بكر للصلاة بهم ، فاختاره لدينهم ، فاختاروه خليفة وبايعوه بعد رحلته (صلى الله عليه وآله وسلم) لدنياهم ، فهل الخلافة تدور مدار إمرة الدنيا أم لا ؟

فالخلافة تأتي بما كانت تأتي به النبوّة الإلهية عدا جهة واحدة وهي أنّ اللهّ سبحانه وتعالى قدرَّ لنبيه (صلى الله عليه وآله

وسلم) أن يكون خاتم النبيين وأن لا يكون بعده نبي ، فانقطع الوحي الإلهي بالشريعة بموته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولكن أوحى اللّه سبحانه وتعالى إليه بنوايا تلك الفئة القليلة التي آمنت به (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته وسمعت حديثه وتعلّمت منه أحكام دينها ، الشريعة التي لا تختص بتلك الفئة التي تستوعب كلّ حاجات البشرية منذ أن بعث اللهّ نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليوم الآخر الذي قدّر اللّه للبشرية أن تعيش هذه الحياة .

فالإمامة عند الإمامية والخلافة عند غيرهم ليست اختلافاً في الشخص أو كما يقال الاختلاف في المصداق ، بل الخلاف في معنى الإمامة ودائرة الإمامة وحاجة الناس إلى الإمام .

وبحول اللّه وقوته وعناية مولانا الإمام المنتظر عجلّ الله فرجه سوف أتناول هذا البحث في عدة جلسات ; لأن هذا الخلاف الذي قلت بأنّه أصبح خلافاً بين فكرتين حول الإمامة ،رأيين حول الإمامة ، تعريفين حول الإمامة ، نظريتين حول الإمامة قسّم الأُمةّ فيما بينها إلى فئتين فئة منها لطرف وفئة أخُرى لطرف

---

1- الإيضاح : 300 ، المسترشد : 134 ، كنز العمال 12 : 513 ، 13 : 232 ، فيض القدير للمناوي2 : 73 .



آخر وهنا حينما نريد أن : نشير إلى الفئة الأولى نقول الإمامية ; لأنّها هي التي احتوت فكرة الإمامة حسب رأيها بمعناها الإلهي ،وهناك فئة أُخرى جعلت من الإمامة منصباً دنيوياً يحتاج إليه المسلمون في دنياهم لا في دينهم ولا في آخرتهم ، ولنعبّر عنهم بما ارتضوه هم لأنفسهم .

لا أقول حينما ارتضوا هذه الصفة كانت الصفة يصحّ إطلاقها عليهم ،وأطلقوها على أنفسهم فعرفوا بها ،وأنّهم هل وفقوا من هذه الصفة موقف المؤيّد لصحّة الانتساب أم قالوا شيئاً وعملوا شيئا آخر ؟وهم الذين نعبر عنهم بأهل السنة طُبّعا الجمًاعة سمّوا بذلك بعد سنين من رحلته (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يقولون حينما اجتمعوا على أوّل خلفاء بني أمُية معاوية بن أبي سفيان .

وبين هذين القطبين في الإمامة فئات من المسلمين قد تقترب من أحد القطبين وقد تبتعد عن هذا القطب وتقترب من القطب الآخر ، مثلا إخواننا الزيدية يختلفون في معنى الإمامة ، ففي بعض نواحيه يقتربون من رأي الإمامية وفي بعض النواحي يبتعدون عنهم ويقتربون إلى النقطة التي تعارضهم .

ومن أهم ما ابتدعوه هنا فكرة النصّ الجلي والنصّ الخفي ، وسنأتي إن شاء اللهّ بأن هذا عنوان ليس ورائه فيما نفهم معنى صحيحاً ، النصّ لا يمكن أن يوصف بالخفاء ولا بالجلاء ، النصّ شيء إن كان له وصف فهو الجلاء في أذهان كلّ السامعين ، الخفاء والجلاء يأتي في إسناد النصّ إلى من يصحّ أن يكون نصة منجزا ومًعذرا .

النقطة التي تقابل هذا المنصب دنيويّ ، فاخترنا لدنيانا من اختاره اللّه لديننا ، طبعا هنا أنبه بأن هذه حجتهمّ ،وأن البحث الدقيق يرشدنا إلى أنّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يختر للمسلمين في أيامّ مرضه (صلى الله عليه وآله وسلم) أحداً للصلاة ،وإنمّا الذي حدث أنهّ في غداة يوم الاثنين ، اليوم الذي أصيب المسلمون فيه بما لم يصب بمثله بعده أبدا وهو يوم

رحلته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، في غداة ذلك اليوم ، أي : في صلاة الصبح ، اشتدّ به (صلى الله عليه وآله وسلم) مرضه فتوضّأ فأُغمي عليه فأفاق فقال : هل صلّى المسلمون ؟



قالوا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول اللّه .

وإنما أذكر هذه الملاحظات حتّى لا يكون كلامي مبهماً من جهة يؤخذ في ذهن أخ أو سامع بما لا أريد أن يؤخذ به كلامي .

نعم ، يقولون : اختزنا لدنيانا من اختاره اللّه سبحانه وتعالى لديننا ، ولكن هذه حجّتهم داحضة عند التحقيق ، توضأ فأغمي عليه فأفاق وقال : هل صلّى المسلمون ؟

قالوا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول اللّه .

أغمي عليه واشتد به إغماؤه ، أرسلت إحدى أزواجه إلى أبيها أبي بكر أن يصلّي بالمسلمين ، وأرسلت زوجته الثانية إلى أبيها أبي حفص ، وهما اللتين يشير إليهما اللّه سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ اِن تتوبا اِلى اَلله فقَدِ صَغَتْ قلوبكمْاواُنْ تظْاُهِرا عَلَيهْ فِإنَ اللّه هوَّ مولاهَ وجَبرْيلُ وصَالِحِ المُؤمَنينَ والمُلاَئكَةْ بعِدِ ذلك ظَهْيرَ ﴾ [1] ؛ أفاقَ رسَولَ اللّهْ فسأل فقالوا : إنّ أبا بكر يأمّهم ، فخرج يتهادى بين رجلين ورجلاه تخطّان الأرض حتّى جاء إلى المسجد النبوي الكريم ، نحّى أبابكر ووقف مكانه يصلّي بالناس ، ولكن (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم اللّه سبحانه وتعالى وحده مدى ما كان يقاسيه من الألم والمرض ; لأنّه حينما جاء لم يكن (صلى الله عليه وآله وسلم) متمكّناً من المشي ، وانمّا كان يتهادى بين رجلين أحدهما أمير المؤمنين (عليه السلام) والآخر ابن عمّه الفضل بن العبّاس ورجلاه تخطّان الأرض ، يعني لم يكن قادراً على أن يرفع رجلا ويضع أخرى ، وإنّما كان يرسلهما إرسالا فتخطّان الأرض ، فصلّى بالمسلمين من جلوس والإمام الذي أمهمّ من غير إذن منه صلى بعده يتبعه في أعماله .

فهكذا يقولون : فكان أبو بكر يصلّي بصلاة رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) والناس يصلّون بصلاة أبي بكر [2] ، يعني أنّ الناس لم يكونوا يرون إمامهم في أعماله حينما يقوم

1- التحريم : 4 .
2- مسند أحمد 1 : 356 ، 6 : 34 ، 38 ، 210 ، 224 ، صحيح مسلم 2 : 23 ، الطبقات الكبرى 3 : 179 .



من السجود وحينما يركع ; لأنّه يصلّي جالساً ، فكانت تخفى عليهم أفعاله فيجدون في اتباّع أبي بكر له في القيام والركوع والسجود آية لأعماله (صلى الله عليه وآله وسلم) في صلاته ، فكانوا يأتمّون به وآيتهم فعل أبي بكر ، لا أنّ الجماعة انعقدت وكان لها إمامان الإمام الأوّل رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ويأتم به شخص واحد وهو الخليفة الأوّل الذي أصبح خليفة فيما بعد ، والإمام الثاني هو أبو بكر وقد ائتمّ به المسلمون الذين كانوا حاضرين يومذاك ، يوم مأساة المسلمين بذهاب نبيّهم إلى لقاء ربّه ، وانقطاع الوحي عنهم ، وحدوث ما حدث بينهم من الفرقة والاختلاف والذي لا زال مستمراً إلى يومنا

هذا ،ولا أدري إلى متى يدوم ،وأنا واثق بأنّه وإن خفّ إلا أنّه لا يزول قطعا إلّا بظّهور خاتم الأوصياء المهدي المنتظر عجل الله فرجه .

فإذن أقول : إنّ الصلاة بالمسلمين ليست من الأُمور المسلمّة التي يرتضيها كلتا الفئتين الفئة التي تعتقد وتدين بالإمامة الإلهية والفئة التي ترى لنفسها أن تنصب الإمام أو الخليفة ، وسيأتي أنّ الإمام تعبير مستحدث عندهم ،والتعبير الذي إرتضوه لأنفسهم الخليفة .

والفئة الثانية جعلت من الخلافة حاجة دنيوية ،وأنا أقدّم هذا الجانب ; لأنّ هذا الجانب هام جدا فّي فهم نقاط الاختلاف وكيفية حالها والقدرة على فهم ما جاء في هذا المجال من الأدلّة المتضاربة ، ومن الجانب الآخر نصوص شرعية آيات من الذكر الحكيم وأحاديث نبوّية شريفة ، ومن الجانب الآخر حديث الغار وصاحب الغار الذّي قالوا فيه : اختاره لديننا فلم لا نختاره لدنيانا ،وإلى ما هنالك من حجج .

## معنى الخلافة والإمامة وشروطها عند السنّة :

أنا جمعت أقوال الفئة التي تسمّي نفسها بأهل السنُةّ والجماعة في خمسة عناوين رئيسية :



العنوان الأوّل : ما هو تعريف الخلافة عندهم ؟

العنوان الثاني : وجوب نصب الإمام الذي يرتكز على واجبات الإمام ومدى حاجة الناس إليه .

العنوان الثالث : ما هي شروط الإمامة والإمام عندهم ؟

العنوان الرابع : بِمَ تنعقد الإمامة ؟

العنوان الخامس : هل ينخلع الإمام أم لا ؟

والمشكلة هنا أنّ كلّ ما قالوه إنما قالوه لتصحيح ما وقع عندهم ، وبيان ذلك :

إنّنا قد نعمل أعمالا سواء كانت دينية أم دنيوية ، أعمال فردية أم أعمال لها نطاق أوسع من الفرد بما ينفعه أو ما يضرّ ، قد نعمل هذه الأعمال بتخطيط سابق ، فهنا لو أردنا أن نعيد النظر فيما عملناه نقارن بين ما كان علينا أن نفعله وبين الذي فعلناه ، مثلا : من الواضح أنّ المسلم حينما يريد أن يطمئن أنّ صلاته صحيحة ماذا يصنع ؟

من الطبيعي أنّ كلّ واحد يتبعّ المذهب الذي يقلده ، يرجع إلى ذلك المذهب . لا أقول المرجع المذهب بصورة عامة .، فيجد الصورة الصحيحة للصلاة عند ذلك المذهب ، فيقيس ما صنعه أو ما يصنعه بما التزم به أن يصنعه كما جاء عنده في المذهب الذي إرتضاه لنفسه . وهذا معنى وجود تخطيط سابق ، بحيث إنّ الصحّة والخطأ في العمل أساسها قياس العمل بما صح عنده ، فأيّ مجافات تجعله يصحح عمله لا أن يعيد النظر بمذهبه ،وإلاّ ليس هناك مسلم إن كانت صلاته فيها خطأ سواء كان مفسدا أو غير مفسد لا يرجع إلى المذهب فيصحح ،وإنّما يقيس ما صنع بما التزم به من المذهب فيصحح العمل .

هذا مثال للعمل الذي له تخطيط سابق في تعريفي ، بالعمل الذي له قاعدة سابقة ، أصل سابق ، دستور سابق ، بحيث إنّ

الدستور قد فُرغ منه عند العامل لا عند كُلّ الناس وهو المتبعّ في العمل فيصحح عمله أو يتقن عمله بالنظر في الذي



صحّ عنده أنّه دستور وقاعدة لهذا العمل ، أمّا لو أراد أن ينوّع من عمله قاعدة ، بحيث مثلا يعلم أن البضاعة الفلانية أين توجد ؟ وكيف توجد ؟ وكيف يمكن استحصالها ؟ بالشراء بالعارية بالاستجداء ؟ تحتاج إلى جهد كبير هذا ما عنده شيء في عمله ، وفيه كر ، وفر ، وفيه إقدام ويأس ، وفيه رجوع من جهة ثُمّ عودة من الجهة الأخرى .

وحينما ينتهي إلى النتيجة التي كان يحاول استحصالها يجعل من عمله قاعدة لاستحصال هذه النتيجة فيما بعد ، فإذا سُئل يقول ما كانت عندي فكرة كيف أحصل على هذا الشيء ، ذهبت هنا وذهبت هناك ، سألت هذا وسألت ذاك ، فبالنتيجة ظهر لي أنّ تحصيل هذه النتيجة تعتمد على الطرق الآتية ، فيحذف من الطريقة لاستحصال النتيجة أغلب ما صنعه اعتباطاً وهذا طبيعي ، وهو لا يعلم بأنّه سينتهي إلى النتيجة التي يبتغيها .

ما حصل بين المسلمين بعد رحلته (صلى الله عليه وآله وسلم) كان من هذا النوع ، وسيأتي هذا في نصوص مُسلمّ بصحتّها عند من يتّبع هذه النظرة .

سمع أفراد سمّوا فيما بعد أنفسهم بالمهاجرين ، لا أقول لم يهاجروا إلى المدينة المكرّمة ، وانمّا كانوا بالنسبة إلى مجموع المهاجرين واحد من خمسين أو واحد من مائة ، منهم سمعوا بمحاولة لنصب خليفة ، فسارعوا إليها ، واشتدّ بين الوافدين وبين الحضور النزاع ، وانتهى إلى أنّ أحد هؤلاء الثلاثة والذي كان في رأيهم أنّهم هم الذين يمثلوّن المهاجرين من غير انذار سابق في رأيهم ، يعني لم يقولوا بأنّنا كنّا حزبا قائما عَلى المهاجرين ، كما هناك أحزاب في بعض البلاد الإسلامية ، حزب بين جماعة هاجروا إلى ذلك البلد وحزب آخر يناهضهم من الجماعة الذين كانوا من السكنة الأصليين في ذلك البلد ، لا لم يدّعوا بأنّهم كانوا على رأي واحد ، وقد خولوناالنظر في قضيتهم ، ونحن كنا نمثلهّم ، وانما سموا أنفسهم بالمهاجرين ، وكرروا هذه التسمية ، فثبتت عليهم ، فانتخب أحدهم ، وجعلوا



من هذا العمل أساساً لما يأتي من تعيين الخليفة في المجتمع الإسلامي ، ومن شروط الخليفة في المجتمع الإسلامي ، ومن واجبات الخليفة في المجتمع الإسلامي ، ومن العدد الذي يصح أن يكون هو الذي يُعينّ الخليفة في المجتمع الإسلامي .

فجعلوا من عملهم الذي هم يرتضون لأنفسهم أن يعبّروا عنه بأنّه مرتجل أساسا لًما يأتي من تعيين الخليفة ، والا فإن خصومهم يتّهمونهم بأنّه كان الجزء الذي برز من رأس الرمح بعد رحلته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذا الرمح قد أعُد فّي حياته ، وقد تحالف عليه فئة ، وكانت بينهم صحيفة وقّعوها بأنفسهم ، وأعطوا الضمان للعمل بها .

فخصومهم هكذا يقولون : رمحاً كان خفياً ظهر شيء من سنانه حينما توفيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) والا فإن الطعنات القويّة جاءت فيما بعد : ورأيتكم أنّ الحسين أصيب في يوم السقيفة[1] .

فإذن ، العمل الذي يرتضوه لأنفسهم قالوا عنه بأنّه عمل مرتجل فوجئنا به ، هذا العمل المرتجل أصبح عندهم الأساس

الأوّل والأخير لاستنباط كلّ ما يرجع إلى الخلافة والخليفة كشخص كوظيفة كعمل كدائرة سلطة كحق للبقاء في المنصب ما دام حيّاً ، بحيث إنّ أي تحديد زمني للخلافة بصحة الخلافة مع بقاء الخليفة لا يصح شرّعا ولو فعل الخليفة ما فعل وأتى بما أتى ، بحيث لو أتى بما يستحق به الحدّ الشرعي فيما لو لم يكن خليفة المنصب يبرء عنه مثل هذا الحد ، كلّ هذا عمل مرتجل في رأيه ، واستنبطوا كلّ أحكامهم ، وجعلوها أحكاما شرعية إلزامية لرتضاها الله لهم ولعامة المسلمين ، من صنيعهم المرتجل يوم السقيفة .

ومعنى هذا أنّ الخلافة كانت بين إقرار وإنكار ، إقرار فيمن يقول بأنّها المنصب الإلهي الذي ليس لأحد أن يجعلها إلا الله وحده سبحانه وتعالى ، وليس لأحد أن ينزعها ممن جعلها الله له ، شأنها شأن النبوة .

1- انظر بحار الأنوار 43 : 190 ، 82 : 265 .



إذن ، الخلاف ليس في شخص الإمام ، الخلاف في معنى الإمامة ، بحيث لو أخذنا بالمعنى الإمامي للإمامة الذي له مزاته وشروطه ولوازمه وتبعاته ، ولو أخذنا بالمعنى الأرضي . أنا أُسميّه . للخلافة الذي له أساسه أيضاً ، ودرسنا قولهم في حاجة الناس إلى الإمامة ، والتي هي الأساس لوجوب نصب الإمام ، هذه الحاجة التي يُستكفى عنها بوجود من يحكم الناس ولو متغلّب بالسيف كما يقولون ويصرّحون بأنه لو تغلبّ على الأمة متغلب بالسيف وجب الخضوع له وحرم الخروج عليه [1] ، هذه الحاجة شيء وحاجة الناس إلى الإمامة كما يصورّها المفهوم الإلهي للإمامة شيء آخر .

فإذن ، نحن نجعل في ذاكرتنا وفي نظرتنا الدارسة لمعنى الإمامة عند هؤلاء الفئة ، أيّ : الإمامة الأرضية لا الإمامة الإلهية ، إن كان ما قيل من نصوص ، ومن حجج ومن أدلّة لصحتّها إنمّا جيء بها بعد حدوث عملية الإمامة ويلتزمون بأنها عمل مرتجل لم يكن عن سابق تفكير ، ولم يكونوا يحلمون أيضاً بأنه ينتهي بهم الأمر إلى هذا الوضع الجديد ، لم يجدوا بدُاً في الزامهم بصحّة ما وقع كي لا يطالبوا أو لا يتابعوا بأنكّم لماذا عملتم هذا هذا شيء غير معنى الإمامة في معناها الإلهي التي لها أُسس سابقة آيات قرآنية يقولون بأنّها تدلّ على هذا ، ويدلّ على تعريف الإمامة أحاديث نبوية كثيرة بحيث إن بعّضها يلتزم به عامّة المسلمين بصحتّه كحديث المنزلة .

أنا لم أجد محدّثاً يذكر فضائل الصحابة ويأتي بذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) ويحذف الاسم كما صنعه بعضهم ، من يأتي بذكر الأنبياء على سبيل المثال ولا يذكر خاتم النبيّين (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن الهينّ عليه أن لا يتعرّض للرسالة الإلهية التي جاء بها رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ويغفل عنها أو يغفلها إغفالا تاماً ; لأنه بدأ من نوح وانتهى إلى عيسى كما يصنعه المسيحيون ، أو انتهى بموسى وهؤلاء ليس عليهم إذا ألّفوا كتباً

1- انظر الأحكام السلطانية للفراء الحنبلي : 23 .

أو بحثوا عن الأنبياء أن يأتوا بعيسى ; لأنّهم لا يؤمنون بأنّه في قائمة الأنبياء ، أو الذين يبحثون في النبوة الإلهية على أساس فكرة المسيحية هؤلاء لا يؤاخذون بأنّكم لماذا أغفلتم خاتم النبيين وسيّد المرسلين محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) .

**وجود الأسس الشرعية لفكرة الإمامة :**

نعم ،رأيت في بعض الكتب التي طُبعت في عمان ومسقط ، وطبعها الذين يسمّون أنفسهم هناك بأنهّم خوارج ، ويعبرّون عنهم أخفّ الخوارج حديث المنزلة ، وليس هناك محدّث من المسلمين أيا ّكانت الفئة التي ينتمي إليها وأيا كانت نظرته المذهبية يذكر علّياً ولا يذكر حديث المنزلة وأنهّ بالنسبة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمنزلة هارون من موسى وحديث الغدير هناك .

فالفكرة الإمامية لها جذور سابقة على الفكرة ودعائم وأُسس علينا أن ندرس الفكرة على أساس تلك الأُسس ; لأنهّا في رأي أصحابها منزّعة من نصوص دينية هم وغيرهم متّفقون على صحتّها ، إن كانت الآيات الكريمة فيسلمّ بأنهاّ كلام إلهي ووحي أنزله اللّه سبحانه وتعالى على سيدّنا محمدّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لهداية الناس ،وان كانت أحاديثا فمًا أكثرها عند غيرهم ويؤمنون بصحّتها .

وأمّا الفكرة الثانية للإمامة : فليس معنى أننّا نبحث عن جذورها أن لاجذور لها ،وانمّا كانت . حسب تعبيري . عن وحي السرعة والاستعجال ، سمعوا بمحاولة لم يجدوا في تلك المحاولة ما يؤمّن مصالحهم أو وجدوا فيها ما يضرّ بمصالحهم فسارعوا إلى المكان الذي كانت المحاولة قد قامت فيه لاحتواء المحاولة والاستعجال حسب رأيهم لا حسب ما يتّهمهم خصومهم بأنّها كانت مدروسة سابقاً بأن لا يجعلوا لبني هاشم حظا فًي الخلافة .

نحن الآن لا نحمّلهم ،وانمّا نقول ما يقولون به هم أنفسهم من أنهّا محاولة مستعجلة ، ولنفوض ولنسلمّ بأن الذين قاموا بها كانوا ذات نوايا حسنة ، ولم يكن يساورهم شكّ في أنّ عليهم أن يلتزموا بهذه المحاولة ; لأن ّفيها صلاحهم في



الواقع وصلاح المسلمين كما يقولون ، هذه المحاولة ليس لنا أن ندرسها على أساس ما ذكر فيما بعد من الزمان لها من الحجج والبراهين ،وإنّما علينا أن ندرسها ضمن النصوص التي تحكي المحاولة في لحظاتها الأولى . فلنفوض . على سبيل المثال . أنّ شخصاً رأى ثوبا فًي يد غيره فأخذ الثوب منه ، قيل له : لماذا ؟ قال : لأنه ّثوبي الذي ضاع مني ّ، وبعد ذلك بان أنّه على خطأ فأخذ يذكر بأنهّ أساس خطئ أن ّهذا الثوب كان فيه من الألوان ما كان في ثوبي ، وكان فيه من الحياكة ما كان في ثوبي . أقول : حينما نسأله عن الأدلّة التي صاغها فيما بعد هذه كلُهاّ تتحد ،وانمّا الأساس في أنه ّحينما ذكر في أن هذا ثوبه بأيّ دليل قال ، ولو قال : بأنّي كنت أحتاج إلى ثوب فوجدت هذا الثوب يليق بي ، وقدراقني اللون أو الجنس أو كيفية الخياطة فأخذته ، الحجّة هذه وكلُ ّما يأتي به فيما بعد من أعذار هي للتخفيف من المسؤولية التي تحملهّا حينما أقدم على هذا العمل .

**بيعة السقيفة :**

بيعة السقيفة لها جانبان : الجانب الذي يحكي ما فعله أولياء السقيفة في يوم السقيفة ، ومن لطف اللّه سبحانه وتعالى أنّ هذا

جاء من قادة السقيفة أنفسهم لا أنّ خصومهم حكوا لنا عملهم بصورة انتزعنا من عملهم حججاً عليهم ، بل نفس ما قالوه هم وعلى رأسهم أبو حفص في الحديث الذي يحكيه ويرويه كُلّ علماء الحديث ويسمّونه بحديث السقيفة ففي مسند أحمد بن حنبل الذي يبدأ بمسند أبي بكر ثُمّ يثنيّ بمسند عمر ، عنده عنوان في المسند في طبعته الأولى الطبعة الميمنية وفي الطبعات التي بعده حديث السقيفة[1] ، وهو حديث يذكر فيه أبو حفص ما جرى عليه وعليهم يوم السقيفة .

فنحن ندرس هذا ونُبعد من بحثنا كُلّ ما قيل فيما بعد ، يعني ما طرحُ فيما

1- مسند أحمد 1 :55 .



بعد السقيفة هي حجج للتخفيف عن المسؤولية ، وليست أسساً لما صنعه أصحاب السقيفة يومذاك ; لأنّهم حينما صنعوا ما صنعوا ذكروا أنّهم لماذا صنعوا ؟

فالأنصار كان رأيهم منّا أمير ومنكم أمير ، أنتم عيّوا لأنفسكم أموراً لا خليفة ، يعني شخص يرّعمكم في أمُور دنياكم ، ونحن لنا أمير لأنّنا نخشى الانتقام من أمير لا يكون منا هذه حجتّهم .

والعرب لا تخضع إلاّ لهذا البيت الذي منهم رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يعني على أساس النظرة القبلية التي سلّمت بتفوّق فرد وكان لهذا الفرد شيء تركه من مال أو زعامة وأن يكون مثلا مرباعاً ، وتعلمون ما هو المرباع ؟

المرباع هو الذي كان يقود غزواً بكفاءة فيأخذ ربع الغنيمة لنفسه فيقال : رئيس مرباع ، يعني له من الكفاءة في الغزو وصحّة التخطيط والفوز على العدو وكسب الغنائم الكثيرة ما يجعل ربع الغنيمة له ، ثُمّ يشاطر الآخرين فيما يقسمّ بينهم بحسب عددهم ، فنظروا إلى الخلافة على أساس المرباع ، لماذا ؟

لأنّها سلّمت بتفوق رسول اللهّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو من قريش ، فليست بمستعدة أن تستسلم لخليفة لا يكون من قريش ، ويكون من قبيلة أُخرى لم تلتزم بتفوقها على نفسها ، سلموّا بأن قريشا فاقت على قبائل العرب بأن جعل الله نبّيه منّها هذا عمل إلهي على رغم من لا يرتضي هذا التعبير . فالعرب لا ترى هذا الأمر ولا تسلّم هذا الأمر إلاّ لهذا البيت من قريش الذي فيه النبوّة .

فالمنظار منظار قبلي وعلى أساس أنّ القبائل لا تخضع بعضها لبعض إلاّ إذا سلمّت بتفوقّ القبيلة .

فالعرب سلّمت بتفوق لقبيلة قريش ، ودانت بأنّ منها النبوةّ ، فسلمتّ بإمكان أن يكون منها الخلافة .

ومن العجب الحديث الذي يرويه الطبري في تاريخه في المكان الذي لا يعثر عليه إلاّ من يأخذ تاريخ الطبري ككتاب قراءة ، يرويه في أحداث سنة ثلاث



وعشرين من الهجرة بعدما يذكر عمرو وموت عمر يذكر شيئاً من سيرته ، هناك يذكر حديثاً عن ابن عباّس يقول عمر لابن عبّاس : أتدري ما منع قومكم منكم ؟

قلت : إن لم أكن أوي فأمير المؤمنين يدريني .

قال : كوهوا أن تجتمع فيكم النبوّة والخلافة فتتبجحوا على قومكم بجحاً بجحا[1] .

القصّة كأنّما العالم كلّه قريش ، وكأنما الإنسانية كلها قريش ، وكأن اللّه سبحانه وتعالى حينما بعث نبيه سيدّ المرسّلين وخاتم النبّيين بعثه لقريش وحدها ، كرهت قريش أن تجتمع فيكم النبوّة والخلافة فتتبجحوا على قومكم بجحا بجحا ، يعني تجدون أنفسكم أو تجعلون أنفسكم في مستوى أعلى من سائر قبيلتكم قريش .

طبعاً ابن عبّاس يرد على هذا الكلام .

فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت ويقول أبو حفص في تتمة كلامه : قريش اختارت لأنفسها خليفة لا المسلمون اختاروا لأنفسهم خليفة ، اختارت خليفة ارتضته لنفسها .

فإذا قلت : أنا الذي لا أشترك مع العرب إلاّ في الدين الإسلامي الشريف وإلاّ في لغة القرآن ولغة الحديث ولغة أمير المؤمنين (عليه السلام) وهي لغة نهج البلاغة ، فإذا قلت : ما الذي يدعوني إلى أن ألتزم ما اختارته قريش لأنفسها ؟ ولو سألت أنا بعد 1400 سنة أنّي أنا الذي لا يسعدني من اختارت قريش لأنفسها ; لأنّي لست من قريش ،ولأنيّ لا أعيش في عصر قريش ، فلو أنّي كنت أعيش في عصر قريش لكنت أفكّر بأن قريشا إن كان لها أمير يصلح لها فجعل من قريش كابوساً على غيرها هيمنة على غيرها بما يؤمّن مصالحها وحدها فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت .

---

1- تاريخ الطبري 3 : 288 .



ابن عبّاس يقول : فقلت : لو أنّ قريشا اختارت لأنفسها من اختاره اللّه لها لكان الصواب بيدها غير مردود ، معنى ذلك أن ابن عبّاس يقول : اللّه اختار إماما وأنتم اخترتم خليفة لكي يؤمنّ مصالحكم ومصالح قريش ،واللّه اختار إماما لكي يؤمن الهدف الذي بعث به نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) على الناس كافة .

فإذن هذان الحديثان أو هاتان الحجّتان كلّ حجة منهما تدحض الأخرى .

أعود فأقول : إنّ الفئة التي تسمّي نفسها فئة السنّة والجماعة ما وضعته من تعريف للإمامة لم يكن له جذر فكري قبل الواقعة العملية التي حدثت عندهم ،والتي صنعوا لها فيما بعد حججاً كي يلتزموا بها ولا يدحضها غيرهم ، لماذا ؟ لأنّ اليد التي أعطت السلطة للخليفة الأوّل هي التي سارت على نهج خاص كما يقول الشاعر :

فعلى ذلك الأساس بنت *** صاحبة الهودج المشؤوم بناها

وبذلك اقتدت أمية لما *** أظهرت حقدها على مولاها[1]

أمية سارت على هذا الأساس ، بنو العبّاس ساروا على هذا الأساس ، وكذا من بعدهم .

نعم ، العثمانيون غيّروا صفة وقالوا : بأنّ العربية ليست شرطا لصحة الخلافة وليست شرطا من شروط الخليفة . على كل الاختلاف فيمن يصحّ .

**تعريف الإمامة :**

أرجع فأقول : وبصورة مجملة أنا جمعت أكثر من أربعة عشر تعريفاً للإمامة ، يقول الفخر الرازي المفكّر الأصولي المفسّر ، بل والمتفلسف المعروف محمّد بن عمر بن خطيب الري المتوفىّ سنة 606 من الهجرة عنده كتاب من أهم كتبه في أُصول الدين نهاية العقول أنا أنقل من المخطوطة ، ولكن الكتاب طبع في تسع

---

1- انظر مواقف الشيعة 3 : 288 .

مجلدات أو أحد عشر مجلداً ، قال :رئاسة في الدين والدنيا عامّة لشخص من الأشخاص .

في الدين يفسّره يعني في الجهاد ، في الغنائم ، قسمة الغنائم ، في تعيين القاضي ، في تعيين الإمام للصلاة ، جماعةً وجمعةً ، طبعاً في الصلاة الجماعة من الجائز أن يعين لكلّ مسجد إمام ،وأما صلاة الجمعة فلا تصح إلّا فيّ مساحة معينة محدودة لا تجوز فيها إقامة جمعتين إلاّ أن يكون الفاصل بينهما أكثر من الحد الشرعي وهذا الذي يعيّنه الخليفة .والدنيا أيضاً معلوم تعيين الجيوش ، الإنفاق عليهم ، تعيين مناصب من يحكمهم من قادة في مصطلح ذلك اليوم وضباط وإلى آخر ما هنالك من مراتب في الجيش .

وهناك تعريف آخر يقول الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية : الإمامة موضوعة لخلافة النبوّة في حراسة الدين وسياسة الدنيا[1] .

تعبير أقرب ما يكون إلى التعبير الأدبي الذوقي منه إلى التعريف العلمي القائم على الدقة ولكنه بحسب الظاهر معناه واضح وهو أنّ الذي يخلف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مهمّة واحدة ،وهي أن يحرس الدين فيجري الحدود على من يخرج من الشرع بصورة تجعل للخارجي حدّاً شرعياً يجب أن يجرى عليه .

وسائر التعاريف كُلّها تشترك في ناحية واحدة ،وهي أنّ الخليفة له الرئاسة العامّة فيما يرجع إلى حاجة الناس في أمر دينهم وفي أمر دنياهم .

كُلّ شخص منّا حينما يدرس تصرفاته يجد أن نوّعا منً الأعمال يرتبط به وحده ، مثلا : يتنفس ينام يجلس يمشي سواء كانً في حاجة أو للتنزّه لا يفرق ، ونوعاً من الأعمال ترتبط بغيره ، هذا الغير قد يكون أشخاصا وقد يكون أشياء ، فنحن في حاجاتنا الدنيوية نستعين بأشياء من مأكل وملبس ومسكن ،وأشياء أُخرى تتصل بالمأكل إعداداً أو استحصالا ، تتصل بالملبس إعداداً أو استحصالا ،

1- الأحكام السلطانية للماوردي الشافعي :5 .



تتصل بالمسكن إعداداً أو استحصالا .

ونستعين بأشخاص فنحن لم ننبت بأرض جرداء كما يقال ،وإنّما أُنبتنا نباتاً حسنا بيّن أسرة من أب وأم ،وأخ أو إخوة ، وأُخت ، أو أخوات وعمومة وأخوال ،وخالات وعمات ،والى ما هنالك ، فلنا نوع من الأعمال ترتبط بهؤلاء ، طبعاً هذه هي الأسرة الصغيرة ،والأسرة التي تأتي بعدها أبناء قرية واحدة مدينة واحدة وحتّى لو أخذنا الاعتبارات السياسية التي جزأت الرقعة الأرضية إلى دول كبيرة وصغيرة ، دول تحكم بمركزية حاكمة أو بصورة فدرالية أو كنفدرالية . فأشخاص يرتبطون بنا ونرتبط بهم ; لأنّنا نشعر أنّنا من أصل إنساني واحد ، أقصد أصحاب لغة واحدة ،واللغات متجاورة نرى كلُ لّغة أن اللغة الأُخرى أختها كاللغات التي نتكلّم بها نحن في إيران .

فإذن صلتي بنفسي في أعمالي وبغيري أشياءً وأشخاصاً والرقعة تنطلق ابتداء مَن أمس الناس بي وهم الأبوين ، فلو كان لي

أخ أو إخوة أو أخوات وأقارب آخرين ولديّ عمل يرتبط بهم فهذه الرقعة تتوسع من قرية إلى مدينة إلى قطر إلى دولة إلى قارة أو أرض ، كما يجد الآسيويون في أنفسهم أنّ لهم ميزة خاصّة يمتازون بها مثلا عن الأوربيين أو الافريقيين .

طبعاً هناك قارات تمثّل المهاجرى ، فأمريكا لا تمثل في واقعها إلا الهنود الحمر وما يشبههم والإ البقية هاجروا إليها ، يعني يجد الإنسان أمثالهم في أوربا أو أمثالهم في افريقيا وهكذا استراليا وغيرها ، هذا جانب .

كُلّ هذا عمل فردي وعليّ أن أصنع نظاما لعملي الفردي ، واذا أراد الدين أن يشرّع لي أحكاما إلهيّة عليه أن تكون أحكامه تشمل جميع أنواع هذه التصرّفات من عملي بالنسبة إلى نفسي ، الدين يقول لي : عليك أن تحفظ نفسك وأن لا تلقي بها في المهالك ، أن تتجنب كذا ، وكذا ، وإذا كان الأمر كذلك فينقدح سؤال مهم : بالنسبة إلى عملي ووظيفتي ، وبالنسبة إلى نفسي ، وبالنسبة إلى من خلقني والحقّ



الذي له سبحانه وتعالى عليّ حينما خلقني إنساناً سوياً وأعطاني من القوة والقابلية ما أعطاني ، وعملي بالنسبة إلى غيري : ﴿ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ﴾ [1] ، ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [2] ، ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [3] .

يعني اللّه طلب منا نحن البشر أن نكون عمّارا لهذه الأرض التي أسكننا الله سبحانه وتعالى فيها ، كل هذه وظائف فردية بمعنى أنّ كُلّ إنسان عليه أن يكون مطيعا لما عليه من وظائف مع قطع النظر عن غيره ، وحق اللّه علي أنّ أأديه كما ينبغي ، وحقّ اللّه يشمل جميع الأحكام ، ولا أقصد حق اللّه حق عبادة الله سبحانه وتعالى ، فأحدهما إن عبد الله سبحانه وتعالى لا يضرّ بطاعته معصية غيره ولو كانا اثنين فقط ، وهكذا حقّه بالنسبة إلى نفسه لو أداه فلا يضره معصية غيره ، وهكذا حقهما بالنسبة إلى الأبوين ، فلو اشتركا في أبّ واحد وأمّ واحدة فهما أخوان ، فأحدهما إن أدى حق الأبوين لا يضره إنّ ترك أخوه أداء مثل هذا الحقّ ، كما أن ترك الأخ لأداء مثل هذا الحقّ لا ينفعه أداء أخيه حق الوالدين ; لأن لكل واحد منهما حسابا خاصا وهكذا سائر الأعمال .

وهناك نوع من الأعمال المجموعة فيها تكون بمثولة الفرد ، كلمة الأمور إن قلنا : عامّة الأمور لها معنى وإن قلنا : الأمور العامّة لها معنى آخر ، وماذا يعني عامّة الأمور ؟

يعني أنّ الله سبحانه وتعالى حينما يقول : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [4] ، ﴿ لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ ﴾

1- الأعراف : 56 .
2- البقرة : 205 .
3- هود : 61 .
4- الإسراء : 15 .

وَنَقْوَىَ ﴾ [1] ، ﴿ لِئَلا يَكوَنُ للناسِ عَلى اللهَ حجةٌ بِعد الرُسُلِ ﴾ [2] ، من باب اللطف شرّع لكلّ منا ما يشمل كل تصرّف من تصرّفاتنا كما شرحت بصورة مجملة .

وهناك نوع من العمل ليس وظيفة كُلّ إنسان ، المجتمعات البشرية تزخّ ماضيها السحيق مهما كان ماضيها السحيق ، كانت مجتمعات منبوذة ، مجتمع يشتمل على أُسرتين أُسرة واحدة منبوذة في كهف من الكهوف .

كُلّ هذا التاريخ لا يهمني المهم ما عرفناه من المجتمعات البشرية على أساس أنه مجتمع يحتاج إلى تنظيم سواء كان بصورة ابتدائية كالقرية ، القرية هناك أعمال فيها ليس لكُلّ الناس أن يشتركوا فيها ، ولكن يلزم أن تؤدّى فيها الخدمات العامة ، لو كانت هناك شوارع قابلة للكنس أن تكنس ولو كانت هناك طرق قابلة للتعبيد أن تُعبّد ، ولو كان هناك مكان عام يجتمع فيه أهل القرية للتداول في شؤونهم أنْ يهيّئ هذا المكان ويعُهد إلى شخص ما لإدارته وجعله معداً لمثل هذه المجتمعات وخدمات عامة أخرى بالنسبة إلى القرية .

طبعاً في المدينة الخدمات العامّة تتوسّع وتتعقّد وتتضخم ، وهناك مجتمع نعبر عنه بالدولة ، طبعا في القرية هناك شخص عليه أن يشرف على الخدمات ، وأن يعيّن من يقوم بأيّ خدمة من هذه الخدمات ، مثلا يعينّ من الذي يكنس ؟ من الذي يعبُد ؟ ولا سامح اللّه لو جاء سيل من الذي يبدأ بالوقاية فيجعل الحواجز أمام السيل كي لا يتعدّى السيل إلى أماكن السكن أو مناطق الزراعة ؟

في المدينة هذه المهمّة تتضخّم وتكبر ، وفي القطر تكبر أكثر إلى أن تصل إلى حدٍّ تسمية بالرأس الأعلى للدولة .

مجتمعاتنا منذ أن عهدناها هذا واقعها ، الآن من يُعيّن الرأس ؟

---

1- طه : 134 .
2- النساء : 165 .



الذي دأبت عليه المجتمعات البشرية أن يكون الأقوى هو الحاكم ، ولا أتكلّم عن الديمقراطية متى حدثت أو التطوّر الغربي للمجتمعات في أُوربا بأيّ عامل كان ، هذا كلهُ خارج عن بحثي .

كُلّ المجتمعات البشرية دأبت على أن يكون الأقوى هو الحاكم ، هذا الأقوى الذي هو الحاكم يحكم في الأمور العامة ، الأمور التي لابدّ وأن تكون ، أعمال لابدّ وأن تؤدّى ، يسموها خدمات عامة ، لأنها لا تخص واحدا .

وما معيّن للخدمة أنّ فلانا يؤديها ، طبعا هناك نوع من التحديد بالنسبة إلى من يكفلهم الشخص كالأب الذي يكفل أطفاله وأهله فيما يمكن للأب أن يهيّئ ، كالدواء وأمثال الدواء الذي يمكن للأب أن يجعل طفله يقاوم المرض أو يدفع عنه المرض ويعرضه على الطبيب ، مثل هذا يسمّى بالأُمور العامة .

الأمور العامّة تقابل عامّة الأمور ، الأمور العامة هي الخدمات ومنها الرأس الأعلى للتنظيم القائم في أي مجتمع ، هذا التنظيم يسمّونه دولة بنظام ملكي أو دولة بنظام إمبراطوري أو دولة بنظام عسكري .

الأمور العامّة هي التي يعبرّ عنها بإدارة شؤون الدنيا ، نوع من الخدمة إن نقصت فلا ينقص شيء من الدين وأماّ في دنياي فأحتاج إليها .

جعلوا من الخلافة دائرة للأُمور العامّة لا لعامةّ الأمور ، دائرة الوحي الإلهي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أرسله اللّه سبحانه وتعالى طاعته وحكمه وشريعته تشمل كُلّ ناحية من نواحي الحياة الفردية والاجتماعية بجميع أبعادها ، وبما لها من الشمول والسعة ، وكذلك دائرة الإمامة عند الإمامية تحلّ محل النبوة إلا في شيء واحد وهو أن الوحي الإلهي بالشريعة لا يترل على الإمام مباشرة وإنّما سبقه إلى ذلك ، نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتحولت الشريعة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الإمام أيضاً بقوة خاصّة عند النبي والإمام ، هذه القوة لا يملكها إلا النبي ولا يملك استيعابها إلا الإمام (عليه السلام) «علّمني رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ألف باب من العلم يفتح من كلُ بّاب ألف



باب»[1] ، يعني لو أردنا أن نعبّر بالتعبير العددي يعني مليون باب من العلم ، أنا لو عشت مليون يوم ليست لي قابلية استيعاب هذا المليون باب من العلم ، وأما رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) لهما من الكفاءة والقابلية أنّ للأوّل قوة تخصة وحده ينقل هذا المليون باب من العلم إلى الثاني بقابلية للاستيعاب خاصةّ به ، هذه بعض جوانب الإمامة الإلهية .

## متولة الإمامة عند الشيعة :

الإمامة الإلهية عند الإمامية تحل محلّ النبوة ، بينما الإمامة عند السنةّ شيء آخر ، فإن وجد من يقوم ولو كان متغلباً بالسيف فهو الإمام وهو الحاكم ، ويقولون بأنّه لو كان هناك متغلّب يجب الخضوع له ولا يجوز الخروج عليه .

نظرة الإمامية إلى الإمامة تختلف عن نظرة غيرهم إلى الخلافة ، وليس الخلاف فيمن يخلف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنّما الخلاف فيم يخُلف فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، هل يخلفه في جميع الأمور ؟ فمثلا لوً سألنا رسول اللهّ (صلى الله عليه وآله وسلم) نحن بحاجة إلى طبيب ، ابعث لنا طبيباً ولو بمعاهدة ترجع إلى مؤسسة الصحّة العالمية ، فلو قام بها غيره لأغنى عنه ، وكذلك الخلاف في الحاجة إلى الإمام كحاجتنا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فالخلاف ليس فيمن يخلف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنّما الخلاف فيم يخُلف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، هل في كلُ مّا كان للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من ولاية إلهية على الأمّة كما تقول الإمامية ؟ أو في الأُمور العامةّ بحيث إن غيره لو أمنها لم نحتج إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلو كان رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعُث في مجتمع فيه كلُ مّا يحتاج إليه المجتمع عندئذ ما كان يؤسس وإنّما كان يصنع ما صنعه بالمعاملات ، فرسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء إلى قوم كان عندهم من المعاملات فقال : «أحل اللّه البيع وحرّم الربا»[2] ، لماذا ؟

1- أُصول الكافي 1 : 239 ، 296 ، 297 ، بحار الأنوار 13 : 242 ، 14 : 411 وغيرها كثير .
2- البقرة : 275 .

لأنّ القوم كانوا جارين على سنن جاهلية ولكن الشرع الإلهي جاء لإصلاح تلك السنن ، فما فيه منفعة أقرّ المجتمع عليه ، وما كان فيه مجافاة لمصلحة الأمّة حرّمها ونبذها .

فلو كان رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث أوّل ما بعث في أمة الخدمات العامة في مجال البيع والشراء والهبة والإجارة وأمثال ذلك تامّة لأقرّ الصالح منها ونهى عن الفاسد .

فالإمامة تختلف عند أهل السنّة عن الإمامة عند الشيعة ، فعند السنّة يمكن الاستغناء عنها ، بينما عند الشيعة لو لم يكن هناك إلاّ شخصان كان أحدهما حجّة على الآخر ،ولا يترك اللهّ سبحانه وتعالى أمة بلا حجة مهما طال بها الزمن .



**خلاصة البحث :**

فإذن الإمامة الإلهية عند الشيعة لا يمكن الاستغناء عنها ; لأنّها وظيفة كوظيفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بينما الإمامة عند السنّة منصب سياسي يدير دفّة الشؤون الاجتماعية لا غير ، ويمكن الاستغناء عنها .

وفي الآونة الأخيرة ارتفعت بعض الأصوات مطالبة بعودة الخلافة الإسلامية على أن يكون الخليفة من الحكّام الذين يحكمون الدول الإسلامية .

وببساطة إنّ الذين صنعوا ما صنعوا إن كانوا قد صنعوا بحسن نيّة فهم قد أساؤوا إلى الأمة بأن استغنوا عن الإمامة الإلهية ، فلنفرض على سبيل المثال أنّه في قرية ليس فيها عمدة . على مصطلح بعض المناطق العربية . فلو خُيّل إلينا أننا لو اتخذنا عمدة أصبح كُلّ شيء عندنا فنحن واهون ، نحن بحاجة إلى مستوصف بحاجة إلى طبيب بحاجة إلى مدرسة بحاجة إلى معلّمين بحاجة إلى أمور كثيرة ، خُيّل إلى هؤلاء أنه بمجرد أن أصبح خليفة في هذه الدائرة للدنيا استغنينا عن الهداية الإلهية التي يقوم بها الإمام الإلهي داخل الأُمّة الإسلامية . هذا أوّل خطأ .

والحمد للّه ربّ العالمين ، وصلّى اللهّ على سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين .



# ( 55 ) الإمامة فكرةً وتطبيقاً عند فرق المسلمين

الشيخ محمّد رضا الجعفري





أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد للهربِّ العالمين ، وصلّى الله على سيدّ رسله وخاتم أنبيائه وأشرف خلقه محمّد وآله الطيبين الطاهرين الأئمة الهداة المعصومين ، لا سيمّا أولهّم مولانا أمير المؤمنين وسيد

الوصيين وقائد الغر المحجّلين وخاتمهم مولانا الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف وجعلنا من أنصاره وأعوانه في غيبته وظهوره ، والعن اللّهم أعداءهم والموالين لأعدائهم والمعادين لأوليائهم من الأولين والآخرين ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم .

**إطلالة على البحث المتقدّم :**

في حديث سابق كنت أتحدّث عن الإمامة أو الخلافة في مصطلحيها الإمامي وغير الإمامي ، وقلت بأنّهما يمثلّان اتجاّهين متقابلين في هذا الموضوع ، ولا ينحصر الخلاف في شخص الإمام الذي كان له أن يتولّى الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولكن استبدل شخص بشخص ، قلت : لا ، هناك فكرتان ومعنيان حول الإمامة ، تختلفان في عدّة نقاط في نفس المعنى وفي الجذور التي تقوم عليها هذه الفكرة في مجال التطبيق أو الأخذ بالإمامة أخذاً واقعياً تطبيقياً .

وقلت : إنّ الإمامة عند الإمامية تستند في جذورها إلى ما يستند إليه أصحاب هذه الفكرة ممّا جاء في الكتاب العزيز والسنّة النبويّة الشريفة ، فالفكرة جذورها من الكتاب والسنة ، وإذا نوقشت تناقش على أساس مدى انسجامها مع تلك الجذور ، أي : مع ما تستند إليه من آي الذكر الحكيم والسنّة النبويّة الشريفة فإذا صحّ انتزاعها من تلك الجذور ، أي : صح أن آتي الذكر الحكيم والسنّة النبوية الشريفة تدل على أنّ الله سبحانه وتعالى كما شرّع لنا من الدين ما وصىّ به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ، وجعل لنا الإسلام ديناً ، وأرسل إلينا رسوله النبيّ الكريم خاتم النبيين وسيدّ المرسلين (صلى الله عليه وآله) ، كذلك شرّع لنا من الإمامة ما وضّحته



ودلّت عليه آي الذكر الحكيم والسنة النبوية ، ويكون بمثابة أي تشريع إلهي ، إن ثبت وأنه تشريع فلا يزيد من قوته إيمان من آمن به ، كما لا يقلل من شرعيته إنكار من أنكره ، شأنه شأن الرسالة الإلهية نفسها .

فرسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم أن بُعث كان الذي آمن به اثنان سبقا الأمّة كلهّا إلى الإيمان به ، أولهمّا : أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وروايتنا وحديثه (عليه السلام) عن نفسه وعن أخيه سيّد المرسلين يدلّ على أنهّ كانت له صلة بالوحي الإلهي الذي كان ينزل على النبيّ (صلى الله عليه وآله) وحده ، فكان يسمع الصوت ولا يرى الشخص .

والثاني : سيّدتنا أمُ المؤمنين خديجة الكبرى سلام الله عليها .

ولم ينقصه (صلى الله عليه وآله) أنّه قوبل بالإنكار ، ولم يزده في مقامه الإلهي إيمان من آمن به أي : لا تزيد من منصبه الإلهي رفعة وشرفاً وعلواً ومعنى وسعة وشمولا ، فإذا رجعت البشرية كلهاُ إلّى التوحيد ، يعني لا إله إلا الله ، والى وحدة النبوّة وأنّ رسول الله خاتم النبيين ، ويوم أن قدرّ الله سبحانه وتعالى رأفة بعباده واظهارا لدينه أن يبعث إمامنا الثاني عشر المهدي المنتظر صلوات الله وسلامه عليه ، فإنّ ذلك لا يزيد النبيّ (صلى الله عليه وآله) شرفا حتىّ لو آمن به الناس كلهمُ ، ولا يقلل من عظمته الإلهية ولا من مقامه الإلهي إنكار المنكرين الذين كانوا يرونه ويسمعون ما يتلوه عليهم من آي الذكر الحكيم﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [1] .

والإمامة الإلهية شأنها في ذلك شأن الرسالة الإلهية ، وأمّا الإمامة أو الخلافة فهي حينما وجدت وجدت في المجال العملي ، يعني حصل هناك حادث قام بعضهم بعمل وانتهى عمله إلى أن عُيّن شخص كخليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وانتزعت الفكرة من الواقع العملي ، لا أنّ هناك فكرة تسندها آي الذكر الحكيم وتسندها السنّة النبويّة التي تجلوها والتي تبينها التي تجعل المؤمن معتقداً بها .

---

1- الكهف : 6 .



وفي مجال العمل لابدّ أن نقيس عملنا على ما جاء في شرعنا ، شأننا في ذلك شأن سائر الأحكام الشرعيّة ، فصحة الصلاة . وهي التي من أُسس الإسلام . لا تؤخذ من عمل المسلم وإنّما العكس هو الصحيح ، صلاة المسلم تقاس بما جاء في الصلاة من آي الذكر الحكيم والسنّة النبويّة ، فإن طابق الذي جاء به الشرع صح العمل ، وإن لم يطابق كان النقص في العمل لا التغيير أو التصحيح في الفكرة .

أُمثّل لهذا بمثال : لو أنّ خارطة سياسية أخذت من منطقة ولنفرض أن هذه المنطقة التي نعيش فيها هي طهران والمدن التي تحيط بها ، فهذه الخارطة إن كانت لها صحّة فمدى صحتّها أن تكون مطابقة لواقع المدن واتجّاهاتها بالنسبة إلى طهران وموقعيتها بالنسبة إلى بعضها البعض ، فلو وجدنا خارطة جعلت من مدينة قم في الجانب الشمالي من مدينة طهران وببعد خمسين كيلو متر مثلاً ، فنحن لا نصحح الواقع ونقول لابدّ من نقل قم من جنوب طهران إلى شمال طهران وأن تكون المسافة 140 كيلو متر مثلاً ، فكذلك في الشرع الإلهي عمل المسلم يحكم عليه الشرع بأُسسه ، وفي الدين الإسلامي يحكم عليه الشرع بكتابه العزيز وسنّته النبويّة الشريفة .

وأمّا الفكرة الأخرى فإنّها انتزعت من عمل خاص وقع في موقع خاص انتزعوا منه فكرة ، وكان لذلك العمل الخاص جهات إيجابية وجهات سلبية ، فقالوا بأنّ الإمامة تنعقد بعدّة شروط وضوابط ذكروها ، والجهة الإيجابية في ذلك العمل الخاص هي البيعة التي وقعت بعد رحلة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المدينة المنوّرة بعد رحلته بيوم ، ولم يُقبر جثمانه بعد ، بل لم تجر عليه الأحكام الواجب إجرائها على كُلّ مسلم عندما يرحل إلى لقاء ربّه ، وهذه الفكرة إيجابية ; لأنها كانت إيجابية في تلك العملية ، أي : خلافة السقيفة . وهذه الفكرة لا تشترط أن يكون الشخص فيها معصوماً ، لماذا ؟ لأن الشخص الذي بايعوه في السقيفة لم يكن معصوماً فأختاروا عدم اشتراط العصمة في الخليفة .



فالفكرة هنا فكرة منتزعة من واقع عملي ، وأوّل سؤال يثار هنا ويحقّ لكل إنسان أن يسأله هو أن الدستور ينتزع من الفعل وينتزع منه دستور عام ؟

**هل روعيت الشروط اللازمة عند انتخاب الخليفة في السقيفة ؟**

والسؤال الثاني هو : هل روعي في ذلك الانتخاب جميع الجهات اللازم توفّرها في الانتخاب بحيث إنّهم حينما رأوا أن يبايعوا شخصاً فكّروا في أنّ الذي يخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد رحلته ما هي الشروط التي يلزم توفّرها فيه ؟ لنترك المستحبات جانباً ، ولكن السؤال حول الواجبات ، فهل فكّروا في الشروط الواجب توفّرها أم لا ؟

اعترفوا بأنّها كانت عملية مستعجلة اضطروّا لها ; لأنهّم لم يجدوا بديلا آخر كما يقولون ، ولم يلحظوا هل أن هناك خيارا واحداً أم خيارات متعدّدة ؟ وهذا الخيار الواحد هل كان يتمثّل في شخص واحد وهو الخليفة الأوّل أبو بكر أم كانت هناك خيارات متعددة في الرجال ؟ كما أنّ هناك خيارات متعددة في كيفية الاستخلاف يعني استخلاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) والشروط التي يلزم أن تتوفّر في الخلافة ومن يُنتخب كخليفة ؟

نعم ، خصومهم يقولون بأنّ البيعة كانت مبيّتة من قبل ، أقرّها ووافق عليها وتعاهد عليها جماعة ، فخصومهم يسوؤن الظن بهم ويعدّوها انقلاباً ، هذا حسب رأي من يقولون إنهّا مؤامرة أو ائتمار على أخذ السلطة الإلهيّة التي كانت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وانتزاعها ممن لو لم ينتزعوها منه لكانت وصلت إليه بعد رحلته (صلى الله عليه وآله) .

وهم يقولون بأنّهم فوجئوا بعمل ليس فيه مصلحة لعموم المسلمين ، بل ليس من مصلحة قريش كقبيلة ، فقاموا بعمل هم يعترفون بأنّه مرتجل ، ويعترفون بأنّه يومذاك . من جهة الزمان . لم يكن لهم خيار آخر ، يعني لو تلكؤوا ساعة لفات الوقت ، لا أنّهم فكّروا فلم يجدوا خيارا في الأشخاص إلا شخصا واحدا وهو



الخليفة الأوّل ، ولم يجدوا خيارا في الشروط إلا الشروط التي زعموا بأنها متوفرة في الخليفة الأول . هذا من جهة .

**خلاصة البحث الأوّل :**

فخلاصة هذه الجهة أنّ التطبيق أساس انتزاع الفكرة عند الخلافة وعند من يؤمن بها كعملية إنسانية من المسلمين لا إسلامية من الشرع الإسلامي ، والرأي الآخر أنّ الفكرة منتزعة من الشرع عند من يقول بالإمامة الإلهية ، وأنّه ينتزعها من النصوص التي يسلّم بأنّها تعنى بأمر الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، مما جاء في القرآن الكريم ، ومما جاءت به السنة النبويّة الشريفة .

وهناك مطلب مهم لمن يؤمن بأنّ الإمامة منتزعة من السنة وهو أنهّم يستدلون بما يقر به خصومهم وما يرويه خصومهم ويتّفق معهم بالرواية والحديث كي لا يقال بأنهّم خصوا أنفسهم بالسنة ، وأنهم انتزعوا الفكرة مما خصوه بأنفسهم من السنة ، فيكونون هم الحكّام وهم الذين يرفعون الدعوى وهم القضاة وهم الشهود ، وأنهّم وحدهم نصبوا أنفسهم كمقيمي دعوة وكشهود على صحّة الدعوى وكقضاة يصدرون الحكم المناسب لهذه الدعوى ، فنجدهم من أول يومهم تقيدوا بأن يدخلوا في نطاق السنة النبويّة التي يستدلون بها على صحّة فكرتهم في الإمامة بما يقر به خصومهم . هذه من جهة .

الجهة الثانية قلت : في نطاق الفكرة الذين قالوا بالإمامة الدنيوية يعني إدارة ما يحتاج إليه المجتمع المسلم في شؤون الدنيا ، وأنا لا أفتي على غوي ولا أنتزع النص من نفسي وسيمرّ عليكم أحد الأدلة التي أستند إليها فيما بعد .

فالخليفة الثاني أبو حفص عمر بن الخطّاب .وقلت في حديث مع بعض الإخوة : لولا أبو بكر لم يكن عمر هو الخليفة الثاني ، ولولا عمر بن الخطّاب لم يكن أبو بكر هو الخليفة الأول ، فأحدهما أعطى لغوه أو مكنّ غوه من الخلافة . من أول الأمر كان يحلم بأنّ هذا المنصب سوف يعاد إليه كاملاً غير منقوص ، قال



تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[1] ، وقوله : «اختونا لدنيانا من اختاره الله لديننا»[2] أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر أبا بكر بالصلاة بالمسلمين في حياته (صلى الله عليه وآله) .

وأقولها صراحة إنّ هذه دعوى يكذّبها نصوص الذين ادعّوا دلالتها عليها .

## صلاة أبي بكر بالمسلمين في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

طبعاً هذا الحديث خارج عن المجال الذي نحن الآن بصدده ،وأنا أتناوله بشكل موجز ،وهو أنّ أحاديث صلاة أبي بكر بالمسلمين في مرضه (صلى الله عليه وآله) تبلغ حدود مائة حديث ، ثلثها عن عائشة بنت أبي بكر ،وأكثر أحاديثها صحيحة النسبة إليها ، يعني تُروى بأسانيد يعترفون بصحتّها كالبخاري ومسلم وسائر الجوامع الحديثية عندهم ، ولكن حديثها يتناقض بعضه مع البعض الآخر ، ولو أردنا دراسة الأحاديث حديثاً تلو الآخر لانتهينا إلى نتيجة عدم صحّة الحديث ، تقول الرواية : في صلاة الغداة من يوم الاثنين ، يعني في صلاة الصبح من يوم الاثنين ، اشتدّ بالرسول (صلى الله عليه وآله) مرضه ، فقدّم له مخضب ليتوضّأ فيه ، فأغمي عليه ، ثمّ أفاق وقال : أصلّيّ بالمسلمين . الألفاظ تختلف . أم صلى ّالمسلمون ؟

قالوا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ، فدعى بالمخضب ليتوضّأ فأغمي عليه ، ثمّ أفاق وقال : أصلىّ المسلمون ؟

قالوا لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ، وفي المرّة الثالثة لمّا أغمي عليه أرسلت ابنة أبي بكر إلى أبيها أن يصليّ بالناس وأرسلت حفصة إلى أبيها أبي حفص أن يصلّي بالناس ولكن أبا حفص قدّم أبا بكر للصلاة ، ولمّا أفاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) سأل : أصلّى المسلمون ؟

1- المطففين : 2 ـ 3 .
2- انظر : السقيفة وفدك : 65 ، شرح نهج البلاغة 6 : 39 .



قالوا : بأنّ أبا بكر صلّى بهم ، ولم يكن يومذاك خليفة عملياً ،ولا الخليفة المرشح في الاستفتاء الآتي ، ولم يكن هناك استفتاء ولا لجان انتخابية ولا صناديق اقتراع ، كلّ هذا لم يكن ،ولا يأتي في ذهنكم أن تقيسوا تلك العملية بمفردها فليس لها ثان بكلّ ما تعرفونه من كيفية الانتخاب والاقتراع والاختلاف فيمن يُنتخب والاختلاف فيمن ينتخب بما جاء في غير ذلك المورد .

قال : جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يتهادى بين رجلين ، ورجلاه تخطّان الأرض بحيث لم يكن (صلى الله عليه وآله) قادراً على أن يعتمد على رجليه بحيث يجعلهما مستقرتين ثابتتين على الأرض لشدّة المرض ، فكان رجلاه تخوان

جرّاً على الأرض ، طبعاً المشي المستقيم هو رفع رجل ووضع أخرى هذا واضح ، وأما الذي لا يمكن أن يمشي فلو أخذ ولم يرفع بحيث ترتفع رجلاه عن الأرض فإنّ رجليه سوف تخطّان الأرض خطاً ، وهكذا يقولون بالنسبة إليه (صلى الله عليه وآله) أنّ رجلاه كانتا تخطّان الأرض إلى أن جاء إلى المحراب فنحّى أبا بكر عنه ، وكان (صلى الله عليه وآله) من غلبة المرض عليه لا يقدر على القيام فصلّى جالساً وأبو بكر يصلّي بصلاته ، تعبيرهم هذا فيه نوع من الاحترام ، فكان أبو بكر يصلّي بصلاة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وكان الناس يصلّون بصلاة أبي بكر .

هذا لا يعني أنّ جماعة واحدة لها إمامان وصلاتان ، فإنّ الأمر ليس كذلك ، والإمام كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهي آخر صلاة صلاّها صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين بالمسلمين ، ولم يعش بعدها إلى صلاة أُخرى ; لأنّه توفّي في الضحى من ذلك اليوم ، يعني قبل الظهر بساعتين تقريباً ، فآخر صلاة صلاّها بهم هو كان الإمام ، والصلاة التي صلاّها المسلمون ائتمّوا به .

نعم ، لم يكونوا يرونه ; لأنّه كان جالساً ، فكانوا يجعلون تبعية أبي بكر له في أعماله علامة على تلك الأعمال وصدورها منه (صلى الله عليه وآله) ، فإذا قام أبو بكر من جلوسه علموا بأنّه (صلى الله عليه وآله) قام من سجوده ، وإذا سجد علموا أنّه قد سجد ; لأنّهم لم يكونوا يرونه.



يقول أبو حفص : «إنّا قد اخترنا لدنيانا من اختاره الله لديننا» ، أي : إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) اختار أبا بكر للائتمام بنا في الصلاة فاخترناه للاستخلاف علينا ، وهي دنيا .

شروط الإمامة في الصلاة عندهم شروط باهتة جدّاً ، ويكفينا إجماعهم على روايتهم عنه (صلى الله عليه وآله) قوله فيما ينسبونه إليه : «صلّوا خلف كلّ بر وفاجر»[1] ، فشروط الصلاة عندهم لا تمنع أن يكون الإمام فاجراً ، ولا يحتاج إلى كونه برّاً فيما لو أراد أن يصلّي بالمسلمين صلاة جامعة صحيحة .

وأكثر من هذا لو أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر شخصاً بأن يغسل موتى المسلمين في حياته فهل يعني أنّه اختاره لدين المسلمين ؟ عملية غسل الميت واجب كفائي على كلّ مسلم ، طبعاً هناك من يحسن وهناك من لا يحسن ، وهناك من يقدر وهناك من لا يقدر ، فلنفرض أنّ الولد الذكر بلغ سن التكليف ولكن لا يقدر على غسل الميت أو لا يقدر على تكفين الميت أو لا يقدر على حفر القبر ودفن الميت ، فلو أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عيّن شخصاً كي يتولّى تهيئة مدافن للمسلمين في حياته (صلى الله عليه وآله) فهل يصح لنا أن نقول بأنّ رسول الله اختار هذا لديننا فلنختره لدنيانا ونسند إليه قيادة الأمّة وجيوش المسلمين ؟ !

إذن الذي أريد أن استشهد به أنّ الخلافة عندهم عمل دنيوي يبتعد عن الدين حتّى بالقدر الذي يرتبط بالدين ، كالأعمال الواجبة بالنسبة إلى موتى المسلمين ، هناك في إعداد السقيفة حينما أرادوا أن يضحوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، يعني يحفروا له قبراً ، كان هناك من يضحّ على طريقة أهل مكّة وهو أبو عبيدة بن الجراح ، وهناك من كان يضحّ على

طريقة أهل المدينة ، فاختلفوا فيمن يحفر القبر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) كما يقولون ،وأنا أحكي التاريخ الذي اتّفقوا على حكايته فقالوا :

1- السنن الكبرى للبيهقي 4 : 19 ، عون المعبود 2 : 214 ، تأويل مختلف الحديث :12 ، كنز العمال 6 : 54 .



بأنّ رسول الله إنسان قرشي من أهل مكّة فينبغي أن يضوح له أو كما يقولون أن يلحد له كما يضوح لأهل مكة ; لأن أهل مكّة كانوا يلحدون للميت ،وأهل المدينة لا يلحدون ،وإنّما كانوا يسنمون له سناما مِن التراب فيسندون الميت إليه [1] .

وذكروا أنّ أبا عبيدة كان زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يضوح لمن يموت من المهاجرين في المدينة ، فهل نقول بأنّ رسول الله إرتضاه لدين المسلمين فكيف لا نرتضيه لدنيا المسلمين نسند إليه كشخص لا كفكرة قيادة المسلمين ؟ ! أو من اختاره رسول الله (صلى الله عليه وآله) للأذان ؟ !

لا شكّ في أنّ بلالا الحبشي كان مؤذنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) اختاره رسول الله (صلى الله عليه وآله) للأذانَ وكان فيه نقص في أداء الحروف العربية ، وكلّكم سمعتم ما يرُوى عنه (صلى الله عليه وآله) من أنّ : «سين بلال عند الله شين» [2] ، يعني كان لا يتمكّن من النطق بالشين ،وهي الصوت العربي ، يعني الصوت السامي الذي جاء في عامّة اللغات السامية كالعبرية فهل نجعل بلالاً خليفة لرسول الله ; لأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) اختاره لديننا فلمِ لا نختاره لدنيانا ؟ !

فهل يصح مثل هذا الكلام ويكون حجّة ؟ !

أنا واثق بل قاطع بأنّ أبا حفص أذكى من أن يصدقّها في نفسه ، ولكن تعلمون لماذا قال ذلك القول ؟ لأنهّ وجد من يصدقهّا ولو بدرته فقالها ،والدليل على ذلك أنّ الذي أقرّ بتلك الخلافة إلى يومنا هذا لم يأت واحد ويقول : بيعة أبي بكر صحيحة لا أناقش في صحّتها ، ولم تكن فلتة ولكن وقى الله المسلمين شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه [3] . كما قال أبو حفص .وهي صحيحة حسب التعبير الدارج مائة بالمائة ، ولكن الحجّة عليها أنّ أبا بكر اختاره رسول الله (صلى الله عليه وآله) للصلاة بالمسلمين ، فلزم على المسلمين أن يختاروه خليفة لهم ، فإن صلّى أبا بكر

1- انظر : فتح العزيز 5 : 205 ، تلخيص الحبير 5 : 204 ، المبسوط للسرخي 2 : 61 .
2- كشف الخفاء 1 : 464 ، البداية والنهاية 5 : 355 ، 7 : 117 .
3- مسند أحمد 1 : 55 ، صحيح البخاري 8 : 26 ، مجمع الزوائد 6 : 5 .



بالمسلمين يوماً واحداً أو صلاة واحدة فبلال الحبشي أذنّ للمسلمين على الأقل عشرة أعوام في حياته (صلى الله عليه وآله) ، ولم يدّع مدّع بأنّ بلالا اًختاره الله تعالى لدينه مع الأخذ بعين الاعتبار قوله (صلى الله عليه وآله) : «سين بلال عند الله شين» ،وأنّ هذا الأذَان يرتضيه الله سبحانه وتعالى ، فإذن يصح لنا أن نقول : إنّ بلالا كًان مؤذنّ الله تعالى ومؤذنّ رسوله

صلّى الله عليه وآله ، أي : أنّ الله تعالى رضي لنبيّة (صلى الله عليه وآله) أن يختار بلالا للأذان بالمسلمين واعلامهم مواقيت صلاتهم في أيّامهم وجُمعهم ، فهل يصح لنا أن نقول : من اختاره الله لديننا مباشرة ; لقوله (صلى الله عليه وآله) : «سين بلال عند الله شين» ، يعني هذا النقص أيضاً جوه الله سبحانه وتعالى أن يُجعل خليفة ؟ !

إنّ أبا حفص أذكى من هذا ، ولكنه وجد من يسمع لقوله فقال ، ووجد من يضطر نفسياً لسماع كلامه ، وما أكثر هؤلاء الذين يضطرون نفسياً لسماع كُلّ كلمة من قادر يرون أن له القوة من دون أن يرفع سوطا أوً يوجه إليهم نرة .ّ

وجد هؤلاء يقبلون قوله فقال ما قال .

**من قال بأنّ ما ذكر من حجج كانت مقصودة لأصحاب السقيفة :**

ولقائل أن يقول : إنّ كُلّ هذه الحجج صيغت فيما بعد ، ويوم السقيفة كما يفصلة أبو حفص نفسه وسأقرأه عليكم كان له اتّجاهات معيّنة ومواعيد معينة وحجج معينة ، بعد ذلك كلماُ وّجه إلّى هؤلاء أو المدافعين عنهم أنه لبسّ في العمل أو إبهام في الرأي أو تشكيك في صحّة العمل أو مخالفة فيما انتهوا إليه افتعلوا حجّة وصاغوها من هنا وهناك وأضافوها إلى حجج السقيفة .

انا لا أحمّل أبا حفص فإنّه لا نتطلي عليه هذه الحجة أو المغالطة ،من ارتضاه الله لديننا كيف لا نرتضيه لدنيانا ؟ توافق الدين والدنيا في موضوع شيء مطلوب وصحيح ، إذ كيف لا نرتضي من ارتضاه الله لديننا ؟ !

حينما جمع نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) المسلمين في تلك الفلاة من الأرض في موقع كان اللبث هناك ساعة من النهار من أصعب ما يمرّ على السائر الذي يحاول أن



يتخلّص من ذلك الحر في تلك الفترة ، وهي فلاة غدير خم ، جمعهم (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله سبحانه وتعالى ، وقال فيما قال : «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟

قالوا : اللّهم بلى .

قال : اللّهم اشهد وكفى بك شاهداً على العباد ، ثمّ قال :رفع بضبعي علي حتىّ بان بياض إبطيهما ، ثم قال : من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»[1] .

من كنت مولاه بحسب الشرع لا من كنت مولاه بحسب القرابة ، من كنت مولاه بحسب المقام والمنصب الإلهي لا بلحاظ أنّه كان يملك عبيداً وإماءً ، فهو مولاهم ، أي : المالك لهم ، ومعنى من كنت مولاه يعني بحسب الشرع من جعلني مولى له فهذا عليّ مولاه .

والشاهد على ذلك أنّه يطلب من الله سبحانه وتعالى الرقابة الإلهية دعاءه بعد ذلك بقوله : «اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»[2] ، فلو كان هناك قيام لخيار المسلمين في دنياهم بخيار الله سبحانه وتعالى لهم في دينهم ، فالخيار المناسب الذي أخطأوا فيه بأنّ ذكاء أبي حفص لا يغفل عن هذا .

نعم ، سائر الأشياء النفسية التي كان يملكها أبو حفص والرواسب التي كانت قد ارتسبت في نفسه كانت تقل .

وأمّا ذكاؤهم فلم يكن يقل عن إيجاد الملاءمة بين هذه الدنيا وهذا الدين ، الدين الذي يجعل من ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ولاية رسول الله نفسها ، بل ولاية الله سبحانه وتعالى نفسه : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ﴾ لا أولياءكم ﴿ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [3] .

---

1- أُنظر نظم درر السمطين : 93 ، فتح القدير للمناوي 6 : 282 ، تفسير فرات : 545 ، كشف اليقين : 242 .
2 - مسند أحمد 4 : 372 وصححه محقق المسند ، صحيح ابن حبّان 15 : 275 ، المستدرك للحاكم 3 : 118 ، المعجم الكبير 4 : 16 وغيرها من المصادر .
3- المائدة : 55 .



فهذه الحجّة وهي أن نختار لدنيانا من اختاره الله لديننا سواءً كانت حجة صحيحة قائمة على صحة ما صنعه أصحاب السقيفة أو صاحب السقيفة وحده أو لم تصحّ تعطي فكرة الخلافة أو إطار الخلافة في مفهومها الدنيوي عند هؤلاء ، فالخلافة عمل دنيوي قائم على حاجة الأمّة إلى من يتولّى الأمور العامة للمسلمين ، إذا لم يكن هناك من شغله ولو بتغلبّ أو سيف وما شابه ذلك .

## ما هي شروط إقالة الخليفة ؟

الجزء الرابع من هذه المجموعة هو : هل ينخلع الإمام بالخلع ؟

هناك أقوال كثيرة لو أردت أن أقرأ بعضها لطال عليكم الحديث ، ولكنهم اتّفقوا على أنّه لا يجوز الخروج على الإمام بالسيف وإن كان فاجراً فاسقاً ، سافكاً للدماء ، ظالما للعباد ، آخذا لحطام الدنيا ، يصنع كل منكر ، ويتجنب كل معروف فلا يجوز الخروج عليه بالسيف ، بل لا يجوز خلعه .

وإذا قلنا لهم : لماذا لا يجوز خلعه ؟ قالوا : لأنّ الخلافة ثبتت في أعناقهم ، فصعب عليهم أن يقولوا بأنّ الستة . مثلا في مسألة استخلاف عثمان . اختاروا رجلاً لم يكن كفؤاً للخلافة ، لأنّ هذا لو التزموا به لزمهم خلع أكثر الحكامّ الذين حكموا المسلمين ، أقولها صراحة ولا أقصد الحكّام الذين جاؤوا إلى الحكم وهم فجّار ، وانمّا أعني الحكامّ الذين جاؤوا إلى الحكم وهم صبيان ، الحكّام الذين جاؤوا إلى الحكم وهم يدّعون التقيدّ بالدين كما يقال في عبد الملك بن مروان أنه كان حليف مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأنّه كان حليف القرآن ، فلما جاءته الخلافة ووصل الخبر بأنهّ خليفة أطبق القرآن وقال : «هذا فراق بيني وبينك» [1] .

إذن لو جوّزنا خلع الخليفة لوجب عليكم خلع أكثر حكّامهم ، فلذلك التزموا بأن الخليفة ولو كان كعثمان استأثر بما استأثر به وعمل كعمل ولاة عثمان ،

---

1- أقسام المولى : 39 ، تاريخ مدينة دمشق 37 : 127 ـ 128 ، البداية والنهاية 9 : 76 ـ 77 .

وعثمان هو الذي يتحمّل في عنقه أعمالهم ،ولا أقول آثامهم ولا أقول جرائمهم كي لا أجرح عواطفهم لأنّي يشهد الله تعالى لا أحب تجريح العواطف ، ولكن أقولها صراحة إنّني حينما أحترم هؤلاء الحكّام لا لأنيّ أجد فيهم ما يستحق الاحترام ، وانما أحترمهم لأجل إخواننا المسلمين المخالفين الذين يتّبعونهم ويحترمونهم ، ونحن بأمس الحاجة إلى أن تتحد عواطفنا ونتّحد فيما بيننا ، خصوصاً في زماننا هذا الذي كثر فيه أعداؤنا علينا ، فأحترم أولئك لأنّي أحترم عواطف هؤلاء الإخوة ، وأتحفظ مهما استطعت مع أنّ عاطفتي تثور فأجعلها في الباطن ولا تنعكس على اللسان والنطق احتراماً لهؤلاء الإخوة .

أقول إخوة لإخلاصهم للإسلام واتّخاذهم إيّاه دينا إلهيا لكن اختلفوا في الأشخاص ، فبعضهم يرى أنهمّ أعداء الله سبحانه وتعالى والآخرون .ولا أقصد النسبة العددية وأنّ الذين يرون احترامهم كم عددهم وأنّ الذين لا يرون احترامهم كم عددهم . وجدوهم أولياء الله تعالى ، فالاختلاف في أمر ثالث وليس الاختلاف في صدق إيمان المؤمن وإسلام المسلم ، ككل لا كأفراد ، وإلاّ أنتم تعلمون أنّ أي مجتمع تحكمه فكرة ليس من الضروري أن كل منّ يكون ضمن ذلك المجتمع يؤمن بتلك الفكرة أو حتّى يظهر إيمانه بها هذا شيء واضح .

أقول إنّ أبا حفص أذكى من هذا .

إذن ما الواقع ؟

الحديث المشهور المروي عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ،وغالباً ما يعنونونه في المجاميع الحديثية بحديث السقيفة ولرجوعا إلى مسند أحمد بن حنبل[1] المحدّث المعروف ، في مسند الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، لأنهّ جمع مسند الصحابة على أساس مسانيد العشرة المبشّرة ، وفي مقدمّتهم الخلفاء الأربعة فبدأ بمسند أبي بكر ثم بمسند الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ،وهناك يذكر حديث

1- مسند أحمد 1 : 55 .



السقيفة ،وهذا في كثير من المجاميع الحديثية كمصنف عبد الرزاق بن همام[1] المحدّث المعروف المتوفّى سنة 211 هـ .

وأساس الحديث يروى عن ابن عبّاس قال : «كنت أُقرئ جُماعة من الصحابة القرآن الكريم .وعبد الله بن عباسّ حينما توفّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أكثر ما يقال عن عمره أنهّ كان في سنّ الخامسة عشر ،وهناك من يقول بأنه لم يكن قد بلغ الحلم ، عبد الرحمن بن عوف في الستة الذين تابع خمسة منهم سادسهم وهو الخليفة الأوّل أبو بكر ، هو من الستة الذين تقدّم إسلامهم على هجرته (صلى الله عليه وآله) ، فأسلموا يوم أن كان بمكة المكرمة ،ولا يهمّني أن يكون إسلام أبي بكر في أولى سنوات البعثة فعلى كلّ هؤلاء الأشخاص إسلامهم قديم وهم بدريون وأحديون ومن أصحاب بيعة الرضوان إلى ما هناك من فضائل صحّت أو لم تصحّ ، فعبد الرحمن الذي كان في عمر عباسّ بن عبد المطلب في السنة الثالثة والعشرين من الهجرة النبويّة ، يعني ثلاث عشرة سنة بعد رحلته (صلى الله عليه وآله) لم يكن قد أكمل تعلمّ القرآن ، فكان عبد الله بن عباسّ يعلمهّ

القرآن .

وهناك شيء فحتّى لا يخدع أحد هناك من يقول بأنّ عبد الله بن عباّس لا يمكن أن يعتمد على روايته ، ويقولون ذلك حينما يجدون فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) قد حكاها عبد الله ، وحينما يجدون بأنّه قد روي عنه فضائل غيره فيصفوه بحبر الأمّة ومن مثل ابن عباّس أعطي علماً ، ويقولون بأن عّبد الله بن عباسّ لم يكن قد بلغ الحلم يوم أن مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلا يعتمد على نقله الحديث مباشرة ; لأنّه كان صبياً ولم يكن يعي ما يسمع أو يرى ، لو صح ذّلك صح بالنسبة إلى ما يرويه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا ما يرويه عن أبي حفص ابن الخطاب الذي كان أحد معلّمي ابن الخطاب[2] وأصحابه كعبد الرحمن بن عوف يقول أحمد

1- المصنف لعبد الرزاق 5 : 439 .
2- ذخائر العقبى : 233 .



ابن حنبل والطوي والبلاذري وابن الأثير وابن أبي الحديد[1] : «كنت أُقوئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف ، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر ابن الخطاب في آخر حجّة حجّها . هذه الحجة سنة 23 هـ إذ رجع إليّ عبد الرحمن فقال : لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال : يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول : لو مات عمر بايعت فلاناً ، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلاّ فلتة فتمّت ، فغضب عمر ، ثم قال : إنيّ إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهمّ هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم .

قال عبد الرحمن : فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل فإنّ الموسم يجمع رعاع الناس وغوغائهم ، إلى أن يقول : فلم أنشب أن خرج عمر ابن الخطاب فلمّا رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف ، فأنكر عليّ وقال : ما عسيت أن يقول مالم يقل قبله .

فجلس عمر على المنبر ، فلمّا سكن المؤذّنون قام فأثنى على الله بما هو أهله ثمّ قال : أما بّعد ، فإنيّ قائل لكم مقالة قد قدر ّ لي أن أقولها ، لا أدري لعلّها بين يدي أجلي ، فمن عقلها ووعاها فليحدّث بها . . .

ثمّ إنّه بلغني أن ّقائلا منكم يقول : والله لو مات عمر بايعت فلانا ، فلا يغترن امرؤ أن يقول : إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة فتمّت ، ألا وإنّها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرهّا ، وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر ، من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي تبايعه تغرة أن يقتلا . .»[2] .

1 - مسند أحمد 1 : 55 ، تاريخ الطبري 2 : 445 ، ونسبه القسطلاني في إرشاد الساري 14 : 279 إلى البلاذري في الأنساب ، وابن الأثير في كامل في التاريخ 2 : 326 ، شرح نهج البلاغة 2 : 22 .
2- صحيح البخاري 6 : 3503 باب رجم الحبلى ، مسند أحمد 1 : 372 أوّل مسند عمر بن الخطاب ، السنن الكبرى للنسائي 4 : 372 ، مسند البزار 1 : 142 ، المصنف للصنعاني 5 : 439 .



ونذكر مسألة مهمّة في المقام وهي أنّ المذاهب الأربعة كلهّا متفقّة على أن الإمامة تنعقد بمبايعة شخص واحد ، قال

الجويني في الإرشاد : «اعلموا أنّه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع ، بل تنعقد الإمامة وإن لم تجتمع الأمّة على عقدها ، والدليل عليه أنّ الإمامة لمّا عقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين . . . فالوجه الحكم بأنّ الأمّة تنعقد بعقد واحد من أهل الحلّ والعقد . . .»[1] .

وقال ابن العربي المالكي : «لا يلزم في عقد البيعة للإمام أن تكون من جميع الأنام ، بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد على الخلاف المعلوم فيه»[2] .

وقال القرطبي في تفسيره : «إن عقدها واحد من أهل الحلّ والعقد فذلك ثابت ويلزم الغير فعله ، خلافاً لبعض الناس حيث قال : لا تنعقد إلاّ بجماعة من أهل الحلّ والعقد .

ودليلنا أنّ عمر رضي الله عنه عقد البيعة لأبي بكر ، ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك ،ولأنّه عقد فوجب ألا يفتقر إلى عدد يعقدونه كسائر العقود»[3] .

قال الإمام أبو المعالي : «من انعقدت له الإمامة بعقد واحد فقد لزمت ،ولا يجوز خلعه من غير حدث وتغير أمر ، قال : وهذا مجمع عليه» .

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية : «والإمامة تنعقد من وجهين :

أحدهما : باختيار أهل الحلّ والعقد .

والثاني : بعهد الإمام من قبل .

فأمّا انعقادها باختيار أهل الحلّ والعقد ، فقد اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتىّ ، فقالت طائفة : لا تنعقد إلاّ بجمهور أهل

---

1- الإرشاد للجويني : 424 .
2- شرح صحيح الترمذي 13 : 229 .
3- تفسير القرطبي 1 : 269 .



الحلّ والعقد في كلّ بلد ليكون الرضا به عاماً ،والتسليم لإمامته إجماعا ،وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر رضي الله عنه على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينظر في بيعته قدوم غائب عنها .

وقالت طائفة أُخرى : أقل من تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة استدلالاً بأمرين :

أحدهما : إنّ بيعة أبي بكر رضي الله عنه انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ، ثمّ تابعهم الناس فيها ،وهم : عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وأسيد بن حضير وبشير بن سعد وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم . . .وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلّمين من أهل البصرة .

وقال آخرون من علماء الكوفة : تنعقد بثلاثة يتولاّها أحدهم برضى الاثنين ليكونوا حاكماً وشاهدين ، كما يصح عقد النكاح

بولي وشاهدين .

وقال طائفة أخرى : تنعقد بواحد ; لأنّ العبّاس قال لعلي رضوان الله عليهما : امدد يدك أبايعك . . .»[1] .

والملاحظ في الكلمات السابقة أنّهم يقبلون عقد الإمامة بواحد ويستشهدون على ذلك ببيعة أبي بكر ، حيث لم يبايعه إلاّ نفر قليل ممن حضر السقيفة على شدّة الاضطراب الموجود فيها والاختلاف الذي حصل بين الصحابة أنفسهم .

فإذن الواحد في نظر الكلّ بيعته تكفي ليكون المبايع إماماً شرعياً واجب الطاعة ولا يجوز الخروج عليه ولا يجوز خلعه ، وبيعته لازمة في الأعناق ، ويستدلّون على صحّة هذا الرأي ببيعة أبي بكر ، حيث بايعه عمر مع نفر آخر فأصبح خليفة وأصبحت بيعته لازمة . وأخذوا بفعل عمر ليكون دليلاً شرعياً وسنة يسيرون عليها إلى يوم الناس هذا .

1- الأحكام السلطانية للماوردي 6 ـ 7 .



وكلّ ما يترتّب على ذلك من ظلم أو حيف أو جور فهو في عنق عمر وأبي بكر إلى يوم القيامة ، لأنهّما هما اللذان سنا هذا السنّة وأسسا هذا المذهب الفاسد ، وصارت شعاراً ومنزلاً لهم يقتدى بها ويؤخذ منها لتثبيت الظالمين ظلمهم والحكام جورهم ; لأنّ عمر بن الخطاب هو الذي مكنّهم من ذلك ومهدّ لهم الطريق ، وسهلّ عليهم مسألة الوصول إلى الحكم والتلاعب برقاب وأعراض وأموال المسلمين .

ولو سلّمنا أنّ عمر كان يرى أبا بكر خير المسلمين وأفضلهم ، لكن هذا لا يكون دليلاً على أن يشرع الخلافة ببيعته وحده لأبي بكر ، فكلّ شخص يرى شخصاً آخر خير المسلمين وأفضلهم ، وعلى هذا يلزم التضارب والتضاد في الأفعال ووقوع الفساد في المجتمع أشدّ مما لو ترك المسلمون بدون خليفة الذي خاف منه عمر وأسرع إلى السقيفة مبايعاً أبا بكر .

**نقطة مهمّة تجدر الإشارة لها :**

هذه الخطبة ذكرها عمر بن الخطاب بعد رجوعه إلى المدينة وقبل أن يطعن بثلاثة أيّام حسب ما دلّت عليه التواريخ حيث ذكر هذه الخطبة في سنة 23 هـ في يوم الجمعة ، وطعن في يوم الاثنين 23 هـ ، ومات يوم الأربعاء 29 من ذي الحجّة سنة 23 هـ .

وكان عمر يعلم بأنّه سيقتل ; لأنّ المهاجرة كانوا من قريش ، وهم أهل الخلاف ولا يرضون بأفعال عمر ولا أن يأتي شخص آخر خارج نطاقهم وأفكارهم ، وهناك شواهد كثيرة على ذلك ، حيث إنّ الذي طعن عمر غير عربي مع أنّ عمر حرّم دخول السبي الذين يزيد عمرهم عن اثنتي عشرة سنة ، لكن هذا أدخله ووضعوا في يده حربة وحرّضوه على قتل عمر بن الخطاب ، وبالفعل قتل عمر رغبة في ذلك وتوافقاً مع رغبة قريش التي أرادت التخلّص من عمر بمختلف الطرق .



**ما معنى الفلتة الواردة في كلام عمر ؟**

إذارجعنا إلى معنى الفلتة الوارد في خطبة عمر حينما قال : «كانت بيعة أبي بكر فلتة» نجد أنّ معناها اللغوي هو الأمر الذي لا يكون عن تدبّر ولارأي ولا تردد [1] ، فمعنى الفلتة ما يكون أمراً متسرّعا لَم يقع عن إحكام وتدبرّ ورؤية واضحة ، أي : لم يكن مدروساً سابقاً . هذا هو معنى الفلتة لغة ً .

والآن إذا أردنا أن نحاكم كلمة عمر التي أطلقها ، فهل واقعاً لم تكن بيعة أبي بكر أمراً مدروسا ًمسبقا وًكانت على حين غفلة ووقعت سريعاً وفجأة ؟

إذارجعنا إلى ما حدث في سقيفة بني ساعدة نجد أنّ الأمر لم يكن كما قال عمر ، إنمّا جرى هناك نزاع بين الأنصار والمهاجرين ، ثمّ اختلف الأنصار فيما بينهم ، ثمّ دخل أبو بكر وألقى خطبة رنانة حدد موقع المهاجرين من الخلافة والأنصار ، ثمّ جرّ عمر يد أبي بكر للبيعة فبايعه ، فهل هذه الأحداث واقعة جميعا ًفجأة ومن غير تروٍّ وتفكر ّأم أن هنّالك تخطيطا مسبًقا ً عند القوم أبرزوه عند السقيفة ؟

والأمر الثاني هو الذي تؤيّده الأحداث ويرفضه عمر نفسه وواقعه ، فلا يمكن أن نقبل قوله الأخير في الفلتة ونترك قوله الأوّل حينما ادّعى زورا أن أبا بكر أفضل شخص بعد النبي (صلى الله عليه وآله) .

فإذن الأحداث وقعت على غير ما بيّنها عمر من فلتة ، بل وقعت ضمن أطر محددة مسبقة متكاملة ، كانت فيها تردد أبي بكر عندما طلب منه البيعة من ضمن السيناريو أو أنّه لم يكن يتوقّع استيلاءهم على الخلافة ببساطة فائقة مع أنهّم دخُلاء على السقيفة وعلى المسلمين باعتبارهم من المهاجرين .

ثمّ يقول عمر : «إنمّا كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمتّ ، ألا وانهاّ قد كانت كذلك ، ولكن الله وقى شرهاّ . . . من بايع رجلا ً من غير مشورة من المسلمين فلا بيعة له تغرة أن يقتلا» .

---

1- معجم مقاييس اللغة : 448 .



وهنا مفردات ثلاث :

1 . إنّ بيعة أبي بكر فلتة : وقد تقدمّ منا ّبيان هذه المفردة ، وأن الأحداث لا توافق هذه المقولة ، وأن اختيار أبي بكر من قبل عمر كان عن خطة مبيّتة رسمها عمر ومن معه للاستحواذ على الخلافة وأخذها من صاحبها الشرعي .

2 . وقى الله شرها : وهذه أيضاً مفردة أخرى لم يصدقّ بها عمر ابن الخطاب ، بل إن ّبيعة أبي بكر فتحت على الأمة ّشرا ً كبيراً ، وأوّل شر كان هو ضرب الزهراء سلام الله عليها والهجوم على دار الزهراء حتىّ أن أبا بكر أطلق ندمه المشهور في كتب التاريخ فقال : «إنّي لا آسي على شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهن وددت أنيّ تركتهن ، وثلاث تركتهن وددت أنيّ فعلتهن ، ووددت أنّي سألت عنهن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فأمّا الثلاث اللاتي وددت أنيّ تركتهن فوددت أنيّ لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب» [1] .

وكشف البيت يعني هتك ستره وحرمته .

فأوّل ما وقع من بيعة السقيفة هو هتك حرمة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بكبس دار ابنته الزهراء البتول الطاهرة المطهّرة .

وثاني حدث هو غصب فدك منها وهضمها حقّها ، ومحاولة محاصرة علي ابن أبي طالب وولده وأتباعه اقتصادياً .

والأمر الآخر هو غصب الخلافة وإبعاد أمير المؤمنين (عليه السلام) عن منصبه الذي نصبه الله فيه في الآيات المباركة وفي الأحاديث النبويّة المطهرة والصريحة في ذلك ، ثمّ توالت الأحداث ، فابتدع في الدين بدع وأمور كثيرة لا يسعنا بسط الكلام فيها ، كابتداع صلاة التراويح ومنع توريث أبناء الأنبياء وإضافة أشياء في الأذان وتحريم المتعة والتلاعب بأحكام الحجّ والصيام والصلاة والزكاة وغير ذلك ممّا لا يعدّ ولا يحصى حتىّ قال الإمام الصادق (عليه السلام) : إنهمّ عمدوا إلى محق السنّة

---

1- تاريخ الطبري 2 : 353 .

النبويّة وإبطالها .

ثمّ توالت بعد ذلك المصائب والبلاياء ، فملك بعدهم عثمان وأفسد ، وملك بنو أميّة وأفسدوا إفسادا فاحشا ، ثم جاء بنو العباس والمفسدة والإفساد على حاله ، وإلى يومنا هذا المصائب تترى بسبب تلك الفلتة التي لم يق الله المسلمين شرّها .

وإذا كان عمر يعتقد بأنّها فلتة فلماذا هجم على من خالفها وحاول البطش بهم بعدما نكّل بمن طالته يده المشؤومة ؟

وها هو يهدد أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما أخذه فقال لهم : «أنا عبد الله وأخو رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتّى انتهوا به إلى أبي بكر ، فقيل له : بايع ، فقال : أنا أحقّ بهذا الأمر منكم لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار ، واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الإمرة ، وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار» [1] .

وفي شرح النهج قال عمر لعلي : «أمّا عبد الله فنعم ، وأمّا أخو رسول الله فلا » [2] .

فإذا كانت فلتة فلا ينبغي تهديد الآخرين المخالفين لها ، وضرب طوق أمني كبير عليهم حتّى منع الأنصار من المشاركة في الحكومة ; لأنّ أغلب الأنصار يميلون إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، قال الباحث السلفي حسن بن فرحان المالكي : «كانت الولايات في أيدي القرشيين في الغالب» [3] .

فالفلتة أعقبت فلتات وأخطاء بقي سوؤها إلى يوم الناس هذا .

---

1- السقيفة وفدك 62 .
2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 2 : 60 ، الإمامة والسياسة 1 : 20 .
3- قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجاً : 47 الهامش .



وقال الكاتب المذكور معلّقاً على حديث الفلتة بقوله : «وقد حاول عمر بن الخطّاب أن يزيل هذا الاضطراب الفقهي السياسي عندما أخبر أنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها من العودة لمثلها ، لكن إخبار عمر وتحذيره ودلالة هذا كلّه دفنته الخصومات السياسية ، إذ خشي بعض العلماء أن يكون في هذا طعن في بيعة أبي بكر ، فآثروا تبرير الفلتة يوم السقيفة حتّى وإن نقدها عمر وحذّر من مثلها مع أنّه من أصحابها ، فليسوا أحرص منه على تصحيح بيعة أبي بكر ، وذهبوا يتأولون كلمة عمر تأويلات بعيدة بأنّه يقصد العجلة ، بينما ظاهر كلام عمر النهي عن مثلها (فمن عاد فاقتلوه) ، وقد كان هدف عمر أسمى من أن تبرر كلمته ، كان هدفه أن لا يقيس المسلمون على أمور كانت وسائلها خاطئة أو ملتبسة حتّى وإن كانت خاتمتها ونتائجها حسنة» [1] .

ثمّ إنّ عمر أطلق كلمة وهي أنّ رسول الله غاب وسيعود كما غاب موسى عليه السلام ، والحال أنّ جثة النبي (صلى الله عليه وآله) كانت ممددة أمام أعين القوم وبمرأى منهم ، فحاله يختلف عن حال موسى حينما غاب شخصه عن أصحابه ، لكن أبا حفص قال تلكم المقولة العجيبة ، والأعجب أن لا أحد يردّ عليه وينبّهه على أخطائه التي أخذ بإثرها كأخطاء ضمن مخطط مدروس مسبقاً ، خصوصاً إذا ما لاحظنا كلمة عمر حينما رأى قبيلة أسلم محيطة بالمدينة وهي شاكية الأسلحة في ذلك

اليوم لا كعادتها حينما تأتي إلى المدينة فقال : «ما هو إلاّ أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر»[2] ، وقال قبل ذلك : «إنّ أسلم أقبلت بجماعتها حتّى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر»[3] . فلم يبايعه الأنصار أغلبهم وكثير من المهاجرين ، لكن أسلم القبيلة البدوية جاءت وبايعته بعد أن جاؤوا إلى المدينة بجموعهم شاكين السلاح .

1- قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجاً : 48 الهامش .
2- تاريخ الطبري 2 : 459 .
3- تاريخ الطبري 2 : 459 .



فهذه وغيرها تؤكّد عدم مصداقية عمر حينما أطلق كلماته السابقة ، وهي مضطربة يخالف القول فيها الأفعال التي صدرت من عمر ، حيث إنّه وبعدما عوّض بخلافة أبي بكر الفلتة والتي جاءت به باعتبار المقايضة ، إذ هو يدلي بها إلى الحزب الأموي حينما رجّح كفّة عبد الرحمن بن عوف حينما عيّن ستة للشورى المزعومة ، وأمرّ عليهم من يضرب أعناقهم إن اختلفوا .

والجدير بالذكر أنّ أهل السنّة ينكرون على الشيعة إيمانهم بالرجعة مع أنّ مؤسس القول بها هو عمر ، كما في الحديث المتقدّم حينما زعم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيعود بعد حين ، فما هكذا تورِدون يا أحفاد ابن تيمية وعبد الوهاب .

## الدعوة إلى القبيلة في خطبة أبي بكر :

من ضمن الأمور التي تضمّنتها خطبة أبي بكر الدعوة إلى القبيلة وإحياء روح الجاهلية التي محاها الإسلام ، وحاول جاهداً اجتثاث جذورها من نفوس عرب نجد ومن حولها ، لكنّ أبا بكر في خطبته أعادها وأحياها ليجعلها مفصل النزاع في السقيفة ، قال أبو بكر في كلامه : «ولم يعرف هذا الأمر إلاّ لهذا الحي من قريش ، هم أوسط العرب نسباً ودارا ً ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيّهما شئتم»[1] ، وأخذ بيد عمر وأبي عبيدة بن الجراح .

وهذه دعوى إلى النظام القبلي الذي كان سائداً في أوساط الجزيرة العربية قبل مجيء الإسلام ، حيث لمّا جاء حاول جاهداً زرع نظام إنساني متكامل بدلاً عن العصبية القبائلية المعروفة بصفاتها ، من عدم خضوع القبائل إلى أيّ قبيلة إلا أن يقهرها السيف أو الحلف أو ما شاكل ، والمنطلقات الفكرية تنبعث من الحسن القبلي لا العقلي المقوّن والمتعقّل للأمور ، بل مبنية على أمور عرقية وعادات إمّا موروثة أو اصطنعها بعض الأشخاص ممن لهم الكلمة النافذة في ذلك ، وأبو بكر أرجعنا إلى هذا المفهوم ، وهو مفهوم عدم خضوع قريش لغيرها ، فلا يمكن أن

1- صحيح البخاري 8 : 27 ، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة .



يكون الخليفة من غير أبنائها ، ممّا أعجب ذلك عمر بن الخطاب وطار به فرحاً ; لأنّ حلقات المؤامرة تكاملت ، خصوصاً بعدما قُدّم كمرشح من أبي بكر للاستخلاف وتسنمّ سدة الخلافة ; لأن عمر قرشي فهو الأحق والأولى وان كان هناك من يفوقه

فضلاً وكمالاً وتعقلاً وخوة ماً دام أنه لم يكن من قويش فعمر أولى به وأحق ; لأن النفس القبلية هذه مبناها وهذه منطلقاتها ، مبنية على العرق والنسب والصلة القبلية .

نعم ، أخذوا الخلافة بدعوى مزيّفة مبنيّة على أوهام لا وجود لها أو على عادات قبلية أحييت في السقيفة بعد ما سعى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) جاهداً إلى رفعها من الأذهان وإحلال مسائل أخلاقية إنسانية نابعة من الفطرة السليمة بدل القبيلة العمياء .



## الأسئلة والأجوبة

السؤال الأوّل : بسم الله الرحمن الرحيم ، قد يكون السؤال غير وارد على مستوى الحقيقة والواقع لكن على مستوى الطرف الآخر في ضوء هذا النصّ الذي قرأتموه أنّه كان يستند إلى ثوابت قبلية ، لكن الحقيقة أنّ هناك روايات سنية صحيحة واردة في أنّ الولاة من قويش ، وهنالك روايات تفضيل قويش على غيرها ، فقد يقال : إنّ أبا بكر يستند إلى هذه الروايات والأخبار .

السؤال الثاني : إنّكم في كلامكم هذا تستندون إلى نصّ واحد مع أنّه قد يكون النصّ قاصر البيان في بعض القضايا ، لذا ينبغي أن نحيط بجميع النصوص الداخلة في الموضوع ; لأنّ هذا النص منقول عن عمر أولاً ، وهناك نصوص أخرى رويت عن الإمام علي (عليه السلام) في كتب أهل السنّة تقول : إنّ الإمام علي أيضا قبل بهذه المباني ، طبعا بناء على هذه الرواية ، هذا ثانياً ، وثالثاً : إنكّم تبنون على أن عمر لم يذكر غير هذا الكلام وهذا يعني أن أبا بكر لم يقل غير هذا في تأييد إمامته ، وهذا غلط وهو أن نسنده إلى واحد في آخر السند فإنّه قد يكون التقصير عند أحد الأشخاص في السند ، ومعروف في علم الرجال أو علم الرواية التقصير ينسب إلى من هو دون الطرف الأخير في السند ، يعني يكون هو مثلاً كثير الخوف أو قد يكون لا يرى أهمية لنقل الرواية في تفاصيلها كلّها ، وشكراً لكم .

الجواب : أوّلاً : أساس الفكرة التي أردت أن أبيّنها أن كلّ ما حصل هناك من حجج حصل فيما بعد ، يومذاك واجهوا مفاجأة هي أنّ الأنصار اجتمعوا كي ينتخبوا لأنفسهم أمراً لا خليفة ، وهذا مجمع عليه بين كلّ شخص نقل حادثة السقيفة ، ففاجؤوهم بأمر حسب رأيهم ، وحتّى في نصوص أخرى يقول بأنّه وعدوهم منا الأمراء ومنكم الوزراء ، هذه النصوص أنا لم أقرأها ، ولكنها لا تختلف عن هذا النص ، قال قائل الأنصار : منّا أمير ومنكم أمير .



فقالوا : نحن الأمراء وأنتم الوزراء[1] .

فإذن القصّة تدور بين أمير ووزير لا خليفة ومستخلف في مكانه كمن يدّعي خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، هذا أوّلاً .

وقلت بأنّ هذه كلّها قيلت فيما بعد ، يعني التمسوا لها حججا فيما بعد ، صحت أو لم تصح ، ولا نريد أن نناقشها ، فلنفرض

أنّها صحيحة ، ومعنى ذلك أنهّم يوم قاموا بما عملوا به لم يستندوا إليها ، فيما بعد حينماراجعوا أنفسهم وراجعوا ما يملكون من نصوص وجدوا أنّهم قد أغفلوا نصوصاً صحيحة تدلّ على صحةّ ما عملوا به وما قاموا به ، ولكنهمّ غفلوا عنها ، فلنفوض هذا .

ولكن أنا قلت : ذلك اليوم لم يستندوا إلاّ لشيء واحد ،ولا أريد أن أناقش مثلاً قولهم : «الأئمةّ من قريش» ، هذا ورد في حديث جابر بن سمرة الحديث المعروف أنّه قال عشيةرجم ماعز الجهني ،رسول الله (صلى الله عليه وآله) طيلة أيّام حياته في المدينة المنوّرة لم يحد إلاّ شخصاً واحداً وهو ماعز الجهني ، جاء فاعترف بالزنا ورسول الله طرده في اليوم الأوّل وفي اليوم الثاني وفي اليوم الثالث وفي اليوم الرابع استقرّ الحدّ عليه فحدهّ ، فأصبح تاريخا يوًمرجم ماعز الجهني يقول : «سمعت رسول الله يخطب» فيظهر أنّ المسلمين اجتمعوا لرؤية الرجم ومن يرُجم ، فخطب بهمرسول الله فقال : «إنّ الأئمةّ بعدي اثنى عشر ، فقال : كلمة لم أسمعها ، فسألت عمّي عن ذلك فقال : كلُهّم من قريش»[2] . الأئمّة من قريش إن كان إمامة الله .

نعم ، هؤلاء الاثنا عشر إن كان إمامة الانتخاب فرسول الله لم يقل إمامة الانتخاب ، فلابدّ وأن يكون من قريش نوع من تحريف النص عن محتواه الأصلي ، هذا ما ناقشته .

---

1- السقيفة وفدك : 51 ، صحيح البخاري 4 : 194 ، الطبقات الكبرى 2 : 269 ، 3 : 182 .
2- مسند أحمد 5 : 99 .



وكمثال أريد أن أبيّن لأنّ المجال محدودرسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : «الأئمةّ كلهُمّ من قريش» ، لكن الأئمة الذين عيّنهم الله سبحانه وتعالى لا القرشي الذي أُحبهّ لجماله أو لماله أو أو إلى عشرين أو ،رسول الله ما قال هذا .

الآن أنا ما قرأت شروط الإمام عندهم ، يقولون بأنّه لابدّ أن يكون الإمام من قريش ،واذا لم يكن من قريش فلابدّ وأن يكون عربيّاً ; لأنّ أقرب الناس إلى قريش من سائر الناس العرب ، حتىّ ينتهون إلى أنه في مكان مالو لم يوجد أنسي لوجب أن يقدمُ الجنّي على غيره من خلق الله ; لأنّ الجنيّ أقرب إلى الأنس من غيره .

وأساساً أجمعوا على أنّرسول الله قال : «الإمامة في قريش» ، أنا ما أقول الإمامة في قريش ، أمّا إمامة الله فعينهّم رسول الله (صلى الله عليه وآله) هم اثنا عشر يبدؤن من أمير المؤمنين (عليه السلام) وينتهون إلى الإمام المهدي الثاني عشر عجّل الله فرجه .

وأمّا سائر الروايات فأنا جامعها كلُهّاولا أغفل عنها وأدعّي بأن هّذه جلهاُ حّورت وّعدلت وُصّورت كقلم يعاد تنظيمه وككتاب تعاد كتابته فيما بعد ; لأنّهم وجدوا ثغرات فأرادوا أن يسدّوا كل ّثغرة بما يناسب تلك الثغرة ، فأصبح هذا الركام حتىّ يُنقل عن أبي حفص أنّه قال : صاحبرسول الله في الغار فاحتجّ بالغار ،وأما يّومذاك فلم يقل ذلك ووقف عمر يحدثّ بكل مُاّ وقع حتّى لا يستغل أحد بيعة السقيفة فيأتي بمثلها ، معنى ذلك أنّه يحاول أن يحكي كل ّما وقع يومذاك .

فإذن الحديث ليست مشكلته أنّه حكاه ، مشكلته أنّ هذه الحكاية حكاها آخرون ولكنهّم أرادوا أن يجبروا نوعا مّن الكسر أو

يسدّوا نوعاً من الثغرة وجدوها في عمل ذلك اليوم ، والإ ّالعمل ليس له لسان كما يقول الفقهاء أو الأصوليون ، عمل حدث ، وكانت حجّتهم شيئاً واحداً وهو أن العرب لا تطمئن لهذا البيت أو حي من قريش ، هذه حجتهم .

الصفحة 338

فإذن أكتفي بهذا ، لكن الحديث لا يتمّ بهذا الكلام والحجج كثيرة ، منها الأئمّة من قريش ، وقد بيّنت منها قول القائل : «اقتدوا بالذين من بعدي فلان وفلان» ، ومنها : «فليس عليك إلاّ نبي أو صديق أو شهيد» .

وهذا التسلسل الذي يحدث في مناسبات كثيرة زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيحكي الراوي ويقول جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثمّ جاء أبو بكر ثمّ جاء عمر ثمّ جاء عثمان ، بحيث هذا التسلسل من أوّل يوم كان مفهوما ، هؤلاء في زمن رسول الله كانوا يتمرّنون على أنّهم إذا ظهروا أمام الناس شأن بعض الانتخابات في بعض البلدان أن ّالذين يتولوّن الزعامة أو يوزّعون المناصب عندهم يظهرون أمام الشاشة متسلسلين ، هؤلاء من أوّل يوم الهجرة كانوا يظهرون متسلسلين ، فإذا دخلوا المسجد دخل أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان بحيث لو أن ّعليا مَوجود لدفعوه وجعلوه آخر الأربعة ، ولكن هذا كله لَو أردنا أن نبحثه بحثاً أكاديمياً علمياً قائماً عَلى أساس النصوص لانتهينا إلى هذا الذي نقوله بأن كلّ هذه سدود الثغرات وجدوها في فكرتهم ، فأرادوا أن يسدّوا الثغرة ، فنحن أمام عملين :

الأوّل : أني هذا حجّة متأخرّة .

الثاني : أنّها حجّة قاصرة عن الدلالة .

نعم ، لولم تقصر عن الدلالة فغاية ما يعتذر به أبو حفص هو أن يقول في وقتها كنت سمعت من رسول الله ألف حديث في أبي بكر لكن الفكرة ما استحضرتني إلاّ هذا ، ولكن الكلام هو بأنّ هذه حجج جاءت فيما بعد أو اكتشفت فيما بعد ، وأنهّا ليست حجّة تقف أمام النقد الموضوعي .

هذا خلاصة حديثي .

والحمد لله ربّ العالمين .

الصفحة 339

## ( 56 ) مصحف فاطمة (عليها السلام)

الشيخ محمّد السند

الصفحة 340

الصفحة 341

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الغوي الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلّى الله على محمدّ وآله الطيبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين .

وبعد : إنّ الحديث عن مصحف فاطمة في الوسط الشيعي أمره ظاهر بيّن إلا أنّه بين الفينة والفينة تذكرُ تسؤلات أو إشكالات من بعض إخواننا من الفرق الإسلامية الأُخرى ، متسائلة عن حقيقة مصحف فاطمة . وهذه التسؤلات ربما تتمركز حول هذه المجموعة من الإشكالات :

التساؤل الأوّل . الذي يلهج به الكثير ممن يشكل على مصحف فاطمة – : أنّه قرآن الشيعة .

التساؤل الثاني : أنّ مفاد رواياتكم أنّ جبرئيل أو الملك نزل على فاطمة بعد موت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . وهذا نوع من ادّعاء النبوّة في حق فاطمة .

التساؤل الثالث : أنّ مفاد الروايات الدالّة لديكم على مصحف فاطمة مؤداها أن مّا اشتمل عليه مصحف فاطمة خلو مّن القرآن الكريم ، وبالتالي إذا كانت هناك نوع من المباينة بين مصحف فاطمة والقرآن الكريم يتوهّم السائل بأنّ هذا يستلزم القول بنوع من النقص في القرآن الكريم والعياذ بالله ، إذ كيف يكون القرآن خالياً من المعلومات التي احتوى عليها مصحف فاطمة مع أنّه تبيان لكلّ شيء ؟ !

التساؤل الرابع : أنّ مفاد الروايات التي سنقرؤها على الإخوان متضاربة حيث إنّ بعضها يقول بأنهّ إملاء جبرئيل على فاطمة (عليها السلام) ، وبعضها أنّه من إملاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وهناك تضارب آخر في الروايات الواردة في مؤدّى مصحف فاطمة وما اشتمل عليه ، فهل هو عبارة عن إخبارات مستقبلية لما هو كائن إلى يوم القيامة من مقرّرات الأُمور على البشرية ، وبالذات على الأمُة الإسلامية والطائفة الإمامية



أو أنّ مصحف فاطمة مشتمل على الأحكام الشرعية حتّى أرش الخدش ؟ وهذا نوع من التضارب فهل هو مشتمل على الأخبار المستقبلية أو أنّه مشتمل على الأحكام أو أنّه مشتمل على وصيتها (عليها السلام) ؟

## الروايات الواردة عن مصحف فاطمة (عليها السلام) :

ولنقرأ الروايات الواردة لدينا في الكافي وبقيّة المصادر عن مصحف فاطمة كما في المجلد الأول صفحة 238 .

الرواية الأولى . طبعاً هذا الباب عنونه المرحوم الكليني رحمه الله بعنوان باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة (عليها السلام) . يرويها الكليني عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد البرقي أو الأشعري وكلاهما ثقتان ، عن عبد الله بن الحجال (ثقة) ، عن أحمد بن عمر الحلبي . وبيت الحلبي كُلّهم ثقات ومن أجلاء كبار الفقهاء . عن أبي بصير . المنصرف إلى الثقتين العجلي أو يحيى ابن أبي القاسم – فالسند صحيح ، قال : دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقلت له : جعلت فداك إنّي أسألك عن مسألة هاهنا أحد يسمع كلامي ؟ قال : فرفع أبو عبد الله (عليه السلام) ستراً بينه وبين بيت آخر فاطّلع فيه ثمّ قال : « يا أبا محمدّ ، سل عما بدا لك .

قال : قلت : جعلت فداك إنّ شيعتك يتحدثّون أن رّسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علمّ عليا باباً يفتّح له منه ألف باب ؟ قال : فقال : يا أبا محمّد ، علمّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا (عليه السلام) ألف باب ، يفتح من كل بّاب ألف

باب .

قال : قلت : هذا والله العلم – ثمّ أخذ يعدد مصادر علوم الأئمّة (عليهم السلام)إلى أن وصل إلى هذا المقطع ثمُ سّكت ساعة ، ثُمّ قال : وانّ عندنا لمصحف فاطمة (عليها السلام) ، وما يدريهم ما مصحف فاطمة (عليها السلام) !

قال : قلت : هذا والله العلم .



قال : إنّه لعلم وما هو بذاك» ، إلى أن يتسلسل إلى بقيّة مصادر علوم الأئمّة .

هذه الرواية الأولى وهي صحيحة السند ذكرت بأنّ أحد مصادر علوم الأئمّة (عليهم السلام) هو مصحف فاطمة .

الرواية الثانية : وسندها لا بأس فيه عن حماد بن عثمان .

قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : «تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة ، وذلك أنّي نظرت – هذا قول الصادق – في مصحف فاطمة (عليها السلام) .

قال : قلت : وما مصحف فاطمة ؟

قال : إنّ الله تعالى لمّا قبض نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل على فاطمة (عليها السلام) من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلاّ الله عزّ وجلّ ، فأرسل الله إليها ملكا يسَليّ غمها وّيحدثها ّ، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) – يعني أعلمت أمير المؤمنين (عليه السلام) – فقال : إذا أحسستي بذلك وسمعتي الصوت قولي لي ، فأعلمته بذلك ، فجعل أمير المؤمنين (عليه السلام) يكتب كُلّ ما سمع حتىّ أثبت من ذلك مصحفا .ً

– كيف لا وأمير المؤمنين (عليه السلام) هو الذي يقول في الخطبة القاصعة التي هي ذات سند صحيح بأنّي أرى نور الوحي أشمّ ريح النبوّة والرسالة ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنكّ تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنّك لست بنبي ولكنك وزير وإنّك لعلى خير [1] . فهكذا في المقام – .

قال : ثُمّ قال : أما إنهّ ليس فيه شيء من الحلال والحرام ، ولكن فيه علم ما يكون» .

هذه الرواية ذكرت أنّ مصحف فاطمة يشتمل على الإخبارات المستقبلية .

الرواية الثالثة : صحيحة السند أيضاً عن عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمدّ علي بن الحكم عن الحسين بن أبي العلاء الخفاف قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) .

1- نهج البلاغة 2 : 157 .



يقول : «إنّ عندي الجفر الأبيض .

قال : قلت : فأيّ شيء فيه ؟

قال : زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم (عليهم السلام) والحلال والحرام ومصحف فاطمة (عليها

السلام) ما أزعم أنّ فيه قرآناً ، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتىّ فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش» .

هذه الرواية تضمّنت إنّ مصحف فاطمة فيه من الأحكام الشرعية الجامعة لكل التفاصيل .

الرواية الرابعة : فيها إرسال لكن ليس إرسالاً شديد الضعف ، وهي عن الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى العبيد اليقطيني ، عن يونس بن عبد الرحمن عمّن ذكره . هنا إرسال وإنّ كانت مراسيل يونس ليست بتلك الضعف كما هو الحال في مراسيل ابن أبي عمير . عن سليمان بن خالد الأقطع ثقة .

قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : «إنّ في الجفر الذي يذكرونه لما يسوؤهم ; لأنّهم لا يقولون الحق وّالحق فيه ، فليخرجوا قضايا علي وفرائضه إن كانوا صادقين .

– هذا خطاب من الصادق (عليه السلام) لبعض من ادّعى الإمامة ممّن ينسب نفسه لأهل البيت (عليهم السلام) – .

وسلوهم عن الخالات والعمّات ، وليخرجوا مصحف فاطمة (عليها السلام) ، فإنّ فيه وصيةّ فاطمة (عليها السلام) .

هذا يدلّ على أنّ وصيةّ فاطمة لم تكن في الشؤون العادية وانما كانت فاطمة ترتبط بتعيين الأئمة (عليهم السلام) .

ولنا إن شاء الله وقفة مع هذا المضمون وهذا التعبير في أنّه كيف يعيّن الأئمةّ بإيصاء من فاطمة ؟ الموصي عندما يوصي بوصية إنّما يوصي بوصية في الأُمور التي تقع تحت قدرته وولايته ، وإلا كان بلا فائدة !

الرواية الخامسة : صحيحة السند عن أبي عبيدة قال : سأل أبا عبد الله (عليه السلام) بعض أصحابنا عن الجفر – إلى أن قال السائل . فمصحف فاطمة (عليها السلام) ؟



قال : فسكت طويلاً ثمّ قال : إنكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون ، إن فاطمة مكثت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة وسبعين يوماً ، وكان دخلها حزن شديد على أبيها ، وكان جبرئيل (عليه السلام) يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ، ويطيب نفسها ، ويخبرها عن أبيها ومكانه ، ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها ، وكان علي (عليه السلام) يكتب ذلك ، فهذا مصحف فاطمة (عليها السلام)» .

هذه الرواية صحيحة السند .

رواية أخرى ليست بذلك الاعتبار من ناحية السند ولكن ليست بذلك الضعف وهي الرواية الثامنة في الباب قال : دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال : «يا فضيل ، أتدري في أيّ شيء كنت أنظر قبُيل ؟

قال : قلت : لا ، قال : كنت أنظر في كتاب فاطمة (عليها السلام) . هنا عبّر عن مصحف فاطمة بكتاب فاطمة . ليس من ملك يملك الأرض إلاّ وهو مكتوب فيه باسمه واسم أبيه ، وما وجدت لولد الحسن فيه شيئاً» .

ورواية الطوسي في دلائل الإمامة[1] وسندها قابل للاعتبار عن أبي بصير قال : سألت أبا جعفر محمّد بن علي (عليه السلام) عن مصحف فاطمة (صلوات الله عليها) ، فقال أتزل عليها بعد موت أبيها ، فقلت : ففيه شيء من القرآن ؟ قال : ما

فيه شيء من القرآن .

قال : قلت : فصفه لي ؟ قال له : دفتان من زبرجدتين على طول الورق وعرضه حمراوين ، قلت له : جعلت فداك صف لي ورقه ؟ قال : ورقه من درّ أبيض قيل له : (كن) فكان .

قلت : جعلت فداك ، فما فيه ؟ قال : فيه خبر ما كان ، وخبر ما يكون إلى يوم القيامة ، وفيه خبر سماء سماء ، وعدد ما في سماء سماء من الملائكة ، وغير ذلك ، وعدد كُلّ من خلق الله مرسلاً وغير مرسل ، وأسمائهم وأسماء الذين أرسلوا إليهم

---

1- دلائل الإمامة للطبري : 105 .



وأسماء من كذب وأسماء من أجاب منهم ، وفيه أسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين من الأوّلين والآخرين ، وأسماء البلدان ، وصفة كُلّ بلد في شرق الأرض وغربها ، وعدد ما فيها من المؤمنين ، وعدد ما فيها من الكافرين ، وصفة كُلّ من كذب ، وصفة القرون الأولى وقصصهم ، ومن ولي من الطواغيت ، ومدةّ ملكهم وعددهم ، وفيه أسماء الأئمةّ وصفتهم ، وما يملك واحداً واحداً ، وفيه صفة كرّاتهم ، وفيه صفة جميع من ترّدد في الأدوار من الأولين والآخرين .

قال : قلت : جعلت فداك وكم الأدوار ؟ قال : خمسون ألف عام ، وهي سبعة أدوار ، وفيه أسماء جميع من خلق الله من الأوّلين والآخرين وآجالهم ، وصفة أهل الجنةّ ، وعدد من يدخلها ، وعدد من يدخل النار ، وأسماء هؤلاء وأسماء هؤلاء ، وفيه علم القرآن كما أنزل وعلم التوراة كما أنزلت وعلم الإنجيل والزبور ، وعدد كُلّ شجرة ومدرة في جميع البلاد .

قال أبو جعفر (عليه السلام) : فلمّا أراد الله عزّ وجلّ أن ينزله عليها أمر جبرئيل وميكائيل واسرافيل أن يحملوا المصحف فينزلوا به عليها ، وذلك ليلة الجمعة من الثلث الثاني من الليل ، هبطوا به عليها وهي قائمة تصلّي ، فمكثوا قياماً حتىّ قعدت ، فلمّا فرغت من صلاتها سلمّوا عليها ، وقالوا لها السلام يقرئك السلام ، ووضعوا المصحف في حجرها ، فقالت لهم : الله السلام ومنه السلام وإليه السلام وعليكم يا رسل الله السلام ، ثُمّ عرجوا إلى السماء ، فمكثت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه حتّى أتت على آخره .

ولقد كانت صلوات الله عليها طاعتها مفروضة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والبهائم والأنبياء والملائكة .

فقلت جعلت فداك فلمّا مضت إلى من صار ذلك المصحف ؟ فقال : دفعته إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فلمّا مضى صار إلى الحسن ثُمّ إلى الحسين ثمُ عند أهله حتىّ يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر .



فقلت : إن هذا العلم كثير ! فقال : يا أبا محمّد إنّ هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أولّه ، وما وصفت لك بعدما في الورقة الثالثة ، ولا تكلّمت بحرف منه» .

وسيأتي تبيان أنّ كُلّ ما في مصحفها تأويل للكتاب والقرآن المجيد .

وهناك روايات أخرى ذكرها صاحب بصائر الدرجات ابن فروخ الصفار في كتابه [1] ، وروايات في المصادر الشيعية الأخرى المعتبرة القديمة تناولت مصحف فاطمة (عليها السلام) .

ويضيق المجال لاستعراض المصادر كُلّها ، ولكن مضمون هذه الروايات متقارب وفي بعضها أنهّ من إملاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

**البحث في مضمون هذه الروايات :**

وهذا المفاد الأوّلي لروايات أهل البيت (عليهم السلام) الواردة في مصحف فاطمة وكتاب فاطمة ليس فيه أيّ إشعار أو إبهام لا من قريب ولا من بعيد أنّه قرآن أو أنّه بديل عن القرآن أو أنهّ متمم للقرآن أو ما شابه ذلك ، وهذا نظير ما ورد في روايات أهل البيت من كتاب علي أو الجامعة التي هي من إملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طولها سبعون ذراعاً وبخط علي (عليه السلام) ، وهي غضّة نضرة عند كُلّ إمام ، يتوارثونها الأئمةّ الاثنا عشر من أهل البيت (عليهم السلام) [2] .

إذاً مضمون الروايات أنّ في المصحف مجموعة أحكام وسنن وأحاديث وإخبارات وليس فيه من قريب أو بعيد ما يوهم أو يشعر بأنّ مصحف فاطمة أو كتاب فاطمة فيه تشريع جديد ليس في القرآن أو ما شابه ذلك .

وسنرى فيما بعد إن شاء الله أنّ تعبير الصادق (عليه السلام) : ليس فيه من قرآنكم شيء المقصود به أن لا يذهب وهمك أيّها السامع إلى أنّ المصحف بمعنى القرآن ،

---

1- بصائر الدرجات : 170 ، روضة الواعظين : 211 ، دلائل الإمامة : 105 .
2- انظر بصائر الدرجات : 162 .



لا ليس بمعنى القرآن ، وإنّما هو مثل ما نقول كتاب حديث للتمييز بين كتاب الحديث وكتاب القرآن الكريم .

فإذاً دعوى التساؤل الأول بأنّ مصحف فاطمة (عليها السلام) قرآن اتخذّته الشيعة في قبال القرآن الكريم الذي نزل على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) دعوى وهمية .

ولعلّ السائل توهمّ وقاس المقام بروايات واردة لدى أهل سنةّ الجماعة ، فإن لديهم روايات في مصحف عائشة ، هذه الروايات رواها السيوطي في الإتقان المجلد الثاني صفحة 7 ، ورواها السيوطي أيضاً في الدر المنثور ج1 : 302 ، 304 و ج 2 : 223 ، و ج 269 ، ورواها أيضاً ابن أبي داود السجستاني في المصاحف صفحة 94 . 95 ، ورواها أيضاً النسائي في السنن المجلد السادس صفحة 100 في كتاب الرضاع ، ورواها أيضاً ابن ماجة في سننه المجلد الأول صفحة 625 ، ورواها أيضاً الدارمي في المجلد الثاني صفحة 209 ، ورواها أيضاً مسلم في صحيحه المجلد الرابع صفحة 167 ، هذه الروايات الواردة في مصحف عائشة تضمّنت أنّ : ﴿ حافِظُوا عَلَى الصلوَاتَ والصلاة الوسطى ﴾ [1] ، كلمة (وصلاة العصر) ، بينما كلمة (وصلاة العصر) ليست موجودة في القرآن الكريم المتواتر بين المسلمين ، لكن في مصحف عائشة بالأسانيد العديدة التي يرويها أهل سنّة الجماعة يثبتون زيادة كلمة (وصلاة العصر) .

وأيضاً يثبتون في الرضاع قول عائشة ما مضمونه : إنّا كنّا نقرأ القرآن وفيه أن الخمس رضعات تحرُم ثم نسُخت بعشر رضعات ، بينما ليس في القرآن المتواتر بين يدي المسلمين أنّ الرضاع خمس أو عشر ، وكيف أنّها تحُرم.

ومن هذا القبيل رووا زيادات أُخرى مثبتة في مصحف عائشة ، طلبه بعض الخلفاء . الخليفة عمر أو الخليفة عثمان . فناولتهم إيّاه ، وامتنعت في بعض الروايات .

---

1- البقرة : 238 .



ففي مصادرهم الروائية يذكرون قول عائشة بزيادة آيات وكلمات ليست موجودة في القرآن المتواتر .

نحن لا نعتقد بأنّ أهل سنّة الجماعة يؤمنون بهذه الزيادات أو التحريف في القرآن المتواتر ، ولا نظنهّم يؤمنون بمثل هذه الروايات وإن وردت في صحاحهم وسننهم ، لكن المؤاخذة التي لدينا عليهم هو مقايستهم للروايات الواردة في مصحف فاطمة على الروايات الواردة لديهم في مصحف عائشة ، مع أنّ الروايات الواردة في مصحف عائشة مؤداها ومفادّها شيء يناقض ضرورة الدين وضرورة المسلمين لتصريحها بأنّ مصحف عائشة يشتمل على آيات وكلمات – والعياذ بالله – أسقطت من القرآن الكريم وما شابه ذلك ، وهذه بلاريب نوع من القول بتحريف القرآن الكريم لا يرتضيه أيّ مسلم متورّع في دينه .

أمّا الروايات الواردة لدينا حول مصحف فاطمة أو كتاب فاطمة فليس لها أيّ صلة من قريب أو بعيد بالروايات الواردة في مصحف عائشة ، فالمقايسة ليست في محلّها إلاّ من باب إلقاء التهم والتهجمّ على الآخرين وهذا بحث آخر .

مع العلم أنّ المصحف في اللغة ليس بمعنى القرآن ، المصحف أخذ من الصحف ، والمصحف الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين ، وأُصحف والصحيفة الكتاب جمعت فيه الصحف ، والشيء المستوي المستطيل سواء يكتب فيه أو لا ، صفحة وصفيحة وصفائح في اللغة هكذا ، حتّى أنهّم رووا في تسمية القرآن الكريم بالمصحف أنهّ ليست تسمية توقيفية كما عند الزركشي في (البرهان)[1] والسيوطي في الإتقان[2] وغيرهما ، فعندما يتكلّمون ويتحدثّون عن تسمية القرآن يعقدون فصلا في أسماء القرآن ، وتسمية القرآن بالمصحف لم ترد في القرآن الكريم ، ففي القرآن سُمّي الكتاب بالكتاب المبين والكتاب والقرآن والفرقان إلى ما شاء الله من

---

1- البرهان في علوم القرآن 1 : 281 ـ 282 .
2- الإتقان في علوم القرآن 1 : 184 ـ 185 .



الأسماء ، لكن لم يسمّ في القرآن بالمصحف ، فهذه اللفظة وهي لفظة (المصحف) لفظة لغوية غير موضوعة من قبل الشارع اسماً للقرآن الكريم ، وإنّما وضعها المتشرّعة .

فإذاً لفظة المصحف هي لغوية عامّة ليست توقيفية اصطلح عليها القرآن الكريم ، لكن هذا لا يعني أن المعنى اللغوي قد هجر كما هو الحال في لفظة الكتاب مع أنّها لفظة استعمالها وإطلاقها على القرآن الكريم ، لكن لا يعني ذلك أنهّ إذا قال قائل :

كتاب فلان ، أنّه قرآن .

هذه الوقفة الأولى مع التساؤل الأوّل .

**جواب التساؤل القائل بأنّ نزول جبرئيل على فاطمة (عليها السلام)يلزم منه القول بالنبوّة :**

أمّا الإجابة عن التساؤل الثاني : هو أنّ نزول جبرئيل على فاطمة (عليها السلام) لا يعني الاعتقاد بنبوتها ،وهو توهم باطل .

وقبل الخوض في تفصيل الجواب نشير إلى قاعدة في المعارف القرآنية أشار إليها أهل البيت (عليهم السلام) ،وهي أنّ ما ذكره القرآن الكريم من القصص وأحاديث المرسلين والأنبياء وأولياء الله الصالحين كُلّ هذه الأمثلة هي عبر وعظة وأمثلة لمقامات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته ،وهذه الضرورة الارتكازية عند المسلمين والقرآنية تدلّ على هذه القاعدة في المعرفة الدينية ، حيث إنّ النبي سيدّ الرسل ومن ينتسب إليه ينتسب إلى أشرف وأعظم نسب ، كيف لا ! وفي أهل البيت نزلت آية التطهير وغيرها من الآيات المباركة الدالة على منزلتهم وفضلهم .

فإذاً القاعدة المعرفية هي أنّه ما سطره القرآن الكريم من قصص للأنبياء والرسل والأولياء والحجج هو أمثولة وعبرة ومثال لمقامات أهل البيت (عليهم السلام) كي يدين الناس بها في عقيدتهم بمحمّد وآل محمّد .

وأيضاً إنّ سنن الله تعالى لن تجد لها تبديلا ولن تجد لها تحويلا فإذا بيّن



القرآن سنّة الله تعالى في حججه الماضين من الأنبياء وغير الأنبياء من المصطفين أنّ ذلك سنة مطردة ، فمثلا ورد في سورة آل عمران الآيات الكريمة بشكل متتابع من الآية 33 إلى الآية 61 قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ** ﴾ ،واضح أنّه في سياق بيان نماذج المصطفين : ﴿ **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ** ﴾ ، فإذا كان يستجاب لأمّ مريم (عليها السلام) عندما تدعو لابنتها فمن الأولى أن يستجاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما يدعو لابنته ; لعظم شأنه وعلوّ مقامه . ﴿ **وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ ، وثبت أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا لفاطمة ولذرّيتها المصطفين كما في الروايات .

وأحد المناقب التي يذكرها القرآن الكريم لمريم أنّه كفل تربيتها نبي من أنبياء اللّه ، وفاطمة (عليها السلام) كفلها النبي سيدّ الرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثُمّ بعد سيدّ الرسل كفلها سيدّ الوصيين ، ومما لا ريب فيه أن تكفيل فاطمة سيد الرّسل

أعظم منقبةً وشأناً من تكفيل مريم عند زكريا : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ، فمريم (عليها السلام) تسند إيتاء الطعام إلى الله عزّ وجلّ دون وساطة نبي ولا رسول . هذا ظاهر القرآن وبحسب التجزئة والتحليل الأدبي واللغوي ، ولا نخوض في بطون أو تأويلات القرآن .

فالقرآن الكريم يسند إلى مريم قولها ويقرّها على ذلك من إسناد أمر الرزق كموهبة لدنية إلى الله عزّ وجلّ من دون وساطة نبي : ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ ...



... يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ، كانت مريم المثل الذي رغب فيه زكريا (عليه السلام) في الذرّية الطيبّة .

سمّيت بآل عمران يعني في مريم وابن مريم النبي عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام وفي والديها .

وسورة أخرى سمّيت باسم مريم وهي : ﴿ كهيعص . . . ﴾ ، تفخيماً وإجلالاً لمريم : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ ، هنا نحو اصطفاء وتطهير لمريم على نساء العالمين ، وهو انتخاب إلهي مع أنّ مريم ليست بنبي ولا رسول ، وإن شذّ بعض علماء أهل سنة الجماعة حسب نقل ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرحه للبخاري في ذيل مناقب خديجة ، ونقله أنّ خديجة تفضل على مريم وما شابه ذلك ، هناك نقل عن ابن عربي وجماعة من أهل سنّة الجماعة أنهّم قائلون بنبوة مريم [1] ، ولكن قولهم شاذ بين المسلمين ، ويردّه قوله الله تعالى : ( وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي ) [2] ، فالرسل الذين سبقوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الأنبياء لم يكونوا إلاّ رجالاً ، فالقول بأنّ مريم (عليها السلام) كانت نبيّة قول شاذ بين المسلمين ولا يعوّل عليه .

نعم ، مريم حجّة وهذا أمر يثبته القرآن الكريم ، وأمّا كونها نبية فلم يثبته القرآن الكريم ، والذي أثبته القرآن لمريم أنها مصطفاة وأنّها حجّة وأنهّا معصومة : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ ... ﴾ .

فإذاً إثبات حديث الملائكة لغير الأنبياء في القرآن ورد ، وعقيدتنا يجب أن تكون مستقاة من القرآن الكريم لا من غيره ، مع أنّ مريم لم تكن نبيّة ولا رسولة : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى ...

1- انظر فتح الباري 7 : 101 .
2- يوسف : 109 ، النحل : 43 ، الأنبياء : 7 .



... نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ * ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ .

فمريم تلقّت وحياً غير الوحي النبوي من الملائكة ، من دون وساطة نبي زمانها ،ولا رسول زمانها ولم تكن فيما قد تلقتّه من وحي صاحبة شريعة مبتدئة أو ناسخة لما قبلها من الشرائع ،وإنّما هي كانت تابعة في ذلك لشرائع من سبقها من الأنبياء .

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ ،وبعد ذلك : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ، هنا الملائكة تتنبئ مريم بشريعة جديدة وهي شريعة ابنها من دون وساطة نبي ولا رسول ،وهي إنباء بأمر مستقبلي وبعثة جديدة لنبي جديد وهو النبي عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام .

وهذا الوحي غير النبوي تلقّته مريم من الملائكة من دون وساطة نبي زمانها وهو زكريا ، من دون أن يستلزم ذلك في موازين القرآن الكريم التي هي الموازين الحقّ أن تكون نبيّة أو رسولة ،وانمّا هي حجة .

نعم ، أثبت القرآن أنّها مصطفاة ومطهرة ومعصومة .

ثُمّ تعرّضت الآيات إلى مسألة أخرى وهي المحادثة بين مريم (عليها السلام) والله تعالى ، قال عز وّجل : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي ﴾ ، هنا المخاطبة والمحاورة بين مريم وبين الله جلّ جلاله حسب ظاهر القرآن : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ ﴾ ، فاعل قال الضمير ليست قالت هناك في الآيات الأخرى : ﴿ إذ قالت الملائكة ﴾ جمع ، أمّا هنا ( قال ) يعني من خوطب بكلام مريم هو الله تعالى : ﴿ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ،



وسيأتي في سورة مريم ما يدعم هذا الاستظهار ، هذه الآية تثبت لمريم نمطاً من الوحي غير النبوي من أرقى أنواع الوحي .

## آية الشورى والوحي لغير الأنبياء :

كما في قوله تعالى : ﴿ وما كان لبشر ﴾ وههنا دلالة وإشارة مهمّة في آية سورة الشورى ، إذ ليست عبارة لفظ الآية : وما كان لنبي ، وليست الآية : وما كان لرسول الآية فيها : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ ﴾ .

هذه العبارات والعناوين في القرآن الكريم صادرة من ربّ العزّة ،وهي في منتهى الدقّة والعناية وانتخاب الحقائق ،فليس في الآية ما كان لنبي أو لرسول وإنّما : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [1] ، هنا في الآية الكريمة ﴿ وحياً ﴾ وهو أعلى وأشرف وأعظم أنواع الوحي سواء كان نبوياً أو وحياً غير نبوي ، ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ كما في تكليم الله تعالى لموسى (عليه السلام) بواسطة الشجرة ، ﴿ أَوْ

﴿ يُرْسِلَ رَسُولاً ﴾ كجبرئيل وغيره من الملائكة ، وهو أدنى رتبة .

فثلاث رتب تذكرها الآية الكريمة في أنواع الوحي ، وهذه الأنواع لم تخصّها الآية الكريمة بالنبوة .

هذا دليل آخر أيضاً في المقام لم تخصّه الآية بالأنبياء والرسل ، وانمّا يعم مّطلق البشر من الذين يصطفيهم ويطهرهمّ ، أي : لا يستأهل ولا تكون قابلية لمطلق البشر في الوحي الإلهي إلاّ لمن تطهرّ من الذنوب والمعاصي والزلل والخطأ ، والإ لّا يتشرّف بوحي الله عزّ وجلّ .

فهذه الآية أيضاً عامّة وليست خاصة بالأنبياء والرسل ، وانماّ تشمل مطلق الحجج المصطفين المطهرينّ .

---

1- الشورى : 51 .



في آية سورة الشورى كما عند المفسّرين ومحدثّيهم الوحي الإلهي المباشر بين الله تعالى وبين الموحى إليه سواء كان الوحي نبويّاً أو غير نبوي هو من أعلى وأشرف أنواع الوحي ، وهذا قد أثبُت لمريم ها هنا في آية سورة آل عمران مع أنه لا ينالّه إلاّ الأنبياء والرسل وأولو العزم أو غير أُولي العزم في حالات خاصة ، وليس كلُ وحّي الأنبياء والرسل وحي من القسم الأوّل فقد يكون من القسم الثاني وقد يكون من القسم الثالث ، وفي بعض حالاتهم الشريفة يكون الوحي من قبيل القسم الأول وهو أشرف أنواع الوحي ، وقد أثبتته الآية الكريمة لمريم في قوله : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾ مخاطبة الله عزّ وجلّ ، والمجيب هو من خوطب وهو الله عزّ وجلّ : ﴿ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ ، فهنا نوع من التطمين الإلهي قد أسند لمريم بنحو الوحي الإلهي غير النبوي ، وليس بمعنى ابتعاث مريم بشريعة من الشرائع ، وإنّما بمعنى نزول إنباءات مرتبطة بالشرائع الإلهية وبالرسالات الإلهية في حين أنّ مريم ليست بنبي ولا رسول ، ولكنهّا حجةّ مصطفاة مطهرّة معصومة نظير ما ورد في فاطمة من آية التطهير : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [1] .

## منزلة فاطمة (عليها السلام) أعظم من منزلة مريم (عليها السلام) :

التطهير الذي ورد في مريم قد ورد في فاطمة بنحو أعظم وأفضل درجة ; لما هو مقرّر من أنّ النبي مشمول بآية التطهير وهو أعظم رتبة ممن سواه .

وفي سورة مريم هناك تتمّة لما قد جرى على مريم في سورة آل عمران ، استعرضت الآيات الكريمة بدايات نزول الملائكة والوحي غير النبوي على مريم وأنّها مصطفاة ومطهرّة ومناقبها المؤهلة لنزول الوحي غير النبوي عليها ، وجعُلت

---

1- الأحزاب : 33 .

في مصاف الأنبياء : ﴿ إِنَّ اللهَ اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض ﴾ ، فذكرت مريم في أوّل القائمة أو النموذج كما في سورة مريم : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * كهيعص * ذكر رحمت ربك عبده زكريا ﴾ بعد ذلك الآية الكريمة : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ بعد ذلك تتواصل السورة فيها أيضاً : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ﴾ بعد ذلك فيها أيضاً : ﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا ﴾ بعد ذلك فيها : ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ﴾ ، ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ﴾ و هلمّ جرا .

## تصريح القرآن بأقسام الحجج الإلهية المصطفاة :

بعد ذلك تختم السورة سلسلة استعراض الأنبياء والرسل بعد أن جعلت السورة مريم في مقام الأنبياء والرسل مع أنّها لم تكن نبيّاً ولا رسولا إلى أن تقول الآية : ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا ﴾ ، يعني هناك صنفان صنف من الأنبياء والرسل وصنف : ﴿ ممن هدينا واجتبينا ﴾ ، يعني مجتباة مصطفاة حجّة ، لكن ليست هذه الحجيّة من سنخ النبوة ولا الرسالة ، فهنا مريم في سورتين قد جعلت في مصاف الأنبياء والرسل في مقام الحجّية وإن لم تكن نبيّة ولا رسولة .

طبعاً في سورة مريم صريحاً فيها قوله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا * فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا * قالت أنى يكون لي غلام ﴾ ، وهنا كرّرت مريم نفس التساؤل الذي قد ذكرته في خطابها مع البارئ



تعالى في سورة آل عمران : ﴿ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا * قال ﴾ هنا يذكّرها بجواب الله في الوحي المباشر الذي استعرضته سورة آل عمران : ﴿ قال كذلك قال ربك ﴾ ، يعني سابقاً قد أجاب الله عزّ وجلّ عن هذا التساؤل الذي أبدته مريم ممّا يدعم ويعزز أنّ المجيب هناك كان البارئ تعالى في أعظم وأفضل أنواع الوحي غير النبوي : ﴿ قال كذلك قال ربك هو علي هين ﴾ ، يعني كرّر جبرئيل نفس جواب اللّه الذي كان قد أوحي إلى مريم بوحي مباشر غير نبوي من دون وساطة نبي ولا رسول زمانها .

## نطق مريم (عليها السلام) عن السماء بمجيء شريعة ناسخة :

﴿ قالَ كذلكِ قالَ ربُّكَ هُوَ عليَّ هيِّنٌ ولِنجعلَهُ آيةً للنَّاسِ ورحمةً منَّا وكانَ أمرًا مقضيًّا ﴾ ، هنا إخبارٌ لمريم بشيء مستقبلي عظيم في مسيرة الرسالات السماوية بمجيء رسالة ناسخة لشريعة النبي موسى (عليه السلام) وهو شريعة ابنها النبي عيسى (عليه السلام) وهذا ليس بالأمر الهيّن بل أمر عظيم : ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴾ .

**الجهاد بالعوض من السنن الإلهية :**

ومريم هنا سوف تجاهد بعوضها من دون أن يتلوّث لكنها ستجاهد بعوضها ، والغيور الأبي عنده العوض والمجاهدة بالعوض أشدّ تكلفة من المجاهدة بالمال والنفس ، وليذبح الغيور مائة ألف مرّة ولا يستباح عوضه ، لكن المجاهدة بالعوض بمعنى أنّ سمعة العوض عند الآخرين تصبح محل تساؤل ، ومن ثمّ قالت : ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴾ ، وقد حصل للزهراء ما هو أعظم من ذلك في الموقف المعروف في الأيّام الأولى بعد السقيفة ، وهذا نوع من التساؤل والإجابة أنّه : لِمَ قدمتّ الزهراء (عليها السلام) في المجاهدة ولم يتقدم أمير المؤمنين (عليه السلام) ؟



وبعبارة أخرى : مريم أُمثولة ونموذج لما قد جرى أو أُبتليت به فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

**تكاليف إلهية شخصية لمريم (عليها السلام) بوحي مباشر لها :**

ثُمّ تقول الآية : ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ ﴾ إلى أن تقول : ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ :

هنا مقطع مهم ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ﴾ ، هذه مسؤولية إلهية جديدة من دون وساطة نبي ورسول زمان مريم وإنّما بوحي من الله عزّ وجلّ مباشرة إليها بأن تقول : ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ ، هذا تكليف إلهي من دون أمر من نبي ولا رسول بل من الله عزّ وجلّ مباشرة : ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ ، طبعاً هذا ليس شريعة جديدة وإنّما هو أمر خاص لمريم (عليها السلام) ، ولكن هذا الأمر الخاصّ لم يكن بوساطة نبي ولا رسول ، ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ هنا لم تؤمر مريم بعد بوظيفة جزئية خاصّة بوحي غير نبوي من اللّه ، بل أُمرت بأن تكون هي أوّل حامل ومبلغ ومنذر ومبشر برسالة جديدة ناسخة للشريعة السابقة ، وقبل أن يتكلّم عيسى على نبينّا وآله وعليه السلام كان أوّل منذر بشريعة النبي عيسى وبنبوته الناسخة للشرائع السابقة هي مريم .

هذه طبعاً من تعظيم القرآن الكريم لمقام المرأة .

**فريضة الاعتقاد بحجّية مريم (عليها السلام) تمهيداً للاعتقاد بحجيّة فاطمة (عليها السلام) :**

نعم إنّها كانت منذرة ومبشّرة ومنبئة برسالة جديدة وإن لم تكن هي بنبي ولا رسول ، ومن ثم القرآن الكريم في سورة المؤمنين يقول : ﴿ وَ جَعَلنَا اَبن مْرَيم َ ْ َ

الصفحة 359

وَأُمَّهَ آية ﴾ ، يعني القرآن يقرّ ويقرر أنّ الشريعة المسيحية التي افترضها على المسيحيين ، بل افترض الاعتقاد بنبوة عيسى واصطفاء واجتباء مريم على جميع الموحّدين من أتباع الديانة السماوية ، وأنّ مريم من أُصول الدين حجة كعيسى : ﴿ **وَجَعَلنَا اَبن مْرَيم وَأمَه َ** ﴾ قَيُ عوض واحد (آية) .

وهذا ما تعتقده الإمامية في فاطمة من أنّها حجّة من حجج الله تعالى ، فلا غرابة ولا بدعة فيما تعتقده الإمامية مما قد نطق به القرآن في حقّ فاطمة من آية التطهير وجعلها مطهّرة وحجة ، وقد احتج الله عز وّجل بفاطمة كما احتج بالنّبي والوصي وكما احتجّ بالسبطين في آية المباهلة : ﴿ **فَمَن ْحاجَكَ ّفيه مِن بعدِ ما َجاءِك من العلم فقل تعالوْا ندعَ أبْناءَنا َ تعَيبْنُ مَنْ اللهَ عزّ وجلّ – أبنَاءنا وأبناءَكم ونسُاءنا ونِساءكم وَ أنفسَنا وْأنفسكَمْ ثُم َنبتهَلَ ْ** ﴾ [1] ، فُفَيَ اَلْمَحاجّة أمام أتباع الأديان السماوية الأُخرى احتجّ الله عزّ وجل بّهم على دينه ولم يخص ذلك بسيد الرسل ولا بسيد الوصيين ولا بالسبطين وان كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سيّدهم ، بل جعل كُلّ واحد منهم حجةّ على دينه ، يحتج بّه الله عز وّجل أمام أتباع الأديان السماوية .

هذا الاحتجاج على الدين الإسلامي والشريعة وهي سيّدة الشرائع الإلهية وأكمل الأديان وأشرف الأديان وأعظم من مقام مريم حيث احتجّت وكانت آية على شريعة النبي عيسى (عليه السلام) .

فإذاً ما يذكره القرآن الكريم في مريم (عليها السلام) يأتي في حقّ فاطمة (عليها السلام) بإجماع الفريقين ; لأن آية المباهلة نزلت في الخمسة أصحاب الكساء ، إذ لم يقل القرآن الكريم يا أيّها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قل تعالوا ندع زوجاتنا وزوجاتكم ، ولم يقل القرآن الكريم يا أيّها النبي ادعو الأولين من المهاجرين والأنصار وما شابه ذلك .

هنا في مقام الحجّية الإلهية خصّ الله عزّ وجل القربى وليس سائر بني

1- آل عمران : 61 .

الصفحة 360

هاشم ، بل خصوص الخمسة أصحاب الكساء باتّفاق الفريقين ، فهنا كما احتجّ الله عزّ وجل لدين وشريعة ومنهاج النبي عيسى بمريم (عليهما السلام) فقد احتجّ الله عزّ وجلّ على حقانيّة الدين الحنيف . سيد الأديان وأتم الأديان . بفاطمة عليها السلام .

نعم ، في القرآن الكريم هذه الآية الشريفة : ﴿ **فَقُولي إنيِّ نذرتَ للرحمنِ صَوْمَا فلن َأكلم ً** ﴾ [1] ، وَظّيفة حساسة هامّة

خطورة وموقف تتزلزل فيه الأقدام ، وتضعف فيه القلوب ، يحتاج إلى رباطة جأش امرأة ، وأهم ما في المرأة عرضها ، وهي أعف وأطهر امرأة في زمانها ، وهو امتحان إلهي خطير حيث قالت : ﴿ يَا لَيْتَنِي مِت قَبْلَ هَذَا وَكُنتَ نَسْياً مَّنسِيًا ﴾ [2] ، مع ذلك لم تشكك هنا مريم وتقول : إنّ ما أوحي لي لعلّه من الشياطين ; لأن الموقف خطير جدا ، مجاهدة ومسؤولية أثقل من الجبال ، وليس بالأمر الهين ، ودعوة كبرى بشريعة جديدة لم ينبأ بها نبي زمانها ورسول زمانها وهو زكريا ولا يحيى ولا عيسى ، بل امرأة هي التي تتقدّم إلى الأمام ، فلو لم يكن لها علم لدني ولم تكن مصطفاة ومجتباة من الله تعالى لما ثبتت واطمأنت بما أوحي لها ، والمخاطبة بمثل هذه المخاطبة العظيمة وبمثل هذه الدعوة الكبرى .

الدعوة لديانة ناسخة للشريعة الموسوية ومع بني إسرائيل ، وتعرفون من هم بنو إسرائيل في القرآن الكريم ، وكيف يحدّثنا القرآن الكريم من بني إسرائيل ، وما نشاهده عن بني إسرائيل ، مع ذلك هي قامت بهذه المسؤولية الكبرى : ﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ﴾ ، هذه بداية الامتحان والمكابدة : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ ، هذا الطعن كيف أنّه ثقيل على مثل مريم التي كانت صاحبة مقولة رفيعة : ﴿ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ و ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ و ﴿ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ، فهذا المقام الذي كان

---

1- مريم : 26 .
2- مريم : 23 .

لدى مريم ،وانظر هذه المواجهة من بني إسرائيل : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًا ﴾ ، فكان جوابها : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ ، انظروا كيف الثبات ورباطة الجأش في الإبلاغ عن بداية رسالة جديدة ونبوّة جديدة وإنذار بشريعة جديدة : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ ، مما يدلّ على تحمل مريم لهذه المسؤولية العظيمة .

## ما يحتويه مصحف فاطمة (عليها السلام) :

نحن لم نثبت في مصحف فاطمة بأنّ فيه ديناً جديدا أو ما شابه ذلك ، بينما القرآن الكريم يثبت لمريم مع أنها ليست بنبي ولا رسول مثل هذه المسؤولية الخطيرة في الأديان الإلهية وفي الشرائع السماوية : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ، كيف تثق مريم وتطمئن بأنّ عيسى سوف يتكلّم مما يدلل على أنها كانت عالمة بمجمل ومطلق الملابسات المستقبلية عبر الوحي الإلهي وإلاّ كيف تشير إليه وتثق وتطمئن ،وهي كانت عالمة بعلم لدني ووحي غير نبوي إلهي أنّ عيسى سوف يبتدئ بالكلام : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ ، هنا ابتدأ ونطق النبي عيسى (عليه السلام) ، وتبدأ مسوة ومسؤولية النبي عيسى (عليه السلام) .

فهي كانت شريكة النبي عيسى في الرسالة ، كما أنّ الله عزّ وجلّ جعل فاطمة التي هي تابعة لأبيها وسيد الرسل في سياق واحد في الحجّية والشراكة في آية المباهلة .

على أيّة حال ليس الحديث الآن منصبّاً حول الزهراء سلام الله عليها ومقاماتها ، ولكن هذا المقام للزهراء بأن يتنزل عليها جبرئيل ويحدثها بكتاب قد فصّل لنا القرآن في مريم ما هو أعظم .

## القرآن الكريم يثبت أنّ لفاطمة (عليها السلام) مصحفاً :

القرآن الكريم أثبت لفاطمة ما هو أعظم مما أثبته لمريم ، حيث إنّه جعلها



من المطهرين في هذه الشريعة وأثبتت لهم سورة الواقعة ذلك : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ،انظر التهويل والتعظيم – بمواقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ، انظر التأكيد والتهويل والتعظيم والتفخيم الذي يبتدىء به الله عزّ وجلّ في هذه السورة : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ، اللام لام تأكيد ووجوه التأكيد المختلفة الموجودة : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ ، في كن وحفظ : ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، يعني هذا القرآن الذي في (كن) هو علوي في لوح محفوظ : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] ، المطهرون هم الذين أخبرت عنهم آية التطهير .

إذاً في آية التطهير قد أثبتت الآية الكريمة أنّ فاطمة عليها السلام ممن يمسّ ذلك الكتاب العلوي اللدني الذي يستطر فيه كلُ

شيء : ﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنا أَنزَلْنَاه فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ الكتابِ المبين هو القرآن الكريم ، وقد أثبت القرآن الكريم أنّ المطهّرين في آية التطهير يمسوّن الكتاب المكنون في (الكن) العلوي ، والكتاب المبين قد أثبت فيه ما من رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين ، ما من غائبة في السماء ولا في الأرض إلاّ في كتاب مبين ، فالكتاب المبين استطر فيه كُلّ شيء إلى يوم القيامة .

فإذاً روايات مصحف فاطمة يؤكّدها القرآن الكريم ، فهو الذي أخبر بمصحف فاطمة ، أليس مصحف فاطمة متضمّن للأنباء والأخبار المستقبلية ، فهذا القرآن والدلالة على هذا المفاد والبيان بحسب ظاهره لا بحسب البطون ولا بحسب التأويل نحن وظاهر القرآن الذي هو حجّة علينا ، وليس على المؤمن والمسلم المتحوج في دينه أنّ يرفع يده عن ظهور القرآن الكريم النواس المنير

---

1- الواقعة : 75 ـ 79 .
2- الدخان: 1 ـ 3.



والذي يثبت لنا أنّ المطهرّ يمسّ الكتاب المبين ، القرآن الكريم الذي في الكتاب المكنون الذي تنزّل ولكنه في كن علوي ، والكتاب الذي في كن علوي هو الكتاب المبين ، والكتاب المبين قد استطر فيه ، فما من غائبة في السماء ولا في الأرض إلاّ في كتاب مبين ، ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين ، وعنده مفاتح الغيب .

فحينئذ مؤدّى روايات مصحف فاطمة هو نفس المؤدّى الذي في سورة الواقعة في القرآن الكريم .

## عقيدة أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) مأخوذة من القرآن :

في إرشادات أهل البيت (عليهم السلام) أنّ معتقدات أئمّة أهل البيت كلّها قرآنية ، غاية الأمر أن علّى الفطن الكيس الحاذق الالتفات إلى إشاراتهم عليهم السلام ومعرفة المعتقدات لأئمّة أهل البيت (عليهم السلام) في ظاهر القرآن الكريم لا في باطنه ولا في تأويله ، وإنّما تحتاج إلى اليقظة والالتفات والانتباه إلى نفس ظاهر القرآن الكريم .

فنحن لدينا مستند آخر لمصحف فاطمة وهو القرآن الكريم كما هو شأن مؤدّى روايات أهل البيت (عليهم السلام) في مجالات وأبواب أُخرى ومسائل اعتقادية أُخرى إلى جانب أنهّا من الثقل الآخر الأصغر الحجةّ على البشر الذي أقيم في الدين والأمّة من قبل سيدّ الرسل ، كذلك معتقدات الإمامية ومدرسة أهل البيت مستندها القرآن الكريم ، وفي ظاهر آيات القرآن الكريم ، فمن ثمّ فإنّه يجب على الإنسان التتبع والتأمّل والتروي في رواياتهم ، وكيفية استنطاق ظاهر القرآن الكريم بنفس ذلك المؤدّى .

وبذلك نكون قد فرغنا من الإجابة عن التساؤل الثاني .

## الإجابة على التساؤل الثالث :

نبقى مع الوقفة الثالثة وهي نقص القرآن لخلوّه مما في مصحف فاطمة ، هذا التساؤل أجبنا عليه بنفس الإجابة عن التساؤل

الثاني ، وذلك لأنّ علمها عليها



السلام بتوسّط الوحي النازل عليها بما كان ويكون هو من : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، والكتاب المبين قد أثبت أنّه حقيقة القرآن وهو تبيان لكلّ شيء وكلّ ما يأتي من مستقبليات ، لا في ظاهر ألفاظ المصحف الشريف المقدّس الذي بين أيدينا وإنّما في حقيقة القرآن العلوية .

فإذاً مستقى علم فاطمة عليها السلام هو القرآن الكريم ; لأنّه قد ثبت أنّ المستند الأولّ لمؤدى كتاب فاطمة ومصحف فاطمة هو نفس القرآن الكريم وآيات القرآن الكريم التي تلوتها على مسامعكم الشريفة .

فإذاً مستقى علم فاطمة (عليها السلام) عبر الملك هو في الواقع من القرآن ، ولم يأت مسلم وينكر أو يتحرّج أو يشكل أو يتسائل أنّه كيف القرآن الكريم يقول : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ هل المطهّرون أنبياء ؟ هل المطهّرون رسل ؟

لا ، ليسوا بأنبياء ولا رسل بل تابعين لسيّد الرسل في هذا الشرع المقدّس وفي هذه الشريعة المقدسّة وفي دين الإسلام ، إلا أنّهم في حين تبعيتّهم لسيدّ الرسل يتلقونّ علومهم من نور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن العلم اللدني ; لأنهمّ يمسونّ النشآت العلوية بوساطة النبي وبنور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فإذاً هذا التساؤل الثالث أيضاً مندفع كذلك – لا من باب القياس – كتب التفاسير أو كتب الفقه ألفاظها ليست هي ألفاظ القرآن ولكنها كُلّها اقتباس من مضامين القرآن ، غاية الأمر من القرآن الذي هو بين الدفتين الموسوم المنقوش ، أماّ علم فاطمة (عليها السلام) فمن حقيقة القرآن العلوية .

**جواب التساؤل الرابع :**

أمّا التساؤل الرابع وهو الأخير : وهو دعوى تضارب الروايات الواردة حول



مصحف فاطمة (عليها السلام) من أنّه تارةً من إملاء جبرئيل وتارةً من إملاء النبي وتارة أنّه يتضمن إخبارات وتارة يتضمّن أحكام وتارة أنّه وصيتّها .

والجواب : أنّ هذا لا يخفى على الفقيه الفطن أنّه ليس بتضارب ; لأنّ تبيان الروايات لزوايا متعددة للشيء الواحد أمر معهود ومتكرر في أبواب عديدة في المعارف وفي أبواب عديدة في الفقه ، فتوى روايات تشرح لك المعراج من زاوية معيّنة ، وطائفة أُخرى من الروايات بين الفريقين تشرح وتبيّن لنا زاوية أُخرى من المعراج وهلم جرا ، أو العرش قوائمه بطنان العرش قوائم العرش أسفل العرش يمين العرش على كُلّ سورة العرش ، وإن كان المراد هنا ليس اليمين واليسار في الجهة ، وإنّما المراد اليمين والعلو أو الدنو وهلمّ جرا .

فهذا لا يعني وجود تضارب وتداعي بين الروايات ،ولا يخفى ذلك على الفقيه والمحقق والمستنبط الفطن .

أمّا أنّه من جبرئيل أو من النبي فتعتقد الإمامية أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بموته لم يفن صلىّ الله عليه وآله ، بل النبي حي يرزق عند ربّه ، فإذا كان الشهداء أحياء : ﴿ وَلاَ تَحسَبنَ الَّذِينَ قُتِلوا فِي سَبِيْلِ اللهِ أمواتا بلْ أحياءٌ عِندَ رَبِهِمْ يُرزَقُونَ ﴾ [1] فكيف بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو ممّا لاريب فيه أنّه حي يرزق عند ربهٍّ كيف وهو شاهد على جميع أعمال الخلائق من الاوّلين والآخرين ، قال تعالى : ﴿ وَيَومَ نَبعَثُ فِي كلِ أمةٌ شَّهِيدًا عليهِم مِن أنفسِهِم وجِئنا بِكَ شَهِيدا عَلىَ هؤلاءِ ﴾ [2] ،وأنّ ولايته ماضية ومستمرة إلى يوم القيامة على المسلمين وعلى أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) : ﴿ أَطِيعوا اللهَ وأَطِيعوا الرسُولَ وأُولِي الأمرِ مِنكم ﴾ [3] هُلْ طاعة الرسول مقصورة على حياته في الأرض والدنيا ؟

---

1- آل عمران : 169 .
2- النحل : 89 .
3- النساء : 59 .



لا ، طاعة الرسول ممتدّة إلى يوم القيامة ، النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فهل أولويته وولايته مقصورة على حياته الأرضية صلّى الله عليه وآله وسلم ؟

لا ،وإنّما هي ممتدّة إلى يوم القيامة ، فحينئذ ولاية النبي حيث إنهّا باقية ومقامه الشريف باقي ، فهو واسطة الفيوضات الإلهية لعترته المعصومة المجتباة .

ولا مانع من ذلك كما يكون جبرئيل واسطة بين النبي وفاطمة أو بين الله وفاطمة .

وعلى أيّة حال هم في رواياتهم يثبتون للصحابة الذين لم يرد فيهم أنهّم مطهرّون أو مصطفون أن النبي أنبأهم أو أبلغهم بأمور ومطالب في الرؤيا ،وإن كان فيها ما فيها من النظر في روآهم أو أحلامهم ، فكيف بفاطمة (عليها السلام) التي أثبت لها القرآن مقام التطهير ومقام الاحتجاج للدين الشريف في بدء الدعوة بأن باهل بها بمعية مباهلة الله عزّ وجلّ بنبيهّ وبسيدّ أوصيائه وبالسبطين ، وكذلك أثبت لها أنّها تمسّ الكتاب الكريم الذي في الكن العلوي الذي يستطر فيه كلُ شّيء ، فهذا ليس بغريب عن تعاليم القرآن ، فقد يكون من جبرئيل وقد يكون من النبي بالعلم اللدني وهو حي شاهد شهيد مهيمن على النشآت التي ما دون وهلمّ جرا .

### وجه تعدد مضامين مصحفها :

واشتماله على الإخبارات والأحكام أيضاً ليس بالشيء الغريب ; لأنّه ما دام مستقى علم فاطمة (عليها السلام) القرآن الكريم وهو مشتمل على علم ما كان وما يكون ، وتبياناً لكلُ شّيء ،والإخبارات المستقبلية ، فالقرآن الكريم أيضا هُو مشتمل على الأحكام الشرعية حتّى أرش الخدش .

فإذاً مستقى علم فاطمة في كتابها ومصحفها هو من القرآن الكريم ، وممّا قد بلغّه النبي ، وليس ما أبلغه النبي من الضرورة

أن يكون في ظاهر تتويل ألفاظ القرآن المنقوش ، إذ القرآن يثبت لنفسه حقيقة ما وراء القرآن المنقوش المقدّس



العظيم الشريف الذي هو بين الدفتين ، يثبت لنفسه أنّه في اللوح المحفوظ كم آية تثبت للقرآن منزل غيبية ليست في متناول البشر ،وأنّه في لوح محفوظ وأنّه في كنّ وأنه في أم الكتاب وما شابه ذلك ، مما يدلل على أنه مّن البخس في شأن توصيف القرآن الكريم أن نعتبر أنّ حقيقته تقتصر على ظاهر تتويل ألفاظ القرآن المنقوش ،وإنّ كان هذا التتويل مقدسّ وعظيم ،وهو هادينا وموصلنا إلى الدرجات العليا ، ولكن للقرآن درجات أخرى أيضاً .

نعم ، ليست هي من منال أيّ نائل ،وإنّما هي : ( لا يَّمسَه إلاّ المطَّهروْنُ )وَّهُي ليست بابا مفتوحا عَّلى مصرًاعيه .

وما تعتقده الإمامية في مصحف فاطمة يصبّ في معتقدها أنّ هناك أولياء وحججا مًعصومين مرتبطين بالغيب تابعين للنبي مزوّدين بالعلم اللدني .

وصلّى الله على محمدّ وآله الطاهرين





## الأسئلة والأجوبة

سؤال : فيما تفضّلتم فيه بالنسبة لمريم وأنّها كانت تكلمّ الله سبحانه وتعالى حسب ظواهر الآيات القرآنية ،واستشهدتم بالآية التي في سورة آل عمران إلاّ أنّه توجد عدةّ مبعدات بأن الله سبحانه وتعالى كان يكلمهاّ .

المبعّد الأول : أنهّ عندما قالت : ﴿ قَالَتَ رْبَ ﴾ ،والربّ لا يستعمل في خصوص الله تعالى وإنّما في المربيّ وهو أعم من أن يكون الله أو غيره .

المبعّد الثاني : عندما أجاب : ﴿ كَذَلَكِ اِلله يّخُلقَ مْاُ يشُاءَ ﴾ فلو كان الله هو المتكلّم لقال كذلك أخلق ما أشاء .

وأيضاً بالنسبة إلى ما استشهدتم في سورة مريم أنّه عندما قالت : (فناداها من تحتها) فنادها أعم من أنّ يكون الله أو غير اللّه ، المبعد هو من تحتها فقد يكون عيسى (عليه السلام) .

فالمبعّدات من أنّ الله سبحانه وتعالى كان يكلمّ مريم مباشرة سواء كان في الظاهر أو غير الظاهر كثرة .

الجواب : الاستبعاد الذوقي أمر والوقوف عند الظاهر والتديّن به ما لم يرفع يدك عن الظاهر موجب آخر أمر آخر ، نحن موظّفون أن نتديّن بالظاهر وأنهّ حجةّ موصل للحقائق القرآنية والإلهية والشرعية ما لم يذدنا قاطع البرهان أو يذدنا دليل آخر نقلي أو عقلي .

أمّا في المقام مريم قد وجّهت نداءها : ﴿ إِذِ انتبذتَ مْن أِهلها مْكِانا شرَقيَا ﴾ ، أصّلاً لم يكن مع مريم أحد والقرآن الكريم يحدّثنا بأنّه : ﴿ يَا مرَيْمَ إِنْ اِللّه يبشّرَكُ ﴾ فحينئذ : ﴿ قَالَتَ رْبَ أَنى يَكَونَ لُي وُلدِ ﴾ ، يعني في بشارة هي تخاطب الربّ

عزّ وجلّ ،وإن كانت لفظة الرب قد تستخدم لغة أو في القرآن



الكريم في مورد آخر غير الله عزّ وجلّ كما في سورة يوسف : ﴿ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ ﴾[1] .

ولكن في هذا المقام من الواضح أنّ هناك تساؤلاً لمن قد بشّرت من قبله وهو الله عز وّجل ، الله بشرها بنبوة ولدٍ من قبلها اسمه عيسى ، حينئذ وجّهت التساؤل عن البشارة إلى نفس الله عزّ وجل : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ ؟

حينئذ هذا الخطاب الموجّه للّه عزّ وجل بّحكم المقابلة والسياق الواحد كما هو مقتضى اللغة والأدب اللغوي أنه قال يعني نفس من خوطب : لأنّ ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي ... ﴾ أنّها توجّهت في خطابها للّه عز وّجل ، فالضمير المستتر الفاعل في ﴿ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ ظاهر في رجوعه إلى الله عزّ وجلّ والإ لّأسند إلى الملائكة مثلا أو أسند إلى واحد آخر .

فهذا أُسلوب وأدب قرآني في تعظيم مقام البارئ ،وأنّه عزّ وجل عّندما يخاطب نبيا أو رسولا أو وّلي حجة لا يقول أنا أفعل أو نحو ذلك ، وكلمة أنا ربما لا توجد أو بندرة توجد في القرآن الكريم ، بل في غالب مخاطبة الله – يعني مباشرة – مع أنبيائه ورسله عندما يتحدّث ويحكي الله عزّ وجل عّن مقاماته الربوبية : ﴿ كَذَلِكِ اَللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ ﴾ في التعظيم .

وهذا كثير في القرآن الكريم أنّه في حين المتحدّث والمتكلمّ هو الله عز وّجل مّع ذلك يعبرُ عّن أسمائه الحسنى عن ذاته المقدّسة الإلهية ، فهذا ليس بقرينة على الخلاف .

كذلك في سورة مريم عندما كررت مريم هذا التساؤل والتعجّب لجبرئيل المتمثّل لها روحا ذكرها أيضا بقوّل الله : ﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ ﴾ ، يعني أسند

1- يوسف : 41 .



القول إلى الله تعالى هذا مؤكد ومعزز ونصّ على أنّ القائل هو البارئ : ﴿ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ ﴾ ، حينئذ يحكي مقولة الله عزّ وجلّ في الوحي الذي جرى .

وأمّا تعبير ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا ﴾ وما شابه ذلك فلم أكن في صدد الاستشهاد على أنّه من الوحي الذي في القسم الأول ، وإنّما كنت في صدد الاستشهاد المطلق للوحي الذي قد أثبت لمريم في مجمل الوقائع التي حدثت لها من دون وساطة نبي ولا رسول .

السائل : لا أقل تكون مجملة .

الشيخ السند : لا أقل أن لا نجمل ولا نتقوقع في الإجمال ما دام ظاهر الألفاظ صريحة وناصعة على ذلك ، فالعزوف عن معارف القرآن في غير محلّه ; لأنّ القرآن منهل للتدبرّ : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [1] ، فُهَا هو القرآن يقرع أسماعنا بهذه الألفاظ ، وليست ألفاظه . خارجة عن اللغة العربية ، من التحرّج في الدين رفع اليد عن الظاهر إلاّ بموجب ، وأيّاً ما كان هذا لا يخل بما نحن فيه ، سواء كان الوحي من القسم الأوّل أو بوساطة ملك ، المهم أن هذا الوحي الإلهي قسم من الأقسام الثلاثة الذي أثبت في القرآن الكريم ، وهو ليس بواسطة نبي ولا رسول وإنّما من الملائكة مباشرة مع مريم ، مع أنّه أيضاً هو من القسم الأوّل في بعض المراحل والوقائع التي وقعت وحدثت لمريم .

سؤال : لو نلاحظ ومضمون وظاهر الروايات نجد أنّ هناك مزة خاصّة وصفها الله وذكرتها الروايات لفاطمة ومصحف فاطمة ، وأنتم جمعتم بينها بين الاستدلال بآية : ﴿ لاَّ يَمَسَّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ وقلتم : هذه مزّلة خاصّة للمصطفين ، فما الفائدة من ذكر أنّه تخصيص لفاطمة إذا كان هذا المصحف أو القرآن يمسّه كلُ الأئمة ؟ خصوصا عنّدنا روايات أن الحّجة يأتّي به ، فنحن نلاحظ أنّ هذه الروايات ليس فيها مزّة خاصة للزهراء (عليها السلام) .

---

1- محمّد : 24 .



الجواب : إنّ في آيات القرآن الكريم بيان مقامات النبي وعترته ، هناك مقامات يثبتها القرآن الكريم بنحو عام للنبي وعترته كآية التطهير والمباهلة وآيات عديدة أُخرى ، وهناك اشتراك في عدّة من المقامات إلا أنّه هناك امتيازات لكل مُنّ النبي وعترته ، فمثلاً مما لاريب فيه أنّ سيدّ الرسل ، سيد الأنبياء وامام الأئمة (عليهم السلام) له خصائص ورتبة ليست لعترته ، في حين أنّهم يشتركون معه في مقامات أُخرى بحسب القرآن الكريم ، إلا أنّ ذلك لا يمنع أن للنبي خصائص ومزات ، كذلك في سيّد الوصيين في حين اشتراكه مع ذوي القربى في لزوم مودتّه – أي ولايته – وفي آية التطهير وآية المباهلة إلا أنّه أيضاً له مزات ومقامات خاصّة به دون بقيّة العترة ، كذلك في القرآن الكريم هناك خصائص لفاطمة عليها السلام خاصة بها دون بقيّة عترة النبي المعصومة اللازم مودتّها .

فالملخّص هو أنّه في حين اشتراك أهل البيت (عليهم السلام) في مقامات خاصة وهبات وعطيات إلهية خاصة إلا أنّ ذلكّ لا يمنع أنّهم ذوو رتب مترتبون فيها ومقامات مترتبون فيها تلو بعضهم البعض ، وتشير إليه آية النور حيث تثبت أنّ هناك من الأنوار الإلهية درجات ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ ... ﴾ [1] .

فهناك ترتّب في الأنوار ، ووردت في روايات الفريقين [2] حتّى روايات اشتقاق النور وأنّ أولّ ما خلق الله نور نبيكّ يا جابر مما يدلل على أنّ سورة النور هي بهذا اللحاظ .

وكذلك في روايات اشتقاق النور فاشتقّ من نور النبي نور علي ، ثمُ اشتق نّور فاطمة ، ثم اُشتّق منّ نور فاطمة نور

الحسنين ، ومن نور الحسنين أو من نورهم

1- النور : 35 .
2- بحار الأنوار 5 : 24 ، 25 : 22 ، 45 : 170 ، كشف الخفاء للعجلوني 1 : 265 ، ينابيع المودّة 1 : 45 .



الخمسة عليهم السلام اشتقّ نور التسعة ، مما يدلل على أنّ لها رتبة ومزة خاصة في حين اشتراكها مع عترة النبي وقربى النبي في مقامات مشتركة إلاّ أنّ ذلك لا يعني عدم تتويجها بمقامات خاصة .

وفي الواقع روايات مصحف فاطمة تدلل على أن نعتقد أنّ ما في سورة الواقعة : ﴿ لاَّ يَمَسَّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ليسَ مس القرآن العلوي اللدني الغيبي على رتبة واحدة ، بل يمسّونه عن عنعنة نورية ليس عنعنة صورية سماعية ، عنعنة نورية عن النبي ، عنعنة نورية لدنية غيبية ، فالنبي له المقام الأوّل مما لاريب ; لأنّ الذي بعث في القرآن الكريم بعث في بدنه ونشأته الحسّية وبُعث أيضا ًفي مقام عالم الأنوار الذي هو ورد في روايات الفريقين .

وما في سورة الواقعة إثبات جنبة مشتركة في حين هذه الجنبة المشتركة ذات رتب كذلك الحال في فاطمة ، ومن ثمّ في قول بعض علماء الإمامية أنّ فاطمة حجّة على العلم ; لأن ّمن يكون مصدوا إلّهيا لعلّم الأئمة (عليهم السلام) يكون هو حجة إلّهية عليهم : (نحن حجج الله على الخلق وفاطمة من بعد حجّة علينا) .

السائل : يعني مفاد الروايات الذي تفضّلتم به أنّه إخبار بهذه المغيبّات والذي عند فاطمة وفي مصحفها شيء مختص بها ولا يطلّع عليه الأئمّة .

الشيخ السند : لا ، يطلّع عليه الأئمّة بوساطتها .

السائل :ربّما يكون تحميلاً على هذه الآيات .

الشيخ السند : لا ، بواسطتها تارةً ننفي علم واطّلاع الأئمةّ من رأس ، وتارة نثّبت اطلاّعهم سلام الله عليهم عليه بوساطتها ، كما أنّهم يطلّعون على القرآن والكتاب المكنون في كن لكن بواسطة النبي ، النبي وساطته لا تنتفي سواء في نشأة الحسّ أو في نشأة الكن ; لأنّه في اللوح المحفوظ العلوي السملوي ، ففي حين أنّهم مطلّعون عليه لكن لا ينافي وساطة بعضهم لبعض آخر ، هذا لا ينفي الوساطةولا ينفي أصل الاطّلاع والعلم .



السائل : يعني تكون مزة لفاطمة (عليها السلام) بهذه التسمية مصحف فاطمة .

الشيخ السند : كما أنّ للنبي مزة أنّه النبي وأنّه الإمام لهم عليهم السلام وأنه ّالهادي وهم التابعون له المسلمون له ، فكذلك ستكون مزة لفاطمة تلو النبي وتلو سيّد الأوصياء عليهم السلام .

سؤال : تفضّلتم بأنّه الوصاية تكون من شروط الشخص الذي له الولاية ولم تركزّوا على هذه النقطة بعد أن ذكرتموها في الروايات ووعدتم بذلك .

الجواب : الوصاية مذكورة في روايات مصحفها وأنّ الوصية منها في تعيين أسماء الأئمة (عليهم السلام) ،ولا تكون الوصية إلاّ فيما للموصي ولاية على المورد الذي يوصي فيه ،وهذا مما يدلل على نحو ولاية لها على الأئمة بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) في طول ولاية الله ورسوله وأمير المؤمنين .

سؤال : تفضّلتم بأنّ ظاهر الآية القرآنية في سورة الواقعة : ﴿ لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ هو المس العقلي لا المس المادي ،وهذا خلاف الظهور ، فلو كنّا نحن والظهور القرآني نرى بأنّ ظاهر الآية القرآنية سياق الآيات ناظر إلى المس الحسي : ﴿ لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ، ولذلك استدل بالروايات أيضاً على تحريم المسّ الحسيّ ، فلو كنا نحن ظاهر الآيات القرآنية ظاهرها المسّ الحسّي ،وحينئذ لا تكون الروايات ناظرة إلى مصحف فاطمة ، فحينئذ الصغرى والكبرى لا تتكونّ ، فنريد منكم أن ترفعوا هذا الإشكال فهل تجوّزون استعمال اللفظ في أكثر من معنى بحيث يشمل المسّ الحسيّ وغير الحسيّ ، وكيفية تطبيقها بعد ذلك ، يعني المسّ العقلي يكون من بطون القرآن فقد يكون صحيحاً ولكنه من البطون لا من الظهور ، فلو كنا نحن والظهور قد لا يكون القرآن الكريم دالاً على ذلك .

الجواب : لنكن نحن والظهور ولندع البطون لكي لا ترمى ويفترى علينا ونبهت نحن الإمامية بالنزوعية والغنوصية وما شابه من ألفاظ وأراجيف ، نحن وظهور القرآن .



القسم في اللغة العربية بالتأكيد لا يكون على مقسوم به إنشائي وإنّما يكون على مقسوم به خبري ، مثلاً تقسم وتقول :زيد في موضع كذا وتأتي بالقسم للتأكيد ،وأمّا المنشأ بالأمر المولوي الولائي فلا يأتي لإنشاء الأمر بأداة قسم للتأكيد .

فإذاً لابدّ أن يكون خبرياً ليس في مقام الإنشاء ; لأنه إذا كان خبريا فيّ مقام الإنشاء تكون النتيجة أنه إنشّائي ،ولا يقسم ويؤكّد على شيء إنشائي .

إذاً لابدّ للإخبار أن نأتي بجملة خبرية : ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ ، وقد ذكر الزمخشري وغيره أنّها من أدوات التأكيد والتهويل والتعظيم : ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ ﴾ كلمة تحقيق وتأكيد ﴿ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ ، هذا أوّل مقسوم به : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ يليه ذلك قوله : ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وهنا أيضاً مضمون خبري وفي سياق واضح ، أي : قبل ﴿ لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ، وبعد : ﴿ لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ، فحينئذ مجموع الكلام جمل خبرية ; لأنّ الضمير يعود إلى القرآن الكريم الذي هو في كتاب مكنون ، لا القرآن الكريم الموجود في المصحف وإلاّ القرآن الكريم الموجود بين الدفتّين لا يحتاج إلى قسم الله عزّ وجلّ ،وانمّا المحتاج للقسم هو المتنزل الغيبي للقرآن الكريم : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ ، يعني في حفظ كما في سورة البروج : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[1] ، أي : محفوظ مكنون .

فهذا إشارة للمرتبة العلوية لهذا القرآن : ﴿ لاَّ يَمَسَّهُ إِلَّا الْمُطَّهَّرُونَ ﴾ ، يَعني لا يصل إليه إلاّ المطهّرون .

فالجملة جملة خبريةولا دليلولا قرينة على كونها جملة إنشائية ،وهذا سآتي إليه لاحقاً :

1- البروج : 21 ـ 22 .



﴿ لاَّ يَمَسَّهُ إِلَّا الْمُطَّهَّرُونَ ﴾ من الواضح أنّها في مقام الخبر ،وأنّها لبيان عظمة وفخامة وشرف التكوين والكرامة والمجد للوجود العلوي للقرآن الكريم ، كما أنّه ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ،وهو مفاد : ﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ ، هذا الوصف والتعبير أنزلناه ،ورد في سورة الواقعة بعبارة : ﴿ تَنْزِيلٌ ﴾ ، يعني النزل من علو ، فهذا الذي هو من علو قد تنزّل ،والكن في العلو .

أمّا استدلال الفقهاء على أنّ الجملة إنشائية فهذا الاستدلال باعتبار أنهّ إذا كانت من عظمة القرآن وتشريفه أن حقيقته العلوية لا يمسّها إلاّ المعصومون عليهم السلام فمن المناسب أيضا لحقيقته المتنزلة بين الدفتين أن لا يمسها إلا إنسان يكون على طهارة من الحدث والخبث ، ومما لاريب فيه أنّ الآية فيها إشعار لذلك الحكم الفقهي ولو بالإيماء والتنبيه والالتزام أو بنحو ظرائف الدلالة على ذلك ، لكن ليست في صدد الحكم الإنشائي ،وإنّما هي في صدد الإخبار ، ولذلك تقول الآية ﴿ لاَّ يَمَسَّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ،إنّهَ خبر آخر : ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [1] يعني تريدون ثوابكم من الله أنّكم تكذّبون بحديثه ،وحديثه في هذه الآية – كما ذكرنا في كتاب الإمامة الإلهية – حديث الثقلين .

وهذه الآية تقول : كتاب في كن وتنزيل من ربِّ العالمين ، فلذلك فإنّ حديث الثقلين أحد أسانيده القرآن الكريم ، وسورة الواقعة نفسها تعرّضت إلى حديث الثقلين وأنّه يجب عليكم التمسك بكلُ منّهما ; لأنكم أنتم أيها البشر غير المعصومين غير المصطفين غير الحجج لا تمسّونولا تصلون إلى القرآن الذي في الكن ،ولا تصلون إلى كُلّ معارفه وحقائقه وأحكامه وتشريعاته .وهناك آيات أُخرى دالّة على حديث الثقلين كقوله : ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

1- الواقعة : 81 .



مُتَشَابِهَاتٌ .. وما يَعلم تأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [1] .

إذاً التكذيب والريب في أمر خبري وليس في أمر إنشائي .

فإذاً توجد قرائن عديدة في الآية تظهر بالتدبّر والتأمّل .

تتميم جواب سؤال سابق : وأمّا المزية والخصوصية الممزّة لفاطمة الزهراء (عليها السلام) كونها حجة من بين الحجج هو في أنّ إمامة الأئمّة عليهم السلام هي بنصب من الله تعالى ونصب من الرسول ، من دون منافات بين النصب من الله والنصب من الرسول للطولية ، وكذلك هم عليهم السلام بنصب من سيّد المرسلين وبنصب من فاطمة في طول نصب النبي وسيّد الوصيين ; لأنّ المفروض أنّ النصب بالوصية وهي بحسب الأبواب الفقهية إمّا عهدية أو تمليكية ، والعهدية أو التمليكية إنما تتعلّق بما يكون من متعلقّات حيطت ولاية وشأن الموصي ، وهذا مما يدلل على رتبة مقامها (عليها السلام) وولايتها على بقية الأئمّة (عليهم السلام) .

والصادق عليه السلام يحتج على بني الحسن وسائر بني هاشم ممن يزعمون الإمامة الإلهية ، بأنّ تعيين الأئمّة هي من شأن فاطمة ، وفي وصية فاطمة أنّ الأئمّة هم الاثنا عشر حيث تزل عليها اللوح الأخضر المروي في كتب الإمامية أيضاً بأسانيد متعددة[2] ، وفي ذلك اللوح الأخضر أسماء الأئمّة من ذريّتها ، وقد قابل الباقر (عليه السلام) هذا اللوح مع ما استنسخه جابر بن عبد الله الأنصاري حينما رأى اللوح الأخضر عندها عليها السلام وأجازته النظر فيه والاستنساخ منه ، مما يدلل أنّها عليها السلام لها دور في تعيين الأئمّة وفي الوصاية والوراثة عنها لمقاماتها الإلهية ، كما في رواية مصحف فاطمة أنّها واسطة علمية لهم ، وكما في زيارة الحسين (عليه السلام) : «السلام عليك يا وارث فاطمة عليها السلام» ، وكما في زيارة الرضا (عليه السلام) : «السلام عليك يا وراث فاطمة سيدة النساء»[3] وما شابه ذلك .

---

1- آل عمران : 7 .
2- الكافي 1 : 527 ، كمال الدين 1 : 308 ، بحار الأنوار 36 : 195 .
3- كامل الزيارات : 276 ، 516 ، بحار الأنوار 98 : 359 ، 99 : 44 .



وهذه الوراثة المذكورة في الزيارات هي وراثة للمقامات الإلهية والمناصب الإلهية ، ممّا يدلل على أنّها عليها السلام هي من ضمن السلسلة والرتب التي تناقلتها الأئمّة (عليهم السلام) بوراثة إلهية لدنية تنصيبية من قبل الله عزّ وجلّ ، وأنها كان لها شأن في تعيين تلك المقامات والمناصب .

السائل : كأنّ هذه الرواية التي تفضلتم بها في الكافي بأنّ هذه من شؤون فاطمة (عليها السلام) ، بحيث إن الله عز وجل جعل منطقة فراغ ، فمثلاً : الله عزّ وجلّ فرض الصلوات ركعتين ركعتين ، ثم أُضاف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الركعات ذوات التسبيحات والتي تحذف في السفر ، وعلّة التقصير في السفر ; لأنّ الرسول هو الذي أضافها .

هذه الروايات ظاهرة بأنّ الرسول تصدّى بنفسه الكريمة لجعل هذه الركعات الزائدة على الركعتين ، هذه الرواية ظاهرها بأنّ الأمر مفوّض ، وكأنّ التعيين بيد فاطمة لا أنها استقته من مرتبة سابقة إلهية ، وأن الله عز وجل جعّل هذه المرتبة والنبي وسيّد الوصيين ثمّ هي في طولهم سلام الله عليهم وعلمت ذلك منهم ، وانما ظاهر الرواية بأنها منطقة فراغ وفوض تعيين الأمر إلى فاطمة (عليها السلام) .

والجواب الذي تفضلتم به أنّه توجد طولية بين الرتب وأنها مستقات من غيرها فحينئذ تكون كسائر الأئمة الذين عيناً من

بعدهم وكلّ إمام يأتي بتعيين ، لكن ظاهر الرواية غير ذلك ، بل يوجد مقام أعلى من هذا المقام لفاطمة ، وأنّ قضية التعيين مبهمة ولكن لأنّ فاطمة اطلّعت على الأمور الواقعية التي جعلها الله محيطة بها فبانتخابها رأت بأنه فلان وفلان من الأئمّة ، فمثلاً يوجد أكثر من فرد في أكثر من رتبة يكونون صالحين للإمامة لكن بتعيين فاطمة صار هذا الشخص إماما ولم يصر أخوه إماماً هكذا يظهر من الروايات .

الشيخ السند : نعم ، قضية الإيكال وتخصيص حجّة من الحجج من قبل الله لا يستلزم كون ذلك المورد الذي أوكل إليه هو مفوّض إليه بقول مطلق ، فمثلاً مريم (عليها السلام) يحكي القرآن لها مثل هذا الدور : ﴿ فَأَتَتَ بِهِ قَومَهَا تَحمِلُه ﴾



﴿ فَأَشَارَت إِلَيهِ ﴾ ; فالإشارة هي نوع من الإيواز من مريم ، فهي المبلّغة عن الله في كون عيسى نبيّاً بحسب سورة مريم كما مرّت علينا .

ومثال آخر ربما أكثر وضوحاً إلى الأذهان من هذا المثال الذي ذكرناه وهو مثال رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء يوكل لوزير من وزرائه تعيين المحافظين في الولايات المختلفة ، فهذا الرئيس هو يقدم على تعيين المحافظين ، ولكن في الموسوم الرسمي القانوني الناطق الرسمي بالتعيين هو وزير الداخلية ، فهو الذي يكون إمضاؤه في طول إمضاء رئيس الجمهورية ، فأصل تعيين المحافظين هو من رئيس الجمهورية ولكن إيواز ذلك وإيصاله من خصوصيات وزير الداخلية ، لكن لا يعني ذلك أنّ وزير الداخلية في سوه ومسوته قد تخطّى عماّ حدده له الرئيس .

كذلك الحال في المقام ، فتخصيص الشأن بشخص لا يعني أنّ تلك المنطقة منطقة فواغ أو غير فواغ أو ما شابه ذلك .

نعم ، يعني فيما يعنيه أنّ ذلك المورد له خصوصية وأنّه يختص بميزة سواء حددت من قبل أو لم تحدد .

والوهواء من مصاديق ذوي القربى ، وذوي القربى في سورة الحشر [1] قد أوكل لهم كُلّ النظارة والإشواف والولاية على كُلّ الفيء ، وكما في سورة الروم والإسواء ﴿ فَآتِ ذَا القُربَىٰ حَقه ﴾ [2] بروايات الفريقين أنّها نزلت في أمر النبي بتولية فاطمة (عليها السلام) نظارة الفيء معه (صلى الله عليه وآله وسلم) مع إمامة ونبوّة ورسالة النبي للأُمّة الإسلامية ، إلا أنّها عليها السلام قد نُجزِّ لها ذلك في عهد النبي وزمن النبي ، وهي أولّ مصداق لذوي القربى ، ومن يتقرّب إلى النبي يتقرّب بواسطتها .

نعم ، أوكل لها مثل هذه النظارة على الأموال العامّة ، بل في كتاب مقامات الوهواء بيّنا أنهّا وان لم تكن إماما إلّا أنّ لهّا نحو ولاية في الأُمور العامة لا تستلزم الإمامة .

1- الحشر : 7 .
2- الإسراء : 26 ، وفيها : وآتِ ، الروم : 38 .



وهذا المطلب لسنا في صدد التنويه والخوض فيه ، بل هذا المقام لها هو من مرتكوات الإمامية وروايتهم وأقوال علمائهم

إلاّ أنّنا أطوّناه وقولبناه في قالب وعبارة قانونية كلامية لا أكثر ولا أقل .

السائل : نريد أن نعرف النفخ في مريم هل هو نفخ حسي أو معنوي ؟

الشيخ السند : بالنسبة إلى تولّد عيسى من مريم على نبيّنا وآله وعليه السلام مما لاريب فيه أنهّ تولد ّحسي ّمادي ، ولعله ّ مادي لطيف من عنصر لطيف كما هو في : ﴿ وَأَنبَتَهَا نباتاً حَسَنًا ﴾[1] .

فحينئذ هذا النفخ لا يمكن أن يكون مقتصراً على نشأة روحية أو نشأة مادية فقط ، بل لابدّ أن يتصل بمادة وهي رحم مريم كي يتولّد عيسى (عليه السلام) .

الآن العلم الحديث في علم الاستنساخ قالوا بأنّ الخلايا سواء الموجودة في جسد المرأة أو جسد الرجل تحمل خريطة الوراثة كما يسمّونها في العلم الحديث الهندسة والخريطة والجينات الموجودة الوراثية في كلّ ّخلية ّ، خلية ّعظمية أو لحمية أو غير لحمية من خلايا الإنسان ، تلك هي في الواقع عامل التولّد ، فلو أخصبت بويضة المرأة بتلك الخريطة من خلاياها لكان إخصاباً موجباً لتولدّ جنين ، وأن الماء المني في الرجل والجينات والكروموسومات في الواقع منشأ تخصيب ماء الرجل لبويضة المرأة هو بلحاظ الخريطة الوراثية الموجودة في خلايا الجينات والحويمنات لا أنّه من جهة نفس جسم الحويمنات .

فإذاً هذا أمر أثبته العلم كمعجزة للقرآن الكريم من أنّ مريم طاهرة من بهتان اليهود لها ، ومريم مرأة ّعن غلو المسيحيين فيها ، حيث أثبت العلم الحديث أنّ المرأة يمكن أن يتولدّ منها جنين من دون ماء الرجل ، بل في بعض الأخبار التي حكيت عن التجارب العلمية قبل عشرين سنة أو أكثر قالوا بوجود شوكة كهربائية ممكن من خلالها تخصيب البويضة ، الآن في علم الهندسة الوراثية والاستنساخ

---

1- آل عمران : 37 .



والجينات عرفوا بأنّ الشوكة الكهربائية هي التي قد اكتشفوها سابقاً ، وأنهّا موجبة لتخصيب الخلايا في رحم الأنثى ببويضتها وانتقال الخريطة الوراثية في الخلايا للبويضة فيتمّ تولدّ الجنين كما يتم ّتخصيب الخلايا الوراثية عبر الحيمن الذكوي في الماء الذكوي للبويضة فيتمّ الجنين .

وبعبارة أخرى : ذلك هو المخصّب غاية الأمر أنّ الله عزّ وجل في سنته ّالتكوينية جعل الولادة بطريقها الأمثل ; لأنهم ّ اعترفوا الآن في الاستنساخ أنّ النتائج السلبية لتخصيب البويضة عن غير طريق الحيمن يوجب كهولة الجنين وابتلاء الجنين بأعراض أخرى مزمنة : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[1] و﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾[2] وما شابه ذلك .

---

1- التين : 4 .
2- المرسلات : 20 .

# ( 57 ) الوجعة

الشيخ محمّد السند





بسم الله الرحمن الرحيم

**تمهيد :**

أعوذ باللّه السميع العليم من الشيطان الغوي الرجيم .

بسم اللّه الرحمن الرحيم ، وصلّى اللّه على محمدٍ وآله الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين .

سيكون حديثنا في هذه الليلة حول الرجعة ، والحديث حول الرجعة ليس بجديد ، وإنّما هو قديم بقدم وعراقة مذهب الإمامية ، فعقيدة الرجعة تعدّ من أبرز ملامح التشيّع ، وهي من مختصات مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ، حتىّ أن الشيعي الإمامي يُعرف بقوله بالرجعة على حدّ معروفيته بالقول بإمامة أهل البيت (عليهم السلام) ، ومن هنا تجد أهل السنةّ في كتبهم الرجالية إذا أرادوا أن ينسبوا شخصاً أو راوياً للتشيّع ذكروا أنه ممن يقول بالرجعة ; لوضوح أن هذا القول من مختصات الشيعة ، فالشخص لا يكون شيعياً إمامياً إلاّ وهو قائل بالرجعة ، ولا يوجد شخص يقول بالرجعة إلا أنّ يكون إماميا .

والحديث حول هذا الموضوع العريق والشائك سيقع في عناوين متعددة ، لعلّ اللّه تعالى يوفقنا إلى بحثها في هذا اللقاء المبارك معكم ، وسيكون أبرز تلك المواضيع هو البحث في تواتر القول بالرجعة عند الإمامية ، وتحديد ماهية الرجعة ، ومن ثمّ الأدلةّ الروائية والقرآنية على الرجعة ، وبعدها نتحدثّ عن دواعي إنكارها من قبل خصوم الشيعة ، وبعدها نتحدثّ عن الإشكالات المثارة حول الرجعة ، والردود عليها ، وهناك مواضيع أُخرى سنتعرّض لها أيضا إن سمح لنا الوقت بذلك ، وأود أن أنبّه ابتداءً إلى أنّ أهم مّا سأثيره في هذه المحاضرة هو تحديد ماهية الرجعة ، فإن ذلك له أهمية كبرى في معرفة كثير من التفاصيل المتعلّقة بالرجعة ، وخصوصاً معرفة الأدلةّ المثبتة لها عند الفريقين .



**تواتر القول بالرجعة عند الإمامية :**

يعدّ القول بالرجعة وتواتره عند الإمامية من المسلّمات ، والذي لا يختلف عليه اثنان ، وهو كما أشرنا يعتبر معلماً عقائدياً بارزاً في مذهب الإمامية ، وإنّ المتتبع لما كتبه أعلامهم حول هذا الموضوع يجد إطباقهم على القول بتواتره واضحاً ، فمن راجع ما قاله الشيخ المفيد في أوائل المقالات [1] ، وكذا السيّد المرتضى في رسائله [2] ، والمجلسي في البحار [3] ، والحرّ العاملي في كتابه الخاص بالرجعة واسمه (الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة) [4] ، وغيرهم من الأعلام ، والتصانيف

التي صنّفت في هذا الموضوع ، يجدهم ينقلون اتفّاق الإمامية على القول بالرجعة .

وقد وجدت في كتاب شرح الزيارة الجامعة للشيخ الأحسائي أنّه ينقل عن كتاب الرجعة للسيدّ الجزائري أنهّ أحصى فيه ما يقرب من ستمائة ونيف حديث في الرجعة .

ولا يخفى أنّه قلمّا تخلو زيارة مروية لهم عن الإشارة إلى إيابهم وهو رجعتهم ، وكذلك جملة من الأدعية والروايات في ذيل تفسير الآيات . والحاصل أنّ مظان الروايات هو في أنحاء وعناوين مختلفة .

كما أنّ من الشواهد البارزة على تواتر هذا القول عند الشيعة ما تجده في كتب التراجم الشيعية ، كرجال النجاشي ، وفهرست الشيخ ، وغيرها من كتب التراجم ، من كثرة الكتب التي صنّفها علماء ومحدثّي الشيعة في الرجعة ، سواء كانت كتب مستقلّة أو أبواب مستقلّة ضمن مصنفّات عامةّ .

---

1- أوائل المقالات : 46 .
2- رسائل الشريف المرتضى 3 : 136 .
3- بحار الأنوار 53 : 122 .
4- الإيقاظ من الهجعة : 35 .



وتواتر هذا القول عند الإمامية ليس فقط تجده في كتب الإمامية ، بل تجده أيضاً . كما ألمحنا له قبل قليل . عند الفرق الأخرى ، حيث تجدهم عندما يريدون التعريف بعقائد الإمامية يذكرون أنّهم قائلون بالرجعة على حدّ قولهم بإمامة أهل البيت (عليهم السلام) ، وكذلك عندما يترجمون لرواة الشيعة يثبتون لهم القول بالرجعة ليثبتوا تشيّعهم ، ومن أمثلة ذلك ما ذكروه في ترجمة مؤمن الطاق الذي يسمّونه بشيطان الطاق ! حيث نقلوا محاججاته مع إمام الأحناف أبي حنيفة حول عقيدة الرجعة[1] ، مضافاً إلى محاججات وسجالات أُخرى ينقلها الفريقان جرت بين متكلمّي الشيعة وأهل سنةّ الجماعة حول الرجعة ، تؤكدّ انتشار واشتهار هذه العقيدة عند الشيعة وتمسّكهم بها .

وهكذا يتّضح لك أنّ القول بالرجعة سمة بارزة ومتواترة في مذهب الإمامية ، والاعتقاد بها لا يختلف عليه اثنان من الإمامية ، نعم هم يختلفون في بعض تفاصيلها والتي سنبيّنها إن شاء اللّه تعالى .

## الدواعي الحقيقية لإنكار الرجعة عند خصوم الشيعة :

لم يكن السبب الحقيقي وراء إنكار خصوم الشيعة للرجعة كونها عقيدة خاصّة بالشيعة ، وإنمّا لكونها تحمل معنى لازمه إثبات حقانية مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وزيف المذاهب الأخرى ، وتحديد هذا المعنى يرتبط بتحديد ماهية الرجعة وهو ما سنوضّحه بعد قليل ، مضافاً إلى أنّ من اللوازم الأخرى للقول بالرجعة هو إثبات إمامة عترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، شأنها في ذلك شأن الروايات الواردة في إمامة الإمام المهدي (عليه السلام) ، فهي تصلح لأن تكون دليلا مستقلا على إمامة بقية الأئمّة (عليهم السلام) بغض النظر عن الأدلةّ المختصة بإمامة كلُّ واحد منهم على حدة .

ولهذه اللوازم احتدم النقاش واشتدّ الجدال بين الشيعة وبقية الفرق

1- انظر تاريخ بغداد 13 : 411 ، الإمام جعفر الصادق : 220 .



الإسلامية حول صحّة القول بالرجعة ، حتّى أصبح النقاش حول الرجعة يتلو احتدام النقاش حول أصل الإمامة كمنصب ديني يخلف مقام النبوّة .

**ماهيّة الرجعة :**

وهو أهم موضوع نحبّ التعرّض له في هذا اللقاء ، فإنّ تحديد ماهيّة الرجعة يوضح لنا الكثير من تفاصيل الرجعة ، وبالخصوص يحدد لنا الأدلّة القرآنية والروائية المثبتة للرجعة .

وماهيّة الرجعة كما يظهر من الآيات القرآنية والروايات هي أنّ هناك سنةً إلهية ستجري في نشأة الدنيا يديُل الله تعالى فيها المؤمنين والفوقة الحقّة على الكافرين والفرق الضالّة .

وبعبارة أُخرى : إنّ ماهية الرجعة حسب مفهومها القرآني والروائي وكنظرية موجودة في الكتب الكلامية بغض النظر عن المثبتين والنافين لها ، هي أنّ هناك فرقة مؤمنة دائماً على الحق ، تكون مضطهدة مقهورة على مر الدهور والعصور ، ولكن اللّه تعالى في آخر الزمان يحيي هذه الفرقة المؤمنة بعد الموت في النشأة الدنيوية ويديلها على ظالميها ويجعل العاقبة لها .

فيتّضح على هذا أنّ الرجعة فعل من أفعال اللهّ تعالى في النشأة الدنيوية ، وأفعال الله سيما إذا كانت من قبيل الإحياء بعد الممات وما شابه ذلك لابدّ أن يكون لها مغزى وبُعد وحكمة ، كما هو الحال في الإحياء لكل البشر يوم القيامة ، وأنه لأجل الاقتصاص وإقامة العدل الإلهي بمجازات المحسن بالإثابة والمسيء بالعقوبة ، فكذلك الرجعة هي نوع مجازات ولكن ليست في النشأة الأُخروية وإنّما في النشأة الدنيوية ; لإحقاق كلمة اللهّ عز وجل ، وإقامة وعده الذي سبق للذين آمنوا أنه سيورثهم الأرض ، وأنّه سيديلهم وينصرهم على من ظلمهم .

ويتّضح لك أنّ موضوع ماهية الرجعة لازم القول به هو الاعتقاد بأن هناك فرقة لا تزال على الحق ، منذ كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلى قيام الإمام المهدي عجّل



اللّه تعالى فرجه الشريف ، وهي منذ ذلك الوقت مقهورة مضطهدة ، ولو بحثت عن هذه الفرقة المقهورة المضطهدة منذ زمن رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى قيام الإمام المهدي (عليه السلام) لما وجدت غير أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم ، وهذه حقيقة ناصعة مسلّمة وتنطق بها كتب التاريخ والواقع .

فإذا عرفت أنّ لازم القول بالرجعة هو الاعتقاد بأنّ الفرقة الحقةّ والجماعة المؤمنة التي سيديل لها الله تعالى على ظالمها هم أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم ، وأنّ التسليم بهذا يعني التسليم بحقانية علي (عليه السلام) وبطلان من خالفه ، أي : الإقرار بإمامته وإمامة ولده (عليهم السلام) ، عندها تعرف سرّ احتدام النقاش واللغط المثار حول عقيدة الرجعة ، واصرار خصوم

الشيعة على إنكارها وذمّ من يعتقد بها .

## الرجعة أحد الأدلّة على إمامة أهل البيت (عليهم السلام) :

وقد تبيّن لك هذا المعنى فيما مضى ،وأنت إذاراجعت إلى ما كتبه متكلّموا الإمامية ومحدثوهم عن الأدلة حول إمامة أهل البيت (عليهم السلام) لوجدتهم يؤكّدون على الرجعة كدليل مستقلّ وصريح على إمامتهم (عليهم السلام) ، كما تجد ذلك عند الشيخ المفيد في الإرشاد ،والطبرسي في إعلام الورى ،وغيرهما من أعلام الإمامية المتقدّمين ، تجدهم يركّزون على الرجعة ويجعلونها دليلا رأسه على إمامة أهل البيت (عليهم السلام) ، وما ذلك إلاّ لوضوح أنّ لازم القول بالرجعة هو الاعتقاد بأنّ فوقة الحقّ المظلومة والمضطهدة والتي سيدال لها على ظالمها وتكون العاقبة لها هي فوقة أهل البيت (عليهم السلام) ،ولا يوجد مصداق آخر لهذه الحقيقة القرآنية غيرهم أبداً ،وهذا يعني الإقرار بإمامتهم وبطلان قول من خالفهم .

## أوجه الشبه بين الرجعة وظهور الإمام (عليه السلام) ويوم القيامة :

إنّ إبراز أوجه الشبه بين هذه الظواهر والسنن الإلهية يوضّح لنا بعض خصائص ماهية الرجعة ،والحد الفاصل بينهما وبين بقيّة السنن الإلهية المشار لها .



ونظراً لوجود هذه الأوجه من الشبه سمّيت هذه السنن عند محققي الإمامية جميعها باسم القيامة ، حيث سميّت الرجعة بالقيامة الوسطى ، وسمّي قيام الإمام المهدي (عليه السلام) بالقيامة الصغرى أو الأولى ، وسمّي يوم المعاد بالقيامة الكبرى ، وهذه التسمية مقتبسة من إشارات واردة في روايات أهل البيت (عليهم السلام) .

ومن أوجه الشبه تلك أنّنا ذكرنا لكم أنّ ماهية الرجعة هي نحو إدالة للمؤمنين المقهورين ونصرتهم على ظالميهم ، وظهور الإمام (عليه السلام) نحو إدالة أيضاً ،وأمّا يوم القيامة فأمرها واضح ، ففيها يقتصّ من الظالمين ، ويثاب فيها المظلومون .

ومن أوجه الشبه أنّ أحكام النشأة الدنيوية عند ظهور الحجّة (عليه السلام)تختلف عن أحكامها في الزمان السابق للظهور ، حيث يتّصف زمان الظهور بنحو من التقدّم في القوة والوجود ، وستظهر كمالات لم تكن مألوفة قبل ذلك ، كما هو الوارد في صريح الروايات عند الفريقين .

هذه الحالة التي يتّصف بها عصر الظهور يتّصف بها زمن الرجعة أيضاً ، حيث تأخذ فترة الرجعة أحكاما تتوسّط بين أحكام الدنيا وأحكام الآخرة ، فلاهي أحكام دنيا محضة ولا هي أحكام آخرة محضة ، فكأنّما تشكّل نوعاً من التمهيد والتوطئة للقيامة الكبرى التي ستتغيّر فيها كلّ الأحكام ، وتكون نشأة أخرى تختلف تماما عن النشأة الدنيوية ، وكأنما تطبيعة الكون بمجموعه في انتقاله إلى القيامة الكبرى ليس دفعياً بل تدريجياً ، وتشكّل الرجعة مرتبة من تلك المراتب وأوجه الشبه .

هذا هو السرّ في غفلة مفسّري أهل سنة الجماعة وتفسيرهم لآيات عديدة بالقيامة الكبرى ، مع أنه بشيء من التأمل والتروّي والأخذ بما نبّه إليه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تجدها واضحة في دلالتها على الرجعة ، كما نجد ذلك في تفسيرهم لقوله تعالى : وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا [1] ،وهذه الغفلة .وللأسف

1- النمل : 83 .

الشديد .وقع فيها بعض الشيعة وخالفوا مشهور مفسّري الطائفة .

والأمر نفسه نجده في الآيات الواردة في الإمام الحجّة (عليه السلام) ، حيث وقع مفسّري أهل سنةّ الجماعة بنفس الغفلة وفسّروها بالقيامة الكوى ،والسبب في ذلك عدم الالتفات إلى ماهية الرجعة وظهور الإمام ولوجه الشبه بينهما وبين القيامة الكوى ، وكذلك لعدم الالتزام بإرشادات أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) ،وابتعادهم عن المنبع الصحيح للمعارف الدينية .

## الأدلّة على الرجعة :

في البداية لابدّ أن نبيّن .واستنادا لّما تقدمّ في بيان ماهية الرجعة . أن الّذي يريد أن يبحث عن أدلة عّلى إثبات الرجعة ولوازمها التي بيّناها آنفاً ، ينبغي عليه أن لا يقصر البحث على عنوان الرجعة فقط ، فإنكّ لن تجده بكثرة ، أما إذا بحثت عن ماهية الرجعة ولوازمها فإنّك ستجد الكثير من الآيات المصرّحة أو الظاهرة في ذلك ، وكذا الحال في الروايات وعند الفريقين . وهذه نقطة جدّاً مهمةّ ، ولهذا ركزّنا الكلام حولها ، لتكون كاشفة لنا عن الأدلة الّمثبتة لعقيدة الرجعة .

## أوّلا : الأدلةّ الروائية :

إنّ الروايات التي تصرّح بعنوان الرجعة أو ماهيتها بعناوين أخرى ولوازمها أو هي ظاهرة في ذلك كثيرة جداّ ، وتفوق حد الإحصاء وعند الفريقين الشيعة وأهل سنّة الجماعة .

نعم ، في روايات أهل سنّة الجماعة لا تجد تصريحاً بعنوان الرجعة ، ولكن هناك كثير من الروايات وفي أبواب متعددة من مصادرهم الحديثية المعتبرة تجدها تصرّح بماهية الرجعة أو بلازم من لوازمها .

نعم ، هم لا يسمّون هذه الأبواب باسم الرجعة ،ولا يشيرون إلى أنّ هذه



الروايات تدلّ على الرجعة ، لما ذكرت لكم بأنّ ماهية الرجعة لا تتلائم مع عقيدتهم ونظريتهم ، ولكنهم لم ينتبهوا إلى ذلك ،وإن كنّا لسنا بصدد التنبيه ولكن هذا الأمر لابدّ أن يذكر ، فمن تلك الروايات ما رووه في باب أشراط الساعة سواء كان في صحيحي البخاري ومسلم أو بقية الكتب الحديثية الأُخرى ، فإنّ هذه الروايات لو تأملّت فيها لوجدتها متطابقة المضمون مع ما رووه الإمامية في الرجعة ،وأنّها تكشف عن ماهية الرجعة أو عن خاصيةّ ولازم من لوازمها .

ففي الروايات التي رووها عن الإمام المهدي (عليه السلام) .وأنت تعرف بأنّ ما رووه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الإمام المهدي كثير وكذلك ما رويناه نحن عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، . مضافاً إلى رواياتنا عن الأئمّة (عليهم السلام) . ستجد أنّ الكثير من التفاصيل التي رووها حول خروج الإمام المهدي (عليه السلام) تلتقي بشكل واضح مع الكثير من تفاصيل الرجعة وماهيّتها .والأمر نفسه تجده في الروايات المتعلقّة بالدجال ، فإنّ هناك عدةّ من أحكام وتفاصيل خروج الدجال مرتبطة بالرجعة .

وباب آخر يأتي فيه نفس الكلام وهو ما رووه في الدابة وظهورها والتي تحكي الحقيقة القرآنية في قوله تعالى : ﴿وَإِذا وقعَ

(1)

القَوْلُ عليهَمْ أخرجْنا لهمْ دابة مِنْ الأرْضِ تِكلمهمَ أن النِاسُ كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ فقد روُيِ فُي البخلري ومسلم وأحمد والحاكم وغيرهما أنّ دابة الأرض ستخرج وستسمّ المؤمن بإيمانه والمنافق بنفاقه ، وفي بعضها أنهّا تديل للمؤمن على الكافر ، وهذا المضمون يتطابق تماماً مع ماهية الرجعة[2] !

ونفس الكلام تجده في الروايات التي رووها في طلوع الشمس من مغربها ، حيث يروونها في أشواط الساعة ، وهذا يتطابق في كثير من تفاصيله مع تفاصيل الرجعة .

---

1- النمل : 82 .
2- مسند أحمد 2 : 295 ، 491 ، 5 :268 ، مستدرك الحاكم 4 : 485 .



ومن هنا فإنّ من يعتقد بأنّ روايات أشواط الساعة متعلقّة بظهور الإمام المهدي (عليه السلام) فقط فهو مشتبه ; لما ذكرنا من الاقتران الشديد بين ظهور الحجّة (عليه السلام) والرجعة ، والذي استظهرناه من رواياتنا ورواياتهم ، ولما ذكرنا أيضاً من أنّ ماهية الرجعة هي إدالة الحقّ على الباطل ، ونصرة فرقة الحقّ على الفرق الباطلة ، وهذا سيتحقق في أواخر النشأة الدنيوية المقارنة لحقبة ظهور الإمام (عليه السلام) .

هذا ما يتعلّق بالروايات الواردة عند أهل سنّة الجماعة .

وأمّا الروايات الواردة عند الشيعة فهي كثيرة جداً ، فقد صنفّ الشيعة في ذلك كتبا عديدة منذ زمن الأئمة (عليهم السلام) ، فإنّك لو راجعت كتب التراجم لوجدت الكثير من المحدثّين والأصحاب ممن عاصر الأئمةّ (عليهم السلام) قد صنفّوا في الرجعة ، وتواصل هذا التأليف إلى يومنا هذا ، لاسيّما عند المتأخرين كالمجلسي حيث وضع كتاباً خاصاً في الرجعة مطوع باللغة الفارسية اسمه (رجعت) ، تحقيق : أبو ذر بيدار ، مضافاً للباب الذي أفرده لها في البحار ، وكذلك الفيض الكاشاني في كتابه (علم اليقين) فهو أيضاً أفرد للرجعة باباً ، مضافا لما ذكره عنها في رسائل كتابه الوافي ، وأما الحر العاملي فقد صنفّ فيها كتاباً خاصاً اسمه (الإيقاظ من الهجعة في البرهان على الرجعة) ، وكذلك المعاصر لهم السيد الإسترابادي وليس هو محمد أمين الإسترابادي ، بل هو من السادة والعلماء الكبار الذي قتل شهيداً في مكة سنة (1088 هـ ) ، وكتابه الذي صنفّه في الرجعة اسمه (الرجعة) ، وأحصى أكثر من (600 ) رواية السيّد نعمة اللهّ الجزائري في كتاب ألفهّ في الرجعة .

والحرّ العاملي يشير إلى أنّ روايات الرجعة لا ينبغي للباحث عنها أن يقتصر فيها على الكتب التي صنفّت في الرجعة أو الأبواب التي عُقدت لها ، وإنمّا هي موزعّة على أبواب متفرقة لا تحمل عنوان الرجعة ، كما نجد ذلك في أبواب الزيارات فأنت لا تجد زيارة . إلاّ ناوا ً . تخلو من عبارة (مؤمن بكم وبإيابكم)[1]

---

1- مصباح المتهجد : 725 ، كامل الزيارات : 441 ، المزار : 122 .



أو عبارة : (مصدّق برجعتكم)[1] ، وإلى ما شاء اللّه من هذه العبارات الصريحة في الرجعة ، بل إنّ بعض المحدثّين

والعلماء الكبار تفطن إلى أنّ بعض الروايات الواردة في التشهد حاوية لبعض لوازم الرجعة .

وهكذا يتّضح لك أنّ الروايات الواردة إمّا صريحة في الرجعة أو كاشفة عن ماهيتها أو لازم من لوازمها كثيرة جدا ، وهي موزّعة على كثير من الأبواب الروائية ، فوجودها لا يقتصر على الكتب المصنفّة باسمها ، أو الأبواب الروائية التي عقدت باسمها ، وهذه نقطة مهمّة جداً في معرفة الكم الروائي الحقيقي الوارد في الرجعة .

## اختلاف الشيعة في تفسير الرجعة :

بعد أن اتّفق الشيعة على ثبوت الرجعة اختلفوا في تفسيرها كما يذكر ذلك الشيخ المفيد والسيّد المرتضى والشيخ المجلسي والحرّ العاملي وغيرهم من كبار علماء الإمامية[2] ، فبعضهم حاول تفسير الرجعة على أنّها رجوع دولة الحقّ ، وهي دولة الأئمّة (عليهم السلام) ، يعني بذلك دولة الإمام المهدي (عليه السلام) ، ولم يقبلوا بالتفسير المشهور القائل بأنّ المراد منها هو رجوع الموتى ، لشبهة عالقة في أذهانهم ، وهي استحالة إعادة المعدوم .

وقولهم هذا التفسير من قبيل إعادة المعدوم ، أو قولهم بأنّ هذا التفسير يصوّر الرجعة وكأنّها القيامة الكبرى ، وهو مخالف لما نجده من أنّهما أمران مختلفان ، مضافاً إلى غيرها من المبررات التي استندوا إليها فيما ذهبوا إليه .

وتأويل هذا البعض للرجعة برجوع دولة الحقّ في غير محلّه ولا موجب له ، لمخالفته الواضحة لظاهر روايات الرجعة ، وعليه لا موجب لرفع اليد عن هذا

---

1- من لا يحضره الفقيه 2 : 614 ، التهذيب 6 : 99 .
2- أنظر رسائل المرتضى 1 : 126 ، بحار الأنوار 53 : 139 ، الإيقاظ من الهجعة : 61 ، فقه القرآن 2 : 159 وغيرها .



الظهور ، والمصير إلى هذه التأويلات المبتنية على شُبه غير تامّة .

وذهب البعض الآخر نظير الفيض الكاشاني في (علم اليقين)[1] ، ونظيره المحقّق الشاه آبادي أستاذ السيّد الفقيه قائد الثورة الإمام الخميني (قدس سره) ، وأحد نجوم الفلسفة والعرفان في الحوزات العلمية الشيعية ، كما ينقل عنه الشهيد مطهري في كتابه المعاد[2] أنّه يذهب إلى نفس الرأي الذي يتبنّاه الفيض في تفسير الرجعة ، وكذلك يظهر من المرحوم مطهري أيضاً ، وكذلك يظهر من الحكيم الفقيه صاحب حاشية العروة الميرزا أبي الحسن الرفيعي التمايل إلى هذا القول .

وهو أنّ المراد من الرجعة نحو تمثّلات لأرواح أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، ولأرواح المؤمنين ، وتصرفات في عالم الدنيا لإدالة الحقّ ونصرته على الباطل ، نظير ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾[3] ، بل المرحوم الشاه آبادي لم يقتصر في إفراغ تفسيره هذا على روايات الرجعة فقط ، بل تعدّاها إلى روايات تتعلّق بمواضيع أُخرى كالسيرة النبوية وغيرها ، وفسّرها بهذا النحو من التفسير .

ولكن هذا التفسير لم يرتضه مشهور علماء الإمامية ، فقد رفضه المجلسي والحر العاملي وكثير غيرهم ، وقالوا بأنّ الصحيح هو رجوع الأرواح إلى الأبدان وإحياء لبعض الموتى في هذه الحياة الدنيا .

وهذا التفسير هو الدارج بين علماء الإمامية ،والمتطابق في نفس الوقت مع نصوص الآيات والروايات ، كما سيأتي توضيحه لاحقاً .

وممن يتبنّى هذا التفسير من المتأخرين هو العلاّمة الطباطبائي (رحمه الله) ،وهو ممن اختصّ من علماء الإمامية بإقامة دليل عقلي فلسفي وهاني على الرجعة في

---

1- علم اليقين 2 : 823 ، فصل 9 .
2- المعاد : 82 ـ 86 .
3- مريم : 17 .



كتابه الميزان [1] ، وكذلك أبو الحسن الرفيعي في كتابه رسائل الرفيعي ، حيث عقد أحدها في إثبات الرجعة برهان فلسفي ، ومن رسالته هذه يظهر أنّه يترجح بين القول المشهور والقول الثاني الذي بيّناه سابقاً .

فإذن ممن اختصّ من الإمامية بإقامة برهان فلسفي على الرجعة هو العلاّمة الطباطبائي والميرزا أبو الحسن الرفيعي وكذلك المحقق المرحوم الشاه آبادي ،وأمّا غيرهم من علماء الإمامية فاستدلوّا بأدلةّ عقلية من سنخ علم الكلام لا من نمط البرهان الفلسفي .

وهذا البرهان الفلسفي سنتعرّض له عندما نناقش الإشكالات التي أوردوها على الرجعة .

### الإشكالات المثارة حول الرجعة :

هناك عدة من الإشكالات التي تثار حول الرجعة ، بغض النظر عن الإشكالات التي بين مذهب الإمامية وبقية المذاهب أو بين الوسط الكلامي عموماً ، ونحن سنقوم باستعراض تلك الإشكالات أولا ، ومن ثمّ مناقشتها ،وهي كالتالي :

الإشكال الأوّل : إنّ القول بالرجعة يستلزم التناسخ الباطل .

الإشكال الثاني : إنّ الرجعة هي عين نظرية الأدوار والأطوار والأكوار الباطلة ،والتي تعتقد بها بعض الفرق الضالّة المنتحلة للإسلام .

الإشكال الثالث : إنّ مضامين روايات الرجعة فيها من الغرائب ما لا يمكن تعقلّه أو إثباته ، بل بعضه ممتنع .

الإشكال الرابع : ضعف المصادر المعتمدة في إثبات الرجعة .

الإشكال الخامس : القول بالرجعة يستلزم بطلان التكليف وبطلان

---

1- تفسير الميزان 2 : 106 .



الامتحان ، بتقريب أنّ الذين أميتوا وانتقلوا للنشأة الأخرى سيتفطنون إلى طريق الحقّ ، ويعرفون خطأهم ،وعندها عندما يرجعون إلى عالم الدنيا فسوف لن تحدث عندهم مصادمة بين الحقّ والباطل ،وإنّما يكون هناك حق مّطلق ،وعندها يبطل

التكليف وينسدّ باب التوبة ، كما هو مفاد العديد من الآيات القرآنية ،وعلى هذا يلزم من القول بالرجعة بطلان التكليف .

الإشكال السادس :وهو عبارة عن استبعاد ذوقي ، مفاده أنّ عمر الرجعة ومدتّها في بعض الروايات غير معقولولا يمكن تصديقه ، فإذا قبلنا أنّ عمرها ثمانين ألف سنة كما تقول بعض الروايات فكم هو عمر الدنيا إذن ؟ ومتى تقام القيامة ؟ ومتى ستكون الجنّة والنار ؟

الإشكال السابع : القول بالرجعة يستلزم خلو الأرض من الحجّة ، بتقريب أنّ هناك فترة تتخلل بين موت الإمام المهدي (عليه السلام) ورجوع الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) ،وهذه الفترة تخلو من حجّة ،واذا لم تكن هناك فترة فكيف نتصورّ إمامة الإمام المهدي على جدّه الإمام علي (عليه السلام) وبقيّة الأئمة ؟

الإشكال الثامن : القول برجوع الموتى يتعارض مع قوله تعالى : ﴿ حَتّىٰ إِذا جاء أَحدَهُمَ المَوتُ قالَ رَبِّ ارجِعونِ * لَعَلّي أَعمَلُ صالحاً فيما تَرَكتُ كَلّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِن وَرائِهِم بَرزَخٌ إِلىٰ يَومِ يُبعَثونَ ﴾[1] ، فالآية صريحة باستحالة الرجعة بعد الموت .

هذا مجمل الإشكالات المثارة حول الرجعة ،وهي إشكالات فنية وعلمية ، وبعضها قوية وبعضها ضعيفة ، ولكن يبقى الإشكال الأصلي في الرجعة والذي يعتبر السبب في احتدام النقاش بين الإمامية والفرق الأُخرى ،وهو أنّ إثبات الرجعة يستلزم إثبات المذهب الحقّ ،وأنّ مذهب الحق ّما هو ؟ وماهية الرجعة

---

1- المؤمنون : 99 ـ 100 .



تقول : إنّ المذهب الحقّ هو الذي ما زال مغلوبا ًمقهورا ًمستضعفا حتّى ذلك اليوم ، فينصره الله تعالى ويظهره على غيره .

## جواب الإشكالات المتقدّمة :

هناك جواب إجمالي على هذه الإشكالات مفاده أنّ المسلمين يعتقدون بالمعاد الجسماني ، ويعدوّن ذلك من الضرورات الدينية ، وبيّنا لكم أنّ بين الرجعة والمعاد الجسماني تشابه في جوانب عديدة ، لهذا فإن ّما سيرد على الرجعة يرد على المعاد الجسماني ، فإذا قلنا : إنّ القول بالرجعة يستلزم التناسخ فالقول بالمعاد الجسماني يستلزم ذلك أيضاً ،واذا قلنا : إن ّالقول بالرجعة يستلزم الغرائب فالقول بالمعاد الجسماني يستلزم الغرائب أيضاً ، فما يقال هنا يقال هناك .

وعلى كُلّ حال فنحن كمتدينين بأدلةّ قطعية يقينية على الدين الحق يّنبغي أن نعتقد بالمعاد الجسماني بعد إخبار الشريعة القطعي به دون التزلزل والتشكيك بسبب هذه الإشكالات المتعلّقة بإبهامات في التفصيل لا في أصل المعتقد وإن كان تمحيص واستقصاء البحث مطلوب لتتعمّق البصيرة والمعرفة ، فكذلك ينبغي علينا أن نؤمن بالرجعة بعد قيام الأدلةّ القاطعة دون الاستراابة بسبب هذه الإشكالات ،وهذا جواب إجمالي .

وأمّا الجواب التفصيلي ، فكالتالي :

الإشكال الأول تعوّض للإجابة عليه كلٌّ من العلامّة الطباطبائي (رحمه الله) في الميزان[1] والميرزا أبي الحسن الرفيعي في رسالته الخاصّة بالرجعة ، ومجمل القول بالتناسخ الذي تقول به بعض الفرق الشاذّة من المسلمين هو دخول أو ولوج روح في جسم ذي روح أُخرى ، ووفق هذا فسرّوا المعاد الجسماني ، ومعنى الجنّة والثواب ، ومما قالوه : إن الروح الصالحة والنفس الطيّبة تنتقل من جسد إلى جسد آخر ، أو إنّها تولد ببدن جديد ، وهناك تفاصيل أُخرى كثيرة حول هذا الموضوع ،

1- انظر الميزان 1 : 206 .



ولكن القول المشترك لكلّ هذه التفاصيل أنّ الروح لا تعود إلى نفس الجسد الذي كانت فيه وغادرته بعد الموت ، وهذا هو الحدّ الفاصل بين التناسخ وغيره سواء على صعيد البحث الكلامي أو الفلسفي .

والقول بالتناسخ باطل عند كُلّ المسلمين ، ودليل بطلانه عند الفلاسفة . مع تمييز الرجعة والمعاد الجسماني عنه . هو أنّ كلّ بدن له الاستعداد لتقبّل روح واحدة فقط ، ويستحيل أن تجتمع روحان أو نفسان في بدن واحد ، والتناسخ يقول باجتماعهما في جسد واحد ، وهما عبارة عن الروح المفاضة على الجسد بسبب استعداده لتقبّلها ، ولأُخرى هي التي نسخت من بدن آخر وحلّت فيه ، أمّا إذا كان المفروض أنّ البدن لا يمكنه أن يستقبل إلا روحاً واحدة بينه وبينها مناسبة خاصة . تكوينية مادية فيزيائية ما شئت فسمّها ، المهمّ أنّ هذه النسبة وهذا التلائم لا يتحقّق إلا بين تلك الروح المعينة وهذا البدن المعين . فإذا كانت كذلك عندها يستحيل التناسخ واجتماع روح ثانية في بدن واحد ، فيكون على هذا أصل نظرية التناسخ غير صحيحة ، وهذا الكلام يأتي على ضوء تفسير الرجعة بالقول المشهور الذي يلتزمه السيّد الطباطبائي أيضاً ، المبتني على عود الروح لنفس الجسد الخاص .

هذا مضافاً إلى ما أثبته القرآن الكريم بصريح الآيات كما في سورة البقرة : ﴿ اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾[1] ، أي : أبعاض المقتول ، وغيرها من الآيات التي سنبحثها ، والدالّة على رجوع الأرواح لنفس تلك الأبدان الخاصّة .

فإذن أصل شبهة التناسخ غير واردة وأصل تبدّل وعود الروح إلى البدن وما شابه ذلك ليست بتناسخ .

ومن الشواهد على ذلك أنّ المسخ كسنّة إلهية وقعت في اليهود حيث مسخهم اللهّ تعالى قردة وخنازير ، مع أن المسخ غير الرجعة ، ولكن كما أنّ المسخ

1- البقرة : 73 .



يغاير التناسخ كذلك الحال في الرجعة فإنّها تغاير التناسخ ، وهي نوع من الإعادة والمعاد ، ولكن ليس هو المعاد الجسماني يوم القيامة الكبرى .

هذا مجمل البحث في قضية دفع التناسخ وإلاّ فالأمر فيه تفصيل أكثر .

**الدليل الفلسفي العقلي على الرجعة :**

وهو الدليل الذي أقامه السيّد العلاّمة الطباطبائي [1] والميرزا أبو الحسن الرفيعي [2] رحمهما اللّه تعالى . ، ومفاده : أنّ الروح إنّما تعلّقت بالبدن لأجل أن تتكامل بكمالات علمية وعملية ، سواء على مستوى بدنها البرزخي أو على مستوى الرجعة العقلية والرجعة النورية فيها وما شابه ذلك ، إلاّ أنّ هذا التكامل قد لا يكتب لكثير من الأرواح التي تعلقّت بأبدانها بسبب الموت الاختوامي أو لأسباب أُخرى ، كالأنظمة والحكومات الظالمة التي تحرم الكثير من ممارسة دورهم وتطوير طاقاتهم ووصولهم إلى كمالاتهم التي كانوا يتطلّعون لها .

ولهذا السبب فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تعود هذه الأرواح التي لم تمنح الفرصة الكافية للتكامل من العودة إلى أبدانها التي فارقتها ، لتستكمل تدبير هذا البدن والوصول به إلى الكمال الذي ترجوه .

وهذا البرهان يعبّر عنه العلاّمة الطباطبائي ببرهان الغاية وهو يقودنا . بلحاظ وصول كلُ الأنواع المخلوقة إلى كمالاتها المقدّر لها في حكمة البارئ وعنايته ، ووفق قواعد العليّة الغائية . إلى حتمية القول بالرجعة في الجملة ، غاية الأمر أنّ الدليل العقلي الكُلّي يثبت هذا المطلب لمن كان مؤمنا ًمحقا ًفي الجملة ، وأن العناية الإلهية تتنابه قبل المعاد الأخروي حيث يقفل باب العمل ويسدّ ، فيعود هذا المؤمن المحقّ ليكمل مسيرته التكاملية ، وهذا هو المراد بالرجعه .

---

1- الميزان في تفسير القرآن 2 : 106 ـ 108 .
2- مجموعة رسائل ومقالات فلسفي ، (مسألة الرجعة) / تقديم وتصحيح : د . غلام حسين نژاد ، ط 1 ، باللغة الفارسية .



هذا تقريب البرهان العقلي الذي ذكره العلاّمة الطباطبائي والميرزا الرفيعي ، وهناك برهانان عقليان آخران متقاربان ومتّحدان في المضمون ولكن يختلفان في الصياغة ، وقد استدُلّ بهما على الرجعة أيضا ً، وسأذكرهما باختصار :

الأوّل : إنّ القسر الدائم [1] مسلّم البطلان عند الفلاسفة والمتكلّمين على حدّ سواء ، ومن الواضح الذي لا شك فيه أن الكثير من المؤمنين والصالحين لم يبلغوا ما هو ممكن لهم ذاتاً ، لأجل موانع وقوعية أو ما شابه ذلك ، وعدم وصولهم إلى كمالاتهم المعهودة هو من القسر الدائم ، وهذا خلاف الحكمة وباطل .

الثاني : ثبت في البرهان الفلسفي أنّ اللّه تعالى من حكمته أنهّ لا يوجد عوالم ولا نشآت إلا إذّا كانت خيرا محضا أو أكثريا ً، ونحن لو نظرنا إلى النشأة الدنيوية من آدم (عليه السلام) إلى النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) لم تكن خيراً محضاً ولا أكثرياً ، بل كان الشرّ أكثر ، وعلى هذا فمن الضرورة المحتمّة وفق السنن الإلهية أن يعود المؤمنون وأهل الحق ليرثوا الأرض ومن عليها ، وليكون الخير في هذه النشأة خيراً أكثرياً ، كما يعبرّ عن هذه السنة الإلهية قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ [2] ، وتعبير الآية ليس فقط عبد صالح يعني المهدي (عليه

السلام) ، بل قالت : ﴿ عِبادِيَ الصالِحونَ ﴾ ، أي : كُلّ من كان على الحق وّالصلاح سيرث الأرض ويحولّ الخير فيها من أقلّي إلى أكثري .

وهذه السنّة الإلهية تصرّح بها آيات أُخرى سنتعرضّ لها لاحقا ً.

وهذا البرهان العقلي بيّنه الميرزا أبو الحسن الرفيعي ،وأشار إلى أنّ هذه النشأة إذا قدرّ لها في نفسها .وهو المفروض . أن تكون خيراً أكثرياً فيجب أن

---

1 - المراد من القسر الدائم هو ممانعة مانع عن وصول طبيعة من الطبائع المخلوقة إلى غايتها المقرّر لها في حكمة الخلق الإلهية ونظام التكوين بحيث تدوم هذه الممانعة حتّى قيام القيامة .

2- الأنبياء : 105 .



تكون في نهاية المطاف إدالة الدولة بيد المؤمنين والصالحين ، ويجب أن تكون دولتهم أطول عمراً من دول ودويلات الظالمين .

وهذه البراهين الثلاثة كُلّها تؤكدّ على أن تّعلق الروح بنفس البدن والأجزاء الأصلية التي كانت متعلقة بّها وذات النسبة الخاصّة ، هذا التعلقّ والارتباط ليس من التناسخ .

وبهذا يندفع الإشكال الأوّل ، وكذلك يندفع الإشكال الثاني القائل بأنّ الرجعة عين نظرية الأطوار والأكوار القائلة بعدم المعاد الجسماني ،وعدم وجود الجنّة والنار .

ونحن لا نقول بذلك والعياذ باللّه ، بل نقول إنّ المعاد الجسماني هو القيامة الكبرى ،وهذا ضرورة من ضرورات الدين .

نعم ، السنن الإلهية التي تحصل قبل القيامة الكبرى ، مثل : أشراط الساعة وخروج الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وماشابه ذلك هي نوع من حالة إرهاصية موطّئة للنشأة الأخروية .

وكذلك يندفع الإشكال الثالث القائل بأنّ روايات الرجعة تتضمّن غرائب لا يصدقّها العقل ، فبعد أن عرفت أن الرجعة لها أحكام تختلف عن النشأة الدنيوية ، عندها لا تكون الروايات المشتملة على أحكام مختلفة عن أحكام الدنيا موضع غرابة ، شأنها في ذلك شأن الروايات المتعلّقة بالنشأة الأخروية والمعاد والجنّة والنار ، وذلك لاختلاف أحكام النشأتين الدنيوية والأخروية ، والرجعة تختلف في أحكامها مع النشأتين معاً ، فهي نشأة توسيطية بين النشأتين ،وهي نحو من أنحاء البرزخ وإن كانت هي نشأة دنيوية .

أمّا الإشكال الرابع القائل بضعف مصادر روايات الرجعة فكلام غير تامّ ، لما عرفت من أنّ روايات الرجعة متواترة وعند الفريقين ،واعتمدنا في إثبات هذا التواتر بتتبع ماهية الرجعة التي أوضحناها سابقاً ، وكذا الروايات المصرّحة بالرجعة



فهي عند الشيعة كثيرة جدّا ً ، مضافا إلى الآيات التي سنأتي على تفسيرها ، فإن الكثير منها صريح في الرجعة ولا يقبل تفسيراً آخر ،وهذا بحدّ ذاته يقويّ الروايات ويؤيدّ صحتها وان كان لوحده كاف في إثبات الرجعة ولا يتوقف دلالته على

الروايات .

وأمّا الإشكال الخامس الذي يدّعي أنّ القول بالرجعة يلزم منه بطلان التكليف ، فهذا الإشكال يدلّ على عدم إحاطة صاحبه بأحوال النفس الإنسانية وأحكامها ولو كان مطّلعاً لتخلّى عن إشكاله .

فمن حقائق النفس الإنسانية أنّها لا تتخلّى عن نشأتها السابقة التي انطوت عليها وان رأت خطأ أعمالها بعينها ودخلت النار وذاقت العذاب ، وهذه حقيقة ثابتة أعلنها القرآن الكريم بصراحة كما في قوله تعالى : ( وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا )[1] ، والسرّ في عودتهم لما نهوا عنه ، مع رؤيتهم لعاقبة ما كانوا يفعلون ، هو أنّ الإنسان . بحسب ما يطويه من نشآت سابقة . إذا انشغل بتدبير بدنه سيّما الدنيوي منه ، وخضع لأحكام النشأة الدنيوية ، فإنّه سينسى ما رآه وما لمسه ، ويتحوّل عنده إلى مجرد منامات ، مثله مثل من رأى رؤية عاش فيها حقباً من الزمن ، ومرّت عليه أحداث كثيرة وتجمت حياته كلُّها ، ولكنه بمجرد أن يستيقظ ينسى كُلّ شيء وكأنّه لم ير شيئا .

وهذا يدلّل على أنّ الإنسان بطبيعته وبمجرد أن يقبُل على هذا البدن الدنيوي الخاص فإنه ينشغل عن خزانة درجات نفسه ، وينسى النشأة الأخروية ، وينسى ذكر اللّه تعالى : ﴿ نَسُوا اللّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾[2] ، وينسى كُلّ شيء ، وينشغل فقط بالبدن الذي لا يعمّر أكثر من خمسين أو ستين أو مائة سنة ، ويتوهم أنّ الخلود في ذلك فقط .

---

1- الأنعام : 28 .
2- الحشر : 19 .



وإذا تملّك الإنسان هذا الشعور فحينئذ ينسى النشأة الأخروية البرزخية ، وما ابتليت به نفسه من أحكامها .

والمقصود من كُلّ ذلك أنّ طبيعة النفس البشرية إذا انشغلت بالبدن عندها تنسى ما قد كانت فيه ، وبذلك يتضّح أن أولئك الذين سيرجعون إلى دار الدنيا بعد الموت لا يلزم أن يكونوا على استحضار وذكر لما شاهدوه ولاقوه في البرزخ ، ليكون ذلك حاجزاً لهم عن مخالفة الحقّ ، وانمّا يكون لهم كالحالة المنامية ، كما يحكي لنا القرآن عن حالة الظالمين عندما يبعثون يوم القيامة ويسألون كم لبثتم فيظنون أنّهم لبثوا في البرزخ قليلاً يوما أو بضع يوم مع أنهمّ لبثوا دهرا .

وهناك تجارب ووقائع كثيرة جرت لبعض من ذاق الموت يؤكّد هذه الحقيقة ، فهم بعدما شاهدوا ما شاهدوا بعد الموت ثُمّ عادوا إلى الحياة الدنيا وعادوا إلى أبدانهم نسوا ما كان جرى عليهم ، وكأنّه كان حلماً ورؤية في منام ، وهذا ليس من الشيء الغريب وانّما هو من طبيعة وشؤون النفس وحالاتها ، نظراً للنكتة التي أشرنا لها .

وأمّا الإشكال السادس الذي كان عبارة عن استبعاد ذوقي حول عمر الرجعة ، وأنّه طويل جداً لا يتناسب وعمر الدنيا ، وعليه فمتى تقام القيامة ؟ وهذا استبعاد ذوقي لا يستند إلى دليل علمي ، لا عقلي ولا نقلي ، وإلاّ من أين يعلم عمر الدنيا حتّى يقيس عليها عمر الرجعة ؟ ! ومن أين يعلم متى ستكون الساعة ؟ ! فهذه كُلّها تخرّصات ليست في محلها .

وأمّا الإشكال السابع وهو لزوم خلو الأرض من حجّة فكلام غير صحيح ; لأنّ عودة الأئمة (عليهم السلام) ستكون متزامنة

مع شهادة الإمام المهدي (عليه السلام) ، فعندنا روايات تقول إنّ الذي يصلّي على الإمام المهدي (عليه السلام) هو الإمام الحسين (عليه السلام) ، ويدفنه في قبره الشريف في كربلاء[1] .

1- بحار الأنوار 109 : 148 .



أمّا في حال اجتماعهم فكيف نتصوّر إمامة المهدي (عليه السلام) على الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وغيره ، فهذا الاجتماع لا يتعارض مع حفظ المراتب ، فقد اجتمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أصحاب الكساء ولم يتعارض ذلك مع رتبهم وكونهم أئمّة ، فهم عليهم السلام في كلّ وقت في اتصّال مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينقطع ، والإمام المهدي (عليه السلام) إنّما يعمل كإمام وقائد تحت إشراف الإمام علي (عليه السلام) ، كما كان يعمل لوط كنبي تحت إشراف إبراهيم(عليه السلام) .

وأمّا الإشكال الثامن وهو أنّ القول بالرجعة يتعارض مع الحكم الإلهي بعدم رجاع من مات ، وانمّا يبقى في البرزخ حتىّ يوم البعث يوم القيامة الكبرى ، كما في قوله تعالى : ﴿ حَتّىَ إِذا جاء أحدَهَمَ المَوتُ قالَ رَبِ ارجِعونِّ * لعلِيُ أعمل صَالِّحا فِيما تَرَكتْ كُلا إَنهّا كِلَّمة هَوَ قائِلُها وَمن وِرائهمَ برزِخ إلى يومِ يبعَثونَّ ﴾[1] .

فهذه دعوى غير تامّة ; لأنّ المراد م

وواضح لديكم بماذا أوصاهم النبي ،وأيّ طريق اختاره لهم ، فحديث الثقلين المتواتر عند الفريقين صريحٌ في مراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّه أوصاهم بأهل بيته (عليهم السلام) ،وأن يتمسكوا بهم كيما يتمكنّوا من السير على طريق الهداية ،وإذا لم يتمسّكوا بالثقلين معاً فلن تتحقق الهداية ،وعبارته (صلى الله عليه وآله وسلم) صريحة في ذلك لا لبس فيها ولا تحتمل التأويل أبداً ، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللهّ وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتّم بهما فلن تضلوّا بعدي أبداً ،وأنهّما لن يفترقا حتىّ يردا علي الحوض» [1] .

ونحن لسنا بصدد التفصيل في ألفاظ الحديث ومدلولاته وطرقه فله محلّ آخر ،وإنمّا أردنا الإشارة إلى هذه الحقيقة المتفق على ثبوتها عند كُلّ المسلمين ، ولكنها مغيبّة عن الواقع ، وكذلك لنشير إلى أن التمسكّ بالعترة والكتاب معا شرط لتحصيل الهداية ولم يقتصر اشتراطه على حديث الثقلين فقط ،وإنّما جاء به القرآن أيضاً ، ومن هذه الآيات الدالةّ على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [3] ، فتلاحظ أنّ هنالك قرناً بين الكتاب والمطهرّين حيث لا يمسهّ إلا هم ، وبين الكتاب والراسخين في العلم حيث لا يعلم تأويله إلاّ هم .

وغيرها من الآيات الدالّة على هذا القرن وأنّ أحدهما لا ينفك عن الآخر ، ومن أراد أحدهما فلابد له من الأخذ بقرينه وعدله كما هو مفاد حديث الثقلين

---

1- سنن الترمذي 5 : 338 ، مصنّف ابن أبي شيبة 7 : 418 ، السنن الكبرى للنسائي 5 : 45 ، وغيرها كثير جدّاً .
2- الواقعة : 77 ـ 79 .
3- آل عمران : 7 .



الذي يأمر من يريد الهداية الحقيقية أن يأخذ بكلاّ الثقلين الكتاب والعترة ،وأنّ الأخذ بأحدهما دون الآخر لا يؤديّ إلا إلّى الضلال ; لأنّه في الحقيقة ترك لكليهما ; لأنّ المفروض أنهّما معا فترك أحدهما ترك لكليهما ،والأخذ الحقيقي لأحدهما . لا الصوري . لا ينفك عن الأخذ بالآخر .

وهكذا نخلص إلى أنّ أصحاب هذه العقائد الفاسدة إنمّا وقعوا فيها بسبب تخليهّم عن الأخذ بالثقلين معا .

دور أهل البيت (عليهم السلام) في دحض هذه الانحرافات :

لأهل البيت (عليهم السلام) دور كبير في بيان زيف هذه المعتقدات وإسقاطها عن عقول الناس ، عن طريق المناظرة مع أصحاب هذه الفرق وتفنيد مزاعمهم بالأدلّة الشرعية والواهين العقلية ، ومحاولة إيصال هذه البيانات إلى عموم الناس العاجزين عن فهم بطلان هذه المعتقدات وأنّها ليست من الدين بشيء ، فإنّك لو تأملّت سير هذه المعتقدات في بدايتها لما وجدت أنّ القول ببطلانها كان واضحاً ، وبتلك الضرورة التي نلمسها الآن ،وإنمّا حصل ذلك بجهود أهل البيت (عليهم السلام) وتفانيهم

في خدمة الدين ودفع الشبهات والأباطيل عنه ، ويعدّ هذا من المسؤوليات الكبرى الملقاة على عاتق أهل البيت (عليهم السلام) ، فهم (عليهم السلام) الحصن الحصين للدين ، ودفع البدع والأباطيل عنه ، ورفع الجهل المتفشّي بين المسلمين ، فالنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان يتأتّى الوقت المحدود له أن يبيّن كلُ مّعالم الدين على نحو التفصيل والوضوح التام المانع من دخول الشبهة في ثلاث وعشرين سنة فقط ، والتي كانت محفوفة بظروف ومسؤوليات جمّة في تأسيس الدعوة وإبلاغها . وعلى هذا فمن الضروري أن يتحمّل أهل البيت (عليهم السلام) تلك المسؤولية ويقوموا بنشر تلك المعالم والدفاع عنها ، ولهذا فإنّك تجد في كتب التراجم وكتب التواريخ وكتب الحديث والكتب الكلامية بصمات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) واضحة في ردع مثل هذه المذاهب الباطلة والعقائد الخاطئة القاصرة الجاهلة ، التي لا تعلو بعلو الدين الحنيف وليست هي مواكبة للآفاق العليا له .



وهذه اليد البيضاء لأهل البيت (عليهم السلام) بنفسها دليل على إمامتهم ، وكون علومهم ليست علوماً بشرية ، أو مقتنصة من أفهام بشرية ، وظهورات لفظية . وتميّزهم بهذا العلم كان أحد المناهج التي اعتمدها الشيخ المفيد في كتابه (الإرشاد) وبقية المتقدّمين من متكلّمي الإمامية على إثبات إمامتهم (عليهم السلام) ، فالشيخ الطبرسي في (إعلام الورى)[1] ذكر ما يقارب سبعة عشر أو خمسة عشر طريقاً في إثبات إمامة أهل البيت (عليهم السلام) ، أحدها إعجازاتهم العلمية ، فإنّ الأفق العلمي الذي كان بحوزتهم لا يتعقّل أحد أنّ منبعه بشري ، فها نحن في القرن الخامس عشر الهجري نجد أنّ الذهنية البشرية عندما تقف أمام علومهم (عليهم السلام) وما روي عنهم تجد عمق وخلالة وإتقان علمي لا نظير له ، ولا يوجد فيه أيّ ثغرة يمكن أن يعثر عليها أو يستطيع إثباتها .

وهذا الإعجاز العلمي هو أحد أنوارهم الباهرة الدالّة على إمامتهم بغض النظر عن النصوص والمناهج الأُخرى العقلية الدالّة على إمامتهم ، وكذا فإنّ خصوصية علومهم وإعجازها دليل على أنّ علومهم هذه علوم لدنية لها إرتباط مع رب العزة ، وإن كان هذا الارتباط ليس من سنخ النبوّة وإنّما هو من سنخ الإمامة .

وفي الوقت الذي تجد أهل البيت (عليهم السلام) يتمتعون بهذا الأفق العلمي المميز ، تجد التيارات الأُخرى تعيش التخبط والضياع الفكري والعقائدي والذي تمثّل في انحرافاتهم الآنفة الذكر ، والتي تصدّى لها أئمةُ أهل البيت (عليهم السلام) بأفق علمي تجاوز الأفق العلمي لذلك الزمن .

نصوص في التجسيم :

بعد أن أوضحنا ماهيّة التجسيم والرؤية البصرية ، ومن قال بها ، ولوازمها الباطلة ، وحكم من قال بها ، وموقف أهل البيت (عليهم السلام) منها ، نحاول الآن التوقف عند

1- ذكر ذلك الشيخ المفيد في الإرشاد في أكثر من مورد دون أن يضعه في فصل معيّن ، وانظر إعلام الورى 1 : 408 .

بعض النصوص المصرّحة بالتجسيم ، وهذه الأقوال والتصريحات معروفة عن القائلين بالتجسيم ، وهي مسطورة في كتبهم .

فمثلا نجد مؤسس المذهب الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين [1] ينقل تصريح بعضهم بجواز الملامسة مع البارئ عزّ وجلّ وكذا المصافحة والمعانقة ، وأنّ الإنسان إذا ارتاض وأخلص يصل إلى البارئ ويتحّد به .والعياذ بالله ّ. ، بل إن أحدهم وهو داود الجرابي قال : «اعفوني من الفرج واللحية واسألوني عمّا وراء ذلك» [2] .

وقالوا أيضاً بأنّ له جسماً ودماً ولحماً وله جوارح وأعضاء ، وقالوا إنه ّتعالى عما يقولون علوا كبيراً . يضعُ قدمه في النار ويسألها كما في قوله تعالى : ﴿ هَلِ امتلأتِ وتقول هَل مِن مَزيد﴾ [3] ، حيث إنّهم يفسرّون هذه الآية القرآنية بما يعتقدون من تجسيم ، ثُمّ يقولون : فلا تمتلىء جهنمّ حتىّ يضع البارئ قدمه فيها !

وهذا الكلام ينسبونه لرسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) في روايات ذكرها البخاري ومسلم في صحيحيهما [4] ، وفي غيرها من كتبهم الحديثية المعتبرة عندهم .

ومن تلك الروايات التي يخجل الإنسان من ذكرها قولهم : إنّ اللّه تعالى اشتكى عينيه فعادته الملائكة [5] ، وكذلك قولهم على لسان البارئ عزّ وجلّ : إن ّالعرش ليئط من تحتي كأطيط الرجل أو الرحل [6] ، وهلم جرّاً من هذه الروايات التي لا يشك ّ بوضعها ذو مسكة .

---

1- مقالات الإسلاميين : 214 .
2- شرح نهج البلاغة 3 : 224 ، الأنساب للسمعاني 5 : 643 .
3- ق : 30 .
4- صحيح البخاري 6 : 47 ـ 48 ، 7 : 225 ، 8 : 166 ، 187 ، صحيح مسلم 8 : 151 ـ 152 .
5- شرح نهج البلاغة 3 : 226 .
6- مجمع الزوائد 1 : 84 ، 10 : 159 ، عون المعبود 13 : 13 ، كنز العمال 6 : 152 ، 10 : 369 ، 374 ، وراجع : أضواء على الصحيحين : 181 وما بعدها .



موقف المجسمة من لوازم قولهم :

ذكرنا أنّ للتجسيم والرؤية البصرية لوازم لا شكّ في بطلانها ، ولا يختلف اثنان في منافاتها لضرورة التوحيد ، وهذه اللوازم عندما واجهها أصحاب القول بالتجسيم اضطروا إلى التوسّل بمخرج آخر ، وذلك بأن أجروا صياغة جديدة على مذهبهم وقالوا : إنّنا نقول بأنّه جسم لا كالأجسام ، أو جسم بلا كيفية ، ولحم لا كاللحوم ، ودم لا كالدماء ، وهلم ّجرا ّمن التأويلات الفاسدة والتوجيهات المضحكة ، وعلى هذا يكون المراد من قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كمثلِهِ شْيءٍ ﴾ [1] أنّ اللّه تعالى جسم لا كبقية الأجسام ، تعالى اللّه عما يقولون علوا ّكبيرا ً.

أدلّة المجسمّة على الرؤية البصرية :

استدلّوا على قولهم بأنّ المؤمنين يرون اللّه عز وّجل بعّيونهم بآيات قرآنية جمدوا على ظاهرها اللغوي ، منها قوله تعالى : ﴿ وُجُوه يّومَئذ نّاضرة * إلىّ ربها ناظرةٌ ﴾ [2] ، أو قول موسى (عليه السلام) : ﴿ رَبِّ أَرنِي أنظرَ إليكَ ﴾ [3] ، أو جواب

اللّه تعالى لطلب موسى هذا وهو قوله في نفس الآية : ﴿ فَإِنِ استقرَ مَكَانهَ فسَوفَ تَرانيْ ﴾ .

ومن الآيات التي استدلّوا بها أيضاً قوله تعالى : ﴿ لِلذَّين أحسَنُوا الُحسنىَ وزِيادةَ ﴾ [4] ، حيث فسّروا الزيادة الواردة في الآية المباركة برؤية اللّه عزّ وجلّ بالعين ، وكذا فسروّا المزيد في قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ ما يشَاؤنَ فيَها ولدينا مَزيْد ﴾ [5] بالمعنى السابق ذاته وهو النظر للّه تعالى بالعين .

---

1- الشورى : 11 .
2- القيامة : 22 ـ 23 .
3- الأعراف : 43 .
4- يونس : 26 .
5- ق : 35 .



وأمّا قوله تعالى : ﴿ تَحيتَهُمُ يُوْم يَلقَونَهَ سْلَام ﴾ [1] ، فإنّهم فسرّوا اللقاء بأنهّ لقاء بصوي ، وكذا فهموا من قوله تعالى : ﴿ كَلاّ إنهِمَّ عُنْ رَبهْم يَوّمئذْ لمَحْجَوبِونَ ﴾ [2] أنّ بعض أهل المحشر يحجبون عن رؤية اللّه تعالى ، وبعضهم لا يحجبون ، وقد أيّدوا تفسواتهم هذه بكثير من الروايات المروية بطوقهم ، والعجيب أنّهم حيث جمدوا على ظواهر هذه الآيات ليستنتوا إليها في إثبات قولهم إلاّ أنّهم حملوا الآيات النافية للرؤية على غير ظاهرها ، دفاعاً عن معتقدهم ، كما نرى ذلك عند الأشعوي في تفسوه لقوله تعالى : ﴿ لا تُدْرِكهُ الأبصَارْ وهُو يدرِكُ الأبْصارُ وهوَ ْاللطيفَ الخبير ﴾ [3] ، حَيثُ حمل قوله تعالى الظاهر في نفي الرؤية البصوية مطلقاً على نفي الرؤية في الدنيا لا في الآخرة ، أو أنّ المراد من الأبصار المنفي إدراكها هي أبصار الكافرين لا أبصار المؤمنين [4] !

ولضحالة هذا التفسير وخروجه عن منطق العلم وكونه صريحاً في التجسيم حاول محمّد عبده أن يؤولّ قول الأشعوي هذا ، كما نقل ذلك عنه محمّد رشيد رضا في تفسير المنار ، وقال بأنّ مراده كمال المعرفة لا الرؤية البصرية [5] ! مع أنّ كلام الأشعوي صريح لا يقبل التأويل بأيّ شكل من الأشكال .

ومضافاً إلى الآيات فهناك روايات متواترة عند أهل سنّة الجماعة قد رووها في صحاحهم وكتبهم الحديثية المعتوة وهي صرّح بالتجسيم ، وقد اعتمدوها كدليل رأسه على ما ذهبوا إليه من القول بالتجسيم والرؤية البصرية ، كالرواية التي تقول : «ترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رؤيته» ، وهذا الحديث متواتر لديهم وقد رووه بطرق عديدة وصحيحة عندهم ،

---

1- الأحزاب : 44 .
2- المطففين : 15 .
3- الأنعام : 103 .
4- الإبانة عن أصول الديانة : 24 .
5- تفسير المنار 7 : 539 .

فقد رواه البخاري [1] ، وأحمد [2] ، والدارمي في رسالة الردّ على الجهمية .

ومضافاً إلى الآيات والروايات حاولوا أن يصوّروا أنّ هناك أدلةّ عقلية على صحة الرؤية ، كما نجد ذلك عند الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين وكتابه الإبانة [3] ، حيث ذكر بأنّ كلّ موجود فلابد أن يكون مرئيا بالبصر ، وغير المرئي بالبصر معدوم ، واللّه تعالى موجود فلابدّ أن يرى . ولكن الرجل لو عاش إلى القرن العشرين ورأى أن الطاقة موجودة ومع ذلك فهي غير مرئية لعرف فساد استدلاله هذا ، بل حتّى في زمانه لو تأمل جيداً لعرف ذلك في الأرواح فهي أيضا غير مرئية مع أنها موجودة .

وكذلك يقول : إنّ كلّ راء لابد أن يكون مرئيا ، وحيث إن اللّه تعالى يرى ، كما جاء ذلك في عدة آيات ، كقوله تعالى لموسى (عليه السلام) : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [4] ، فإذن لابدّ أن يكون اللّه تعالى مرئيا بالباصرة ، شأنه شأن غيره من الموجودات التي ترى ، فكما أنّ الموجودات التي لها قابلية الرؤية لكي ترى الأشياء فلابدّ أن تقابلها وتواجهها ، فاللّه تعالى أيضاً إذا أراد أن يرى الأشياء فلابدّ أن يقابلها ويواجهها ! وإذا كان يرى ما يقابله فما يقابله أيضا لابد أن يراه !

أدلّة المجسّمة على حالات التجسيم الأخرى :

إنّ المجسّمة لم يكتفوا باثبات الرؤية البصرية للهّ تعالى ، بل أثبتوا له . والعياذ باللهّ . كلّ ما ثبت للإنسان من جوارح وأعضاء وجهة وغيرها ممّا يلازمه النقص والحاجة والحدوث !

فمما أثبتوه للبارئ عزّ وجلّ هو المكان والجهة ، واستدلوا على ذلك بظاهر قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [5] ، وقوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ

---

1- صحيح البخاري 8 :181 .
2- مسند أحمد 2 : 534 .
3- الإبانة : 26 ـ 27 .
4- طه : 46 .
5- طه : 5 .



الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [1] ، وقوله تعالى في عيسى (عليه السلام) : ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾ [4] ، وقوله تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [5] ، وقوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [6] ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [7] ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [8] ، فهذه الآيات كلّها تدلّ بنظرهم على أنّ اللّه تعالى في جهة العلو والسماء .

وهذه الآيات استدلّ بها الأشعري في الفصل الثاني من كتابه ، واستدلّ في الفصل الثالث منه على أنّ للهّ تعالى أعضاء ، [9] [10]

بقوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ، وقال بأنّ معنى هلاك كُلّ شيء إلا وجهه أن أعضاء البارئ .والعياذ بالله . تفنى وتهلك إلا وجّهه يبقى ! معتمدين في ذلك على نهجهم في وجوب التمسّك بحد وحرفية اللفظ وعدم الخروج عنه ، وعلى أساس هذا المنهج فسرّوا قوله تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [11] بأنّ للّه تعالى يدٌ والعياذ بالله ، وكذا قوله تعالى الذي استنكر فيه على إبليس عندما أمره بالسجود لآدم حين قال له : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾

---

1- فاطر : 10 .
2- النساء : 157 .
3- السجدة : 7 .
4- الملك : 16 .
5- النحل : 50 .
6- المعارج : 4 .
7- الفجر : 22 .
8- النجم : 9 .
9- الرحمن : 27 .
10- القصص : 89 .
11- الفتح : 10 .



﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [1] أو قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ [2] أو الآية الأخرى التي صال وجال بها القائلون بالتجسيم وهي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [3] ، فحملوا الساق الواردة في الآية على ساق البدن ، وأثبتوا للّه تعالى ساقاً والعياذ باللّه .

ابن تيميّة والتجسيم :

لابن تيميّة أقوال وتصريحات عديدة في التجسيم ، فهو من الداعين إلى التجسيم والمتشددين فيه ، ففي كتابه منهاج السنّة [4] تشدد في إثبات الجهة والفوقية للّه تعالى ، ودافع عن الرؤية ، وردّ على من احتجّ بقوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ بنفي الرؤية البصرية بقوله : إنّ هذه الآية لا تدلّ على نفي الرؤية البصرية ، بتقريب أنّ المنفي في الآية ليس الرؤية وانما هو الإدراك ، فهو لم يقل لا تراه الأبصار وإنّما قال لا تدركه ، وفرق بين الرؤية والإدراك ، فالإدراك هو الإحاطة ، والبارئ لا يمكن الإحاطة به ، ولكن هذا لا يعني أنّ كُلّ ما لا يمكنك الإحاطة به لا يمكنك رؤيته ، ومثاله أنكّ لو قابلت جيشا جرّارا يسدّ الآفاق فإنّك لا تستطيع الإحاطة به ولكنك تراه ، وكذا الأمر في الآية المباركة فالمنفي هو إحاطة الغير للبارئ عزّ وجلّ ، وهذا لا يلزم منه نفي الرؤية لما ذكرناه من الفرق بينهما .

هذا ملخّص توجيه ابن تيميّة لمراد الآية !

لكن تفسير ابن تيميّة للآية غير تام ، وقوله بأنّ المراد من الإدراك هنا هو الإحاطة غير صحيح .

1- ص : 75 .
2- الذاريات : 47 .
3- القلم : 42 .
4- منهاج السنّة النبوية 2 : 321 ـ 349 ، 558 ، 641 ـ 650 .



فالإدراك في الأصل معناه الوصول كقولك : أدركت الولد ، أي : وصلت إليه ، أو أدركت الماء ، أو لم أدرك الجيش ، وهكذا . وأمّا إذا أردت أن تستعملها بمعنى الإحاطة فعليك أن تنصب قرينة على ذلك ، كقولك : لا تدرك جوانبه ، أو لا يدرك قراره ، أو لا يدرك آخره ، وهلمّ جراً من الألفاظ الدالة على أن المراد هو الإحاطة .

وأمّا إذا لم يذكر معها ما يقرر معناها بالإحاطة فإنّها تبقى على معناها الأصلي وهو الوصول ، وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبصَارُ ﴾ ، أي : لا تصل إليه الأبصار .

ومما يؤكّد هذا المعنى أنّ عدم الإحاطة بالبارئ لا تقتصر على الرؤية فقط ، بل كلُ إحاطة هي ممتنعة في حق البارئ عز وجلّ ، فحتّى العقل لا يحيط بالبارئ ، فلماذا أقتصر في الآية على نفي إحاطة الرؤية فقط ؟ مما يؤكد أن المراد هو الوصول ونفي أصل الرؤية وليس الإحاطة . مع أنّه لا فرق بين نفي الإحاطة والرؤية البصرية في المقام ; لأنّ الرؤية البصرية إذا تحققت حتّى للمثال الذي ذكره كالجيش الجرار الذي يملأ الأفق فإنّ الرؤية تحيط به ; لأن حدوده الجسمانية تكون مرئية للبصر فتحيط الرؤية بحدود أبعاده مآلاً ، كما هو الحال في وقوع الرؤية للسماء أو الأرض فإننّا برؤيتنا البصرية نرى حدود أبعادها المحيطة بها ، وعلى هذا يتبيّن التلازم بين الرؤية البصرية والتحديد والتجسيم وتفوقته مصادمة مع البديهية ، مع أنّ أصل التجسيم يستلزم التركّب والتبعيض في ذات البارئ والعياذ بالله تعالى . هذا من جهة .

ومن جهة أُخرى فإنّ المنفي هنا هو الأبصار وليس الإدراك ، فهي لم تقل : (لا يدرك البارئ) ليكون النفي متعلقّ بالإدراك ، بل قالت : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبصَارُ ﴾ ، فوقع النفي على الأبصار ، نزولا عند قاعدة البيان العربي القائمة على أنّ النفي إذا جاء في الجملة وفيها فاعل فيقع النفي على الفاعل ، وفي المقام فإنّ



الأبصار هو الفاعل فلزم أن يكون هو متعلّق النفي ، فيكون المنفي هو أصل الرؤية وليس الإحاطة كما يقول ابن تيمية .

واستدلّ أيضاً بدليل آخر مفاده : إن نفي الرؤية عن البارئ صفة نقص ! لأنها من صفات المعدومات ، فالذي لا يمكن رؤيته هو المعدومات فقط ، فإذا منعنا الرؤية للّه تعالى فيكون وزانه وزان المعدومات ! ! وهذا مذهبه المادي الحسي من مساواة الموجود للمادي المحسوس وهو من الطامات .

الذهبي والتجسيم :

يعدُّ هذا الرجل من المجسّمة المعروفين ، وله أقوال وتصريحات بهذه العقيدة ، نذكر لكم جملة منها ، ففي كتابه سير النبلاء قال : «ومسألة النزول ] يعني نزول البارئ تعالى [ فالإيمان به واجب ، وترك الخوض في لوازمه أولى» (1) .

وقال في موضع آخر : «يجب أن يتّقى العوام من الروح بخواص مذهب التجسيم والتشبيه» (2) . ودعوة الذهبي هذه لاتّقاء

العوام نتيجة لما ذكرناه لكم من أنّ السطح الظاهر للمسلمين بحمد اللّه قائم على ضرورة بطلان التجسيم والتشبيه ، حتىّ أضحى القائلون بالتجسيم يتخفون كالخفافيش لا يقدرون على البوح بما يعتقدوه .

وقال الذهبي في موضع آخر من كتابه المشار له : « العلم مباح لا يجب بثّه»[3] . ويعني بقوله هذا أنّ العلم بالتجسيم والتشبيه مباح لا يجب بثّه ،ولا ينبغي أن يدخل فيه إلاّ خواص العلماء لا كلُ ألعلماء ، فبعضهم لا يمكن مفاتحتهم بهذا الشيء.

أسباب أُخرى لظهور هذه الانحرافات :

ذكرنا لكم سابقاً أنّ لهذه الانحرافات سبباً ،وهو ترك أصحاب هذه الأقوال

---

1- سير أعلام النبلاء 20 : 331 .
2- سير أعلام النبلاء 19 : 448 .
3- سير أعلام النبلاء 10 : 604 .



للثقل الثاني وهم أهل البيت (عليهم السلام) وعدم تمسّكهم بهم . وذكرنا أنّ هناك أسبابا أُخرى تفرعت عن هذه الأسباب لم نبيّنها ،وإنمّا اقتصرنا على بيان السبب الأمُ فقط ، ونريد هنا أن نشير بإيجاز إلى بعض هذه الأسباب الفرعية .

السبب الأوّل : انتشار الإسرائيليات :

كما تعلمون فإنّ التوراة المحرّفة مملوءة بالتجسيم كما سنشير إلى ذلك بعد قليل ، وتعلمون أيضا أن كثيرا ممَن يّحمل الثقافة التوراتية قد دخل الإسلام في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعده ، وكان لتأثّر هؤلاء الأشخاص بالتوراة وبما يحمله من أفكار تجسيمية دور كبير في بثّ عقيدة التجسيم في تراث المسلمين ، فإنّك لو لاحظت روايات التجسيم الموجودة في كتب أهل سنّة الجماعة وقارنتها مع ما موجود في التوراة لوجدت هناك تشابهاً كبيراً بين النصين ، فمثلا هذه الرواية التي قرأتها لكم من أنّ اللّه تعالى اشتكى من عينيه فعادته الملائكة .

أو الرواية التي تقول : إنّكم ترون ربكّم كما ترون القمر ليلة البدر[1] . وهو حديث يقولون بتواتره !

أو الرواية التي تقول بأنّ العرش يئط تحت البرئ كما يئط الرحل ،وغيرها من التعابير التي على هذه الشاكلة .

وممّا يؤكّد إسرائيلية هذه الروايات مضافا إلى تطابقها مع ما هو موجود في التوراة المحرفة ، أن قيّ طرق هذه الروايات رواة كانوا يهوداً وأهل كتاب ثمُ أسلموا ، ككعب الأحبار ، فكثير من روايات التجسيم جاءت عن طريقه ، وقد روى عنه أعمدة الرواية عند أهل سنّة الجماعة ،وأخرج رواياته أصحاب الصحاح والمسانيد والمعاجم ، فقد روى عنه الدارمي في نفس الرسالة التي ردّ بها على الجهمية في صفحة (14 ، 17 ، 18 ، 25 ) ، ومن المفارقات المعبّرة أنّ أحد رواة هذه الروايات اسمه (إسرائيل) ،وهذه الكلمة . كما تعرفون . كلمة عبرية ، ولها

---

1- إعانة الطالبين 1 : 28 ، المبسوط للسرخسي 1 : 142 ، مسند أحمد 4 : 360 .

مدلولها الواضح بارتباط الراوي بالثقافة التي يدلّ عليها اسمه .

والأمر نفسه في عبد اللّه بن سلام ، فهذا الرجل معروف بأنّه من أوعية الفكر التوراتي ، وله روايات في التجسيم معروفة عند أهل سنّة الجماعة .

أمّا زيد بن ثابت فكان معروفاً بتردده على كتاتيب اليهود وحمله للثقافة التوراتية ، وكان يروي عنهم ، وله في تراث أهل سنّة الجماعة الكثير من هذه الروايات ، وكذا تميم الداري فهو أيضاً معروف بثقافته التوراتية ، وروايته لروايات التجسيم ، ومن باب المثال نذكّركم بالحديث المشهور عندهم ، والذي يروونه عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري أنّ عمر بن الخطاب أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فغضب (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال : «أمتهوكون فيها يا بن الخطاب . . .» [1] .

وروايات أُخرى كثيرة في هذا المعنى تحذّر من دخول الإسرائيليات والأفكار التوراتية المحرفة ، والتي دخلت إلى التراث الإسلامي عن طريق اليهود الذين دخلوا الإسلام ولم يتخلّوا عن أفكارهم القديمة وإنّما بقيت فيهم ، وظهرت على رواياتهم ، ونسبوها للإسلام بعد أن أصبحوا يمثّلون رواة مسلمين .

السبب الثاني : الأخطاء المنهجية :

وهناك أخطاء منهجية كثيرة وقع فيها أصحاب هذه الأقوال سنذكر لكم اثنان منها على سبيل المثال :

الأوّل : إبعاد العقل وعدم الاعتماد عليه كمصدر من مصادر المعرفة الدينية ، وقد حكم بذلك الحشويون وأهل الظاهر من أهل سنّة الجماعة ، بينما مدرسة أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) لا تشطب على العقل ، وانمّا تعتمده كمصدر للمعرفة الدينية ضمن موازنة دقيقة بينه وبين النقل والوحي ، فهم لا يهملوه وكذا لا يعطوه دوراً على حساب النقل ، بل يوازنون بين الأمرين موازنة دقيقة ويعطون لكُلّ منبع حجمه

1- مسند أحمد بن حنبل 3 : 387 .



ومساحته الصحيحة والخاصّة به ، فالعقل والنقل أحدهما يكمل الآخر في تحديد هداية الشخص على أساس ما ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) من أنّ مبدأ الأمور وكمالها وأصلها إنّما هو العقل ، إلا أنّ العاقل اللبيب علم أنه لا يهتدي لمواضي الرب وإراداته ومشياته ونواهيه بعقله المحدود ، فعلم بضرورة الهداية من الربِّ تعالى ، وأنّ العلم بما جاء به الوحي هو مكمّل للهداية .

هذا مع كون المخاطب على الدوام في خطاب الوحي هو العقل سواء بفهم تفصيلي أم إجمالي على طبق موازين .

وبهذا المضمون جاءت روايات عدّة عن أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام) .

وهذه الخصّيصة التي امتاز بها نهج أهل البيت (عليهم السلام) وهي إعطاؤهم الحجم المناسب للعقل . أي : لا إطلاق العنان له ولا طرحه . تعدّ بنفسها دليلاً على صوابية وحقانّية وامامة أهل البيت (عليهم السلام) .

فقضية الاحتكام إلى محكمات العقل في بعض الأمور المعرفية ليست قضية وليدة الصدفة والاعتباط ، وإنّما نادى بها وحثّ عليها القرآن الكريم ، أو ليس هو القائل : ﴿ أَفَلَا يَعقِلُونَ ﴾ [1] ، والقائل : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [2] ، وغيرها من الآيات التي يمتدح بها العقل وأهله ، وفي نفس الوقت يذم التاركين له : ﴿ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعقِلُونَ ﴾ [3] ، فتجد من خلال ذلك أنّ الاستفادة من العقل مطلب قرآني وظاهرة قرآنية مسلّمة لا يشك فيها أحد ، ولكن في نفس الوقت لابد من الالتفات إلى أنّ القرآن الكريم لم يطلق العنان لمتشابه العقل في التدخل بكُلّ شؤون الدين ، وعلى كلّ المستويات ، بل في حدود البديهيات والأمور الفطرية ، وما عدا ذلك فالعقل بحاجة إلى هداية وترشيد الوحي في تحديد المعارف الدينية ، فالعقل المحيط بكُلّ شيء هو الوحي فقط .

---

1- يس : 67 .
2- الرعد : 19 ، الزمر : 9 .
3- يونس : 100 .



وهذا المنهج القرآني تجده متجسّداً في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بكلّ وضوح ، وبمنتهى الدقة والعمق ، بينما تجد المنهج الموجود لدى جماعة أهل سنّة الجماعة هو التشطيب وإلغاء دور العقل ، ومنهجهم هذا لوضوح مخالفته للفطرة لذلك لا يستطيعون الوحي به إلى ناشئتهم ، فإنّنا إذا ألغينا دور العقل في تحصيل المعرفة فلا يبقى بيننا وبين العجماوات فرق .

وهذا الخطأ المنهجي في تحصيل المعارف هو الذي أوصل القائلين بالتجسيم إلى ما قالوه ، فإنّهم لو أعطوا للعقل دوراً بأيّ مستوى كان . لما انساقوا أمام الاستظهارات الخاطئة لألفاظ القرآن كما سنوضّحه لاحقاً عند توضيحنا للخطأ المنهجي الثاني .

وإنّ من دواعي فرار أهل سنّة الجماعة من العقل ومباحثه هو قولهم إنّ العقل لا مجال ولا مسرح له في فهم خطاب الشرع .ولا ريب في أنّ المحدد والمبيّن لكلّ تفاصيل وجزئيات الدين هو الوحي ، فهذا من الضروريات ، ولكن نسأل من الذي يفهم الوحي أهو العقل ، أم الحسّ ، أم الوهم ، أم الخيال ، أم النزوات والشهوات ؟

من المعلوم أنّ الذي يقرأ الوحي هو العقل ، وأنّ الذي خاطبه القرآن الكريم هو العقل ، فإذا وضعنا سداً أمام العقل فنكون بذلك قد أبطلنا الشريعة في المساحة التي يمكن للعقل أن يتحرّك فيها .

واستخدام العقل في إدراك المعارف الإلهية لا يعني تحكيم العقل فيها ، وإنّما نستخدمه كوسيلة للوصول إلى تلك المعارف وذلك بواسطة الرأسمال الثمين الذي أودعه اللّه تعالى فيه وهو البديهيات والفطريات ، فهي المساحة التي يتحرك فيها العقل ، وهي موضع الخطاب في القرآن الكريم .

وأمّا الحسّ والوهم والظن والشهوات والأرقام التجريبية وغيرها من القوى فغير مخاطبة في القرآن ، وانمّا المخاطب العقل بقواه البديهية والفطرية .

ومن المؤسف أنّ هذا الخطأ المنهجي في تحصيل المعرفة الدينية لم يؤدّ إلى التجسيم فقط ، بل أدّى إلى عقائد باطلة كثيرة ، ومنها عقيدة الجبر مثلا ، فإنّ غياب العقل هو الذي أوقعهم في هذه العقيدة الفاسدة ، مع أنّ بعض عمالقة الجبر كالفخر الرازي خاض ما خاض في العلوم العقلية ، ولكنه لم يكن يحصل له الاطمئنان بالبديهيات العقلية ، كما هو المعروف عنه برئيس المشككين [1] .

وغياب العقل هو الذي حدى بالحشويين وأهل الظاهر وغيرهم من أهل سنّة الجماعة إلى الجمود على ألفاظ الأحاديث ، وكان إلغاؤهم لأحكام العقل العملي بالذات (حسن العدل وقبح الظلم ، وحسن الفضائل وقبح الرذائل) هو السبب في قبولهم لأيّة رواية وإن كان مدلولها قبيحاً لا يقبل به العقل ، وما أكثر هذه الروايات ، ومنها حديث الغرانيق الذائع الصيت في ذيل سورة الحج الذي استغلّه أعداء الإسلام لتشويه صورة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كما حصل ذلك مع المرتد سلمان رشدي الذي أفتى علماء الإمامية بكفره ، فإنّ هذا الرجل وكما يقول أحد الباحثين قد جمع في كتابه (الآيات الشيطانية) خلاصة ما رواه الحشوية وأهل الظاهر ، ولم يأتِ بشيء من خارج هذه الدائرة ، بل إنّ ما رواه الحشوية أكثر بكثير مما ذكره هذا المرتدّ الخبيث وأمثاله .

فتحصّل أنّ استخدام العقل بحدود الفطريات والبديهيات في تحصيل المعارف الدينية هو المنهج الصحيح والذي اعتمدته مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، وعدم اعتماد هذا المنهج من قبل الكثير من فرق أهل سنّة الجماعة هو الذي أوقعهم بعقيدة التجسيم الباطلة وغيرها من العقائد المنحرفة .

الثاني : انحسار علم أصول الفقه . وهذا هو الخطأ المنهجي الثاني الذي وقع فيه أصحاب العقائد المنحرفة ، فعلم الأصول وكما أشرنا لذلك في مناسبات سابقة

---

1 - الصوارم المهرقة : 306 ، بحار الأنوار 35 : 269 ، الأربعين للماحوزي : 254 ، الإمام علي (عليه السلام) للرحماني الهمداني : 276 ، 337 ، أجود التقريرات 1 : 91 ، 92 ، تراجم الرجال 2 : 608 ، الذريعة 9 : 811 .



هو منطق العلوم الدينية ، واسمه دالٌ عليه ، فأصول الفقه يعني أصول الفهم ، ونحن لا ندّعي أنّ كلّ ما فيه وحي منزل ، بل نقول : إنّ ما وصل إليه من استنتاجات وموازين علمية يصلح لأن يكون منهجاً صحيحاً لقراءة وفهم المعارف الدينية بالشكل الموافق للفطرة والموازين العلمية المتعارفة بين البشر ، لا أن يأتي الإنسان ببعض القضايا من الأدب واللغة العربية ومن ثمّ يجوّز لنفسه اقتحام المعارف الدينية وإعطاء الرأي فيها .

ومن المباحث المهمّة التي تكفّل علم الأصول بتقنينها ووضع الموازين الصحيحة في الاستفادة منها هي مباحث اللغة ، وأبرزها مباحث علم البلاغة ، الذي له دور كبير في فهم مراد المتكلّم ومدلول ألفاظه .

وعلم أصول الفقه ، وعلم البلاغة ليست علوماً تخصّ لغة دون أخرى كما يظن البعض ، بل هي علوم تخصّ كلّ البشرية ; لأنّها تتعلّق بالمعاني الذهنية ، وهذه المعاني مشتركة بين كلّ البشر لا فرق بين لغة وأخرى ، فأنت تجد لبني البشر ألسن

ولغات مختلفة ، إلاّ أنّ لغتهم في المعاني الذهنية متحّدة مشتركة ، مثل المعاني الحسيةّ والوهمية والخيالية والعقلية التي تتداعى في أذهانهم ، فهذه المعاني ليست مرتبطة بالتربة أو القومية أو العرق الذي ينتمون إليه ، كما هو في اللسان واللفظ والصوت ، فما أن ينتقل الإنسان من لغة لسانه التي هي معبرٌ إلى المعاني الذهنية حتىّ تتحد جميع لغة البشر وفهمهم بلغة المعاني الذهنية .

وهذه اللغة الموحّدة لها قوانين وأُصول مشتركة بين الجميع لا تختلف بين لغة وأُخرى ، فترتيب المعنى المذكور في علم الدلالات ،وأنّ له مراحل ينتقل فيها من المعنى الاستعمالي ، ثمُ المعنى التفهيمي ، ثم ُالمعنى الجدي ّ، فهو قانون لا يختص بلغة دون أُخرى ،وانمّا هو قانون يحكم كلُ لّغات البشر .

والدليل على وحدة هذه العلوم أنّك تجد كثيراً من اللغات غير العربية استفادت من المباحث العلمية التي توصلت إليها في علم الأصول وعلم البلاغة ،



كما تجد ذلك في اللغة الإنجليزية والفارسية حيث استفادتا كثيراً من بحوث علم الأصول والبلاغة في اللغة العربية ،وهذا يكشف لك أنّ علم الأُصول وعلم البلاغة علوم لا تختصّ باللغة العربية أو بلغة خاصة ّ،وانما ّيتناول الموازين التي بين المعنى المرتبط باللفظ بعلقة وضعية ومراحل المعاني الأُخرى ، وتلك المراحل مشتركة بين البشر من دون اختلاف بين لغة وأُخرى .

وهذه القوانين المشتركة بين البشر في فهم معاني الألفاظ لم تلتزم بها المجسّمة والحشوية والظاهرية ، مما ّأوقعها في الخطأ المنهجي الثاني الذي أدّى بهم إلى التجسيم والتشبيه وغيرها من الانحرافات العقائدية ، فهم يرون أنّ التدين بدين اللهّ تعالى يعني الوقوف والجمود عند حرفية وسطح الألفاظ ، فالمسلم لكي يكون موحّداً حقيقيا ًعليه أن يلتزم بسطح حرفية اللفظ ،وأما ّإذا حاول أن يتدبّر ويتعمق فهو متأولّ أو ما شابه ذلك ، فهم يقولون وكما مر ّعن الأشعري إن المراد من لفظ الوجه في قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [1] هو جارحة الوجه ،والمراد من اليد في قوله تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [2] هو جارحة اليد ،وهلمّ جراً في جميع الألفاظ الواردة في القرآن الكريم ،والذي أوقعهم في هذه التفسيرات الخاطئة هو ابتعادهم عن المنهج الصحيح في فهم وإدراك المراد من الألفاظ حسب القوانين والموازين العلمية القائمة بين اللفظ ومعناه .

ولا يخفى أنّ توضيح هذه الأخطاء المنهجية التي وقع فيها المجسّمة وغيرهم يوقفنا على الأسباب الحقيقية وراء قولهم بالتجسيم وغيره من العقائد الباطلة ،والوقوف على هذه الأسباب الحقيقية يغنينا عن الخوض في النقاش التفصيلي لهذه العقائد واللوازم الباطلة لها ،ولا ننسى أنّ هذه الأخطاء المنهجية

1- القيامة : 22 ـ 23 .
2- الفتح : 10 .

هي أسباب وسطية متوّعة عن السبب الرئيسي الذي أشرنا له وهو الابتعاد عن نهج أهل البيت (عليهم السلام) . فانظر إلى هذه الزلّة المنهجية كيف أوقعتهم في الانحراف في التوحيد الذي هو أصل العقيدة ومحور المعارف الدينية .

جواب إجمالي :

ويمكن الإجابة على قولهم بلزوم التقيّد بحاق وحرفية رسم اللفظ وأنّ المراد من اللفظ هو المعنى الوضعي دون المعنى التفهيمي ودون المعنى الجدّي ودون المعنى الاستعمالي ، بأنّه لو فرضنا أنّ لفظة الوجه قد وضعت لهذا العضو الجارح ، وأنّ اليد وضعت لهذه اليد الجارحة ، ولكن من قال بأنّ استعماله في الآيات هو على طبق المعنى الوضعي ، فلم لا يكون المراد هو المعنى الاستعمالي أو الجدّي أو غيره ؟ أوليس اللغة العربية هي من أكثر اللغات مجازاً وكناية ؟ فأين ذهب باب المجاز والكناية ؟ فمن الواضح في باب المجاز والكنايات أنّ المعنى الاستعمالي يغاير المعنى الوضعي والمعنى التفهيمي أو الجدّي يغاير الاستعمالي ، فقولنا :زيد كثير الرماد ، المراد به أنّ زيداً ثابتة له صفة الكرم ، وليس المراد أنّ زيد عنده رماد ، فلعل زيد ليس عنده رماد أصلا .

وهذا الاستعمال واسع ومنتشر في كُلّ التراث الأدبي العربي سواء الجاهلي منه أو الإسلامي أو غيره من العناوين والمساحات الثقافية والخطابية ، وفي كُلّ لغات العالم .

هذا مضافاً إلى أننّا نناقش في أصل وضع اللفظ ، فمن قال إنّ اليد وضعت لليد الجارحة ؟ فربما وضعت لمعنى عام أحد مصاديقه المادية هي اليد الجارحة ،وهو ما نريد أن نقوله هنا ، إذ هناك نظرية موجودة في علم الأدب واللغة أنّ الألفاظ موضوعة للغايات لا للمبادئ (خذ الغايات واترك المبادئ) .

وهذه النظرية قديمة ، وقد عبّر عنها الحكيم الشيعي الفيلسوف ملا صدرا رحمة اللّه عليه بأنّ الألفاظ موضوعة لأرواح المعاني ، ومراده بتعبير أدبي أقرب



للفهم العام أنّ الموضوع له في الألفاظ يتحدد بضابطة خذ الغايات واترك المبادئ ، وأنّ الموضوع له في الألفاظ بالدقة هو الغاية لا المبدأ ، بمعنى أنّ غاية اليد هي البطش ، أي : إنّ اليد وضعت لما يبطش به ، والكلام نفسه مع لفظة العين ، فالغاية منها هو الأبصار وما يبصر به ، وليس الجارحة الخاصّة ، وكذلك الوجه إنّما وضعت لما يتجّه إليه ، وهو الغاية منه ، بغض النظر عن طبيعة التوجّه حسيّا كان أو روحيا ، فهذا هو الأصل في وضع الألفاظ .

ومما يدلّ على صحّة هذه النظرية في وضع الألفاظ ما سطره علماء الإمامية في كتبهم في الرد على المجسمة والمشبهة بالاحتجاج عليهم بما جاء في الأدب الجاهلي من استعمال العرب للفظة اليد في القوّة ، والوجه في الذات ، والعين فيما يبصر به ، مثل قولك : ذاك عيني ، يعني إنّ ذلك الرجل مما يوصل لي الأخبار وما شابه ذلك .

وهذا الأمر غير مقتصر على اللغة العربية ، فكُلّ لغات البشر ليست على استعمال الألفاظ المنطبقة على أعضاء الجوارح في نفس الجوارح ، وإنّما هي تستخدم في غايات تلك الجوارح ، يعني المعنى العام أحد مصاديقه تلك الجوارح .

وهذا ردٌّ إجمالي ،وهناك ردود تفصيلية لا يسع الوقت لبيانها .

بيانات أهل البيت (عليهم السلام) :

وبودّي أن يكون مسك الختام وكلمة الفصل في بيان بطلان القول بالتجسيم لروايات أهل البيت (عليهم السلام) وما تضمّنته من بيان عقلي بديهي في إثبات بطلان التجسيم والتشبيه ، ونبدأ بما قاله سيّد الموحدين وإمام المتقين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الخطبة الأُولى من نهج البلاغة إذ قال : «ومن جهله فقد أشار إليه ] الإشارة الحسيّة [ ، ومن أشار إليه فقد حدّه ] جعله محدوداً ، بينما من الصفات الضرورية حتّى عند المجسّمة والمشبهة أن الله تعالى لا يمكن أن تكون صفاته محدودة ، أي : قدرته محدودة ، علمه محدود ، حياته محدودة ، إحاطته محدودة ،



غناه محدود [ ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن قال فيم َ] كما يقولون بذلك [ فقد ضمنهَ ] أي : محتاج إلى الضمن والى الظرف ، أي : يحتاج إلى الغير [ ، ومن قال علامَ ]وهو قولهم : إنّ اللهّ على العرش استوى ، ويفسرّون العرش بالعرش المتعارف ، ونحن أوضحنا أنّ المراد منه معنىً آخر ، على قاعدة خذ الغايات واترك المبادئ ، فعلى هذا يكن معناه مركز قدرة الشيء ، سواء كان إنساناً أو غير إنسان [ فقد أخلى منه ] أي : إذا قلتم إنّ اللهّ تعالى في جهة السماء مثلا ، فإذن جهة الأرض خلوّ منه ،واللّه عزّ وجل يقول : ﴿ وَهُوَ الذَّيِ فِي السماءَّ إلهِ وفِيّ الأرضِ إلهَ ﴾ [1] ، ويقول تعالى : ﴿ وَهُوَ معكمَ أينْ مَا كَنتم ﴾ ، فإذا كان معكم إينما كنتم فكيف يكون في السماء دون الأرض ؟ ! ويقول تعالى : ﴿ لَيسْ كمثَلِهِ شْيءِ ﴾ [2] ، و﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبصَارِ وهو اللَطِيف الَخبيرُ ﴾ [3] ، ويقول تعالى : ﴿ للّهِ المشْرَقْ والمغْرَبْ ﴾ [4] ، ويقول تعالى : ﴿ فَأَينَمَا تولوُا فَثَمَ وَجَه ُاللّه إنّ اللهِ وَاسعّ َعليم ﴾ [5] [ ، كائن لا عن حدث ، موجود لا عن عدم ، مع كُلّ شيء لا بمقارنة ،وغير كلّ شيء لا بمزايلة ] هذا ما لا يمكن أن يتفطّن له المجسّمة أو الحشوية أو الظاهرية ، للخطأ المنهجي الذي ذكرناه لديهم ، فلا يفطن إلى هذا المعنى الدقيق إلاّ من نشطّ عقله وفهمه وكياسته ،وأمّا من عبد صنم الحسّ والوهم والخيال فإنه لا يفهم هذه المعارف التي يفيدها سيّد الأوصياء ، فقوله (عليه السلام) : مع كُلّ شيء لا بمقارنة ، أي : ليس بجسم ،والا لّو كان جسماً فإنّه إذا قارن شيئاً فسوف لا يمكنه مقارنة كلّ شيء [ ، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة ، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه ، متوحّدٌ إذ لا سكن يستأنس بهولا يستوحش لفقده» .

1- الزخرف : 84 .
2- الشورى : 11 .
3- الأنعام : 103 .
4- البقرة : 142 .
5- البقرة : 115 .



وهناك خطبٌ أُخرى للإمام علي (عليه السلام) بهذا المعنى قد ضمّها نهج البلاغة ، حتىّ أن كّثرا منً ناشئة المجسمة

والحشوية أنكروا أن تكون هذه المعارف التوحيدية للإمام علي (عليه السلام) وهو في ذلك الزمن الذي تنعدم فيه هذه المعارف ، ولكن تواتر نقلها في مصادرهم المعتمدة ، وهذا يكفي في ردّ دعواهم الباطلة .

ومن تلك الخطب الجليلة التي حوت بعض علومهم اللدنية ما جاء في خطبة له ، برقم (49 ) من نهج البلاغة يقول فيها : «الحمد للّه الذي بطن خفيات الأُمور ، ودلّت عليه أعلام الظهور ، وامتنع على عين البصير ، فلا عين من لم يره تنكُره ، ولا قلبُ من أثبتهُ يُصُوره ، سبق في العلو فلا شيء أعلى منه ، وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه ، [ فلو كان جسما فكيف يكون قريباً وبعيداً ] ، فلا استعلاؤهُ باعده عن شيء من خلقه ] فاستعلاؤه استعلاء قدرة ، لا بعدا مكانيا [ ، ولا قربه سواهم في المكان به ] لأنّه ليس بقرب مكاني ، وإنّما قرب إحاطة علمية واقتدار [ ، لم يطلع العقول على تحديد صفته ، ولم يحجبها عن واجب معرفته ، فهو الذي تشهدُ له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود ، تعالى اللّه عمّا يقول المشبهوّن به والجاحدون له علوّاً كبيراً» .

ومضافاً لكتاب نهج البلاغة ، فإنّ ثقة الإسلام محمدّ بن يعقوب الكليني رضوان اللّه تعالى عليه قد عقد في أصُول الكافي كتاباً خاصّاً في التوحيد اشتمل على (35 ) باباً من أبواب شتّى في المعارف التوحيدية ونفي الجسمية ، ونفي الرؤية البصرية وفي نفس الوقت إثبات الرؤية القلبية التي هي رؤية مجردة ، كما في قول الإمام علي (عليه السلام) لأحد الأحبار عندما سأله : هل رأيت ربَّك حين عبدته ؟

فقال له (عليه السلام) : «ويلك ما كنت أعبد ربّاً لم أره» .

قال : وكيف رأيته ؟ قال : «ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان» [1] .

---

1- الأصول من الكافي 1 : 98 ، باب في إبطال الرؤية .



وأحبّ أن أنبّه إلى أنّ مذهب أهل البيت (عليهم السلام) لا يقصرون الرؤية على القلبية فقط ، بل يثبتون الرؤية العقلية أيضاً ، وهي دون الرؤية القلبية ، وهي ليست رؤية حسيّة ولا خيالية ولا وهمية ، أي : ليست رؤية مقادير وانمّا رؤية معان مجردة .

وصلّى اللّه على محمدّ وآله الطاهرين .





الأسئلة والأجوبة

سؤال : الذي يُنقل أنّ بعض أصحاب الأئمة كان يقول بالتجسيم ، كما ينسب ذلك لهشام بن الحكم متكلم الشيعة الأول ، حتى أنّ هناك روايات عن الأئمة (عليهم السلام) في الكافي وغيره يذمّون فيها هشام وقوله بالتجسيم . فإذا كان كذلك فلماذا نسبتم التجسيم لأهل السنّة فقط ؟

الجواب : المعروف عن الإمامية عند كُلّ طوائف المسلمين أنهّم لا يقولون بالتجسيم ، وتراثهم الروائي وكتابات علمائهم كُلّها تصرّح بذلك ، والعدو والصديق يشهد لهم بذلك ، أمّا ما ينسب لهشام بن الحكم فغير صحيح ، وانمّا هي فرية أشاعها عليه المجسّمة أنفسهم وخصوم الشيعة ، والسيّد المرتضى رحمة اللهّ عليه . ينقل حقيقة الواقعة التي اتخذّها الخصوم ذريعة لنسبة هذه الشنيعة لهشام بن الحكم ، وذلك في كتابه الأمالي والوسائل [1] .

ويقول : إنّ حقيقة الأمر تتلخّص في أنّ هشام كان في مجلس جدلي كلامي مع بعض متكلمّي أهل سنة الجماعة من الأشعرية وغيرهم ، ومعروف عنهم وكما أسلفنا بيانه أنّهم ينسبون للبارئ صفات يلزم منها النقص والعياذ باللهّ ، وهشام عندما يبيّن لهم اللوازم الباطلة لهذه النسبة يفرّون منه بقولهم المعروف (بلا كيف) ، أي : إننّا ننسب هذه الصفات ولكن بلا كيف بشري ، أو بلا مماثلة ، فكان من هشام ومن باب الإلزام لهم وإحجامهم أن قال لهم يلزم من قولكم بلا كيف القول بأنّ اللهّ تعالى جسمٌ لا كالأجسام ، وبدأ يثبت هذا القول من باب الإلزام لهم به ، وبيان بطلان قولهم وعدم كفاية قولهم (بلا كيف) بالتفصّي من هذا اللازم الباطل ، فعمد بعض الحاضرين لهذه المجادلة إلى نسبة هذا القول لهشام وإشاعته بين الناس حتّى أصبح من المشهور الذي يعرف عن هشام ، كيداً منهم بأهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم .

---

1- الشافي في الإمامة 1 : 83 ـ 84 .



وبعد أن شاعت هذه النسبة والفرية على هشام ، وعدم جدوى دفاع الأصحاب لقلّتهم وكثرة خصومهم ، حتّى خيف أن تعمّ هذه النسبة لكُلّ الشيعة ويلحق بالمذهب ما ليس فيه ، تصدّى أئمةّ أهل البيت (عليهم السلام) لدفع أصل عقيدة التجسيم وتكذيبها وبيان بطلانها بالبراهين العقلية والنقلية ، ولم يلتفتوا إلى تراة الأشخاص ; لأنّ في هكذا حالات تكون مصلحة بيان حقيقة الهدى ومنهاج المؤمنين أهم من مصلحة الفرد وإن كان بريئاً ، بل وصل الأمر بأهل البيت (عليهم السلام) حرصاً على عقائد الطائفة أن ذمّوا هشاماً ذماّ شديدا خوفا منً أن يصدق أحد بنسبتها لهشام فيتأثر بهّا ، وما كان الذم لهشام وغيره من الأصحاب كزرارة إلاّ حفاظاً عليهم ، مثلهم في ذلك مثل السفينة التي خرقها العبد الصالح حفاظاً عليها من أن يأخذها السلطان .

وهذه حقيقة صرّح بها أهل البيت (عليهم السلام) في عدد من الروايات .

سؤال : تفضّلتم أنّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) سمحوا للاستفادة من العقل ، أما أهل السنة فلم يسمحوا بذلك ، مع أننا نجد أنّ أهل السنةّ استفادوا من العقل بشكل واسع جداً ، وتوغلوا به حتى في المباحث الفقهية ، فما تعليقكم على ذلك ؟

الجواب : لابدّ أن تعرفوا أنّ أهل البيت (عليهم السلام) لم يطلقوا العنان للعقل ، وانمّا حددوا مساحات خاصةّ يتحركّ فيها العقل وبالحدود العلمية الصحيحة .

وأمّا أهل السنةّ فلم أقل إنهّ لا يوجد فيهم من يستفيد من العقل ، وانماّ قلت إن السطح الظاهر لهم على عدم الاستفادة منه ، كما نجد ذلك عند الحشويين والظاهريين والسلفيين والحنابلة والوهابية ، فإنّهم لا يسمحون للعقل بأيّ مستوى كان .

وأمّا الأشاعرة فلم يسمحوا للعقل إلاّ بحدوده الدنيا ، وفي مساحات غير واضحة ولا ممنهجة .

وأمّا قولكم بأنّ هناك من توغلّ في العقل من أهل السنة ّفنحن لا ننكر



ذلك ، ولكنهم مع أنّهم لا يمثلّون السطح الظاهر لأهل السنة ّ ، إنماّ يستعملون الظنون العقلية كالاستحسان والقياس ولا يقتصرون على الواهين العقلية .

سؤال : استدللتم على عدم صحّة ما ذهب إليه أهل السنة ّ ، وقولهم بثبوت الأعضاء للرب ّعز وّجل ، ّ اعتمادا علًى ظهور بعض الآيات القرآنية ، بروايات أهل البيت (عليهم السلام) ، وهذه الطريقة في جواب القوم غير ملزمة لهم ; لأنّ تفسيرات أهل البيت (عليهم السلام) ليست حجّة عليهم ، فاللازم أن يكون جوابكم ملزماً لهم وأن تجيبوهم قرآنياً ، وبما هو مسلم ّعندهم .

فالآيات إذا كانت ظاهرة في ثبوت اليد وغيرها من الأعضاء للربّ تعالى ، فيلزم الأخذ بهذا الظاهر ، وتأويل الروايات المخالفة لذلك ، لا العكس ، فنأوّل القرآن بما ينسجم ومفاد الروايات .

الجواب : هذه المطالب سبق أن بيّناها مفصّلا ، ولا بأس بالتذكير بها ، فنقول : مماّ لا شك فّيه أن مرّاد القرآن الكريم يلزم الأخذ به ، ولا يجوز العدول عنه بأيّ ملاك كان ، والروايات التي تخالف ذلك تأوّل بما ينسجم ومراد القرآن ، وإلا فّيضرب بها عرض الجدار ، وهذا أمرٌ يعدّ من المسلمّات التي لا نقاش فيها ، وانماّ الكلام في كيفية الوصول لمراد القرآن ، وكيفية الاستفادة من القرآن ، لا في لزوم الأخذ بمراد القرآن ، وهذا هو ما دار البحث عنه في بحثنا السابق ، فلا يوجد هناك خلاف في أنّ ظهور القرآن حجّة ، ولكن أيّ ظهور هذا ؟ هل هو ظهور الحشويين والقشريين ؟

فالقرآن إنّما نزل بلغة لها موازينها وقوانينها وأساليبها ومناهجها العلمية في تحديد علاقة اللفظ بالمعنى ، وعليه لكي نحدد أيّ الظهور هو الصحيح ، وأيّ معنى ًيريده القرآن الكريم لابد فّي المرحلة الأولى من تحديد الأسلوب والمنهج الصحيح في كيفية الاستفادة من القرآن الكريم وتحديد مراده ، وبدون ذلك لا نستطيع تحديد الحقّ مع مَن ، فأنا أدّعي الظهور وهو يدّعي الظهور ، أنا أدّعي التفسير وهو يدّعي التفسير ، فإلى من التخاصم ؟ ومن يحدد لنا الظهور الصحيح ؟



فالقرآن لوحده بدون منهج علمي صحيح يحدد المراد منه لا يصلح لحل النزاع بين المسلمين .

فإذن لابدّ من وجود منهج صحيح مبتني على أُسس علمية يتفّق عليه الجميع ويحتكمون إليه في تحديد الفهم الصحيح لمراد القرآن ، وهذا الذي كنّا نبحث فيه ونسعى لتحديده ، وجئنا بروايات أهل البيت (عليهم السلام) من جهة الإرشاد إلى نكتة لزوم تحديد المنهج الذي أشرنا له .

فعلى مستوى اللغة . وكما أوضحنا